



بسم الله الرحمن الرحيم

*** ملخص رسالة الفلك وعلاقته بالعقيدة في الكتاب والسنة ***

الصلوة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد ،
يثبت تاريخ الفكر البشري أن بعض المذاهب الفلسفية أو العقائد الوضعية الباطلة قد ارتبطت ارتباطاً « وثيقاً » بل وانبثقت من المعلومات والتفسيرات الفلكية القديمة المعاصرة لهذه المذاهب فجاءت بعض عقائد هذه الفلسفات وثنية والحادية .
ولما اهتمت البشرية بالمكتشفات الحديثة في مجال العلوم التي تعد أداة لتوضيح آيات الآفاق ومن ضمنها علم الفلك ، برزت معلومات صحيحة تتناسب في معظمها مع ما جاء في القرآن عن الفلك باعتباره آيات ودلالة على وحدانية الله عز وجل الخالق سبحانه ويعتبر بيان هذا كله وتوضيحه والبرهنة عليه الهدف الرئيسي من هذا البحث .
ففي الباب الأول : تحدث البحث عن علم الفلك وموضوعه ونموه خلال تاريخ المضاربات المكتوبة حيث ثبت أن أكثر المفاهيم والتفسيرات الفلكية القديمة عبارة عن أوهام وأباطيل بالقياس مع حقائق القرآن الكريم ونتائج علم الفلك المعاصر .
ومن ثم تناول الباب الثاني مقارنة بين تفسير ومراحل خلق السموات والأرض في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأرجع النظريات العلمية المعاصرة في هذه المسألة مما يؤكد رفع التعارض والاختلاف بين ما جاء في نصوص الوحي وبين العلم ، كذلك أكدت نتائج هذا الباب بطلان تفسير الخلق في الفلك القديم والعقائد الوثنية والشركية المبنية عليه .
وأقرنا الباب الثالث لتفسير حركة الأجرام السماوية في القرآن الكريم وعلم الفلك المعاصر حيث ثبت قرآنياً « وعلمياً » أنها مسخرة بقدرة الله عز وجل وأنها ليست ذات فاعلية مستقلة كما زعم بذلك ملاحدة الفلاسفة نتيجة لأوهامهم التي تلقوها من علم الفلك القديم .
واستعرضت في الباب الرابع تفصيلاً لتفسير أرسطو الطبيعي للكون والفساد بالعلل الأربع ونظرية الكندي في خلق الله عز وجل - للكائنات بالتولد ونظرية الفيض والصدور وعقول الكواكب التسعة عند الفارابي وابن سينا ، وقد ثبت أن هذه النظريات الشركية والالهامية كلها مزيفة ونتيجة أوهام وأباطيل الفلك القديم ، كما تضمن هذا الباب عرض بعض النظريات اللاحادية الحديثة في تفسير نشأة الكون والتي حاول أصحابها أن يلصقوها تعسفاً بعلم الفلك الحديث وهي نظرية الذرة البدائية ونظرية الكون الأزلي الثابت ونظرية التفسير الميكانيكي للكون مع العناية ببيان مصادمة هذه النظريات للثابت من علم الفلك الحديث من ناحية ، ومع ما جاء في القرآن الكريم والسنة من ناحية أخرى .
كما تضمن هذا الباب فصلاً للتنجيم قديماً وحديثاً وعلاقته بالعلم وموقف العقل والدين منه مبرزين مواضع الاختلاف والتصادم بينه وبين علم الفلك الحديث من ناحية ودين التوحيد الاسلامي من ناحية أخرى .
وموضوع الباب الخامس - وهو ثمرة البحث - : (الفلك والتوحيد) حيث توصلنا بفضل الله تعالى الى رؤية آيات الله عز وجل بالنظر في الآفاق من خلال عظم الأجرام السماوية وكثرتها ونظام حركتها الدقيق والتي هي براهين ساطعة على قدرة الله عز وجل وعلمه وخبرته وعظمته وقوته اللامحدودة وجبروته وحكمته وأنه وحده الخالق المدبر النافع الضار ، ومن ثم جاءت نتيجة البحث وهي أن بعض ما انتهى اليه علم الفلك الحديث من أهم دلائل الآفاق المثبتة لوحدانية الله سبحانه والموجبة لافراذه بالخلق والتدبير وعبادته وحده بخلاف علم الفلك القديم الذي ثبت أنه بما احتواه من أوهام وأباطيل علة من علل الشرك بالله عز وجل .

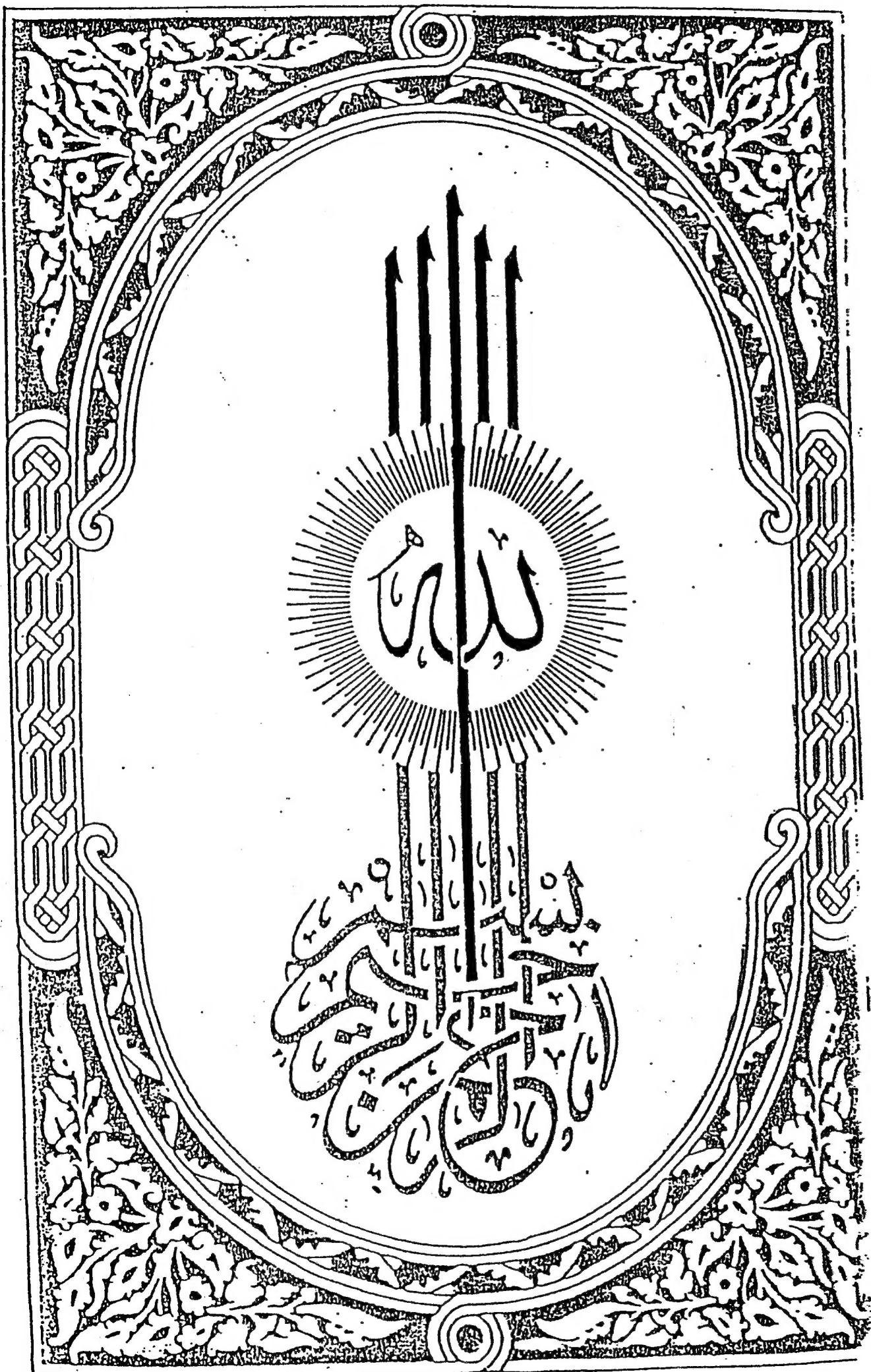
عنه العمد
كلمة الشكر والثناء
للإسلامية
د . عابد الكسفياني

المشرف

د . فاروق الدسوقي

الطالب

عبد الله الانصاري



قال تعالى :

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

فصلت : آية ٥٣

المقدمة :

الحمد لله القائل ﴿ ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل

والنهار آيات لا ولى الالباب ﴾ (آل عمران : ١٩٠)

والعلاء والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذى ورد عنه قوله

(ان الشمس والقمر من آيات الله) الحديث

واشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد :

فان الله سبحانه علاوة على ما أودعه فى النفس الانسانية من فطرة

موحدة بربوبيته ، دل على وحدانيته أيضا بما أودعه فى الكون من

نظام بديع وسنن محكمه ثابتة تدل على قدرته المطلقة وعلمه الواسع

المحيط . وقوته التى لاحد لها وسائر صفات الكمال التى تليق به سبحانه .

لقد شغل الكون عقول المفكرين منذ بدء الخليقة ، فبدأ الانسان

يتطلع الى ملكوت الله عز وجل محاولا استكشاف اسراره ورغبة فى معرفة

الحقيقة مدفوعا بفطرته الموحدة الامر الذى ينتهى به الى ادراك ان هذا

الكون العظيم البديع قد خلقه خالقه بالحق ولحكمه ، ويقر بكل ما

يجب على الانسان نحو خالقه .

فظهرت انواع العلوم التى من اهمها علم الفلك الذى احتوى فى أول

عهده الى عصر نزول القرآن كثيرا من الضلال مما أدى بكثير

من الاقوام والشعوب الى الشرك وعبادة الاجرام السماوية وانتشار علم

التنجيم الذى لايزال موجودا حتى يومنا هذا . نتيجة لتصورهم ان الاجرام

السماوية هى مصدر النفع والضرر وهذا يناقض كمال الربوبية لكونه

سبحانه النافع الضار .

كما أدى هذا الى فساد تصور الالهيه عند الفلاسفه قديما . ثم
نزل الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم فبين ان هذه الاجرام
وافلاكها ما هي الا نظام محكم تحت تسخير خالقها تدل على الوجدانيه
التي تقرها الفطره ، وان النفع والضرر ما هو الا من خالقها . وان هذه
الاجرام - كما هي سنة الله العامه في الخلق - لها اعمار معينه
تنتهي بعد انتهاء مهمتها المطلوبه منها . هذه المهمه هي آثـار
رتبها سبحانه وعلقها بها ، ترتبط بحياة الانسان على الارض ، توضح
جانبا من حقيقة الابتلاء للانسان في كون ارجاع الامر لخالقها والتوجه
اليه في كل حركة من حركات حياته .

ونصوص الوحي المتضمنة للفلك تبدو بوضوح وجلاء وثيقة العلة
بالتوحيد . كما ان علم الفلك الحديث يؤكد هذه العلة ويدعمها
تحقيقا لقوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين
لهم أنه الحق او لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣)
وقد حدا بي هذا كله الى الاهتمام بالموضوع لتوضيح هذه العلة
وبيانها . وقد أكد رغبتى هذه ما وجدته من دعوة متكرره في نصوص
القرآن الكريم الى التفكير في خلق الكون حيث قال تعالى : ﴿ او لم
ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ (الاعراف : ١٨٥) وقوله
تعالى : ﴿ قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ
النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير ﴾ (العنكبوت : ٢٠) .
ومما دفعنى الى هذا الموضوع أيضا ما يتضمنه القرآن من براهين على
خصوبة .

الباب الاول : علم الفلك وموضوعه ومراحل نموه . بحيث احتوى على ثلاثة

فصول اولها يتحدث عن مادة فلك ومترادفاتها واقوال المفسرين
فى ذلك .

اما الفصل الثانى فيتحدث عن مراحل نمو علم الفلك حتى هذا العصر
اما الفصل الثالث فاستعرض موضوعات علم الفلك فى اللغة ونصوص
الوحى وعلم الفلك .

الباب الثانى : يتحدث عن خلق السموات والارض وما بينهما بحيث احتوى

على خمس فصول اولها يتحدث عن خلق السموات والارض بالحق واقوال
المفسرين فى المقصود بالحق ثم عن فتق السموات والارض .

اما الفصل الثانى : فعن بناء السماء ودحو الارض والمعانى
المستفادة منهما اما الثالث فيتحدث عن الزمن وعلاقته بخلق
السموات والارض والفصل الرابع يتحدث عن كيفية تمهيد الارض للحياة
الانسانية . اما الفصل الخامس فعن الفناء الكونى ، مكوناته
وامكانية السفر فيه .

الباب الثالث : تعرضت فيه لنظام حركة الاجرام فى افلاكها فى السماء

الدنيا بحيث اشتمل على اربعة فصول اولها عن النجوم واعمارها
وانواعها وثانيها عن نظام حركة هذه النجوم فى افلاكها . اما
الفصل الثالث فتحدث عن المجموعة الشمسية ونظام حركتها وبالذات
الشمس والقمر والارض لما لها من ترابط وثيق بحياة الانسان ، اما
الفصل الرابع من هذا الباب فقد تعرض للآثار التى علقها سبحانه
بالاجرام السماوية وعلاقة ذلك بحياة الانسان على الارض .

الباب الرابع : يتحدث عن الفلك والعقائد الوثنيه فقد احتوى ثلاثة

فصول اولها توضيح العلاقة بين تصور الفلك والعقيدة قديما وحديثا

بحيث اشتمل على الفلسفات الالحادية فى تفسير الكون والرد عليها

والمعتقدات فى الاجرام السماوية عند الصابئة .

اما الفصل الثانى فقد خص علم التنجيم بالتوضيح والتفصيل وعلاقته

بالعلم وموقف كل من العقل والدين منه .

والفصل الثالث تعرض لعبادة بعض الاجرام السماوية فى انحاء

المعموره .

الباب الخامس : فكان عن التوحيد والفلك بحيث اشتمل على فصيلين

الفصل الاول معرفة الله سبحانه بدلائل الفلك ، وهو التوحيد

المعرفى من كونه سبحانه منعوت بنعوت الكمال حيث يشهد الكون

بذلك فهو دلالة على بعض صفات الفاعل سبحانه تقريراً لما فى

الفطرة من الوجدانيه له سبحانه .

اما الفصل الثانى فقد تحدث عن ما تستلزمه معرفه الله من التوجه

اليه وحده دون هذه الاجرام ونقض عقيدته الصائبة فى ذلك لأن الكون

كله عابد لله وحده مطيع لله وحده .

واخيرا لايفوتنى التوجه بالشكر الى جامعة ام القرى والقائمين

عليها واخص بالذكر فضيلة الدكتور فاروق احمد الدسوقي الذى اشرف

على اعداد هذا البحث بحيث لم يبخل بوقته فى مساعدتي وتوضيح ما

استشكل على من معويات واجهتني فى البحث فله جزيل الشكر .

الباب الاول

علم الفلك موضوعه ومراحل نموه

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الاول : تحديد معنى الفلك ومترادفاته

الفصل الثاني : مراحل نمو علم الفلك

الفصل الثالث : موضوعات علم الفلك

الفصل الاول : تحديد معنى الفلك ومترادفاته

ويشتمل على المباحث :

أولا : مادة فلك فى اللغة العربية والقـرآن

ثانيا : مادة عالم فى اللغة العربية ونصوص الوحى

ثالثا : تصور العالم واقتوال المفسرين فى ذلك

المبحث الاول

أولا : مادة فلك فى اللغة العربية :-

قال ابن فارس " الفاء واللام والكاف أصل محيح يدل على استدارة فى شئ...
ولذلك قيل فلك شدى المرأة اذ استدار ومن هذا القياس فلك السماء " (١)

" والفلك مدار النجوم والجمع افلاك . والفلك واحد افلاك النجوم
وفلك كل شئ مستداره ومعظمه . وفلك البحر موجه المستدير المتردد.
والفلك اسم للدوران خاصة " . (٢)

"وقال بعض العرب الفلك هو الموج اذا ماج البحر فاضطرب وجاء
ونهب . والفلك التل من الرمل حوله فضاء . وقيل أجوية من الرمل
غلاظ مستديرة كالكدان (٣) تحفرها الطباء ، والفلكه اكمة من حجر واحد
مستديرة . والفلكة جانب الزور وما أستدار منه " . (٤)

"وفى حديث ابن مسعود " تركت فرسك كأنه يدور فى فلك " شبهه
فى دورانه بدوران الفلك وهو مدار النجوم من السماء " (٥) أما الفلك
بالضم السفينه (٦) . " والفلكه بسكون اللام المستدير من الأرض فى
غلظ وسهولته " (٧)

ويظهر من هذه الأقوال ان الفلك عبارة عن مسارات بأشكال دائرية
أو أقرب مايكون الى الشكل الدائرى فى الفضاء الكونى تسبح فيها النجوم
والكواكب وسائر الاجرام السماوية .

- (١) مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٥٢ بتحقيق عبدالسلام هارون - دار الفكر ١٣٩٩هـ
- (٢) لسان العرب لابن منظور ١٠/٤٧٨ الطبعة الاولى - دار صادر - بيروت .
- (٣) الكدّان : حجارة رخوة كأنها مدر - مقاييس اللغة ٥/١٢٦
- (٤) تاج العروس فى شرح القاموس للزبيدي ٧/١٦٩ - دار الفكر .
- (٥) النهاية فى غريب الحديث والاثار لابن الاثير ٣/٤٧٢ - دار الفكر - بيروت
- (٦) تاج العروس ٧ / ١٧٠
- (٧) لسان العرب ١٠/٤٧٨

ثانيا : مادة فلك فى القرآن الكريم :

وردت هذه المادة فى القرآن الكريم خمسا وعشرين مرة منها ثلاث وعشرون مرة بمعنى السفينة وذلك فى معرض الامتنان من الله سبحانه وتعالى على بنى آدم قال تعالى : ﴿ رِىْكُمْ الَّذِى يَزِجِى لَكُمْ الْفَلَكَ فِى الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ اِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا ﴾ (الاسراء : ٦٦) وقال تعالى : ﴿ اَلَمْ تَرَ اَنَّ الْفَلَكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللّٰهِ لِيْرِىْكُمْ مِنْ آيٰتِهٖ اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّكُلِّ صَبّٰرٍ شٰكُوْر ۝٢٠ ﴾ (لقمان : ٢١) .

كما وردت بمعنى مدار النجوم فى موضعين من القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِىْ فَلَكٍ يَسْبَحُوْنَ ﴾ (الانبياء : ٣٣) . وفى قوله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبِغِىْ لَهَا اَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِىْ فَلَكٍ يَسْبَحُوْنَ ﴾ (يس : ٤٠) وعن سعيد بن جبیر ^(١) عن ابن عباس قال " فى فلك كفلك المغزل " وعن مجاهد ^(٢) قال فلك كهيئة جديدة الرحى " وعن الحسن ^(٣) " الفلك طاحونه كهيئة المغزل " وقال آخرون " بل هو القطب الذى تدور به النجوم " وقال آخرون " هو موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه " . ^(٤) والفلك ليس هو السموات وانما هو مدار بين السموات والارض فى الفضاء الكونى كما نقل السيوطى عن بعض المفسرين قوله " الشمس والقمر والنجوم مسخرة فى فلك بين السماء والارض " . ^(٥)

(١) سعيد بن جبیر الاسدى مولا هم الكوفى ثقة ثبت فقيه من الطبقة الثالثة قتل على يد الحجاج عام ٩٥ هـ ولم يكمل الخمسين - تقريب التهذيب ٢٩٢/١
(٢) مجاهد بن جبر المكي المخزومي مولا هم من الطبقة الثالثة - المقبرى المفسر أحد الاعلام الاثبات مات عام ٤٠٤ هـ - ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣ ، تقريب التهذيب ٢٢٩/٢ .
(٣) الحسن بن يسار البصرى مولى الأنصار سيد التابعين فى زمانه حجه مسن الطبقة الثالثة مات عام ١١٠ هـ ميزان الاعتدال ٥٢٧/١ ، تقريب التهذيب ١٦٥/١ .

(٤) جامع البيان للطبري ٢٢/١٧ ، ٨/٢٣ - دار الفكر ١٤٠٥ هـ .
(٥) الدر المنثور للسيوطى ٦٢٧/٥ - الطبعة الاولى - دار الفكر ١٤٠٣ هـ .

المبحث الثانى

أولا : مادة العالم فى اللغة العربية :

"علم : العين واللام والميم أصل صحيح يدل على أثر بالشئ يتميز به عن غيره ، ومن الباب العالمون وذلك أن كل جنس من الخلق فهو فى نفسه معلم وعلم . وقال قوم العالم سمي لاجتماعه . قال تعالى : يا حمـمـد لله رب العالمين قالوا الخلاق أجمعون" (١)

" والعالم بفتح اللام وانما لم يضبط لشهرته وقال بعضهم هو اسم بنى على مثال فاعل كخاتم وحكى بعضهم الكسر اى الخلق . وسمى الخلق عالما لانه علامه على الصانع أو تغليباً لذوى العلم وعلى كل مشتق من العلم لا من العلامة . ولا واحد للعالم من لفظه لان عالما جمع اشياء مختلفه فان جعل عالم اسما لواحد منها صار جمعه لاشياء متفقه والجمع عالمون وقبل جمع العالم الخلق العوالم" (٢) ومعناه ان جمع كلمة عالم اذا قصد منها الخلق هى عوالم ويذكر صاحب اللسان ان من الاقوال فى معنى العالم " هو ما احتواه بطن الفلك . والعالمون اصناف الخلق . والعالم الخلق كله ولا يجمع على فاعل بالواو والنون الا هذا " (٣) ويذكر الفيروز آبادى أن معنى العالم " اسم للفلك وما يحويه من الجواهر والاعراض . وهو فى الأصل اسم لما يعلم به كالخاتم لما يختم به فالعالم آلة فى الدلالة على موجدته وخالقه . وأما جمعه فلان كل نوع من هذه الموجودات قد يسمى عالما . فيقال عالم الانسان وعالم النار ، وأما جمعه جمع السلامة -

(١) مقاييس اللغة ٤ / ١٠٩

(٢) تاج العروس ٨ / ٤٠٧

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٤٢٠

أى جمع مذكر سالم " عالمين ، - فلكون الناس فى جملتهم" (١)
والرأى عندى فى معنى العالم المراد به الخلائق اجمعون مأخوذ من
العلم والعلامة لأن فيه دلالة على موجوده. وخالقة وأما مذهب اليه
ابن منظور والفيروز آبادى بأن العالم أسم للفلك وما يحويه من
الجواهر والاعراض ففى الأخذ به شئ من التوقف وذلك للأسباب التالية :
أولا : ان هذا المعنى للعالم ليس من أصل اللغة وإنما هو ناشئ عن
تصور محدود للوجود مقصور على الفلك المشاهد ومن ثم يخرج منه
الغيبيات وهذا مخالف لعقيدة الاسلام ولما فى نصوص القرآن .
ثانيا : ان هذا المعنى للعالم ناشئ عن تصور للعالم عند المتكلمي
والفلاسفة الذين تكلموا فى الجواهر والاعراض وليس من أصل لغوى .



(١) بصائر ذو التميز فى لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز آبادى ٩٥/٤
بتحقيق محمد النجار - المكتبة العلمية - بيروت .

ثانيا : مادة العالم فى نصوص الوحي :-

وردت هذه المادة بصيغة الجمع المذكر السالم فى ثلاثة وسبعين موضعا من الكتاب العزيز منها اثنان واربعون موضعا مضافة الى كلمة رب قال تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (الفاتحة : ١) وقال تعالى : ﴿ قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾ (الانعام : ١٦٢) . وفى السنة المطهرة من المواضع التى اضيفت فيها العالمين الى كلمة رب ما ورد فى دعاء الاستفتاح فى الصلاة عن على بن ابي طالب رضى الله عنهما قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة قال : وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ...) (١) . وقد ذكر هذا فى حديث طويل برويات مختلفة فى صحيح مسلم والسنن لابي داود والترمذى والنسائى . كما اورد النسائى بسند صحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما . (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع قال اللهم لك ركعت وبك امنت ولك اسلمت وعليك توكلت أنت ربى خشع سمعى وبصرى ولحمى ودمى وعظامى لله رب العالمين) (٢) . فيظهر من هذا ان كلمة العالمين وردت فى الادعية عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر من موضع كدعاء الاستفتاح والدعاء فى الركوع والدعاء فى حالة الانتباه من النوم .

كما وردت مادة العالم فى الكتاب العزيز غير مضافه الى كلمة

(١) جامع الاصول فى احاديث الرسول لابن الاثير ٢٠٦/٤ بتحقيق عبد القادر

الارناؤوط ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الثانية لعام ١٤٠٣ هـ

(٢) سنن النسائى - كتاب الافتتاح - باب نوع آخر من الدعاء فى الركوع

١٩٢/٢ ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الاولى لعام ١٣٤٨ هـ .

رب احدى وثلاثين مرة مثل قوله تعالى: ﴿يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى
التي اناعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين﴾ (البقرة : ٤٧) وقال
تعالى: ﴿ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾
(آل عمران : ٣٢) .

ويذكر الدامغانى فى النظائر (١) فى مادة (ع ل م) أن كلمة
العالمين وردت فى القرآن على خمسة أوجه .

١ - العالمين بمعنى الأنس والجن قال تعالى: ﴿تبارك الذى نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ (الفرقان : ١) وقال تعالى
﴿ ان هو الا ذكر للعالمين﴾ (التكويد : ٢٧) .

٢ - العالمين عالمو الزمان قال تعالى: ﴿ولقد آتينا بنى اسرائيل
الكتاب والحكم والنبوة ورزقنهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾
(الجاثية : ١٦) اى البشر فى زمانهم .

٣ - كل ولد آدم قال تعالى: ﴿واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك
وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ (آل عمران : ٤٢) . والاستدال
بالآية للمعنى الذى ذهب اليه الدامغانى صحيح لأحاديث كثيرة فى
فضل مريم بنت عمران منها قول النبى صلى الله عليه وسلم (كمل
من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية
امراة فرعون . وفضل عائشه على النساء كفضل الثريد على سائر
الطعام) . (٢)

(١) قاموس القرآن (اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم) للدامغانى
ص ٣٣١ بتحقيق عبدالعزيز سيد الأهل - دار العلم للملايين - الطبعة
الرابعة لعام ١٩٨٣ م .

(٢) صحيح البخارى ٣٦/٥ - كتاب فضائل الصحابه . باب فضل المهاجرين
النسخة اليونانية، دار احياء التراث - بيروت .
فتح البارى ، كتاب فضائل الصحابه - باب فضل عائشة ١٠٦/٧ بتحقيق
محمد فؤاد عبدالباقى - دار المعرفة - بيروت .

٤ - الخلق من بعد نوح عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾

(الصافات : ٧٩) .

٥ - أهل الكتاب قال تعالى: ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه

سيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ (آل عمران : ٩٧) يعنى

أهل الكتاب لأنهم لا يرون الحج واجبا عليهم .

ويظهر والله أعلم أن الوجوه الخمسة التى ذكرها الدمغانى لـ

تستوفى المعاني التى وردت بها مادة العالمين فى القرآن كـ السموات
والأرض .

فقد قال تعالى : -

﴿ فله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ﴾ (الجاثية : ٣٦)

وقوله تعالى حكاية عن فرعون فى مجادلته لموسى عليه السلام ﴿ قال

فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما

ان كنتم موقنين ﴾ (الشعراء : ٢٣ ، ٢٤) .

المبحث الثالث

تصور العالم واقوال المفسرين فى ذلك : - تختلف نظرة المسلمين

اختلافاً كبيراً عن نظرة الماديين فى تصور العالم فالماديون ينظرون الى العالم المحسوس المرئى المتمثل فى الفضاء الكونى وما فيه من اجرام سماوية بما فى ذلك الأرض وما عليها ثم بعد ذلك يتوقف ادراكهم لما فى خارج هذا الحدود ويصبحون عاجزين تماماً عن تصور عوالم أخرى غير العوالم المحسوسة المرئية وذلك لعدم ايمانهم بالغيـب .

اما نحن المسلمين فلدينا مصادر التشريع - القرآن والسنة - التى تخبرنا ان هناك عوالم متعددة قال تعالى: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وقال تعالى حكاية عن بلقيس حينما جاءت الى سيدنا سليمان للايمان بالله تعالى: ﴿ وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ (النمل : ٤٤) فالقرآن يتحدث دائماً عن عوالم متعددة وليس عالماً واحداً .

" ويثبت القرآن الكريم نوعين من العوالم فهى متعددة وكثيرة من حيث العدد ولكنها اثنان فقط فى النوع هما عالم الغيب وعالم الشهادة " (١)

وقد اجاب الزمخشري فى تفسيره عن سبب جمع عالم على عالمين فقال " ليشمل كل جنس مما سمي به ولمعنى الوصفية فيه وهى الدلالة على معنى العلم " (٢) ويقول الالوسى فى تفسيره " انما اتى الرب سبحانه بالجمع المعروف لانه لو افرد وعرف بلام الاستفراق لم يكن نصاً فيه لاحتمال العهد

(١) مقاهيم قرآنية حول حقيقة الإنسان . د. فاروق الدسوقي ص ١٧ ، الطبعة الثانية لعام ١٤٠٦ هـ ، المكتب الاسلامى بيروت .

(٢) الكشاف للزمخشري ٨/١ - ٩ - دار المعرفة - بيروت ، توزيع دار البىاز .

بأن يكون إشارة الى هذا العالم المحسوس . وقد غلب استعماله فى
العرف بهذا المعنى فى العالم المحسوس لالف النفس بالمحسوسات فجمع
ليفيد الشمول قطعاً " (١) وتقسيم الكائنات الى غيب وشهادة هو بالنسبة
للانسان ولكل الكائنات حتى الملائكة فهناك ما هو غائب عنهم وما هو
مشهود لهم . ومن ثم فليس فى الوجود سوى الله عز وجل الذى يعلم
كل شيء ويعلم على كل شيء فليس بالنسبة الى علمه غيب او شهادة (٢)
قال تعالى: ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ (التافات : ١٨) .
وبالرجوع لاقوال المفسرين نجد ان الروايات فى تفسير العوالى
اختلفت اختلافات شتى نذكر منها ما يلى: ابن عباس وغيره قولهم
فى تفسير رب العالمين " رب الجن والانس " (٣) . وأستدل البغوى فى
تفسيره لهذا القول بقوله تعالى: ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده
ليكون للعالمين نذيراً ﴾ (الفرقان : ١) وهذا القول يؤدى الى
فهم خاطئ لقوله تعالى: ﴿ قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين ﴾ (الشعرا ٢٣-٢٤)
ويمصح هذا المفهوم رواية اخرى عن ابن عباس فى تفسير رب العالمين
قوله " اله الخلق كله السموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن
ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم " (٤) .

-
- (١) روح المعانى للالوس ١/٧٨-٧٩ - دار احياء التراث العربى - بيروت .
(٢) مفاهيم قرآنية ص ١٧
(٣) جامع البيان للطبرى ١/٦٣ وتفسير ابن كثير ١/٢٣ - دار المعرفة
بيروت - طبعه ١٤٠٢ هـ .
(٤) جامع البيان للطبرى ١/٦٢ ، الدر المنثور للسيوطى ١/٣٤ .

ونقل الطبرى والقرطبى وابن كثير والسيوطى عن ابى العالىة (١) قال
"الجن عالم والانس عالم وسوى ذلك للأرض أربع زوايا فى كل زاوية ألف
وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته " .

وهذا يدل دلالة مخالفة لمعنى الآية المتبادر للذهن
الذهن . لأنه لم يذكر السموات ومن فيهن وفى الحديث الذى
رواه الامام احمد فى مسنده والترمذى فى سننه وابن ماجه باسناد حسن
عن ابى ثر الغفارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (انى أرى ما لاترون وأسمع ما لاتسمعون أظت السماء وحقق
لها أن تثط مافيهها موضع أربع أصابع الا ملك واضح جبهته لله
ساجدا) الحديث . (٢)

ونقل من بعض اهل العلم ان " العالم عبارة عمن يعقل وهم أربعة
أمم الإنس والجن والعلائكة والشياطين ولا يقال للبهائم عالم لأن هذا الجمع
انما هو جمع من يعقل خاصة " . (٣)

وتلهم هذا القول ان قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين
اى رب العقلاء دون البهائم وهذا يتعارض مع قوله تعالى: وما من دابة
فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب
من شيء ثم الى ربهم يحشرون (الانعام : ٣٨) .

(١) ابو العالىة الرباحى : هو رفيع بن مهران مولا هم البصرى ادرك الجاهلية
واسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين ودخل على ابى
بكر وصلى خلف عمر ، تهذيب . التهذيب ٣ / ٢٨٤ .

(٢) مسند الامام احمد ١٧٣/٥ - الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ - المكتب الاسلامى
سنن الترمذى - كتاب الزهد ٥٥٦/٥ تحقيق احمد شاكى - دار احياء
التراث العربى - بيروت .

سنن ابن ماجه - كتاب الزهد ١٤٠٢/٢ هـ - تحقيق محمد عبدالباقى - دار
الفكر - بيروت .

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ١٣٨/١ - دار احياء التراث العربى ،
تفسير ابن كثير ١ / ٢٣ .

ومعلوم ان الامم تنقسم الى قسمين الامم العاقلة والامم غير العاقلة
وهو ما تفيد به الآية السابقة ويؤيد ذلك ما رواه البخارى ومسلم وأبو داود
والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول (قرصت نملة نبيا من الانبياء فأمر بقرية النمل
فأحرقت فأوحى الله اليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الامم تسبح) (١)
وكذلك ما روى عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم (لولا أن الكلاب أمة من الامم لأمرت بقتلها
فأقتلوا منها كل أسود بهيم ...) (٢) .

وبالرجوع الى اللغة فقد ذكر ابن فارس فى مقاييس اللغة عن بعضهم
" كل شيء يضم اليه ما سواه مما يليه فان العرب تسمى ذلك الشيء " (٣)

(١) جامع الاصول فى احاديث الرسول ٥٣١/٤

(٢) مسند الامام احمد ٥٤/٥ ، ٥٦ سنن الترمذى - كتاب الاحكام والفوائد
٧٨/٤ .

سنن أبى داود - كتاب الصيد ١٠٨/٣ - مراجعة وتعليق محمد محى الدين
عبد الحميد - دار الفكر بيروت .
سنن النسائى بشرح السيوطى - كتاب الصيد والذبائح ١٨٥/٧ - الطبعة
الاولى ١٣٤٨ هـ ، دار الفكر .

كما ورد في تفسير العالمين فليل : أهل كل زمان عالم (١) لقوله

تعالى حكاية عن نبي الله لوط عليه السلام حينما حاج قومه ﴿ أتأتون

الذكرا من العالمين ﴾ (الشعراء : ١٦٥) وقد عزا هذا القول الالوسي

في تفسيره الى جعفر الصادق .

وهذا المعنى صحيح لان السياق يخص العالمين بالبشر .

(١) تفسير القرطبي ١٣٨/١ .

ونقل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه " أن لله أربعين ألف عالم —
الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد " (١) .

وعن سفيان ابن عيينه (٢) قال " العالمين هو جميع الأشياء المختلفة " (٣) ،
وعن قتاده (٤) ومجاهد قولهم " العالمون جميع المخلوقين " (٥) والى
هذا ذهب القرطبي في تفسيره وقال " لأنه شامل لكل مخلوق وموجود " ودليله
قوله تعالى : ﴿ قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض ومما
بينهما ان كنتم موقنين ﴾ (الشعراء : ٢٣ - ٢٤) .

ثم هو مأخوذ من العلم والعلامة لأنه يدل على موجوده وذكره
أبو السعود في تفسيره .

-
- (١) تفسير القرطبي ٧٣٨/١ .
(٢) سفيان بن عيينه الهلالي ثقة حافظ فقيه أمام حجه من رؤوس الطبقة
الثانية ، مات عام ٩٨ هـ تقريب التهذيب ٣١٢/١ ، تهذيب التهذيب ١١٧/٤ .
(٣) تفسير بن عيينه ص ٢٠٣ جمع وتحقيق أحمد صالح محايدى - الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ - المكتب الاسلامي .
(٤) قتادة بن دعامة السدوسي ثقة ثبت وهو رأس الطبقة الرابعة تقريب
التهذيب ١٢٣/٢ .
(٥) تفسير البغوي معالم التنزيل ٢٧/١ .

"ان العالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب ، غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اى فى القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه يطلق على كل جنس منها فى قولهم عالم الافلاك وعالم وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع أيضا كما فى قولنا العالم بجميع اجزائه محدث". (١)

(١) تفسير ابن السعوى ٢٠/١ تحقيق عبدالقادر احمد عطا ، طبعة عام ١٤٠١ دار الفكر بيروت - المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم .

واما طريقة الرازي في تقسيم الوجود فهي مقتبسه من طريقة الفلاسفة وان لم يكن

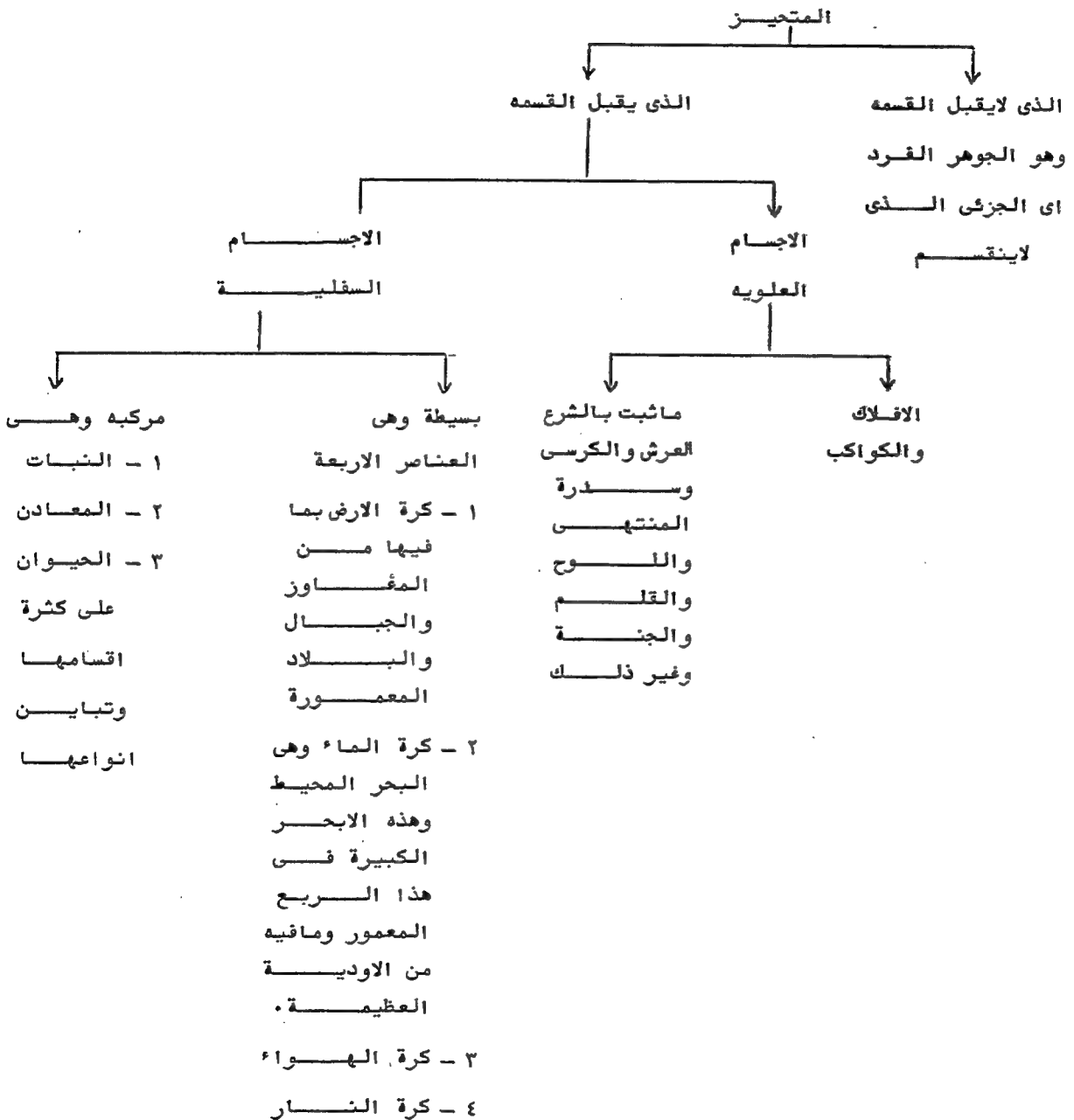
يوافقهم في ذلك تماما كما سنلاحظ في تفسيره لقوله تعالى " الحمد لله رب العالمين " (١)

فالموجود يتفرع الى : ١ - واجب لذاته وهو الله تعالى وحده .

٢ - ويمكن لذاته وهو كل ما سوى الله وهو العالَم .

والممكن عنده ينقسم الى ثلاثة اقسام :

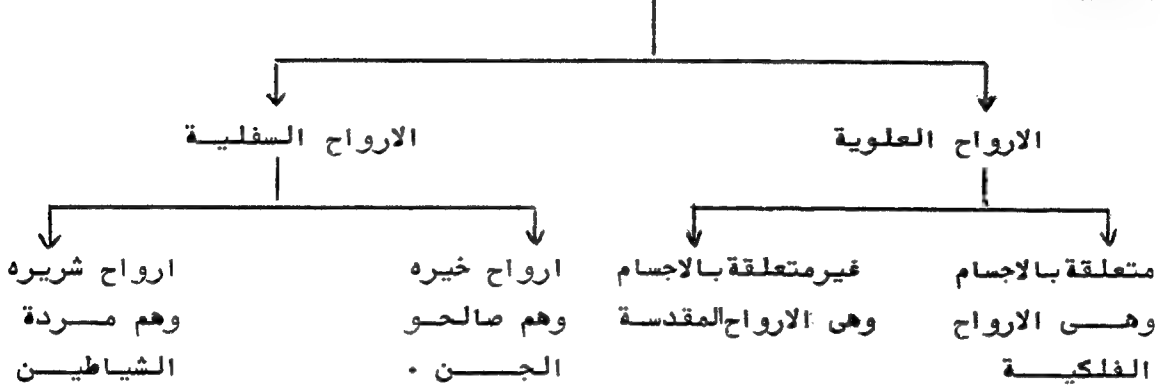
أولا :



ثانياً : صفة المتحيز وهي الاعراض . وقد ذكر منها المتكلمون ما يقرب من

من اربعين جنساً .

ثالثاً : لامتحيز ولاصفة للمتحيز وهي الارواح



والرازي في هذا التقسيم يثبت للافلاك ارواحا كالفلاسفة مع ان ذلك لم يأت به القرآن الكريم ولم تورد السنه المطهرة . لكنه يختلف عن الفلاسفة في انه لم يثبت ان الافلاك احياء ناطقة حركتها من نفسها بل حركتها من تسخير الله وانها مفتقرة اليه كما أن الرازي لم ينسب للافلاك اختيارا ودواما ازليا الا انه جعل فيها دلالة على السعادة والنحوس وغير ذلك من الخصائص . وذلك عندما تعرض لتفسير قوله تعالى ﴿ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم يعقلون ﴾ (البقرة: ١٦٤) بعد ان افرد فصولا في ترتيب الافلاك ومعرفتها ومقاديير حركتها وكيفية الاستدال بها على المانع . كما قال الرازي عن اختصاص الكواكب

" واختصاص كل واحد منها بما اختص به لابد وأن يكون بتخصيص مخصص " . (١)

والآقوال السابقة توضح لنا تصور العالم عند المفسرين لكن المفهوم السائد عند البشر لمعنى سماء وأرض كما يذكر الفيروز آبادى " بأن الأرض يعبر بها عن أسفل الشئ كما يعبر بالسماء عن أعلاه " (١) وهى الدلالة اللفظية لمعنى سماء وأرض .

من هذا يظهر أن كل عالم محدد بأرض وسماء فالأرض يعيشون عليها والسماء مظلة لهم ونصوص الوحي تخبر أن العوالم محددة بالسموات والأرض حسب المفهوم السابق لمعنى سماء وأرض قال تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن بتنزيل الأمر بينهن لتعلمن أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً ﴾ (الطلاق : ١٢) فعالم الانسان وما يشاركه من المخلوقات الأخرى محددة بهـ الذى تظله هذه السماء .

ومما يؤكد هذا ما جاء فى السنة المطهرة حديثاً أورده الحاکم ومحققه الذهبى عن مهيب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها (اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أظللن ورب الرياح وما ذرين فأنا نسالك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها) (٢) كما ورد هـ فى الحديث بروايات متقاربة فى سنن الترمذى والمعجم الأوسط للطبرانى حينما شكى خالد بن الوليد رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم أرقاً يصيبه فى الليل . (٣)

(١) بعائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٢ / ٥٣ .

(٢) مستدرک الحاکم وبذيلة التلخيص للذهبى ١ / ٤٤٦ ، ٢ / ١٠٠ .

دار المعرفة بيروت .

(٣) سنن الترمذى - كتاب الدعوات ٥ / ٥٣٨ والمعجم الأوسط

للطبرانى ١ / ١٢٩ بتحقيق د . محمود الطحان - الطبعة

الأولى ١٤٠٥ هـ - مكتبة المعارف الرياض .

الفصل الثاني : مراحل نمو علم الفلك

ويشتمل على المباحث :

أولا : علم الفلك عند الشعوب القديمة

ثانيا : علم الفلك عند العرب والمسلمين

وفي العصر الحديث

مراحل نمو علم الفلك : -

قبل الحديث عن مراحل نمو علم الفلك لابد من التطرق الى تعريف علم الفلك .

تعريف علم الفلك : -

(١) هو علم دراسة الأجرام السماوية بدأ " برمد مواقعها وحركاتها لتعيين الفترات الزمنية (١) وعلم الفلك يسمى علم الهيئة .

والهيئة فى اللغة : هى صورة الشئ شكله وحالته . (٢)

تعريف علم الفلك " الهيئة " : -

(٢) يذكر ابن خلدون فى مقدمته تعريفا " لهذا العلم فقال : -

" هو علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست ما يفهم فى المشهور أنها تعطى صورة السموات وترتيب الأفلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطى أن هذه الصور والهيئات للأفلاك لزمت عن هذه الحركات " . (٣)

(١) الموسوعة العربية المسيرة ٢ / ١٣١١ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١ / ١٨٩ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٨٧ - الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ ، دار الباز للنشر والتوزيع .

وفى هذا التعريف يظهر ان تقسيم الاجرام السماوية حسب المعلومات
فى الفلك القديم تنقسم الى قسمين اجرام ثابتة واجرام متحركة
فالاجرام الثابتة هى خلاف السيارات والتوابع وذوات الاذناب وذلك للبعد
الشاسع بحيث لاترى حركتها واما المتحركة فهى السيارات وهى عطارد
والزهرة والمريخ والمشتري وزحل وهى ماتسمى بالكواكب المتحيرة ويقصد
بتحيرها اختلاف مواقعها فى السماء وتقدمها أو تأخرها عن الشمس
او عن بعضها . كما ان الشمس والقمر تعد من الكواكب المتحركة .
(٣) وقال اخوان الصفا "ان علم الهيئة هو معرفة تركيب الافلاك وكمية
الكواكب واقسام البروج وابعادها وعظمها وحركتها وما يتبعها فى هذا
الفن". (١)

(٤) وقد عرف طاش كبرى زاده هذا العلم بقوله " هو علم يعرف منه
احوال الاجرام البسيطة العلوية والسفلية واشكالها وأوضاعها ومقاديرها
وابعادها". (٢)

(٥) وذكر حاجي خليفة فى كشف الظنون بأن هذا العلم يتفرع عن الفلسفات
التي قسمها الى أربعة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية وآلية .

وقال " ان علم الهيئة مندرج تحت علم الاسطر نومييا وهى علم النجوم
بالبراهين الذى هو فرع من القسم الرياضى من العلوم الفلسفية " (٣)

ويذكر ايضا فى تفسير كلمة اسطراب بأن أصلها يونانى يقال لها

-
- (١) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب - حكمت نجيب ص ١٧٧ - الطبعة
الرابعة ١٩٨٥م - جامعة الموصل .
(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة - طاش كبرى زاده ٣٤٨/١ - الطبعة
الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .
(٣) كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون لحاجي خليفة ١٢٨٩/٢ - طبعة ١٤٠٢ هـ
دار الفكر .

باليونانية اسطر لافون ، فاسطر هو النجم ، لافون هو المرآة أى مرآة النجم ومن ذلك سمى علم النجوم اسطر ونومى .^(١) (Astronomy)

نشأة علم الفلك : -

يظهر أن نشأة هذا العلم عن عبادة الأجرام السماوية ومشاهدة حركاتها لتحديد أيام الأعياد والقرايين ، ويذكر صاحب كتاب قصص الحضارة فى حديثه عن العلم الهندى بأن نشأة علم الفلك عن التنجيم نشأة غير مقصودة ثم أخذ رويدا رويدا ينفذ عن نفسه الأغلال .^(٢)

وعلم التنجيم يعتمد على النظرية القائلة بتأثير النجوم فى شئون الانسان ، وهو علم قديم جدا يعتبر أساس علم الفلك القديم .^(٣)

(١) كشف الظنون ١٠٦/١

(٢) قصة الحضارة - ول ديورانت ٣/٣٣٥ - الادارة الثقافية فى الجامعة العربية

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ١/٥٤٩ - دار الشعب بمصر ومؤسسة فرانكليين للطباعة والنشر .

المبحث الاول

علم الفلك عند الشعوب القديمة :-

أولا : مصر :

اهتم المصريون القدماء منذ بدء تاريخهم فى الألف الثالث قبل الميلاد بعلم الفلك وذلك لمحاولتهم السيطرة على فيضان النيل . ولما لاحظوا ان الفيضان مرتبط بالفصول انتقلوا الى الحساب الشمسى بدلا من الحساب القمرى . كما عرف المصريون المزولة - الساعة الشمسية وكيفية قراءتها . (١)

وقد عرف المصريون التقاويم وقدروا الفترة التى تلزم الشمس لاتمام مسار كامل بين النجوم خلال سنة نجمية اتخذوها وحدة اساسية لقياس الزمن وتعرفوا على قوام السنة وهى اثنا عشر شهرا كل منها ثلاثون يوما أضافوا اليها فى النهاية خمسة أيام هى أيام النسء ٠٠ واستندوا فى تقدير السنة النجمية على ظاهرة شروق الشعرى اليمانية . (٢)

ثانيا : فى بلاد ما بين النهرين (العراق) :

البابليون :

لعل سبب اهتمام البابليين بالفلك قيامهم بعبادة بعض الاجرام السماوية فربطوا معرفتهم الفلكية بنظامهم السداسى فى الحساب وجعلوا محيط الأرض ومحيط الفلك ٣٦٠ درجة كقسمة الدائرة عندهم وقسموا اليوم

(١) تاريخ العلوم عند العرب - عمر فروخ ص ٤١ - الطبعة الثالثة ١٩٨٠م

دار العلم للملايين بيروت .

(٢) الجغرافيا الفلكية - شفيق عبدالرحمن على ص ١٨ - دار الفكر العربى .

الى ٢٤ ساعة والساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . كما جعلوا اليوم الاول من كل اسبوع هو اليوم الاول من الشهر واصبح الشهر عندهم متكونا من أربعة اسابيع . وادركوا ان السنة تزيد على ثلاثمائة وستين يوما . (١)

كما عرف البابليون الخسوف والكسوف ويذهب بعضهم الى أن ارصادات البابليين كانت دقيقة واصبحت مادة لعلم الفلك بعد ذلك . اما الآلات التي كانت تستعمل في عهدهم هي الساعة الشمسية والساعة المائية لقياس وقت الليل وكذلك الساعة الكرية التي تصور قبة السماء كما بـرر البابليون في رصد الكواكب والنجوم . (٢)

الكلدانيون :

برع الكلدانيون في علم الفلك عندما ورثوا حضارة العراق واقاموا دولتهم في بابل عام ٦٢٥ قبل الميلاد فربطوا ايام الاسبوع بعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل وبالشمس والقمر وفي نفس الوقت استقرت اسماء البروج الاثنى عشر على ما نعرف اليوم . وصنع أحد علماءهم قبل عام خمسمائة قبل الميلاد جداول لحركات الشمس والقمر وبين مقادير حركاتها في اليوم والشهر والسنة وحسب اوقات الخسوف والكسوف وبين أن طول السنة ٣٦٥ يوما و ٦ ساعات و ١٥ دقيقة و ٤١ ثانية (أى أكثر من طول السنة الحقيقي ب ٢٦ دقيقة و ٥٥ ثانية) .

واستطاع عالم آخر من علماءهم نحو عام ٣٧٩ قبل الميلاد أن يصنع

(١) تاريخ العلوم عند العرب ص ٤٢ .

(٢) دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ص ١٧٩ .

جداول فلكية أكثر دقة .

وفى هذه الفترة توصل الكلدانيون الى قيمة النسب لغرض المطابقة

بين السنة القمرية والسنة الفلكية . (١)

ثالثا : فى الهند والصين : -

لم يتطور علم الفلك فى الهند على أسس علمية الا بعد فتح الاسكندر

لبلاد السند عام ٣٢٧ قبل الميلاد . أما كتاب السند هند . وهو الذى

يضم معظم معارف الهنود فى العلوم العددية - فمتأخر النشأة جدا .

ونشأة علم الفلك عند الصينيين متأخرة فى الزمن . (٢)

رابعا : فى اليونان :

طبق اليونانيون القوانين الهندسية التى ابتدعوها ، كحساب

المثلثات السطحية والفلكية فى رصد مدارات الكواكب بواسطة

الآلات التى اعدوها لهذا الغرض . وعرفوا نظرية الافلاك المشتركة المراكز

أو نظرية المركز الشمسى ، نتيجة للوصف التركيبى للظواهر الفلكية

التي رصدت من قبلهم .

وفى القرن الثانى قبل الميلاد قام احد علماءهم بعمليات رصد متعددة

وجديدة لم تكن معروفة من قبل حيث طبق علم الهندسة على الفلك وصنع

الاسطرلاب ووضه الازياج . وكانت نشاطاته والنتائج التى توصل اليها

بمشابة حجر الأساس لعلم الفلك .

وفى القرن الثانى بعد الميلاد قام بطليموس بجمع ماكان متفرقا

(١) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ١٧٩

(٢) تاريخ العلوم عند العرب ص ٤٤

فى أيدى اليونانيين والروم وغيرهم من أهل القسم الغربى من العالم حينذاك ونسقتها الا انه لم يحاول تصحيح ماكان فيها من اخطاء وكان كتابة المجسطى (١) المرجع الاول والاخير للنظام الفلكى القديم الذى يقول بدوران الشمس والكواكب حول الارض الشبيهة بالكرة ، والثابتة فى مركز العالم ووضعه فى ثلاثة عشره مقاله . (٢)

فعلم الفلك اليونانى ، كان علما نظريا يستند على العقل ، ويبتعد عن اسلوب التجربة بالمفهوم العلمى فوضعوا فكرة " نظام الكون البديع " مما يبين لنا الاتجاه الواضح لاحترام اليونانيين للقوانين وتفسيرها تفسيراً يستند على علاقتها بنظام عقلى شامل . أما اهم الاعمال التى قاموا بها فهى : -

- تفسير الحركة اليومية للأجرام السماوية .
- تعيين اطوال الفصول عن طريق عمل ارصادات شمسية دقيقة .
- تفسير حركات الشمس والقمر والكواكب على مدار السنة .
- قياس ابعاد الشمس والقمر عن الارض . (٣)

(١) المجسطى : كلمة يونانية معناها الترتيب ، وهو من أهم ما صنف فى علم العيثة . . (كشف الظنون ١٥٩٤/٢) .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣٧٤ - طبعة عام ١٣٩٨ هـ - دار المعرفة ، بيروت

(٣) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ١٨٠ - ١٨١ .

المبحث الثانى

أولا : علم الفلك عند العرب والمسلمين :-

قدم الشعر الجاهلى بعض الدلائل على أن العرب كان لديهم فى الجاهلية بعض المعرفة عن مبادئ علم الفلك . فأشعارهم واخبارهم تدل على شيوخ معرفة الفلك والجو بينهم فى حياتهم اليومية . وكان هدف العرب معرفة احوال الرياح وحوادث الجو فى فصول السنة وأشتهر منهم فى معرفة النجوم جماعة منهم ، بنو مارية بن كلب وبنو مرة من همام الشيبانى . (١) ويذكر الجاحظ فى كتابه الحيوان اقوال لبعض الاعراب فى النجوم فقال "سئلت اعرابه فقليل لها : أتعرفين النجوم ؟ قالت : سبحانه الله أما أعرف أشباحا وقوفا على كل ليلة " ووصف أعرابه على لبعض أهل الحاضرة نجوم الانواء ونجوم الاهتداء ونجوم ساعات الليل والسعود والنحوس فقال قائل لشيخ عبادى (٢) .

كان حاضرا :-

: " اما ترى هذا الاعرابى يعرف من النجوم مالا نعرف قال : ويىل أمك من لا يعرف أجذاع بيته " . (٣)

والمقصود بأجذاع بيته اعمدة البيت حيث كانت من جذوع النخل . وكان للعرب فى الجاهلية عناية بحركات القمر فحسبوا به الشهور والسنين . ثم راوا ان الفصول الاربعة تختلف وقوعها فى الاشهر القمرية بين سنة وأخرى فلجأوا الى النسب فكانوا يزيّدون فى كل سنة ثالثة

-
- (١) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ١٨٢ .
 - (٢) العبادى نسبة الى العباد بالسر وهم قبائل شتى اجتمعوا على النمرانية بالحيرة .
 - (٣) الحيوان للجاحظ ٣١/٦ بتحقيق عبدالسلام هارون - دار احياء التراث العربى - بيروت .

شعرا وكان حسابه تقريبا ومضطربا اذ لم يكن لهم معرفة لقواعد الهندسة
والمثلثات. (١)

أما بالنسبة لعلم الفلك عند العرب فى العصر الاسلامى فنظر لأن هذا
العصر كان عصر تأسيس لدولة الاسلام بحيث كانت ايام الخلافة الراشده أيام
جهاد وفتوحات فان هذا العلم لم يعرف بصفته العلمية نظرا لأنشغال المسلمين
بما هو أهم فى انتشار الاسلام . ولايعنى هذا ان علم الفلك لم يحظى
بالاهتمام من قبل المسلمين فى هذا العصر بل أن كتب التفسير مليئة
بآراء لكثير من علماء الاسلام من الصحابه والتابعين تدل دلالة واضحة
على أن المسلمين لم يغفلوا هذا الجانب من العلم ذلك لأن نصوص الوحى
تدعو الى النظر فى آفاق الكون للتعرف على خلق الله التى تزيد المسلمين
اجلالا لربهم وخالقهم فقد ورد فى الكتاب العزيز ما يوجه المسلمين الى
النظر فى الكون قال تعالى : ﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل
والنهار آيات لأولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
فقنا عذاب النار ﴾ (آل عمران : ١٩٠ - ١٩١) .

ونظرا لأن علم الفلك من العلوم الصرفه فهذه العلوم لاتزدهر الا فى
اوقات الاستقرار وحيث أن الفتوحات أخذت اكبر وقت من عصر الراشدين
والدوله الاموية فان علم الفلك لم يأخذ صفته العلمية الا فى العصر
العباسى . ورغم ذلك فان العصر الاموى لم يخل ممن شغف بهذا العلم
فان خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان رغم كونه خطيبا شاعرا

(١) تاريخ العلوم عند العرب ص ١٦٠ .

فصيحا الا أنه شغف بالعلوم وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم
وكتب الكيمياء . (١)

لقد كان اتجاه علماء المسلمين الى دراسة علم الفلك بدافع ديني
حرما منهم على تفهم النصوص القرآنية التي تتحدث عن الفلك . ونظروا
لما لاقاه العلماء من تشجيع من خلفاء الدولة العباسية حيث ازدهر
العلم في عهدهم واخذ الصيغة العلمية بشكل أوضح من العصور المتقدمة
من أيام دوله الاسلام .

فلقد عمل علماء العرب والمسلمين على خدمة الانسانية فزاجوا بين
الحضارات السابقة صورة وطوروا حضارة منها جديدة طبعوها بطابع حضارتهم الخاص
من خلال انجازاتهم الكثيرة القيمة . ومن أهم مميزات العرب أنهم لم يخضعوا
خضوعا أعمى قط لحجة اليونان وانما تراءهم منذ اوائل عهدهم بالعلوم
قد نصبوا انفسهم مراجعين ومصححين للأخطاء التي اكتشفوها في علوم
اليونان وغيرهم فنبغوا في تطبيق الرياضيات على علم الفلك والعلوم
التطبيقية وفتحوا آفاقا جديدة في الفلك بقياساتهم وأرصادهم
ونظرياتهم . (٢) ومن أهم منجزات ،

العرب والمسلمين في هذا العلم أنهم سلكوا في هذا الفن
المفهوم العلمي المعتمد على المشاهدة والاختبار والعلم حيث كانوا
كثيري العناية بالفلك يرصدون الأفلاك ويؤلفون الأزياج وهي عبارة عن
جداول يسجل فيها حركة الاجرام السماوية ومساراتها . وبذلك طهروا الفلك
من التنجيم .

(١) أثر العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك - د. علي عبدالله الدفيع

ص ١٩ - ٢٠ ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ، مؤسسة الرسالة .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠

وهذه المنجزات يمكن ان نذكر منها على وجه الاختصار .

١ - أول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة وقالوا باستدارة الارض
وبدورانها على محورها . وهم الذين ضبطوا حركة أوج الشمس وتداخل
فلكها فى افلاك أخرى . واليهـم يرجع الفضل فى اكتشاف بعض انواع
الاختلاف فى حركة القمر . (١)

٢ - اكتشاف بعض الظواهر الفلكية التى مازالت تستخدم حتى اليوم فى علم
الفلك كظاهرة رؤية الكواكب عند الأفق أو بالقرب منه اكبر منها
وهى عند السمـت أو قريبا من وسط السماء وقد قام ابن الهيثم بوصفها
وصفا دقيقا يعتبر المرجح فيها . (٢)

٣ - جعلوا علم المثلثات علما خاصا مستقلا عن الفلك ولم يتوقفوا عند
المثلثات المتسوية بل تناولوا المثلثات الكرية وذلك لصلتها الوثيقة
بعلم الفلك .

٤ - تعيين ميل البروج عن فلك معدل النهار وهو ميل محور الأرض فى
دورانها حول نفسها بالنسبة لدورانها حول الشمس . وقد حدد البتانى
زاوية الميل ٢٣ درجة بينما هى فى العلم الحديث ٢٣ درجة و ٣٥ دقيقة
اى ان الفرق بمعدل نصف درجة . كما اقام البتانى الدليل على
تبعية القمر لحركة المبادرة الاعتدالية واستنتج أن معادلة الزمن
تتغير تغيرا بطيئا على مر الأجيال . (٣)

(١) المصدر السابق ص ٢٠ بتصرف .

(٢) دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ص ١٨٨

(٣) أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ص ٤٧ - ٤٩ .

كما يرجع الفضل الاول فى فكرة نظرية الجاذبية الارضية الى البيرونى
يقول صاحب كتاب الفلك عند العرب (١) عن فكرة الجاذبية بين نيوتن
وآينشتاين كلاما مفاده أن الجاذبية عند آينشتاين ليست قوة تجذب الكتل
بعضها البعض كما يقول نيوتن بل أنها عبارة عن مجال فالفضاء يتحدب
حول الكتل الموجودة فيه ويكون التحدب اكثر كلما كانت الكتلة اكبر .
والأرض تدور حول الشمس فى مدار معين لأن الجاذبية لها هذا التأثير التحدى
فى الفضاء فسارت فيه مسخرة لا لأن هناك جاذبية فى الشمس تجذبها اليها
وهذه الفكرة هى نفس ما قاله البيرونى سوى انه لا يذكر كلمة مجال الا أن الفكرة
عن الجاذبية بشكل مجال عند البيرونى هى نفس فكرة العصر الحديث والتي
نادت بها النظرية النسبية لآينشتاين فالبيرونى يقول " حول وسط العالم
مركز الأرض - يتحرك ثقلها الى المركز وخفيفها عن المركز والناس فى
الأرض منتصبوا القامات على استقامة اقطار الكرة وعليها أيضا نزول الأثقال
الى السفلى . يرون السماء فوقهم قبة لا زوردية لا يحسون منها اينم
كانوا الا ما يقارب نصف الكرة بالقدر " .

هـ - اخترعوا ملاحه الجو . وما المصطلحات الاوربية الحديثة المستعملة
فى الملاحة اليوم الا تحريف عن أصولها العربية . (٢)

ولا يسعنا الحديث اذا أردنا ان نستعرض منجزات العرب والمسلمين فى
علم الفلك وكيفينا شاهد على قولنا ان كثيرا من المصطلحات الفلكية
واسماء النجوم والكواكب دخلت اللغات الاوربية باسمائها العربية

(١) الفلك عند العرب - عبدالرحيم بدر ص ٧٩ - ٨٠ - الطبعة الاولى ١٩٨٦ م
مؤسسة مصرى للتوزيع - لبنان .

(٢) اثر علماء العرب والمسلمين فى علم الفلك ص ٤٧ .

وكذلك اقوال المنصفين من علماء الغرب بفضل حضارة العرب في هذا المجال وغيره وانه لولاها لما تقدمت الحضارة الغربية الى هذا المستوى الذى نراه اليوم .

ثانيا : الفلك فى العصر الحديـــــث :-

وهو يبدأ من القرن السادس عشر للميلاد بعهد كوبر نيكس وكبلر وجاليليو ونيوتن حينما توالى تحسين المراقب واصبحت هناك فكرة صحيحة عن النظام الشمسى وتقدمت وسائل الرصد والتقنية الحديثة وحاول الانسان ان يعرف ما وراء النظام الشمسى . (١)

(١) مجلة الفيصل عدد ٤٣ لعام ١٤٠١ ص ١٢٣ .
والموسوعة العربية الميسرة ١٣١١/٢ .

الفصل الثالث

موضوعات علم الفلك

ويشتمل على المباحث :

أولاً : السماء

ثانياً : الأفق

ثالثاً : البروج

رابعاً : النجوم

خامساً : الشمس

سادساً : القمر

سابعاً : المنـازل

ثامناً : الكواكب

تاسعاً : الأرض

عاشراً : الشهب

الحادى عشر : الشـواظ

الثانى عشر : الانـواء

المبحث الأول

السماء ومترادفاتها فى اللغة :

"سمو: السين والميم والواو أصل يدل على العلو . يقال سموت اذا علوت
وسما بصره : علا . وسمالى شخص ارتفع حتى استثبتته". (١)

وفى حديث أم معبد فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم (وان صمت سمسا
وعلاه البهاء) اى ارتفع وعلا على جلسائه . (٢)

والسما : كل ما علاك فأظلك ولغظ السماء التى تظل الارض انشى عنده
العرب لأنها جمع سماء والسماء أصلها سماوة واذا ذكرت السماء عنوا به
السقف والجمع أسميه ، وسمى وسموات وسماء . (٣)

وذكر اهل اللغة ان العرب تطلق لفظ السماء على بعض المعانى فيها : -

١ - السحاب .

٢ - المطر سمي سماء لانه ينزل من السماء وفى حديث هاجر (تلك امكم يابنى

ماء السماء) يريد العرب لأنهم يعيشون بماء المطر ويتبعون مساقط
الغيث . (٤)

٣ - ظئر الغربى لعلوه .

٤ - سقف البيت وسقف كل شئ .

٥ - الهلال اذا ارتفع عن الأفق يسمى سماوة الهلال .

(١) مقاييس اللغة ٢ / ٩٨

(٢) النجاة فى غريب الحديث والأثر ٢/٤٠٥

(٣) لسان العرب ١٤/٣٩٧ - بتمعرف .

(٤) المرجعان السابقان .

ولقد سمت السماء التى تظل الأرض باسماء عدة ذكر منها صاحب كتــــــــــــــــاب
الأزمنة وتلبية الجاهلية (١).

على سبيل المثال : -

١ - الجرباء وكأنها سميت بذلك لما فيها من آثار المجرة والنجوم كأشهر
الجرب فى الدابة " وقيل الجرباء من السماء الناحية التى لا يدور
فيها فلك الشمس والقمر ، وقيل الجرباء والملساء : السماء الدنيا
وجربة معرفة : اسم للسماء " . (٢)

٢ - الرقيع وقالوا ما تحت الرقيع أرقع من فلان . ويذكر صاحب اللسان
أن " الأرقع والرقيع : اسمان للسماء الدنيا سميت بذلك لأنها
مرقوعة بالنجوم وقيل سميت بذلك لأنها رقت بالأنوار التى فيها
وقيل كل واحدة من السموات رقيع للآخرى والجمع أرقعة . والسموات
السبع يقال أنها أرقعة كل سماء منها رقت التى تليها فكانت طبقاً
لها كما ترقع الثوب الرقعة . وكل سماء يقال لها رقيع " . (٣)

السماء فى نصوص الوحى : -

وردت لفظة السماء فى القرآن الكريم بصيغة المفرد والجمع وذكر الفيروز
آبـادى فى البعـاثر والدامغانى فى اصلاح الوجوه والنظائر ان الســــــــــــــــماء
وردت فى القرآن على وجوه ستة . (٤)

منها على سبيل المثال : -

(١) الأزمنة وتلبية الجاهلية لمحمد بن المستنير ص ١٢ - ١٣ ، تحقيقــــــــــــــــق

د . حاتم صالح الضامن - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ .

(٢) لسان العرب ٢٦٠/١

(٣) المعـدر لسان العرب ١٣٢/٨

(٤) بعـاثر ذو التـمـيـيز ٢٦٢/٣ ، اصلاح الوجوه والنظائر ص ٢٤٨

(١) السماء بمعنى سقف البيت قال تعالى : ﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ ﴾ (الحج : ١٥) .

(٢) السماء يعنى السحاب قال تعالى : ﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ﴾ (البقرة : ٢٢) . وقال تعالى : ﴿ وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ (الفرقان : ٤٨) . وقد اورد البخارى فى صحيحه فى بسـدء الخلق باب قوله تعالى : ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ﴾ (الاعراف : ٥٧) .

حديثا يؤيد هذا المعنى عن عائشة رضى الله عنها قالت (كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى مغيلا فى السماء أقبل وأدبر ودخل وخـرج وتغير وجهه فاذا أمطرت السماء سرى عنه . .) الحديث (١)

(٣) السماء بمعنى المطر قال تعالى : ﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم يمكن لهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ﴾ (الأنعام : ٦) .

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٠٠/٦ كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء فى قوله تعالى " وهو الذى يرسل الرياح " ، صحيح البخارى ١٣٢/٤-١٣٣

وقوله تعالى: ﴿ يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾ (هود : ٥٢) . وقوله تعالى ﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا : يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ (نوح : ١٠ - ١١) .

وقد ورد هذا المعنى ايضا في السنة المطهرة فعن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (فيما سقت السماء والعيون او كان عثريا العشر وما سقى بالنضح نصف العشر) رواه الامام البخارى في صحيحه وابن ماجه في سنن عن ابى هريرة رضى الله عنه . (١)

(٤) السماء بمعنى المقابل للأرض قال تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله لـ ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير ﴾ (المائدة : ٤٠)

(١) صحيح البخارى ١٥٥/٢ ، كتاب الزكاة - باب العشر فيما يسقى من ماء السماء .

صحيح البخارى يشرح فتح الباب - كتاب الزكاة ٣٤٧/٣ وسنن ابن ماجه كتاب الزكاة ٥٨٠/١

وقال تعالى : ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو —
يطعم ولا يطعم قل انى امرت أن اكون أول من اسلم ولا تكونن من المشركين ﴾
(الأنعام : ١٤) .

وقال تعالى : ﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها
وما لها من فروج ﴾ (ق : ٦) .

وقوله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأيدى وانا لمرسعون ﴾ (الذاريات: ٤٧)
ونظائرها كثير . كما ورد فى السنة معنى السماء بأنها المقابلة للأرض
فى أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال ما أورد الامام مسلم فى كتاب
القدر عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول : (كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات
والأرض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء) . (١) كما ورد فى مسند
الامام أحمد وسنن الترمذى لفظ السماء بأسم الرقيع كما ورد من تسميات
العرب لها عن أبى هريرة رضى الله عنه قال (بينما نبى الله صلى الله
عليه وسلم جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحب فقال النبى صلى الله عليه
وسلم : هل تدرون ما هذا ؟ فقالوا : الله ورسوله اعلم قال هذا العنان
هذه روايا الأرض يسوقه الله تبارك وتعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعون
قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ قال : الله ورسوله اعلم : قال فانها
الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف) الحديث (٢)

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٣/١٦ ، صحيح مسلم ٤٦/٤ كتاب القدر حديث ١٦
(٢) مسند الامام أحمد ٣٧٠/٢ وسنن الترمذى كتاب التفسير ٤٠٣/٥ حديث
رقم ٣٢٩٨ .

السماء فى علم الفلك :

السماء فى الفلك يطلق على ما يبدو كالكبة فوق الأرض ويرجع
لونها الأزرق الى تشتت موجات الضوء بوساطة حبيبات الغبار والبخار. (١)
اى ان السماء هى الفلك الكلى وما يحيط بالأرض من الفضاء الواسع ويظهر
فوقنا وحولنا ككبة عظيمة فيها سائر الاجرام السماوية. (٢)

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١٠١٠/٢

(٢) دائرة المعارف للبستانى ، ٣٣/١٠ بتصرف ، دار المعرفة - بيروت .

المبحث الثانى

الآفاق فى اللغة :-

" أفق - الهمزة والفاء والقاف أصل يدل على تباعد ما بين أطراف
الشيء واتساعه وعلى بلوغ النهاية . من ذلك الآفاق النواحي والأطراف
وذكر بعضهم ان للسماء آفاق وللأرض آفاق فأما آفاق السماء فما انتهى
اليه البصر منها مع وجه الأرض من جميع نواحيها وهو الحد بين ما بطن
من الفلك وبين ما ظهر من الأرض . وأما آفاق الأرض فأطرافها من حيث
احاطت بك " (١) . والآفاق ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض وكذلك
آفاق السماء نواحيها . (٢) " وفى حديث لقمان حين وصف آياه " صفـاق
أفاق " والآفاق الذى يضرب فى آفاق الأرض أى نواحيها مكتسبا واحدها
أفق ، ويجوز أن يكون الأفق واحد وجمعا كالفلك " (٣)

الآفاق فى نصوص الوحى :-

وردت مادة أفق أو آفاق فى القرآن الكريم ثلاثة مرات وذلك فى

وقد نقل الطبري والبيهقي والقرطبي والسيوطي في تفاسيرهم
لسورة فعلت، من أقوال المفسرين أن الأفق قنـى : -

أقـطــــــــــــــــار السموات والأرض ونواحيها من الأجرام السماوية
والأشجار والأنهار والجبال والبحار .

أما بالنسبة لما ورد في معنى الأفق الوارد في سورتي النجم والتكوير
فقد نقل الطبري والبيهقي وابن كثير والسيوطي إلى أن المفسرين ذهبوا إلى
أنه الجهة العليا من السماء المقابلة للناظر جهة المشرق عند مطلع
الشمس حينما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على
حقيقته ساد بين المشرق والمغرب في مكة المكرمة .

وهذا المعنى يفيد أن المراد بالأفق ناحية من نواحي السماء وقد
ورد في السنة المطهرة أن الأفق يأتي بمعنى النواحي من السماء فقد
أورد الإمام مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه عن سمرة بن جندب رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يغرنكم من سحوركـم
أذ أن بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا ... يعني
معترضا) (١) .

وفي مستند الإمام أحمد عن قيس بن طلق عن أبيه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال (ليس الفجر المستطيل في الأفق ولكنه المعتـرض
الأحمر) (٢) .

(١) صحيح مسلم ٧٧٠/٢ حديث رقم ٤٣ ، تحقيق محمد عبد الباقي ، دار أحياء
التراث .

صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصوم ٢٠٥/٧ وسنن أبي داود ٣٠٣/٢ حديث
رقم ٢٣٤٦ .

(٢) مستند الإمام أحمد ٢٣/٤

كما ورد الأفق فى السنة بمعنيين آخرين هما

- ١ - الأفق بمعنى الشفق فقد روى الإمام أحمد فى مسنده والترمذى فى سننه فى مواقيت الصلاة فى تحديد صلاة المغرب والعشاء الآخرة عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم (ان للصلاة اولا وآخرًا وان أول وقت المغرب حين تغرب الشمس وان آخر وقتها حين يغيب الأفق وان أول وقت العشاء الآخرة حين يغيب الأفق ...) الحديث (١)
- ٢ - الأفق بمعنى الفضاء وما يطرأ عليه من سواد الليل فقد روى الإمام أبو داود فى سننه فى مواقيت الصلاة فى تحديد صلاة العشاء عن ابى مسعود الانصارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول: (نزل جبريل صلى الله عليه وسلم فأخبرنى بوقت الصلاة فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر حين تزول الشمس ويصلى العشاء حين يسود الأفق وربما آخرها حتى يجتمع الناس ...) الحديث (٢)

وكلا المعنيين يدل على ان المراد بالأفق هو النواحي من السماء ذلك لأن الشفق ظاهرة ضوئية تحدث بعد الغروب حينما يحين موعد صلاة المغرب . وكذلك الفضاء وما يطرأ عليه من تعاقب الليل والنهار هو ناحية من السماء وليس كل السماء .

وسواء كان المعنى هذا أم ذاك فإنه موافق لما جاء فى معنى الأفق

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٢٣٢ وسنن الترمذى كتاب الصلاة ١/٢٨٣ حديث رقم ١٥١

(٢) سنن أبى داود كتاب الصلاة ١/١٠٧ حديث رقم ٣٩٤

فى اللغة وهو النواحي والاطراف وان الله سبحانه وتعالى قد أوضح آياته
للمسلمين والمشرىين فى ذاك العصر أو فى هذا العصر الذى نحن فىه
والذى ظهرت آيات الله الكونية وتظهر وستظهر جليه فى كل حين ووقست
فى كل مجال من مجالات العلوم سواء فى مجال الآفاق أو فى مجال الأنفس
تحقيقا لقول الله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣)
الآفاق فى علم الفلك :

أورد البستانى فى دائرته أن الأفق عند أهل الهيئة - أهمل
الفلك - يطلق على دوائر ثلاث : -

١ - الدائرة الأولى :

الأفق الحقيقى وهى دائرة عظيمة ثابتة فى الفلك الاعلى يمر سطحها
فى مركز العالم وقطبها الاعلى يسمى السم^(١)ت أو سمت الرأس والأوج ويسمى
الأسفل سمت القدم أو الحقيقى وهى تقسم الكرة السماوية الى قسمين
متساويين احدهما منظور والآخر غير منظور .
وكل نقطة على سطح الأرض لها أفق خاص بها فأفق النقطة الواحدة لايمكن
ان يكون أفق النقطة الأخرى . هذا واذا نظرنا الى السماء من مكان
مكشوف تماما كما لو كنا فى وسط البحر بحيث لايرى غير الماء والسماء
يكون الخط الفاصل بين السماء والماء حولنا هو الأفق .

(١) السم^(١)ت : نقطه وهمية فى الفضاء الكونى تقع فوق الراصد مباشرة -
كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١١٨ .

٢ - الدائرة الثانية :

الأفق الحسى ويسمى أيضا بالأفق المرئى والشعاعى وأفق الرؤية وهو دائرة صغيرة ثابتة حادثة فى الفلك الأعلى تماس الأرض من فوق أى تماسها من موضع قدم الناظر موازية للأفق الحقيقى .
ولما كان الخط الواصل بين سمتى الرأس والقدم عمودا على الأفق الحقيقى كان أيضا عموديا على الأفق الحسى .

٣ - الدائرة الثالثة :

الأفق النظرى وهو دائرة ثابتة يرتسم محيطها فى سطح الفلك الأعلى من طرف خط يخرج من بصر الناظر الى سطح الفلك الأعلى مماسا للأرض اذا ادير ذلك الخط مع ثبات طرفه الذى فى البصر ومماسا للأرض دورة تامه وقطبا هذين الأفقين أيضا هما سمتا الرأس والقدم وهذه الدائرة تكون صغيرة وقد تكون كبيرة بحسب مركز الناظر فاذا كان فى سهل تكون اصغر مما لو ارتفع على جبل وهذه الدائرة هى الفاصلة بين ما يرى حقيقة من الفلك وما لا يرى وأما الثانية فلا تفصل واما الاولى فقد تفصل وقد لا تفصل .

والتفاوت بين مركزى الأفق الحقيقى والأفق النظرى بقدر نصف قطر الأرض . وهو غير محسوس فى فلك ما الا فى فلك القمر ولذا كان الظاهر من فلك القمر دائما اصغر من الحقيقى بمقدار معتد به وهكذا التفاوت بين مركزى الحقيقى والحسى . (١)

(١) دائرة المعارف للبستانى ٦١/٤ دار المعرفة - بيروت . بتصرف .

إذاً من ذلك يظهر ان الأفق فى علم الفلك ينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ - الأفق الظاهرى " النظرى " فى الفلك خط منحنى تبدو السماء عنده منطبقه

على الأرض وهو مستدير لراصد فى البحر ولكنه فى البر يتبع التضاريس .

٢ - الأفق الحسى هو المستوى المماسى لسطح الأرض عند مكان الراصد .

٣ - الأفق الحقيقى أو الهندسى فمواز للأفق الحسى عند مركز الأرض . (١)

(١) الموسوعه العربيه الميسرة ١٨٠/١

المبحث الثالث

البروج فى اللغة :

الباء والراء والجيم أعلان : أحدهما البروز والظهور والآخر السور والملجأ فمن الأول وهو سعة العين فى شدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها ومنه التبرج وهو أظهر المرأة محاسنها .
والأصل الثانى البرج واحد بروج السماء . وأصل البروج الحصون والقصور ويقال ثوب مبرج اذا كان عليه صور البروج . (١)
والبرج : تباعد ما بين الحاجبين . وكل ظاهر مرتفع فقد برج ، وانما قيل للبروج بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها .
والبرج : واحد من بروج الفلك وهى اثنا عشر برجاً . اذا غاب منها ستة طلع ستة سنة ولكل برج اسم على حدة . (٢)
البروج : النجوم . والبرج أيضا : القصر المستطيل . (٣)

البروج فى نصوص الوحى :

وردت مادة برج فى القرآن على ثلاثة أوجه كما ذكر اصحاب الوجوه والنظائر فى كتبهم . (٤) فالوجه الأول بمعنى التزين والتوسع كما فى وقوله تعالى : ﴿ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ (الاحزاب : ٣٣) .

(١) مقاييس اللغة ٢٣٨/١

(٢) لسان العرب ٢١١/٢ - بتصرف

(٣) الأزمنة وتلبية الجاهلية لقطرب ص ٣١

(٤) اصلاح الوجوه والنظائر للدامغانى ص ٦٦ ، بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ٢٣٤/٢

وهذا الوجه بمعنى التبرج وليس البروج ولم ترد مادة برج فى السنة
الا بهذا الوجه فقد ورد فى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء عن
عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فى مبايعة أميمة بنت رقيقة وفيهـــــــــــــــــا
(ولا تنوحى ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى) . (١)

الوجه الثانى بمعنى القصور قال تعالى ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت
ولو كنتم فى بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا ﴾ (النساء : ٧٨) .

الوجه الثالثة بمعنى النجوم وقال بعضهم بمعنى الكواكب ومداريتها
قال تعالى : ﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزينها للناس من أجل ﴾ (الحجر : ١٦)
وقوله تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً
منيراً ﴾ (الفرقان : ٦١) وقوله تعالى ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ (البروج : ١)
البروج فى علم الفلك :

وذكر فى دائرة المعارف أن البرج فى اصطلاح الفلكيين قسم من أثنى
عشر قسماً من دائرة متوهمة فى الفلك واقعة بين خطيين موازيين لدائرة
البروج مقسمة الى أثنى عشر قسماً متساوياً فيها حركة السيارات وتسمى
هذه الدائرة باسماء عدة منها .

١ - منطقة البروج ، ٢ - فلك البروج ، ٣ - منطقة فلك البروج
٤ - نطاق البروج . ٥ - منطقة الحركة الثابتة . وأشهر
أسمائها منطقة البروج وتسمى بالافرنجيه زودياك (Zodiac) وهى
يونانية الأصل مشتقة من زووت ومعناه حيوان لأن كوكبات البروج تظهر

أشكالها على صور حيوانات مسماة بها . فأسماءها على الترتيب من المغرب

الى المشرق هى :

الحمل ، الثور ، الجوزاء ، السرطان ، الأسد ، السنبلة ، الميزان ،

العقرب ، القوس ، الجدى ، الدلو ، الحوت .

فالستة الأولى تسمى شمالية أو عالية لوقوعها الى شمالى خط الاستواء

والستة الأخيرة تسمى جنوبية أو منخفضه لوقوعها الى جنوبه ثم الثلاثة

الأولى من هذه البروج - الحمل ، الثور ، الجوزاء تسمى بروجاً ربيعية

لأن الشمس تمر فيها فى فصل الربيع ، والسرطان والأسد والسنبلة تسمى

بروجاً صيفيه لأن الشمس تمر بها فى فصل الصيف ، والميزان والعقرب

والقوس تسمى بروجاً خريفية لأن الشمس تمر بها فى فصل الخريف ، والجدى

والدلو والحوت تسمى بروجاً شتوية لأن الشمس تمر بها فى فصل الشتاء " (١)

ولست هناك أى أهمية فلكية خاصة لكوكبات البروج من حيث الكبر

أو العظم أو التأثير على أجرام الكون الأخرى أو مخلوقاته . بل أن النجوم

أو الوحدات التى تتكون منها البروج تختلف فى الحجم والشكل والطبيعة

والبعد والقرب من الأرض .

أما الخاصية أو الأهمية الوحيدة فهى وقوعها فى حزام مدار الشمس

الظاهرى . (٢)

" ومنطقة البروج هى منطقة يتوسطها مدار الشمس الظاهرى وعرضها

١٨ درجة . والبروج هى اثنتا عشر صورة أو مجموعة نجومية موزعة بالتساوى

(١) دائرة المعارف ٣٠١/٥

(٢) مبادئ الكونيات - الأمين محمد احمد كعورة ص ١٣٦ - الطبعة الثالثة

١٩٧٩ م - عالم الكتب - بيروت . بتصرف

تقريباً على منطقة الحزام . وحيث أن الكرة السماوية مقسمة إلى ٣٦٠ درجة فإن منطقة كل برج تعادل ٣٠ يوماً أو شهر تقريباً لأن دورة الشمس الظاهرية الكاملة تستغرق سنة شمسية ، أى أن الشمس تظهر فى منطقة البرج الواحد وتبقى حوالى شهر . ويسمى ذلك بوقت مرور الشمس على منطقة البرج " (١).

خلاصة القول : ان البروج عبارة عن حزام من مجموعات من النجوم تزين السماء وتأخذ أشكالاً ثابتة المعالم لا تتغير بالنسبة لبعضها البعض نظراً لبعدها الهائل عنا وتمر الأرض أمام هذا الحزام وتكمله مرة كل عام . (٢)

(١) المصدر السابق ص ١١٠

(٢) الله والكون - د. محمد جمال الفندى ص ٢٨٧ - لعام ١٩٧٦ - الهيئـة المصرية العامة للكتاب .

المبحث الرابع

النجوم فى اللغة :-

نجم : النون والجيم والميم أصل يدل على طلوع وظهور ، ونجم النجم
طلع ، ونجم السن والقرن : طلعا . (١)
وتجمع معاجم اللغة على أن العرب اذا اطلقوا كلمة النجم ارادوا الشرىا
حيث جعلوه علما لها .

" وهى عندهم من منازل القمر بل هى أشهرها " (٢)

ويذكر الاصفهانى فى المفردات والفيروز آبادى فى البصائر والزبيدى
فى التاج ان النجم هو الكوكب الطالع والجمع أنجم وأنجام ونجم ونجوم
ويقول ابن الاثير فى النهاية " ان النجم فى الأصل واحد من كواكب السماء " . (٣)
ويذكر ابن منظور فى اللسان أن النجم بمعنى النجوم وتجمع الكواكب
كلها . (٤)

" ويقال ليس لهذا الحديث نجم أى أصل ومطلع . والنجم من النباتات
مالم يكن له ساق من نجم اذا طلع " (٥) " والنجمه بالفتح ويحرك نبست
معروف فى البادية وهى شجيرة تنبت ممتدة على وجه الأرض . والنجم
نزول القرآن نجما نجما " (٦) .

(١) مقاييس اللغة ٢٩٦/٥

(٢) دائرة المعارف ٣١٤/٦

(٣) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢٣/٥ - ٢٥

(٤) لسان العرب ٥٦٩/١٢

(٥) مقاييس اللغة ٢٩٦/٥

(٦) تاج العروس ٧١/٩

" وتنجيم الدين : هو أن يقرر عطاؤه فى أوقات معلومه متتابعة مشاهرة
أو مساناة وتنجيم المكاتب ، ونجوم الكتابة أصله أن العرب تجعل مطالع
منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وغيرها فتقول : اذا طلـع
النجم حل عليك مالى : أى الثريا وكذلك باقى المنازل " . (١) ويظهر من
الكلام أن أحباب المعاجم اللغوية لا يفرقون بين النجم الجرم السماوى والكوكب
وأن كليهما بمعنى واحد مع أن الفرق واضح بين النجوم والكواكب فى القرآن
والسنه المطهرة اللذين هما مصدر التشريع واللذان وردا بلغة العرب .
فقد جاء فى وصف النجوم فى قوله تعالى ﴿ واذا النجوم طمست ﴾
(المرسلات : ٨) أى ذهب ضوءها بمعنى ان الضوء فيها صفة ذاتية
جعله الله لها ولم يقل عن الكواكب انها طمست . ونجد فى السنه المطهرة
حديث فى وصف آنيه الحوض الذى اعطاه الله لسيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه (قال : قلت يارسول الله
ما آنيه الحوض ؟ قال : والذى نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم
السماء وكواكبها فى الليلة المظلمة المصحية ...) الحديث (٢)

ويظهر من الحديث انه عطف الكواكب على النجوم والعطف يقتضى المغايرة
وسنذكر الفرق بين النجوم والكواكب فى مبحث الكواكب .

النجوم فى نصوص الوحى :-

وردت مادة نجم فى القرآن الكريم ثلاثة عشرة مرة منها أربع مرات
بصيغة المفرد وتسع مرات بصيغة الجمع ذكر فيها المنافع التى تعود على

(١) النهاية فى غريب الحديث والاثـر ٢٣/٥ - ٢٥

(٢) صحيح مسلم ١٧٩٨/٤ حديث رقم ٣٦ .

صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب الفضائل ٦١/١٥ - ٦٢ - مسند الامام

احمد ١٤٩/٥ .

الانسان من النجوم كما ذكر القانون الذى يحكم حركتها وأن مواقعها تحتاج من الانسان الى تدبر وتفكر فقد ذكر سبحانه فى معرض القسم فى قوله تعالى: ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعه : ٧٥) ووصفه سبحانه بأنه عظيم وقد أوضح لنا علم الفلك الحديث ان المسافات بين النجوم والسرعات التى تتحرك بها هذه النجوم فى الفضاء الواسع الذى يعتبر جزءا من السماء الدنيا شيئا يفوق الخيال ولو اراد الانسان الانسان ان يستكشف هذا الفضاء لمعرفة مواقع النجوم وحركاتها لما وسعه عمر أجيال من عهد ابينا آدم الى يومنا هذا فسيحان خالق الكون ومدبره . ويذكر الدامغانى فى الوجوه والنظائر وابن الجوزى فى نزهة الاعيين ان مادة نجم حسبما يذكر أهل التفسير وردت فى القرآن على ثلاثة أوجهه

أولا :

النجوم بمعنى الكواكب قال تعالى : ﴿ وعلمات وبالنجم هم يهتدون ﴾ (النحل : ١٦) .

وقال تعالى : ﴿ فنظر نظرة فى النجوم • فقال انى سقىــــــــــــم ﴾

(الصافات : ٨٨) •

وقال تعالى : ﴿ والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم
الثاقب ﴾ (الطارق : ١ - ٣) .

وهذا الوجه لامعارضه فيه لأن المعروف عند العرب ان النجم بمعننى الكوكب وهو ما جرى على مفهومه لدى العرب .

(١) اصلاح الوجوه والنظائر ص ٤٤٩

نزهة الاعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى ص ٥٨٠ ،
تحقيق محمد عبدالكريم كاظم الراضى - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ -
مؤسسة الرسالة - بيروت .

ثانيا :

النجوم بمعنى نجوم القرآن اى ماكان ينزل من القرآن متفرقا قال تعالى : ﴿ والنجم اذا هوى ﴾ (النجم : ١) وقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعة : ٧٥ - ٧٦) .

اختلف المفسرون فى المقصود بالنجم فى الآية الاولى فذهب أغلبهم أنه الشريا وذهب البعض الآخر الى أنه القرآن لكنه يذكر بصيغة التمريض وقيل انه القرآن لأنه كان ينزل منجما نجما نجما . اما الآية الاخرى التى فى سورة الواقعة فقد اختلف المفسرون فيها بين نجوم السماء وبين منازل القرآن وقد رجح الطبرى بعد ان نقل أقوال المفسرين بأن المقصود من الآية هو مساقط النجوم ومغاييبها فى السماء . (١)

ثالثا :

النجم النبات قال تعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾ (الرحمن : ٦) وهذا المعنى صحيح لأن المقصود بالنبات الذى لا ساق له كما ورد به كلام العرب ولان سياق الآية يدل على ذلك فقد ذكر النجم وبعده الشجر . ولايمنع من كون النجم فى الآية هو نجم السماء لما ذكر من سجود النجوم فى قوله تعالى : ﴿ الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبـال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله

(١) تفسير الطبرى - جامع البيان ٢٠٣/٢٧ - ٢٠٤

فماله من مكرم ان الله يفعل مايشاء * (الحج : ١٨) كما ان بعض
المفسرين ذهب الى ان النجم المقصود فى آية سورة الرحمن هو نجم
السماء .

كما ورد مادة نجم فى السنه المطهرة بعدة وجوه منها :

أولا :

بمعنى الظهور عن حذيفه بن اليمان رضى الله عنه عن النبى صلى
الله عليه وسلم قال (ان فى امتى اثنى عشر منافقا لايدخلون
الجنة ولايجدون ريحها حتى يلج الجمل فى سم الخياط ثمانية منهم
تكفيكم الدبيلة سراج من نار يظهر فى أكتافهم حتى ينجم فى
صدورهم) (١).

ثانيا :

أحد نجوم السماء مثل نجم الثريا
فقد ورد فى صحيح مسلم عن ابى بصره رضى الله عنه قال صلى بنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فلما أنصرف قال
(ان هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها . فمن حافظ عليها
كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد) (والشاهد النجم) (٢)
والنجم كما هو معروف عند العرب اذا اطلق أريد به الثريا .
وفى مسند الامام احمد عن العباس رضى الله عنه قال كنت عند النبى
ذات ليلة فقال (أنظر هل ترى فى السماء نجم قال قلت نعم قال:
قلت : أرى الثريا قال : أما أنه يلى هذه الأمة بعددها من صلبك
اثنين فى فتنة) (٣) .

-
- (١) مسند الامام احمد ٣٢٠/٤ صحيح مسلم ٢١٤٤/٤ كتاب صفات المنافقين حديث رقم ١٠
(٢) صحيح مسلم ٥٦٨/١ حديث رقم ٢٩٢
صحيح مسلم بشرح النووى ١١٣/٦ مسند الامام احمد ٣٩٧/٦ سنن النسائى ٢٥٩/١-٢٦٠
(٣) مسند الامام احمد ٢٠٩/١

ثالثا :

النجم بمعنى النبات الذى لاساق له عن ابى هريرة رضى الله عنه
(قال سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى النجم
الارجلين من قريش أرادوا بذلك الشهرة) . (١)

رابعا :

من تنجيم الدين والمكاتب - عن عائشه رضى الله عنها قالت
(ان بريرة دخلت عليها تستعينها فى كتابتها وعليها خمس أواقى
نجمت عليها فى خمس سنين ..) الحديث . (٢)

خامسا :

النجم بمعنى نجم السماك عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم (صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة)
قلت : أرأيت ان غلبتنى عينى أرأيت ان نمت ؟ قال : أجمع
" أرأيت عند ذلك النجم . فرفعت رأسى فاذا السماك . ثم أعاد
فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صلاة الليل مثنى مثنى
والوتر ركعة قبل المصبح) . (٣)

النجوم فى علم الفلك :

النجوم اجرام سماوية ذات شكل كروى ، شديدة الحرارة متوهجة ملتزمة
هى فى ذاتها مصدر اشعاع حرارى ضوئى - خاصية جعلها الله سبحانه
وتعالى فى النجوم - ومصدر اشعاعات وطاقت اخرى وهى تعد
من الوحدات الاساسية فى مجموعة الاجرام الكونية وأقرب بها لنا
الشمس .

(١) مسند الامام أحمد ٤٤٣/٢

(٢) صحيح البخارى بفتح البارى ١٨٥/٥ كتاب المكاتب صحيح البخارى ١٩٨/٣
باب المكاتب ونجومه .

(٣) سنن ابن ماجه ٣٧١/١

وهي تنقسم حسب الترتيب الى :

- ١ - النجوم فوق العملاقة .
- ٢ - النجوم العملاقة .
- ٣ - النجوم المتوسطة .
- ٤ - النجوم الاقزام (١) .

(١) الجغرافيا الفلكية (دراسة في المقومات العامة) ص ٨٠

المبحث الخامس

الشمس فى اللغة :

" الشين والميم والسين أصل يدل على تلون وقلّة استقرار . فالشمس معروفة . وسميت بذلك لأنها غير مستقرة ، هى أبدا متحركة . والشمس من الدواب الذى لا يكاد يستقر ، ورجل الشمس اذا كان لا يستقر على خلق " . (١)

والشمس تطلق على القرص وعلى الضوء المنتشر منها والجمع شمس . (٢)
ويذكر صاحب التاج ان العرب تطلق لفظ الشمس على : (٣)

١ - الشمس ضرب من المشط كانت النساء فى الدهر الأول يتمشطن به .
٢ - الشمس ضرب من القلائد . وقيل هى معلاق القلائد . وقيل هى ضرب من الحلوى مذكر . وقيل هو قلادة الكلب .

٣ - الشمس صنم قديم .

٤ - الشمس عين ماء يقال لها عين الشمس .

٥ - والشمس جمع شمس من أسماء الخمر لأنها تجمع به .

وقد سمى العرب الشمس وضوءها بأسماء عدة نذكر منها :

١ - الجونه : عين الشمس وانما سميت جونه عند مغيبها لأنها تسود حين تغيب وقد يكون لبياضها وصفائها . (٤)

٢ - ذكاء " بالضم " اسم الشمس معرفة لا ينصرف ولا تدخلها الألف واللام ، تقول :

هذه ذكاء طالعة . (٥) ويقال لها ذكاء لأنها تذكو كما تذكو النار

(١) مقاييس اللغة ٢١٢/٣

(٢) بـمـاثر ذوى التمييز ٣٤٥/٣

(٣) تاج العروس ١٧٣/٤

(٤) لسان العرب ١٠٢/١٣

(٥) المصدر السابق ٢٨٧/١٤

وللمصبح ابن ذكاء لأنه من ضوءها . (١)

٣ - الالهة والالهة بالفتح ويجوز أن تكون قراءة ابن عباس في قوله

تعالى : حكاية عن قوم فرعون * ويذكر والاهتك . (الاعراف : ١٢٧)

اراد الشمس وأنت الاله بالهاء . (٢)

٤ - الضح : ضوء الشمس اذا تمكن من الأرض وقبل هو ضوءها عامة . (٣)

٥ - الغزاة : الشمس اذا ارتفع النهار وقيل هي عند طلوعها وقيل هي

عين الشمس . (٤) ومن أسماءها أيضا الضحاء ، والسراج ، ويوحى ،

ويوح ، والصيخد ، عين الشمس . (٥) والعب بتخفيف الباء مثل الدم

فهو ضوء الشمس وحسناها . والآيا مقصور فهو ضوء الشمس وحسناها . (٦)

الشمس في نصوص الوحي :

وردت كلمة الشمس في القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة منها تسع عشرة مرة مقترنة مع القمر بحيث أنها تقدمت على القمر في ثمانية عشر موضع وتقدم القمر عليها في موضع واحد في قوله تعالى : * الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا * (نوح : ١٥ - ١٦) . كما وردت الشمس بصفة من صفاتها ولم تذكر بأسمها صراحة وذلك في قوله تعالى : * تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا * (الفرقان : ٦١) وفي قوله تعالى : * وجعلنا سراجا وهاجا * (النبأ : ١٣) . ونلاحظ في أغلب المواضع التي ذكر فيها القمر مقرون بالشمس ترد عبارة " سخر "

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٩٠ تحقيق محمد الدالي - الطبعة الاولى

١٤٠٢ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٢) الأزمنة وتلبيه الجاهلية ص ١٤

(٣) الانصاح في فقه اللغة - عبدالفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى ص ٤٥٨ -

الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٦) الأزمنة وتلبيه الجاهلية ص ١٥

كما فى قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ (ابراهيم : ٣٣) وقوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (النحل : ١٢) .

مما يدل على أن لهذا الكون نظاما عاما هو سر من اسرار الخالق سبحانه يحتاج منا الى بحث وتفكر وتدبر .

أما بالنسبة للسنة المطهرة فان كلمة الشمس وردت فيها كثيرا واكثر المواضع التى ورد فيها ذكر الشمس كان فى تحديد مواقيت الصلاة وفى الكلام عن الكسوف والخسوف لكن كلمة الشمس وردت فى مواضع بغير معناها المعروف وذلك بمعنى الدابة غير المستقرة فى حديث رواه الامام مسلم واحمد فى مسنده عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (مالى أراكم رافعى ايديكم كأنها أذناب خيل شمس أسكنوا فى الصلاة ...) الحديث . (١)

والمقصود عدم استقرارهم فى الصلاة كصفة الخيل عندما تكون مضطربة ترفع يديها وأذنابها يستدل منها على عدم استقرارها وانها مضطربة .

الشمس فى علم الفلك :

نجم من النجوم المتوسطة وهى مكونة من غازات وهاجه تتجمع فى صورة غير تامه التكوّن تتكدس فيها الغازات تكدسا عظيما نمو المركز وهى النجم الذى ندور فى فلكه لذا فهى أقرب النجوم إلينا . (٢)

(١) صحيح مسلم ٣٢٢/١ ، حديث رقم ١١٩

صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب الصلاة - تحريم سبق الامام بركوع

أو سجود نحوهما ١٥٢/٤ .

(٢) الجغرافيا الفلكية ص ١٠١

كرة ضخمة من الغازات المتوهجة ذات الكثافات الكبيرة يصل محيطها الى حوالي (١٣٩٣٠٠٠) كم أو ما يعادل مائة وتسعة وثلاثين من مائة قـدر محيط الأرض ولهذا فان حجم الكرة الشمسية يزيد على حجم الكرة الأرضية بأكثر من مليون مرة . ونرى نجم الشمس صغيرا لبعده عنا الذى يصل الى ٩٣ مليون ميل . (١) والسطح المضئ منها يسمى المنطقة الضوئية وتبلغ درجة حرارتها (٦٠٠٠) درجة مئوية . (٢)

(١) الشمس فى حياة الانسان - د. طه عثمان الفرا ، محمد محمود محمددين
ص ١٧ لعام ١٣٩٦ هـ - مكتبه دار العلوم - الرياض .
(٢) الموسوعة العربية الميسرة ١٠٩٤/٢

المبحث السادس

القمر فى اللغة :

والجمع أقمار : "القاف والميم والراء أصل صحيح يدل على بياض فى

شئ ثم يفرع منه .

من ذلك القمر : قمر السماء سمي قمرا لبياضه . وجمار أقمر

أى أبيض" (١)

"والقمره بالضم لون الى الخضرة أو بياض فيه كدرة أو البياض الصافى.

والقمر الذى فى السماء مشتق من القمره والجمع أقمار .

والقمر بعد ثلاث الى آخر الشهر يسمى قمر لبياضه" (٢)

والهلال جمعه أهله وهو القمر أول ما يرى ليلة يهل ويسمى كذلك

ثلاث ليال . والقمر اسم للهلال بعد ثلاث ليال . (٣)

وذكر فى صفة الدجال " هجان أقمر " هو شديد البياض" (٤)

اسماء لىالى الشهر حسب اشكال القمر والظهور عند العرب .

وردت فى لغة العرب مسميات عدة لليال الشهر تتعلق بالقمر وشكله

الظاهر نذكر بعضا منها على سبيل الايجاز :

١ - الهلال يطلق على أول ليلة وان لم ير الا بعد الثالثة فهو قمر

وأول ثلاث ليال من الشهر يقال لها الغر لأن القمر كأنه غرة فيها .

٢ - ثم ثلاث - شهب - لأن بياض القمر مختلط بسواد الليل .

(١) مقاييس اللغة ٢٥/٥

(٢) تاج العروس ٥٠٤/٣

(٣) الافصح فى اللغة ص ٤٥٩

(٤) النهاية فى غريب الحديث ١٠٧/٤

- ٣ - ثم ثلاث بهر - لأن القمر يبهر فيهن ظلمة الليل وبهوره طلوعه . وقال بعضهم : "القمر الباهر فى الليالى البيض كأنه يبهر السواد كله" .
- ٤ - ثم ثلاث - عشر - كأنه لأن الليلة العاشرة فيهن .
- ٥ - ثم ثلاث - بيض - لأن القمر فى الليل كله فالليل فيه أبيض . (١)
- ٦ - البراء آخر ليلة من الشهر سميت بذلك لتبدوء القمر من الشمس .
- ٧ - المحاق ثلاث ليال من آخر الشهر سميت بذلك لامحاق القمر فيها أو الشهر
- ٨ - ليلة البدر ليلة أربع عشر وسمى بدرا لمبادرته الشمس بطلوع كأنه يعجلها . ويقال سمي بدرا لتمامه ولامتلائمه . (٢)
- ٩ - ليلة السواء - يستوى القمر لثلاث عشرة " ليلة ثلاثة عشر " وتلك التمام والقمر . (٣)

القمر فى نصوص الوحى :

القمر الذى ذكر فى القرآن والسنة هو التابع للأرض الذى كان لـه علاقة بحياة الانسان كما ذكر ذلك فى مصدرى التشريع .

وقد ورد لفظ القمر فى القرآن سبعة وعشرين مرة منها تسعة عشر مرة ذكر مقرون مع الشمس كما ذكرنا سابقا وذكر ثمان مرات مفردا منها مرتين فى موضع القسم وذلك فى قوله تعالى : ﴿ كلا والقمر . والليل اذ أدبر . والصبح اذا أسفر . انها لاحدى الكبرى ﴾ (المدثر : ٣٥-٣٢) وقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق ﴾ (الانشقاق : ١٦ - ١٩) .

(١) الازمنة وتلبية الجاهلية ص ٢٠

(٢) ادب الكاتب لابن قتيبه ص ٨٨

(٣) الافصح فى اللغة ص ٤٥٩ - ٤٦٠

كما ورد اسم القمر حسب ظهور ومعرفة الاوقات والشهور به بلفظ أهله
جمع هلال فى قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت
للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من
اتقى وأتوا البيوت من أبوابها وأتقوا الله لعلمكم تفلحون *
(البقرة : ١٨٩) .

اما القمر فى السنه المطهرة فقد ورد بلفظ الهلال وذلك لمعرفة
الشهور التى فيها مناسبات دينية مثل هلال رمضان وهلال شوال وهلال شهر
الحج .

فقد ورد فى صحيح البخارى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : (لاتصوموا حتى
تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له) (١)

وعن قيس بن طلق عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ان الله عز وجل جعل هذه الأهلة مواقيت للناس صوموا لرؤيته وأفطروا
لرؤيته فان غم عليكم فاتموا العدة) . (٢)

كما ورد لفظ القمر كثير فى السنه وذلك فى الحديث عن الكسوف
والخسوف ، كما ورد بمعنى الشديد البياض وذلك فى حديث الاسراء عن
ابن عباس رضى الله عنهما (ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى الدجال
فى صورته رؤيا عين ليس رؤيا منام وعيسى وموسى وابراهيم صلوات الله
عليهم فسل النبى صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال " أقمر هجانا .) (٣)

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب الصوم ١١٩/٤ صحيح البخارى

٣٤/٣ باب قول النبى اذا رأيتم الهلال .

(٢) مستد الامام احمد ٢٣/٤

(٣) مستد الامام احمد ٣٧٤/١

الأقمار فى علم الفلك :

القمر هو تابع الأرض الطبيعى الوحيد واقرب جار لنا فى الفضاء وعلى أية حال ليس كوكبنا وحده هو الذى له قمر فلبعض الكواكب الاخرى عدة أقمار فمثلا للمشتري وهو أكبر كوكب فى مجموعتنا الشمسية أكثر من اثنى عشر قمرا .

ولكن كلمة قمر انما تعنى قمرنا نحن .

"والقمر هو المع اجرام السماء بعد الشمس . وهو لايشع الضوء ذاتيا ولكن يعكس أشعة الشمس . ولكن فى الحقيقة ليس ذلك الصخر البنى المصفر اللون والكامل التكوين تقريبا الا واحدا من أصغر الاجرام السماوية ويبلغ قطره ربع قطر الأرض ومن ثم فهو اصغر من حيث الكتلته اذ تبلغ كتلة الأرض ثمانين ضعفا من كتلة القمر". (١)

"والقمر جسم مظلم كروى ، ولكن تضىء أشعة الشمس نصفه المقابل لها . ويتغير الجزء المستضىء من القمر من يوم لآخر فى الحجم والشكل . فأول ما نراه يكون خطا رفيعا منحنيا مستنيرا . ثم يزداد حجمه شيئا فشيئا حتى يصير دائرة تامة ، ثم يأخذ فى التناقص حتى يصبح خطا كما كان فى أول ظهوره .

وتدعى الاشكال المختلفة بأوجه القمر". (٢)

"والقمر شديد الصغر بالنسبة للنجوم لكنه يبدو كبيرا فى الفضاء لأنه قريب منا نسبيا حيث يبعد عنا نحو (٣٨٤٠٠٠) كيلو متر وهو أقرب

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١٠٨

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ١٣٩٤/٤

الينا من أى جسم طبيعى آخر فى الفضاء وهو يدور فى مدار حول الأرض كما
تدور الأرض حول الشمس وتستغرق دورته الكاملة حول الأرض نحو ٣٦٥ يوماً
ونصف . والواقع ان دورته هذه كانت تستغرق يومين وربع أقل من ذلك
لو أن الأرض كانت ثابتة لا تدور .

ولما كانت الأرض تتحرك فقد وجب على القمر بـمشيئة الله أن يقطع
أكثر من مدار واحد كامل ليعود الى المكان ذاته " . (١)

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٥٠

المبحث السابع

المنازل فى اللغة :

مادة نزل :

النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شئ ووقوعه ونـزل من دابته نزولا ونزل المطر من السماء نزولا . (١)

والنـزول : الحلول ، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ينزل نـزولا ومنزلا ، ونزل من علو الى سفلى : انحدر ، والمنزل والمنزله : موضع النزول . وجدت القوم على نزلاتهم أى منازلهم . (٢)

المنازل فى القرآن الكريم :

وردت مادة نزل وأنزل فى القرآن الكريم على عدة وجوه ذكر منها - الدامغانى فى كتابه تسعة أوجه (٣) لكنه يتعرض للمنازل التى تخص القمر والتى ورد ذكرها فى القرآن فى موضعين هما :

١ - فى سورة يونس قوله تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) .

٢ - فى سورة ياسين قوله تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (ياسين : ٣٩) .

وتفيد الآيتان ان سبحانه وتعالى جعل للقمر مقادير مخصوصة فى سيره فى فلكه وهى المنازل وأماكن النزول وهى جمع منزل -

(١) مقاييس اللغة ٤١٧/٥

(٢) لسان العرب ٦٥٦/١١ - ٦٥٨ بتمصرف

(٣) اصلاح الوجوه والنظائر ص ٤٥٣ - ٤٥٤

التي ينزل فيها القمر كل ليلة وقد ورد عن أبن عباس انها ثمانية

وعشرين منزلة وذكر اسماءها كما ذكره السيوطى فى تفسيره . (١)

منازل القمر :

يذكر صاحب عجائب المخلوقات ان منازل القمر هى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة بواحد منها من مستهلة الى ثمانية وعشرين ليلة من الشهر ثم يستسر واستساراه محاقة حتى لا يرى منه شيء فان كان الشهر تسعا وعشرين استسر ليلة ثمان وعشرين وان كان ثلاثين استسار ليلة تسع وعشرين وهو فى السرار يقطع منزلة فهذه المنازل يبدو منها أبدا اربعة عشر بالليل فوق الأرض وأربعة عشر تحت الأرض وكلما غاب منها واحد طلع رقيبته والعرب تسمى اربعة عشر من هذه المنازل شامية وأربعة عشر يمانية فأول الشامية الشرطين وآخرها السماك الأعزل وأول اليمانية الغفر وآخرها الرشاش . (٢)

والخلاصة ان المنازل عبارة عن نجوم تظهر فى مواضع من قبضة

السما إذا طلع القمر مع أحدها يقال ان القمر بمنزلة كذا .

منازل القمر عند الأمم :

استفادت الأمم القديمة من الحركات الظاهرية للأجرام السماوية واستعملوها لحساب الشهور والسنين وبالذات حركات الشمس والقمر كما ذكر فى القرآن الكريم فى معرض الامتنان فى قوله تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ۝ الآية ﴾ (يونس : ٥) .

(١) الدر المنثور ٥٧/٧

(٢) عجائب المخلوقات للقروينى بحاشية كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى ٧٤/١ ، دار الفكر - بيروت .

وقد بدأت معظم الحضارات بالأشهر القمرية ثم تحولت الى الأشهر الشمسية وذلك لأنها أضبط في حساب المواسم . أما العرب فقد أصروا على الحساب بالأشهر والسنين القمرية وكانوا يستعملون منازل القمر لمعرفة المواسم .

ويذكر صاحب كتاب مبادئ الكونيات " أن العرب قد تتبعوا حركات القمر وخطواته في رحلته الشهرية وعرفوا موقعه أو منزلته في الثمان والعشرين ليلة التي يظهر فيها وعينوا منازل القمر بالنجوم التي يطلع معها .

فالقمر يظهر كل يوم في ميعاد خاص في منطقة خاصة ، وعدد المنازل ثمانية وعشرون منزلا كعدد الليالي التي يظهر فيها القمر . ولم تكن أمة العرب الوحيدة التي استعملت منازل القمر فيقـال ان الهنود والصينيين كانوا أيضا يستعملون منازل القمر ولكنهم كانوا يستعملونها لمعرفة مواقع الاجرام الكونية واختيار الازمان المناسبة للاحتفالات والأعمال الكبيرة .

أما العرب فهم الامة الوحيدة التي استعملت منازل القمر لمعرفة الاجواء " (١) أي حالة الطقس .

(١) مبادئ الكونيات ص ١٠٢

المبحث الثامن

الكواكب فى اللغة :

" كوكب ذكر عند بعض النحاة فى باب الرباعى ، صدر بكاف زائدة والأصل
وكب أو كوب .

والكوكب والكوكبه : بياض فى العين أو البياض فى سواد العين
ذهب البصر له أو لم يذهب .

والكوكب من كواكب السماء" . (١)

"كب : الكاف والباء أصل صحيح يدل على جمع وتجمع لا يشذ منه شيء . ومن
الباب كوكب الماء وهو معظمه .

والككببه جماعة من الخيل .

والكوكب يسمى كوكبا من هذا القياس" . (٢)

ويطلق لفظ الكوكب على أشياء كثيرة ذكر منها صاحب التاج .

- الكوكب ما طال من النباتات .

- الكوكب سيد القوم وفارسهم .

- الكوكب : السيف - الكوكب : المسمار .

- الكوكب : الماء - الكوكب : المحبس .

- الكوكب : الرجل بسلحه - الكوكب : الجبل أو معظمه .

- الكوكب الغلام المراهق .

والكوكب من الشيء معظمه مثل كوكب العشب وكوكب الجيش .

(١) لسان العرب ٧٢٠/١

(٢) مقاييس اللغة ١٢٤/٥

والكوكب من الروضة نورها . والكوكب من الحديد بريقه وتوقده . (١)
والكواكب : النجوم البادية ولا يقال لها كواكب الا اذا بدت . (٢)
" وكوكب درى ودري بكسر الدال أو ضمها : شاقب مضى فأما درى بالضم
فمنسوب الى الدر قال تعالى : * كأنها كوكب درى * نسبة الى الدر
فى صفائه وحسنه وبياضه .

وجمع الكواكب درارى . والكوكب الدرى عند العرب هو العظيــــــــــــــــم
المقدار ، وقيل هو أحد الكواكب السيارة " . (٣)

ويذكر صاحب مقاييس اللغة أن الدال والراء المضاعف فى كلمــــــــــــــــة
" در " يدل على أصلين أحدهما تولد شئ عن شئ والثانى اضطراب فى
الشئ والدر : كبار اللؤلؤ سمي بذلك لاضطراب فيه لصفائه كأنه ماء
يضطرب . ومن ذلك شبه الكوكب الدرى به . (٤)

الكواكب فى نصوص الوحــــــــــــــــى :

وردت الكواكب فى القرآن الكريم خمس مرات ثلاث مرات بصيغه المفرد
ذكر منها الكوكب الدرى فى قوله تعالى * الله نور السموات والأرض مثل
نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجه كأنها كوكــــــــــــــــب
درى ٠٠٠٠ * (النور : ٣٥) .

ومرتان بصيغه الجمع أحدهما فى صفة الكواكب يوم تقوم الساعة
قال تعالى : * اذا السماء انفطرت واذا الكواكب أنتثرت * (الانفطار ١-٢)
والمرة الاخرى فى ذكر وظيفة من وظائف الكواكب الا وهى زينة السماء
الدنيا ، قال تعالى : * انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * (الصافات ٦٠)

(١) تاج العــــــــروس ٤٥٨/١ - بتمــــــــرف

(٢) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى ص ٤٢٠ ، تحقيق محمد سيد
كيلانى - دار المعرفة - بيروت .

(٣) لسان العرب ٢٨٢/٤

(٤) مقاييس اللغة ٢٥٥/٢

ووردت الكواكب فى السنه بمعانى متعددة منها .

أولا :

الكواكب بمعنى الانواء : فقد اخرج الشيخان فى صحيحهما والامام مالك فى الموطأ وابو داود والنسائى فى سننهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبيه فى اثر سماء كانت من الليل ، فلما أنصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى ، كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى ، مؤمن بالكوكب) . (١)

ثانيا :

الكواكب بمعنى الشهب : عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ليلة القدر فى العشر البواقي من قامه من ابتغاء حسبتهم فان الله تبارك وتعالى يغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وهى ليلة وترتفع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اماراة ليلة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا ساكنه ساجيه لا يبرد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب ان يرمى به فيها حتى تصبح وان امارتها ان الشمس صبحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان ان يخرج معها يومئذ) . (٢)

(١) جامع الاصول ٥٧٦/١١

(٢) مسند الامام احمد ٣٢٤/٥

الكواكب فى علم الفلك :

لكى نتكلم عند هذه المادة فى علم الفلك فلا بد أن نفرق بين

المصطلحات التالية :

- الكواكب " الكواكب السيارة " .
- الكويكبات " الكواكب الصغيرة " .
- الكوكبات جمع كوكبة .

أولا :

الكوكبات جمع كوكبة (صور سماوية) : مجموعة من النجوم تبدو للناظر على هيئة معينة . ولما رسمت لها حدود أطلق الاسم على المنطقة التى تحتويها . ويوجد فى السماء (٨٨) كوكبة عيّن حدودها الاتحاد الفلكى الدولى عام ١٩٢٨ م ، ومنها (٤٨) عرفها القدماء . واطلقوا عليها . أسماء ابطال الاساطير ، وأسماء حيوانات وأسماء جماد ، أما باقى الأسماء فهى لاتينية ويوجد (١٢) كوكبة حول دائرة البروج .^(١) ومن أمثلة هذه الكوكبات كوكبة الدب وكوكبه الثور وكوكبة قنطيس وكوكبة الجبار .

ثانيا :

الكواكب = السيارات = الكواكب السيارة = كواكب المجموعة الشمسية = المتجولات = المتسكعات كلها تسميات لمجموعة معينة هى مجموعتنا التى نعيش فوق أحد أفرادها . والتى تلتزم بنجم ساطع الضوء مشع للحرارة هو الشمس . وهذه الاجرام السماوية

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١٥٠٧/٢

كروية أو على أضعف الاعتقاد .. هكذا تبدو لنا عند رصدها فى
السماء . وهى بذاتها اجسام معتمدة - خاصة جعلها الله فيها
لأن أسطحها لاتشع حرارة أو ضوء (١) .
وتدور حول الشمس فى مسارات اهليلجية (شبه دائرية) وهى جميعا
باستثناء الارض لاتصلح للحياة لأنه لاتتوفر فيها المقومات الضرورية
للحياة .

ثالثا :

الكويكبات " الكواكب الصغيرة " : هى اجرام فضائية صغيرة نسبيا
اذا قورنت بالكواكب او التوابع لكنها جزء من المجموعة الشمسية
تدور حول الشمس كالكواكب بحيث لها مدارات خاصة بها .
وتقع مساراتها بين المريخ والمشتري . بدأ اكتشافها فى أوائل
القرن التاسع عشر عند البحث عن كوكب فى تلك المنطقة اكبرها الجرم
سيريس يبلغ قطره حوالى (٦٧٠) كيلو متر . اما الكويكبات الأخرى
فالقليل منها يزيد قطرها عن (٢٤٠) كيلو متر . ثم وجد علماء
الفلك نحو الفى كويكبة بعضها لايعدو مجرد كرة . وهى تتجـرك
فى مدارات غريبة حتى ان الصغير منها يقترب من الارض اقترابا
شديدا . كما أن اقطار اكثرها لايزيد عن كيلو ونصف متر . (٢)

الفرق بين النجم والكوكب لغويا وفلكيا :-

يقول صاحب الفروق اللغوية فى كتابه " ان الفرق بينهما هو ان الكوكب

(١) الجغرافيا الفلكية ص ١١٤ - بتصرف

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ١٥٢٣/٢

- الموسوعة العلمية الحديثة - الكون - كولين رونان ص ٦١ - طبعة
عام ١٩٨٥م الاهلية للنشر والتوزيع - بيروت - بتصرف

اسم للكبير من النجوم وكوكب كل شيء معظمه ، والنجم عام في صغيرها
وكبيرها ، ويجوز أن يقال الكواكب هي الثوابت ومنه يقال فيه كوكب
من ذهب لأنه ثابت لا يزول والنجم الذي يطلع منها ويقرب". (١)

وهذا الفرق الذي ذكره ليس فرقا جوهريا يوضح مدى الاختلاف بينهم
اما الفروق الفلكية فهي ابرز واوضح ومنها
أولا :

النجوم ذات اضاءة ذاتية - خاصية جعلها الله فيها - وهي تبدو
متألثة في السماء بينما الكواكب تعكس ضوء الشمس وتبدو ثابتة
الضوء الا عندما تكون قرب الأفق . (٢)

ثانيا :

ان الكوكب جرم سماوي سيار تابع يلف حول نفسه ويدور حول نجم
مركزي .

والنجم لا يتبع جرما سماويا آخر . (٣)

ومعنى ذلك ان الكوكب تنقصه الصفة الاساسية للنجم وهي الاستقلالية
بينما الكوكب تابع لنجم يدور حوله ويلزمه .

هذا ما يستفاد من كلام صاحب الجغرافيا الفلكية الا ان كلامه عن النجم
بأنه لا يتبع جرما سماويا آخر ليس على اطلاقه فان بعض النجوم
ثنائية النظام يدور كل منها حول الآخر وهذا يدل على أن النجوم
ليس لها الصفة الاستقلالية المطلقة بل فيها الصفة التبعية أيضا .

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٤٨ ، تحقيق - حسام الدين القدسي

طبعة ١٤٠١ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ١٥٠٧/٢ - بتصرف

(٣) الجغرافيا الفلكية ص ٨٣ - بتصرف

المبحث التاسع

الأرض فى اللغة :

"أرض : الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول أصل يتفرع وتكثر مسائله وأصلان لا ينقاسان بل كل واحد موضوع حيث وضعته العرب ، فأما هذان الأصلان فهما :

- ١ - الأرض الزكمه ، رجل مأروض أى مزكوم .
- ٢ - الرعدة يقال بفلان أرض أى رعدة .

أما الأصل الذى يتفرع فكل شئ يسفل ويقابل السماء ، والأرض : التى نحن عليها وتجمع أرضين ولم تجء فى كتاب الله مجموعة" . (١)

وكلام ابن فارس فى ان الأرض لم تجمع فى القرآن صحيح الا انها وردت فى السنه المطهرة بصيغة الجمع فى أكثر من موضع .

"وهى الجرم المقابل للسماء وجمعه أرضون وأرضات وأروض وآراضى ويعبر بها عن أسفل الشئ كما يعبر بالسماء عن اعلاه" . (٢)

ولفظ الأرض التى عليها الناس انشئ قال تعالى : ﴿ والى الأرض كيـف سطحت ﴾ (الغاشية : ٢٠) .

اسم جنس او جمع بلا واحد" . (٣)

وجاء فى دائرة معارف البستانى عن بعضهم ان علماء اللغة قالوا

انما سميت الأرض أرضا لأن الاقدام تدقها وترضاها . (٤)

(١) مقاييس اللغة ٧٩/١

(٢) بصائر ذوى التمييز ٥٣/٢

(٣) تاج العروس ٣/٥

(٤) دائرة المعارف ١١٢/٣

الأرض فى نصوص الوحى :

وردت كلمة الأرض فى القرآن الكريم بمعانى متعددة ذكر منها
الدامغانى فى الوجوه والنظائر ثلاثة عشر وجها زاد عليها الفيروز
آبادى فى البصائر وجها آخر . (١) الا ان بعض الوجوه يمكن ان توضع
تحت معنى واحد فتصبح الوجوه تسعة : أوجه : وما يهمننا هو الجانب
الفلكى حيث أتت الأرض .

(١) اصلاح الوجوه والنظائر ص ٢٩ ، بمائر ذوى التمييز ٥٤/٢

(١)

الأرض بمعنى البيئة وحياة البشر فيها يذكر تعالى عن صفات المنافقين حينما ينهوا عن الفساد في حياة البشر المعبر عنها بالأرض لأنها مكان استخلافهم بقوله عز وجل ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ (البقرة: ١١) وما يؤكد ان المعنى بالأرض هو حياة البشر والتي تعتبر البيئة جزء منها ما روى عن ابن عباس في تفسير الآية في قوله تعالى عن المنافقين قولهم " إنما نحن مصلحون " أي قالوا : إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب . (١)

(٢)

الأرض بمعنى التربة الصالحة للزراعة قال تعالى حكاية عن بنى اسرائيل ﴿ واذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقشائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير أهبطوا مصرأ فان لكم ما سألتم ... ﴾ الآية (البقرة : ٦١) .
كما وردت الأرض في السنه بمعنى المزرعه والتربة الصالحة للزراعة فقد اورد البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فإن أبى فليعسك أرضه) وكذلك روى الحديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما . (٢)

(١) تفسير الطبرى جامع البيان ١٢٦/١

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب الحرث والمزارعة ٢٢/٥ -

كتاب الهبة ٢٤٣/٥ .

صحيح البخارى ١٤١/٣ باب ما كان من اصحاب النبى يؤى بعضهم بعضا في الزراعة والتمر . - صحيح البخارى ٢١٧/٣ باب فضل المنيحة .

(٣) الأرض بمعنى الجزء من البر عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان مثل ما بعثنى الله به من الهــــدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب أرضا ، فكان منها نقية قبلت المــــاء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير .) (١) الحديث (١)

(٤) الأرض بمعنى التراب عن ميمونه رضى الله عنها قالت (وضعت للنبي صلى الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين أو ثلاثا ثم افرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده الأرض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم فاض على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه) . (٢)

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب العلم ١/١٧٥ ، صحيح البخارى

١/٣٠ - باب فضل من علم وعلم .

(٢) المصدر السابق - كتاب الغسل ١/٣٦٨ ، صحيح البخارى ١/٧٣ باب الغسل

مرة واحدة .

وعن عمار بن ياسر رضى الله عنهما فى صفه التيمم فقال النبى
صلى الله عليه وسلم (كان يكفيك هكذا ، ف ضرب النبى صلى الله
عليه وسلم بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه) . (١)
(٥)

الأرض بمعنى طريق السفر فقد اورد الامام ابو داود عن انس بن مالك
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (عليكم بالدلجـه
فان الأرض تطوى بالليل) (٢) .

وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا سافر قال : (اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفـه
فى الأهل اللهم انى اعوذ بك من وعشاء السفر وكآبه المنقلب وسوء
المنظر فى الأهل والمال اللهم اطولنا الأرض وهو علينا السفر) (٣)

الأرض عند الفلكيين

هى خامس كوكب فى المجموعه الشمسية من حيث الحجم والكوكب الوحيد
فيها الذى يعرف بأنه يحمل الحياة ، وهى ثالث كوكب من حيث ترتيبها
من الشمس ويوجد بينها وبين الشمس كوكبا عطارد والزهرة ومتوسط
بعدها عن الشمس حوالى (١٤٩٦٣٧٠٠٠) كيلومتر (٤)

وهى كالكرة لكنها ليست تامه الاستدارة حيث تم تسطيحها قليلا
عند القطبين . وتأخذ شكل الانتفاخ عند خط الاستواء .

(١) المصدر السابق - كتاب التيمم ٤٤٣/١ ، صحيح البخارى ٩٣/١ باب
المتيمم هل ينفخ فيهما .

(٢) سنن ابى داود - كتاب الجهاد ٢٨/٣ - حديث رقم ٢٥٧١

(٣) المصدر السابق - كتاب الجهاد ٣٣/٣ حديث رقم ٢٥٩٨

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ١١٩/١

وتبلغ مساحة الكرة الأرضية كلها نحو ١٩٧ مليون ميل مربع موزعها
على الشكل التالي : -

- ١ - مساحة قدرها ١٤١ مليون مربع يغطيها البحر .
- ٢ - مساحة قدرها ٥٦ مليون ميل هي اليابسة أى البر . (١)

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الأرض - جين بترى ص ٨ بتمرف - الأهلية
للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٨٥ م - بتمرف

المبحث العاشر :- الشهب *****

الشهب فى اللغة :

"الشين والهاء والباء أصل واحد يدل على بياض فى شيء من سواد،
لاتكون الشبهة خالصة بياضا من ذلك الشبه فى الفرس ، هو بياض يخالطه
سواد .

ويقال كتيبة شهباء ، اذا كانت عليها بياض الحديد . ومن
الباب الشهاب ، وهو شعلة نار ساطعة " (١)

والشبهة بياض مشرب بأدنى سواد . وكل ابيض يخالطه ادنى سواد
فهو أشهب . (٢)

والشهاب : شعلة نار ساطعه من النار الموقدة ، ومن العارض فى
الجو والجمع شهب وشهبان . (٣)

وقيل الشهاب العود الذى فيه نار . ويقال للكوكب الذى ينقض على
أثر الشيطان بالليل : شهاب . (٤)

الشهب فى نصوص الوحى :

وردت مادة الشهب فى القرآن الكريم بصيغة المفرد والجمع فى خمس

-
- (١) مقاييس اللغة ٢٢٥/٣
 - (٢) فقه اللغة وسر العربية للشعابى ص ٧٠ ، ٧٦ - دارالكتب العلمية
بيروت .
 - (٣) بصائر ذوى التمييز ٣٤٩/٣
 - (٤) لسان العرب ٥٠٩/١

مواضع من كتاب الله مرة منها بمعنى شعلة النار أو العود الذى فيه نار وذلك قوله تعالى : ﴿ اذ قال موسى لأهله انى انست نارا سأتيكم منها بخبراً وآتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ﴾ (النمل : ٧) .

أما المواضع الأخرى فقد وردت بمعنى الشهب التى يرمى بها الشياطين . كما وردت مادة الشهب بصفة من صفاتها والمصدر الذى تأتى منه وذلك بلفظ الرجم قال تعالى : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ﴾ (الملك : ٥) .

ووردت مادة الشهب فى السنه المطهرة بمعانى متعددة منها

١ - الشهب بمعنى البياض الذى يخالطه سواد وذلك فى الحديث الذى ورد فى صفة يأجوج ومأجوج فقال عليه السلام فى صفتهم (عراض الوجوه صفار العيون شهب الشعاب من كل حذب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة) (١) وشهب الشعاف يعنى ان شعور رؤوسهم بياضا يخالطها السواد .

٢ - الشهاب بمعنى شعلة النار فقد ذكر الامام مسلم فى صحيحه عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول (أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنه الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قــــــسمناك سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال : ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار يجعله فى وجهي فقلت اعوذ بالله منك ثلاث مرات) الحديث (٢)

(١) مسند الامام احمد ٢٧١/٥
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب المساجد - باب جواز لعن الشيطان فى الصلاة ٣٠/٥
صحيح مسلم ٣٨٥/١ حديث رقم ٤٠

٣ - الشهب التي يرمى بها الشياطين فقد اورد البخارى والترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه فى حديث مسترقى السمع فقال : (فريما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل ان يدركه ..) (١)

الشهب فى علم الفلك :

هى اجسام متفاوتة الحجم بعضها يزيد كثيرا عن حجم رأس الدبوس والبعض الآخر ذو أحجام مروعة تتكون من الصخر والحديد والنيكل .

تهيم بين الكواكب وتتساقط لشوارد منها شظايا كونية لتلقى حتفها عليها تاركة آثار تصادمها حفرا وفجوات زال معظمه عن سطح الأرض مستجيبا لتأثير عوامل التعرية وأن كان لايزال باقيا فى وضوح على غيرها من الكواكب والتوابع . (٢)

وهى تدخل الغلاف الجوى للأرض بسرعة كبيرة فتحترق بسبب الاحتكاك الشديد وتبدو خطا لامعا يومضى لحظه ويبقى أثره بضع ثوان . ومتوسط سرعة الشهاب ٤١ كم فى الثانية ويظهر للعين عند احتراقه على ارتفاع يتراوح بين ٩٦ الى ١٤٤ كم .

والقطع الكبيرة قد يشاهد انفجارها الى مايشبه وابلا من الشرر فان كانت سرعتها بطيئة وصلت منها اجزاء الى الأرض وسميت نيازك . (٣) او الرجم

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب التفسير - ٥٣٧/٨ ، صحيح

البخارى ١٥٣/٦ ، سورة سبأ

(٢) الجغرافيا الفلكية ص ١٩٩ بتصرف .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ١٠٩٧/٢ بتصرف .

المبحث الحادى عشر

الشواظ فى اللغة :

الشين والواو والطاء كلمة واحدة صحيحة فالشواظ : شواظ اللهــــــــــــــــب
من النار لادخــــــــان معه . (١) وذكر صاحب اللسان اقوالا فى معنى الشواظ
منها

- الشواظ هو اللمب الذى لادخان فيه .

- الشواظ قطعة من نار ليس فيها نحاس .

- الشواظ لهب النار ولا يكون الا من نار وشئ آخر يخلطه . (٢)

اما صاحب التاج فيقول "ان الشواظ هو دخان النار وحرها ، وحر الشمس
شواظ " . (٣)

الشواظ فى القرآن الكريم واقوال المفسرين فيه :

وردت مادة الشواظ فى القرآن الكريم مرة واحدة وذلك فى معرض تحذير
سبحانه لكل من الجن والانس فى محاولة التفكير فى النفوذ من اقطار
السموات والأرض وأنه حينما يحدث ذلك سيرسل الشواظ قال تعالى : * يامعشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا
لاتنفذون الا بسلطان . فبأىء الأريكما تكذبان . يرسل عليكم شواظ من
نار ونحاس فلا تنتصران فبأىء الأريكما تكذبان * (الرحمن : ٣٣)
ولقد ذهب آراء المفسرين شتى فى تفسير المقصود بالشواظ وقال البغوى

(١) مقاييس اللغة ٢٢٨/٣ وبصائر ذوى التمييز ٣٦٢/٣

(٢) لسان العرب ٤٤٦/٧

(٣) تاج العروس ٢٥٣/٥

فى تفسيره ان أكثر المفسرين ذهبوا الى ان الشواظ هو اللهب الذى لا دخان فيه . (١) ولكن هناك اقوال أخرى للمفسرين فى تفسير الشواظ نذكر منها .

ما أورده الطبرى وابى السعود والقرطبى بأن الشواظ

- لهب النار
- لهب النار المختلط بالدخان
- اللهب الأخضر المتقطع
- الدخان الخارج من اللهب
- هو النار والدخان جميعا
- الشواظ اللهب الذى لا دخان له والنحاس هو الدخان الذى لا لهب فيه
- الشواظ هو الدخان الذى يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب . (٢)
- إذاً مجمل الاقوال تذهب الى ان الشواظ هو اللهب الذى لا دخان فيه .
- ويذكر البغوى ان قراءة " يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس " فيها وجهان هما :

١ - العطف بالجر اى يعطف النحاس على النار وهذه قراءة ضعيفة ويكون

المقصود ان النحاس هو الدخان

٢ - العطف بالرفع اى يعطف النحاس على الشواظ فيكون المقصود يرسل

عليكما شواظ ويرسل نحاس ويجوز ان يرسل معنا من غير ان يمتزج

احدهما بالآخر . (٣)

(١) تفسير البغوى ٢٧٧/٥

(٢) تفسير الطبرى ١٣/١٣٩ ، تفسير القرطبى ١٧/٦٧١ ، تفسير ابو السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ٥/٣٤٨ تحقيق عبدالقادر أحمد عطا طبعة ١٤٠١ هـ - دار الفكر - بيروت .

(٣) تفسير البغوى ٢٧٧/٥

الشواظ فى علم الفلك :

لم يرد اصطلاح الشواظ فى الفلك يوضح المقصود منه ولكن ثمة قولان لعالمين مسلمين من أهل التخصص نذكرها على وجه الاستثناس بها وهما :

الرأى الأول : ذكر صاحب كتاب الكون والاعجاز العلمى أن

من المعروف فيزيائيا ان قذف النحاس ببروتونات سريعة ينتج مايسمى بالبروتون المضاد (اى المادة المضادة) فى المعامل النووية .
وحيث ان البروتونات السريعة والنحاس متوفرة فى الأشعة الكونية فـان احتمال تولد البروتون المضاد فى الفضاء الكونى قائم ومعنى هذا أن رائد الفضاء وسقينته معرضان للزوال وهذه قاعدة معروفة فى علم الفيزياء .
إذا يعتقد ان عبارة " شواظ من نار ونحاس " تشير الى تولد المادة المضادة فى الفضاء وهذه بدورها تقوم بافناء أى مادة (المركبة أو رائد الفضاء) تعترض طريقهما . (١)

الرأى الثانى :

وهو مقدم من المهندس الكيمياى محمد عبدالقادر الفقى الذى قام ببحث فى مجال علوم الأرض وقدم هذا البحث فى مؤتمر اسلام آباد الاول للاعجاز العلمى فى القرآن والسنة الذى اقيم ١٨ - ٢٦ اكتوبر عام ١٩٨٧ عندما تكلم عن عنصر النحاس وتعرض للآلية .
فقد قام بشرح عن بعض المقذوفات للذخيرة الحية وبالذات مقذوفات الحشوة الجوفاء المسماة " الذخيرة المضادة للمدركات " حيث لها

(١) الكون والاعجاز العلمى د. منصور محمد حسب النبى ص ٢٣٠ - شركة دار الصفا للطباعة - ١٩ شارع المنفلوطى - السيدة زينب بتصرف

القدرة على اختراق الدروع عند انفجارها حيث يمكن للهب الناتج من تفجيرها أن يخترق درعا من الحديد يصل سمكه الى ثلاثين سينمتر وهى قدرة عالية اذا قارناها بسمك الدبابات الحديثه .

ففى مقذوف لحشوة الجوفاء توضع المادة المحطمة داخل المقذوف على شكل مخروط مجوف وتحيط بالمخروط من جميع الجوانب المادة المحطمة تغلف هذه المادة بغطاء من النحاس مما يؤدي الى تجميع الموجات الانفجارية فى نقطة واحدة . وحيث ان درجة انصهار النحاس المبطن للمادة المحطمة تقارب درجة الحرارة الناتجة من التفجير فان جزيئات النحاس تنصهر وتندفع مع اللهب على شكل لسان طرفه مركز فى نقطه واحدة . ولكى تتخيل مقدار هذا الشواظ يكفى ان تعرف ان كثافه لسان اللهب الناتج من جزيئات النحاس المنصهرة هو ١٠ جرام لكل سنتيمتر مكعب وسرعته تتراوح بين ١٠ - ١٢ كيلو فى الثانية .

فالشواظ اذا هو لسان اللهب المتكون من النار والنحاس وهو اذا وقع لايمكن لجنى او انسى أن يمنع وقوعه . وقد يكون سبب حدوثه انفجار مادة محطمة من المواد التى عرفناها وقد لانكون على دراية بهـا وعلمها عند الله . والنحاس الذى يحتوية الشواظ قد يكون ناتجا عن المادة المبطنه للمادة المحطمة التى تكون داخل مقذوف سمـاوى من مصدر مجهول للجن والانس .

المبحث الثانى عشر

الانواء فى اللغة :

" يقال نوت بالحمل اذا نهضت مثقلا وناء فى الحمل اذا أثقلت وغلبك .
وقالوا ناء بزيد الحمل اذا ناء زيد الحمل وقال تعالى : ﴿ ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة ﴾ والعصبة تنوء بهما (١)
وناء بحمله ينوء نوءا وتنوء : نهض بجهد ومشقة . وقيل أثقل فسقط
فهو من الاضداد .

والنوء النجم اذا مال للمغيب والجمع انواء ، وقيل معنى النوء سقوط
نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقيبته .
وقال بعضهم : " وانما سمى نوءا لأنه اذا سقط الغارب ناء الطالع وذلك
هو النوء وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الاضداد " . (٢)
ونجوم المنازل هذه أكثرها يقولون لها الانواء وانما يكون نوءا حين
يكون النجم ساقطا فى الأفق من المغرب من طلوع الفجر . (٣)

النوء والانواء فى نصوص الوحى :

لم ترد كلمة الانواء فى القرآن بهذا اللفظ وبمعنى أحد نجوم المنازل
وانما وردت بصيغة الفعل المقصود به القيام متشاغلا من حمل الشئ أو بمعنى
أثقل فغلب وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ان قارون كان من قوم موسى فبغى
عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال
له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين ﴾ (القصص : ٧٦) .

(١) ثلاث كتب فى الاضداد للامعنى، والسجستانى وابن السكيت ص ٤٨، ١٢٩، ١٥٢، ٢٠١،

٢٤٥ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) لسان العرب ١/ ١٧٤ - ١٧٧ بتصرف .

(٣) الازمنة وتلبية الجاهلية ص ٢٤

أما في السنة المطهرة فقد وردت كلمة الانواء بمعنى النجوم المنازل وذلك في معرض النهي عن الاعتقاد في النجوم وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) . (١)

وفي هذا المجال الأحاديث كثيرة التي تذكر الاستقاء بالانواء .

ماهي الانواء :

الانواء ثمانية وعشرون نجما معروفة الطوالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف ، يسقط منها في كل ثلاثة عشر ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته وكلاهما معلوم مسمى وانقضاء هذه الثمانية وعشرين كلها مع انقضاء السنة ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استثنائه السنة المقابلة وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا : لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم فيقولون مطرنا بنوء الثريا والدبران والسمك . (٢)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٥٩/٢ كتاب الإيمان ، صحيح مسلم ٨٣/١ حديث رقم ١٢٥ .

(٢) لسان العرب ١٧٦/١ ، جامع الأصول ٥٧٧/١١ - بتصرف .

الباب الثاني

خلق السموات والأرض وما بينهما . ويشتمل على

الفصول التالية :

الفصل الأول : خلق السموات والأرض بالحق وفتقهما

الفصل الثاني: بناء السماء ودحان الأرض

الفصل الثالث : الزمن وخلق السموات والأرض

الفصل الرابع : إعداد الأرض للحياة

الفصل الخامس : الفضاء الكوني .

التمم الاول

خلق السموات والأرض بالحق وفتقهما

ويشتمل على المباحث :

أولا : خلق السموات والأرض بالحق

ثانيا : فتق السموات والأرض

المبحث الأول

خلق السموات والأرض بالحق :

تمهيد :

ان الناظر في كتاب الله العزيز يلاحظ انه سبحانه وتعالى قد ذكر
في عدة آيات انه خلق السموات والأرض بالحق وأنه لم يخلقها باطلاً .
وذلك في ثلاثة عشر موضعاً من هذه المواضع قوله تعالى: ﴿الم نشر أن الله
خلق السموات والأرض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك
على الله بعزير ﴾ (ابراهيم : ١٩ - ٢٠) .

وقوله تعالى : ﴿ ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار
آيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقلنا
عذاب النار ﴾ (آل عمران : ١٩٠ - ١٩١) .

وقد ذكر سبحانه اثبات الحق في خلق السموات والأرض في أحد عشر
موضعاً ونفى الباطل في موضعين . مما يدلنا على عظمة هذا الخلق .
ولكى نفهم المقصود من الآيات في ذلك المجال لابد من الرجوع إلى
أهل اللغة والتفسير لمعنى مادتي الحق والباطل .

مادة الحق والباطل في اللغة :

يذكر ابن فارس ان مادة الحق أصل واحد يدل على احكام الشيء
وصحته . فالحق نقيض الباطل ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج
وحسن التلقيق . (١)

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١٥/٢

وأصل الحق المطابقة والموافقته كمطابقة رجل الباب في حقه لدورانـــــــــــــــــه
على الاستقامة . (١)

أما الباطل نقيض الحق وهو ما لا ثبات له عند الفحص عنه . (٢) وهو
ذهاب الشيء وقلة مكثه ولبثه . (٣)

أذن يظهر من هذه الأقوال ان الحق فيه مطابقة وموافقة مع الدلالة
على الاحكام في الشيء وصحته ونقيضه الباطل الذي ليس فيه دلالة على
الاحكام وانما عند فحصه فهو لاثبات لـــــــــــــــــه .

ويذكر الراغب في المفردات والفيروز آبادي في البصائر ان الحق
يقال على أربعة أوجه هي . (٤)

١ - يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة ولذلك قيل في الله تعالى
هو الحق .

٢ - يقال للموجود حسب ما تقتضيه الحكمة ولذلك يقال فعل الله تعالى
كله حق .

٣ - الاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء نفسه .

٤ - الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب ، وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي
يجب .

مادة الحق والباطل في القرآن الكريم :

ذكر أصحاب الأوجه والنظائر ان مادة الحق وردت في القرآن على عدة
أوجه من هذه الأوجه . (٥)

-
- (١) المفردات للراغب الاصفهاني ص ١٢٥
 - (٢) لسان العرب لابن منظور ٥٦/١١ وتاج العروس للزبيدي ٢٣٩/٧
 - (٣) مقاييس اللغة ٢٥٨/١
 - (٤) المفردات في غريب القرآن ص ١٢٥ وبصائر ذوي التمييز ٤٨٤/٢
 - (٥) اصلاح الوجوه والنظائر الدامغانى ص ١٣٩ ، نزهة الاعين النواظر
لابن الجوزي ص ٢٦٥ .

- ١ - الحق اسم من اسماء الله سبحانه قال تعالى : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ٠٠٠٠ ﴾ (المؤمنون : ٧١)
- ٢ - الحق بمعنى القرآن قال تعالى : ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيتهم أنباء ما كانوا به يستهزمون ﴾ (الانعام : ٥) .
- ٣ - الحق بمعنى الاسلام قال تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ﴾ (الاسراء : ٨١) .
- ٤ - الحق بمعنى العدل قال تعالى : ﴿ قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ (الانبياء : ١١٢) .
- ٥ - الحق بمعنى التوحيد قال تعالى : ﴿ ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فاعلموا أن الحق لله وذل عنهم ماكانوا يفتـرون ﴾ (القصص : ٧٥) .
- ٦ - الحق بمعنى الصدق قال تعالى : ﴿ ويستنبئونك أحق هو قل اي وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين ﴾ (يونس : ٥٣) .
- ٧ - الحق بمعنى المال قال تعالى : ﴿ فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فيممل وليه بالعدل ٠٠٠٠٠٠ ﴾ (البقرة : ٢٨٢) .
- ٨ - الحق ضد الباطل قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتيهِ فأصفح الصفح الجميل ﴾ (الحجر : ٨٥) .
- ٩ - الحق بمعنى الوجوب قال تعالى : ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس أنهم كانوا خاسرين ﴾ (الاحقاف : ١٨) .

- ١٠ - الحق بمعنى الحاجه قال تعالى حكاية عن قوم لوط ﴿ قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد ﴾ (هود : ٧٩)
- ١١ - الحق بمعنى الحظ قال تعالى : ﴿ والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ (المعارج : ٢٤) .
- ١٢ - الحق بمعنى البيان قال تعالى : ﴿ وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظه وذكرى للمؤمنين ﴾ (هود : ١٢٠) .

اما الباطل فقد ورد فى القرآن الكريم على أربعة أوجه كما ذكر أصحاب الوجوه والنظائر . (١) وهى

- ١ - الباطل بمعنى الكذب قال تعالى : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (فصلت : ٤٢) . اى لاتكذبه الكتب التى قبله وليس بعده كتاب فيكذبه .
- ٢ - الباطل بمعنى الاحباط قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالأذى ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ﴾ (البقرة : ٢٦٤) .
- ٣ - الباطل بمعنى الظلم قال تعالى : ﴿ ولاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ﴾ (البقرة : ١٨٨) .
- ٤ - الباطل بمعنى الشرك قال تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل

(١) اصلاح الوجوه النظائر للدامغانى ص ٧٢، نهضة الاعين ، النواظر لابن الجوزى ص ١٩٥ .

ان الباطل كان زهوقا ﴿ (الاسراء : ٨١) وقال تعالى : ﴿ والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من
الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴿ (النحل : ٧٢)
المعاني المستخلصة من الآيات الواردة فى خلق السموات والأرض بالحق :

بعد ان أستعرضنا معنى الحق والباطل فى اللغة وما هى الواجه التى
وردت بها فى القرآن الكريم نود ان نوضح مايستفاد من الايات التى
وردت فى هذا المجال وهذه الفوائد هى :

اولا :

خلق السموات والأرض وما يحدث فيهما من ظواهر كاختلاف الليل والنهار
آيات داله على حكمة خالقها لمن نور الله بصيرته واستخدم لــــه
للتفكر فيها وجعل ذكر الله على فكرة قائما قاعدا بأن هذا الكون
لم يخلق باطلا وأنما خلق لحكمه .

ثانيا :

من خلق السموات والأرض بقانون الحق قوله الحق حينما يقول كــــن
فيكون وان هذا الخالق هو من له العلم المطلق بالغيب والشهادة .

ثالثا :

الدعوة الى الرؤية بعين البصيرة لخلق السموات والأرض التى خلقت
بقانون الحق والاستدال بها على المبدىء والمعيد وان ذلك لــــى
عليه بعزیز .

رابعا :

ان خلق السموات والأرض بالحق يضم ايضا ما بين السموات والأرض بحيث
يشمل هذا القانون نهاية السموات والأرض وما بينهما هذه النهاية
هى يوم الساعة .

خامسا :

ان من خلق السموات والأرض بقانون الحق يتعالى سبحانه عن اتخاذ
الشركاء وهذا الخلق هو آية لمن آمن وصدق بوجود الحكمة التي
ابدها سبحانه في خلقه ودلالة على أنه المعبود بحق .

سادسا :

تكرار الدعوة الى التفكير في القانون العام الذي خلقت به السموات
والأرض وهو الحق مع التذكير بوجود نهاية للكون عندما يحين الأجل
المحتوم الذي يدعو الى الايمان بوجود الاله وان لقائه حق لامرئيه
فيه .

سابعا :

الرد على من اعتقد ان السموات والأرض وما بينهما خلقت باطلا
وعبثا " كالطبيين وغيرهم " وان الاعتقاد بذلك يؤدي الى الكفر
ثم الى النار .

ثامنا :

العبث واللعب محال على الله الحق سبحانه التي كل أفعاله حق
وذلك ما يظهر في خلق السموات والأرض وما بينهما وهذه حقيقة يغفل
عنها كثير من الناس لعدم علمهم بقدره خالقهم .

تاسعا :

من نعم الله سبحانه على بني آدم أن أحسن صورهم وهذه فضيلة
منحها الله لابني آدم مما يستدعي منهم الخضوع له والانقياد وأنه
لا مناص من الرجوع اليه سبحانه الذي خلق السموات والأرض بقانون
الحق .

معنى خلق السموات والأرض بالحق عند المفسرين :

اماما قاله المفسرون فى المقصود بالحق فى الايات السابقة فهو كالتالى

١ - بالحق اى بالعدل لاعلى وجه العيب واللعب وأنها لم تخلق ســــدى

وباطلا بل لحكمه وهذا ما ذهب اليه ابن كثير فى تفسيره فى اكثر

من موضع . (١)

٢ - بالحق اى بالحكم اللطيف والغايات الصحيحة والاعراض المطابقة

أو مستتعة للفوائد والحكم الداله على وجود الصانع وان افعاله

لايوجد فيها عيب أو خلل أو سهو وهذا ما ذكره النيسابورى فى تفسيره

فى أكثر من موضع . (٢)

٣ - ذكر الطبرى فى تفسيره ان الاقوال فى المقصود بالحق فى هذه الآيات

على أوجه هى :

أ - قال قوم "خلق السموات والأرض حقا وصوابا لاباطلا وخطأ فالحق

يقصد به الصواب فيه لا أن الحق معنى غير القول وانما هو صفه

للقول اذا كان بها القول".

ب - وقال آخرون "خلق السموات والأرض بكلامه فالحق يقصد به كلامه

سيحانه واستشهدوا بقوله تعالى : ﴿ ويوم يقول كن فيكون

قوله الحق ﴾ (٣) وقد ذهب الطبرى الى ان المقصود بالحق

اى بالعدل والانصاف لا بالظلم والجور . (٤)

٤ - وقد ذهب القرطبى فى بعض مواضع من تفسيره الى ان المقصود

بالحق هو . (٥)

(١) تفسير ابن كثير ١٤٥/٢

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٣٤/٧

(٣) جامع البيان للطبرى ٢٣٩/٧

(٤) المرجع السابق ٥٠/١٤

(٥) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٣٥٤/٩ ، ٥٤/١٠ - ٦٨

- أ - للاستدال على قدرته .
- ب - للزوال والفناء .
- ج - لمجازه المحسن والمسيء .
- هـ - المقصود بالحق فى الآيات أى الامر الثابت المتحقق وهو آياته القائمة بالسنن المطردة المشتملة على الحكمة البالغة الدالـه على وجوده وصفاته الكامله . (١)
- ولوا استعراضنا كتب التفسير الاخرى نجد انها لاتخرج عن هذه المعانى الواردة .
- ويقول سيد قطب فى ظلاله فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما الا بالحق ٠٠ ﴾
- " انه يوحى بأن الحق عميق فى تصميم هذا الوجود عميق فى تكوينه عميق فى تدبيره عميق فى مصير هذا الوجود وما فيه ومن فيه .
- فهو لم يخلق عبثا ولم يكن جزافا ولم يتلبس بتصميمه الأميل خـداع ولازيف ولا باطل . والباطل طارىء عليه ليس عنصرا من عناصر تصميمه فقوامه العناصر التى يتألف منها حق . والنواميس التى تحكم هذه العناصر وتؤلف بينها حق لايتزعزع ولايضطرب ولا يتبدل ولايتلبس به هوى أو خلل أو اختلاف .
- فالحق قوام خلفهما ، والحق قوام تدابيرهما ، والحق عنصر أميـل فى تصريفهما وتصريف من فيها وما فيها " (٢)

(١) تفسير المنار - لمحمد رشيد رضا ٥٣٠/٧ - الطبعة الثانية - دار المعرفة - بيروت .

(٢) ظلال القرآن لسيد قطب - ٢١٥٣/٤ - ٢١٦٠ - الطبعة العاشرة ١٤٠٢ هـ - دار الشروق .

معنى الحق فى خلق السموات والأرض من خلال نتائج العلم الحديث :

أما بالنسبة للعلم الحديث وما يقال عن القوانين التى تحكم هذا الكون فهناك الاشياء الكثيرة وقبل ان نسترسل فى ذكر بعض القوانين نود أن نعود الى التعريف اللغوى لمعنى الحق والباطل . فالحق ما كان فيه مطابقة وموافقه مع الدالة على الاحكام فى الشئ وصحته والباطل الذى ليس له ثبات عند فحصه .

وهذا التعريف نلخصه واضحا جليا فى القوانين التى تحكم الكون مما يدل على حكمة خالقها فعلى سبيل المثال .

١ - " فى الأرض نجد قانون التوازن الكونى يتمثل فى كل شئ مثل حجم الأرض بالنسبة للكون فى توازن مذهل .. ولو كان حجمها أكبر من ذلك لتضاعف جاذبيتها الحالية الأمر الذى كان يؤدي الى انكماش غلافها الجوى من الف كيلو متر ارتفاعا الى ما دون ذلك .. وهذا يجعل كل بوصة مربعة من سطح الأرض تتحمل من الضغط ما هو فوق طاقتها .. فهى الآن - كل بوصة مربعة من سطح الأرض - تتحمل ما وزنه خمسة عشر رطلا من الضغط الجوى .. ولكن انكماش الغلاف الجوى الى النصف اى الى خمسمائة كيلو متر ارتفاعا فقط يتضاعف الضغط الجوى فوق البوصة المربعة الى ثلاثين رطلا .. فهل تقوم حياة فى مثل هذه الحالة ؟ .. بالطبع لا .. - والسبب ذلك ان وزن الشئ أصبح ضعف ما كان عليه سابقا وهذا بحد ذاته يشكل عائقا للشئ عن الحركة - ولو كان حجم الأرض ضئيلا فى مثل حجم القمر مثلا فانها لاتستطيع امساك الغلاف الجوى حولها وكذلك بخار الماء وفى مثل تلك الحالة تستحيل الحياة " . (١)

(١) هندسة النظام الكونى فى القرآن - د. عبدالعليم خضر ص ٩٥ - الطبعة الثانية لعام ١٤٠٥ هـ - الناشر تهامة - جدة المملكة العربية السعودية

اليس هذا احكام فى نظام الكون مع صحته ؟ اليس هذا هو الحق ؟

٢ - " لدينا معادلة تقول تأثير قوى التجاذب تساوى تأثير طاقة الحركة ويكون مضادا له . ووفق هذه المعادلة كانت مواقع النجوم والاجرام السماوية الاخرى موضوعة فى الخريطة الكونية على ابعاد ثابتة بين بعضها وبعض بصورة تضمن عدم السقوط والتصادم والاضطراب فى الافلاك ولو كان أحد طرفى المعادلة على شكل غير هذا لسقطت الاجرام وتناثرت فى الفضاء .. وهذا يحدث لو زادت قوى التجاذب على طاقة الحركة . أما لو قلت قوى التجاذب عن طاقة الحركة لتباعدت الاجرام السماوية بالانفلات عن افلاكها حول شمسها .. ولسارت على غير هدى حتى تصطدم بمجموعات نجمية وكوكبية أنفلتت هى الأخرى من افلاكها المحددة لها " . (١)

اليس هذا احكام فى نظام الكون ؟ اليس هذا هو الحق ؟

٣ - " ان حركة الأرض حول الشمس منضبطة تمام الانضباط ، بحيث لا يمكن أن يحدث أدنى تغير فى سرعة دورانها حتى بعد مرور قرن من الزمان وهذا القمر الذى يتبع فى حركته الأرض يدور فى فلك مقرر منضبط مع تفاوت يسير جدا ، يتكرر بعد كل ثمانية عشر عاما ونصف عام بدقة فائقة ، وتلك هى حال جميع الاجرام السماوية . ويرى علماء الفلك أن مجرات النجوم يتداخل بعضها فى بعض ، فتدخل مجرة تشتمل على بلايين من السيارات المتحركة فى مجرة أخرى مثلها - وتتحرك سياراتها هى الأخرى - ثم تخرج منها بسياراتها جميعا

(١) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها فى القرآن - د. سليمان عمرقوش ص ١٢٥ بتصرف - الطبعة الاولى لعام ١٤٠٧ هـ - دار الحرمين للنشر الدوحة - قطر .

دون أن يحدث أى تصادم بين سيارات المجرتين " . (١)

اليس هذا احكام فى نظام الكون ؟ اليس هذا هو الحق ؟
ان فى الكون سنن رياضية محكمة تدل على أن الفاعل لذلك لا يـكـون
الا حقا وان فعله حق ليس بالباطل لانه لو كان كذلك لوجد فيه المتخصصون
الذين آتاهم الله من العلم ما يجعلهم يشكون فى عظمه هذا الكـون
لكنهم باكتشافتهم التى منحها الله لهم تحقيقا لقوله تعالى :
﴿ سـرـيـهـم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق
أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣) يجدون
ما يجعلهم يقرون بعظمة الخالق وأن وراء هذا الكون مدبر حكيم
فعله حق .

يقول عالم الرياضيات والفيزياء - إيرل تشترريكن - " ان دراسة
الظواهر الكونية بعيدة عن التحيز وتنسم بالعدل والانصاف قد أقنعتنى
بأن لهذا الكون الها ، وأنه هو الذى يسيطر عليه ويوجهه ، أى ان
هناك سيطرة مركزية هى سيطرة الله تعالى وقوته التى توجه هـذا
الـكـون " . (٢)

-
- (١) الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان ص ٥٣ - ترجمة ظفر الاسلام خان ومراجعة
وتقديم د. عبدالصبور شاهين - الطبعة السادسة لعام ١٩٧٦ م . دار
المختار الاسلامى للنشر بالقاهرة .
- (٢) الله يتجلى فى عصر العلم - نخبه من العلماء الامريكيين - ترجمة
د. الدمرداش عبدالمجيد سرحان ص ١١٥ - دار القلم - بيروت لبنان .

المبحث الثاني

فتق السموات والأرض :

يخبرنا سبحانه وتعالى ان السموات والأرض في بداية خلقهما كانتا رتقا ففتقهما سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ او لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ (الانبياء : ٣٠) .

وهنا ترد بعض الاستفسارات وهي

ما المراد بالرؤية في الآية وما المقصود منها ؟
هل المقصود بالسموات معناها اللغوي ماعلاك فأظلك المقابله لجرم الأرض أم السموات السبع بذاتها ؟ وهل المراد بالرتق والفتق لكل من السموات والأرض كلا على حدة أم أنه رتق وفتق لهما عن بعضهما ؟ . وما هو معنى الرتق والفتق ؟ وهل هناك فرق بين الفتق والفصل اما انهما بمعنى واحد ؟

الرؤية في الآية عند المفسرين :

أ - رؤية بصرية وهذه ممتنعه لأن خلق الانسان أتى بعد خلق السموات والأرض فلم يتسنى له الرؤية البصرية ولقوله تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضليين عضدا ﴾ (الكهف : ٥١) وهذا مذهب اليه الرازي فـ
تفسيره . (١)

(١) تفسير الرازي ١٦٢/٢٢

ب- رؤية علميه بمعنى او لم يعلموا وهذا مذهب اليه المفسرون وعبر
بعضهم عنها بالرؤية القلبيه كما فى تفسير الطبرى والالوسى
وابو السعود واستدل الرازى لذلك بثلاث ادلة منها " أن اليهود
والنصارى كانوا عالمين بذلك فانه جاء فى التوراة ان الله تعالى
خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ، ثم خلق السموات
والأرض وفتق بينها ، وكان بين عبدة الأوثان وبين اليهود نوع صداقه
بسبب الاشتراك فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فأحتج الله عليهم
بهذه الحجة بناء على أنهم يقبلون اقوال اليهود فى ذلك " . (١)

أما المقصود بالرؤية هو

١ - تجهيل الكفار بتقصيرهم فى التدبر فى الآيات الكونية الدالة على
تفرد سبانه بالربوبية وكون جميع ماسواه مقهور تحت ملكوته
وهذا مذهب اليه ابو السعود والالوسى الا ان عبارة أبو السعود
تقول " .. الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية .. " . (٢)

٢ - دعوة الى التأمل فى هذا الكون الذى يعتبر كتاب الله المفتوح
والناطق بكل ما فيه ان خالقة واحد أحد مدبر حكيم يفتقر اليه
كل المخلوقات ولا يفتقر الى أحد .

وبعد أن عرفنا المراد بالرؤية فما هو المقصود برتق وفتق السموات
والأرض وهل ذلك الرتق والفتق لهما عن بعضهما أما كلا على حدة ؟

الرتق والفتق فى اللغة :

الرتق ضد الفتق . رتقه يرتقه ويرتقه رتقا فأرتق أى التأم . (٣)

- (١) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
(٢) تفسير ابو السعود - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم
٦٩٨/٣ ، روح المعانى للالوسى ٣٤/١٧
(٣) لسان العرب لابن منظور ١١٤/١٠

والرتق مصدر رتق رتقا اذا لم يكن بينهما فرجـه . (١)
والرتق الضم والالتحام خلقه كان او صنعـه (٢) والرتاق ثوبان يرتقان
بحواشيـهما . (٣)

أما الفتق فهو أصل يدل على فتح فى شىء من فتقت الشىء فتقا . (٤)
وفتقه يفتقه ويفتقه من حدى نصر وضرب فتقا شقه خلاف رتقه رتقا . (٥) والفتق
خلاف الرتق وأصله الشق والفتح . والفتقاء من النساء التى صار مسلكاها
واحد . (٦)

يقال : أفتق السحاب اذا انفرج . وفى صفته صلى الله عليه وسلم
" كان فى خاصرته انفتاق " أى اتساع . (٧) والفتق هو الفصل بيـن
المتصلين وهو ضد الرتق . (٨)

ويظهر من الاقوال ان الرتق هو عبارة عن الالتئام والالتحام والضم
بين شيئين ، مثل الثوبين اللذين التحمنا بحواشيـهما والفتق عكسـه
لكن ذهب معظم اقوالهم الى ان اصل الفتق هو الشق والفتح وأنه فصل
بين المتصلين ، لكن صاحب الفروق اللغوية يقول " ان الفتق بين الشيئين
الذين كانا ملتصمين أحدهما متصل بالآخر فاذا فرق بينهما فقد فتقا
واذا كان الشىء واحدا ففرق بعضه عن بعض قليل قطع وفصل وشق ولم يقل

(١) الفروق اللغوية لابن هلال العسكري ص ١٢٥ تحقيق حسام الدين القدسي
عام ١٤٠١ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) المفردات للأصفهاني ص ١٧٨

(٣) مجمل اللغة لابن فارس ٤١٨/١ تحقيق زهير عبدالمحسن - الطبعة الاولى
لعام ١٤٠٤ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٧١/٤

(٥) تاج العروس للزبيدي ٤٠/٧

(٦) لسان العرب لابن المنظور ٢٩٦/١٠

(٧) النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ٤٠٨/٣

(٨) المفردات للأصفهاني ص ٣٧١

فتفق . (١)

إذاً يمكن ان نستنتج من مجمل الاقوال ان الرتق هو الالتئام بين شيئين بحيث لا يكون بينهما فرجه فاذا فرق بينهما بحيث اصبحت هناك فرجه ثم وسعت هذه الفرجه اكثر فيكون هذا هو الفتق .

الرتق والفتق عند المفسرين :

اختلفت اقوال المفسرين في رتق وفتق السموات والأرض كل حسبما أتضح له من معنى الآية وكلام العرب مع مراعاة المقصود بمعنى السموات الذى ذهب بعضهم الى ان المقصود به السموات السبع بذاتها والبعض الآخر ذهب الى أن المقصود بمعنى السموات ماعلاك فأظلك . وهذه الاقوال كما بسطت في كتب التفسير هي :

١ - ان السموات والأرض كانتا ملتزقتين ففتقهما الله وفي روايه كانتا ملتصقتين فرفع السماء ووضع الأرض وهذا ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما . (٢) ونقل عن سعيد بن جبير قال كانت السموات والأرضون ملتزقتين فلما رفع السماء وابتزها من الأرض فكان فتقها الذى ذكره الله وذكر ابن كثير في نقله عن ابن جبير كانت السماء والأرض ملتزقتين فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض كان ذلك فتقهما الذى ذكر الله في كتابه . (٣)

٢ - ان السموات والأرض كانتا جميعاً ففصل الله بينهما بهذا الهواء وهذا ما نقل عن الحسن وقتادة . (٤)

(١) الفروق اللغوية لابی هلال العسكري ص ١٢٥

(٢) جامع البيان للطبرى ١٨/١٧

(٣) الدر المنثور للسيوطى ٦٢٦/٥ ، تفسير ابن كثير ١٧٧/٣

(٤) تفسير الطبرى جامع البيان ١٨/١٧ ، وتفسير ابن كثير ١٧٧/٣

٣ - ونقل عن مجاهد وأبي صالح الحنفى (١) كانت الأرض رتقا والسموات رتقا ففتق من السماء سبع سموات ومن الأرض سبع أرضين وزاد مجاهد ولم تكن الأرض والسماء متماستين . وكما نقل القرطبي عن بعضهم قال: " كانت السماء مخلوقه وحدها والأرض مخلوقه وحدها ففتق من هذه سبع سموات وفتق من هذه سبع أرضين " . (٢)

٤ - نقل عن ابن عباس وغيره قال " كانت السموات رتقا لاتمطر وكانت الأرض رتقا لاتنبت فلما خلق للأرض أهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات " وهذا ماذهب اليه ابن عمر رضى الله عنهما كما نقل ابن كثير فى تفسيره .

وقد رجح ابن جرير الطبرى هذا الوجه فى تفسيره واستدل لذلك بقوله تعالى " وجعلنا من الماء كل شيء حى " وقال " لم يعقب جل ثناؤه ذلك بوصف الماء بهذه الصفة الا والذى تقدمه من ذكر اسبابه " . وقد اجاب على المعترض الذى يرى ان الغيث انما ينزل من السماء الدنيا ؟ بقوله ان ذلك مختلف فيه ولو كان ذلك أيضا اى أنه ينزل من السماء الدنيا لم يكن فى قوله (أن السموات والأرض) دليل على خلاف ماقلنا لأنه لايمنع أن يقال السموات والمراد منها واحدة فتجمع لأن كل قطعة منها سماء . (٣)

(١) أبو صالح الحنفى هو عبدالرحمن بن قيس الكوفى ثقة من الطبقة الثالثة تهذيب التهذيب ٢٥٦/٦ ، تقريب التهذيب ٤٩٥/١ .

(٢) كتاب العظمة لأبى الشيخ الاصفهانى ١٠٢٥/٣ تحقيق رضاء الله المياكفورى الطبعة الاولى لعام ١٤٠٨ هـ - دار العاصمة الرياض ، جامع البيان للطبرى ١٨/١٧ ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢٨٣/١١

(٣) جامع البيان للطبرى ١٩/١٧

والى هذا ذهب اكثر المفسرين وقال القرطبي : "وبه يقع الاعتبار مشاهـدة ومعـايـنه ولذلك أخبر بذلك فى غير ما آيه ليدل على كمال قدرته ، وعلى البعث والجزاء". (١)

وتفسير الرتق والفتق بهذا الوجه يدل على أن المراد بالسموات جهة العلو أو السماء الدنيا والجمع بأعتبار الآفاق أو السموات جميعا على أن لها مدخلا فى الامطار وقد ذكر ذلك أبو السعود واللؤلؤسى فى تفسيرهما. (٢) وقال الرازى "ان تفسير الرتق والفتق للسموات والأرض بهذا الوجه لا يليق الا وللماء تعلق بما تقدم". (٣)

٥ - أن الليل سابق النهار وقد كانت السموات والأرض مظلمة أولا ففتقهما الله تعالى باظهار النهار المبصر ونقل ذلك عن ابن عباس حنيما سئل عن الليل كان قبل أم النهار ؟

قال الليل ثم قرأ " او لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما " فهل تعلمون كان بينهما الا ظلمه ". (٤)

٦ - قول ابن مسلم الأصفهاني يجوز أن يراد بالفتق الایجاد والاظهار كقوله تعالى : ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ فأخبر عن الایجاد بلفظ الفتق وعن الحال قبل الایجاد بلفظ الرتق . (٥)

ولقد حقق الرازى فى تفسيره هذا القول أن العدم نفى محض فليس فيه ذوات مميزة وأعيان متباينه بل كأنه أمر واحد متماثل متشابه فاذا وجدت

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢٨٤/١١

(٢) تفسير أبو السعود - ارشاد العقل السليم ٦٩٨/٣ ، روح المعاني للؤلؤسى ٣٦/١٧

(٣) تفسير الرازى ١٦٣/٢٢

(٤) تفسير ابن كثير ١٧٧/٣ ، والدر المنثور للسيوطى ٦٢٥/٥

(٥) تفسير الرازى ١٦٣/٢٢ ، روح المعاني للؤلؤسى ٣٤/١٧

الحقائق فعند الوجود والتكوين يتميز بعضها عن بعض وينفصل بعضها عن بعض ، فبهذا الطريق حسن جعل الرتق مجازا عن العدم والفتق عمن الوجود .

كما ذكر الرازي ان ارجح الاقوال الاليق بالظاهر على حسب تعبيره هو أن الظاهر يقتضي ان السماء على ما هي عليه والأرض على ما هي عليه كانتا رتقا ولايجوز كونهما كذلك الا وهما موجودات والرتق ضد الفتق فاذا كان الفتق هو المفارقة فالرتق يجب ان يكون هو الملازمة وعلى هذا صار الوجهان وهما :

- ١ - ان الفتق هو الایجاد والاظهار وان الرتق الحال قبل الایجاد .
- ٢ - وان الفتق هو اظهار النهار المبصر حيث الليل سابق عليه .

مرجوحين وتصبح الاقوال الاخرى راجحه حسب الترتيب التالي

أولا : ان السموات والأرض كانتا ملتزقتين ففتقهما الله تعالى .
ثانيا : ان كل واحدة منهما كانت رتقا ففتقهما الله بأن جعل كل واحدة منهما سبعا .

ثالثا : ان السموات كانت رتقا لا تمطر والأرض رتقا لاتنبت ففتق الاولى بالمطر والثانية بالنبات .

وقد ذهب ابن كثير في تفسيره الى ان الرتق والفتق للسموات والأرض هو اتصالهما بعضا ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الامر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والأرض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء فأمرت السماء وانبتت الأرض . (١)

(١) تفسير ابن كثير ١٧٦/٢

الرتق والفتق من خلال نتائج العلم الحديث :

اما بالنسبة لاقوال علماء الفلك والجيولوجيا عن نشأة الأرض فانهم لايزالون مختلفين فى ذلك ولكن هناك نظريات الكون . هذه النظريات سنتعرض لها فى فصل لاحق هو العقائد الوثنيه لكن ما يهمنا فى الأمر أن من هـذه النظريات التى تفسر نشأة الكون نظرية تقول : " كان الكون عبارة عن كرة نار مبدئية ساخنة ضخمه ذات كثافة عاليه احتوت كل المادة والطاقة فى الكون ثم انفجرت كرة النار الى غازات سريعة التمدد فأخذت الماده التى تتكون منها هذه الغازات فى التجمع والتكتل بتأثير قوى الجاذبيه أو غيرها وتكوين التجمعات الهائله . ثم ان الحركة الدواميه داخل التجمع الغازى تسبب ما يؤدى الى تكوين الأجسام الصغيره وبهذا تكونت ملايين النجوم . وبهذه الطريقه ولدت الشمس ، وأرضنا هى الكوكب الذى تكون مع النجم الخاص بها وهو الشمس ثم أن الأرض والكواكب الأخرى انفصلت عن الشمس خلال عملية التراكم والتكثف من هذه البقايا السماويه " . (١)

وقد ذهب بعض العلماء المسلمين المعاصرين الى القول بهذا فى تفسير قوله تعالى : ﴿ اَو لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنَّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

فقال فى معرض حديثه عن نشوء السموات والأرضين بعد ان عرض الآيات المتعلقة بنشأة السموات والأرض .

- ١ - " أن أول ما خلق الله من المادة الكونيه هو اجرام السموات غير الأرضين
- ٢ - ثم كون من هذه السموات بعد خلقها - اى من النجوم - اجرام الأرضين

(١) آفاق جديدة فى علم الفلك - جون براندت ، ستيفن مارات ص ١٠ - ترجمة

احمد حسين سلامه و د. ممدوح اسحق ونس - مكتبه الوعى العربى -

مبادئ الكونيات ص ١٨٢ بتصرف

أى الكواكب فكانت ملتصحة مع النجوم رتقا ثم فصل تعالى بينهما —
بافتق أى أن النجوم كانت المقر الذى قذفت منه الأرضون —
الغضاء ثم اكمل خلقها .

٣ - وأن النجم الذى كونت منه أرض ، ثم فتقت منه هو النجم الذى
بقيت بعد فتقها منه ملازمه له ، وصار بينهما مطاوعة فى الحركة
والتفاعلات .

٤ - وأنه بناء على ماتقدم وما تدل عليه المشاهدة تكون الشمس —
النجم الذى خلق منه جرم أرض الإنسان ثم فتق منه " (١)
وذكر الدكتور العبادى فى كتابه " العلم الحديث حجه للإنسان أم عليه؟
فقال :-

"ان القول بنظرية انفصال الأرض عن الشمس أثناء دورانها الشديد حول
نفسها مبنى على الحدس والتخمين لا اكثر ولا اقل وانى أرى أن هـذه
النظرية مخالفة للحقيقة من وجوه .

١ - أن الله تعالى قال فى كتابه الكريم * هو الذى خلق لكم ما فى الأرض
جميعا ثم استوى الى السماء * (البقرة : ٢٩) فالآية تثبت
ان خلق الأرض مستقل لاعلاقة له بالشمس ولو كان الامر كذلك لذكره سبحانه
فى كتابه العزيز صراحة وليس هناك ما يمنع كما قال فى الآية
الأخرى * او لم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا —
ففتقناهما *

(١) التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن - حنفى احمد ص ٢٢١ الطبعة
الثالثه - دار المعارف القااهرة .

٢ - ان الله تعالى قد ذكر فى بدء خلقه أنه خلق السموات والأرض ولم يذكر الشمس بلفظها معهما ، وهذا يعنى ان خلق الأرض سابق على خلق الشمس والنجوم والكواكب الأخرى .

٣ - كيف يشبتون ان هذه النظرية حقيقة مالم يتحصلوا على اجزاء من الشمس ليحللوا ذلك هل هى فعلا مطابقة لمادة الأرض أم لا . لكى يبرهنوا على أنها جزء من الشمس .

٤ - اذا كانت الأرض جزءا من الشمس والشمس كما نعرف مادتها ملتهبه دائما وباستمرار ومضيئه فى حد ذاتها فما المانع من أن تكون الأرض كالشمس لأنها جزء منها". (١)

ولم يثبت حتى الآن حقيقة علمية تفسر لنا فتق السموات والأرض يمكن الركون اليها فى فهم الآية .

النتائج المستفادة من آية الرق والفتق للسموات والأرض مع غيرها من الآيات :-

اذا استعرضنا مع آية الرق والفتق للسموات والأرض قوله تعالى: ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم ﴾ (البقرة : ٢٩) وقوله تعالى : ﴿ قل أثنتكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض أثتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين فقضهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا

(١) العلم الحديث حجة للانسان أم عليه ؟ د. عبدالله العبادى ٢٨/٢ - الطبعة الاولى لعام ١٤٠٥ هـ - دار الثقافة للنشر - قطر الدوحة .

بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم * (فصلت : ٩ - ١٢)

يمكن ان نستفيد من ظاهر النصوص النتائج التالية .

أولا :

ان ارجح الاقوال فى الرشق والفتق للسموات والأرض والله اعلم هو
ماذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما ان السموات والأرض كانتا
ملتزقتين أو ملتصقتين ففتقهما الله سبحانه وتعالى بحيث ان الفتق
ليس فصلا .

ثانيا :

ان النصوص القرآنية توضح لنا مادة السماء هى الدخان لكن لم توضح
لنا ما هى مادة الأرض وقد يدل ذلك على انه فى لحظة الفتق لم تكن
مادة الأرض مشابهة لمادة السماء وذلك لأسباب التالية .

أ - معنى الفتق كما ذكر ابو هلال العسكري فى فروقه أن الفتق بين الشيئين
الذين كانا ملتصقين أحدهما متصل بالآخر فاذا فرق بينهما فقد فتقا
واذا كان الشئ واحدا ففرق بعضه عن بعض قيل قطع وفصل وشق ولم يفل
فتق . (١)

ب - ما ذكر فى بعض الآثار التى وردت عن بعض الصحابة والتابعين مثل :

- ماورد عن الحسن البصرى قال : " خلق الله الأرض فى موضع بيت المقدس
كهيفة الفهر - حجر من الحجاره (٢) - عليها دخان ملتزق بها ثم
أعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعه وبسط منه
الأرض فذلك قوله " كانتا رتقا " ذكر ذلك النيسابورى وأبو السعوى

(١) الفروق اللغوية ص ١٢٥

(٢) مقاييس اللغة ٤/٥٦٦

والالوسى فى تفاسيرهم . (١)

- ماروى عن ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء فلما اراد أن يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فأرتفع فوق الماء فسماء عليه فسماء سماء ثم آيبس الماء فجعلها واحدة) وقد نقلت هذه الرواية فى أكثر كتب التفسير . (٢)

- عن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : " كان يصعد الى السماء بخار كبخار الأنهار فأستمبر فعاد صبيرا . فذلك قوله تعالى : ثم استوى الى السماء وهى دخان * " (٣) والصبير سحب أبيض متراكب متكاتف ، يعنى تكاتف البخار وتراكم فصار سحبا . (٤)

وهذا الاثر عن ابن عباس يوضح الاثر الذى قاله الحسن بأن الأرض كهيئة " قطعة الحجر " والدخان ملتزق بها ثم أصد الدخان وخلق منه السموات .

ثالثا :

ان المقصود بالسموات مجمل السموات عن مجمل الأرض ويشمل ذلك كل ما فى الفضاء الكونى مما يعلو رؤوسنا وليس السموات السبع فقط لأنه لو كان ذلك لخصت بالعدد سبعة كما ورد فى آيات كثيرة عند ما يريد الحق سبحانه الكلام عن السموات السبع بذاتها مثل قوله تعالى : * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * (المؤمنون : ٨٦) .

(١) غرائب القرآن للنيسابورى ٢٢٦/١ - تفسير ابو السعود ١٣٦/١ - روح المعانى ٢٥/١٢ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢٥٦/١ ، جامع البيان للطبرى ١٩٤/١

(٣) مرويات ابن عباس فى التفسير من كتب السنه - د. عبدالعزيز الحميدى ٤٨٢/١ - جامعة أم القرى - مركز البحث العلمى واهياء التراث .

(٤) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٨/٣

رابعاً :

ان عملية الفتق سابقة للاستواء الى السماء وتسويتها سبعا بدلا لـ
ثم التي تفيد ترتيب الاخبار كما ذهب الى ذلك اكثر المفسرين حينما
تحدثوا عن أيهما خلق قبل السموات اما الأرض .

اتجاهات المفسرين في أيهما تقدم خلقه السموات أم الأرض :

اختلف المفسرون في ذلك ولعل السبب ماورد في النصوص القرآنية حيث
تارة يقدم ذكر السموات على الأرض وفي تارة أخرى يقدم ذكر الأرض على
ذكر السموات وكذلك الدلالة اللفظية لمعنى خلق ومايراد منها وكذلك
ماورد عن الصحابة والتابعين من الآثار في خلق السموات والأرض .

وكما دل عليه ظاهر الآيات في

- قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى الى

السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ (البقرة : ٢٩) .

- وقوله تعالى : ﴿ أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون

له اندادا ذلك رب العالمين ٠٠٠٠ ﴾ الآيات (فصلت : ٩ - ١٢) .

- وقوله تعالى : ﴿ أنتم أشد خلقا أم السماء بناها . رفع سمكها

فسواها . وأغش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها

أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها ﴾ (النازعات : ٢٧ - ٣٢)

وكانت اقوالهم في ذلك الى اتجاهين هما

أولاً :

ان الأرض خلقت قبل السماء وهذا قول مجاهد .^(١) وهذا ماذهب اليه

أكثر المفسرين وقد استدلوا بما روى عن ابن عباس في ان الأرض خلقت

قبل السماء . فقد اورد الامام البخاري في صحيحه (ان رجلا قال

(١) جامع البيان للطبري ١٩٤/١ .

لابن عباس : انى أجد فى القرآن أشياء تختلف على قال : ماهو ؟
وذكر منها قوله تعالى : ﴿ ام السماء بناها رفع سمكها فسواها
وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ فذكر خلق السماء
قبل الأرض ثم قال : ﴿ أثنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ﴾
الى قوله " طائعين " فذكر فى هذه خلق الأرض قبل السموات ... فقال
ابن عباس ... خلق الأرض فى يومين ثم خلق السماء ثم استوى السوى
السماء فسواهن فى يومين آخرين ثم دحا الأرض (الحديث (١)
وهناك قول آخر أورده القرطبى لمن احتج بخلق الأرض أولا عن ابن عباس
قال : " ان أول ما خلق الله عز وجل من شيء القلم فقال له اكتب . فقال :
يارب وما اكتب ؟ قال : اكتب القدر . فجرى بما هو كائن من ذلك
اليوم الى قيام الساعة . قال ثم خلق النون - نوع من الحوت الضخم
فدحا الأرض عليها فأرتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون
فمادت الأرض فأثبتت بالجبال وان الجبال على الأرض الى اليوم (٢)

ثانيا :

ان السماء خلقت قبل الأرض وهذا قول قتادة ومقاتل (٣) ولقد رجح
القرطبى هذا الوجه فقال : " وقول قتادة يخرج على وجه صحيح ان شاء
الله تعالى وهو أن الله خلق أولا دخان السماء ثم خلق الأرض ثم استوى
الى السماء وهى دخان فسواها ثم دحا الأرض بعد ذلك " . وقد استدل
القرطبى على أن الدخان خلق أولا قبل الأرض بما روى عن ابن مسعود

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٥٥٥/٨ ، صحيح البخارى ١٥٩/٦ كتاب
التفسير " سورة فصلت " .

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ٢٥٧/١

(٣) المصدر السابق ٢٥٥/١ ، روح المعانى للالوسى ٢١٦/١

وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :
﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم أستوى إلى السماء فسواهن
سبع سموات ﴾ قال : " أن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم
يخلق شيئا قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا
فارتفع فوق الماء فسماه عليه ، فسماه سماء ثم آيبس الماء فجعله
أرضا واحدة . " (١)

أما الإمام الرازي فقد ذهب إلى أن السماء خلقت قبل الأرض واحتج لذلك
بثلاثة وجوه

- ١ - احتج بآية النازعات وقال " أن تدحيه الأرض ملازمة لخلق ذات الأرض
وأن الأرض جسم عظيم فأمتنع انفكاك خلقها عن التدحية فبذلك يقتضي
أن يكون خلق السماء وتسويتها مقدم على تدحية الأرض . "
- ٢ - احتج بأن " ثم " في آية البقرة ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا
ثم استوى إلى السماء ﴾ ليست لترتيب الأخبار وإنما هي على
جهة تعديد النعم . (٢)

- ٣ - كما قال " أن الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل قوله تعالى :
﴿ أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾
(آل عمران : ٥٩) فلو كان الخلق عبارة عن الایجاد والتكوين لكان
تقدير الآية أوجده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال ، لأنه
يلزم أنه تعالى قد قال للشئ الذي وجدكن ثم انه يكون وهذا محال

(١) المصدر السابق ٢٥٦/١

(٢) تفسير الرازي ١٥٥/٢

فثبت أن الخلق ليس عبارة عن التكوين بل هو عبارة عن التقدير —
والتقدير في حق الله تعالى هو حكمه بأنه سيوجده وقضاه بذلك .
وقضاه لا يعنى حدوثه في الحال". (١)

وكلام الرازي بأن الخلق ليس هو اليجاد والتكوين بل هو التقدير فيه
نظر ذلك بأن أهل اللغة قالوا : " (الخلق في كلام العرب على وجهين :
أحدهما الانشاء على مثال أبدعه ، والآخر التقدير " . (٢) لكن الصحيح
والله اعلم ان الخلق ايجاد متضمن معنى التقدير . وأول مراحـل
الايـجاد .

وقد ذهب بعض المفسرين في عصرنا الحديث الى الأخذ بقول الرازي وأستدل
لذلك بوجهين من الأدلة . (٣)

أ - " أن النصوص القرآنية ورد فيها لفظ السماء او السموات مقترنا مع لفظ
الأرض لا يقل عن مئتين وثلاثين مرة بحيث ورد لفظ السموات متقدما على
لفظ الأرض لا يقل عن مائة وتسعين مرة اما بالنسبة لورود لفظ الأرض
متقدما على لفظ السماء فقد تكرر ست عشرة مرة وان ثلثي هذه الآيات
تشير الى خلقهما . وبالرغم أن واو العطف لاتفيد الترتيب الا بصارف
أو قرينه فانه يرى في كثرة ورود لفظ السموات متقدما على لفظ
الأرض قرينه كافية على الأقل لترجيح أن السموات خلقت قبل الأرض .
ب - أن قول الله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ٠٠ ﴾
٠٠ الآية (الطلاق : ١٢) . شبه الأرض بالسموات في المثلثه

(١) المصدر السابق ١٠٧/٢٧

(٢) لسان العرب لابن منظور ٨٥/١٠

(٣) التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن - حنفى أحمد ص ٢٢١ - ٢٢٣

فالجاري في العرف عند التعبير بايجاد شيء شبيه بآخر سابق عليه
في الوجود أن يكون الشبيه بعد المشبه به ومن هذا يمكن ترجيح
أن السموات خلقت قبل الأرض."

وقد أجيب على الرازي في هذا الرأي فقال النيسابوري في تفسيره .
"أن خلق السموات قبل الأرض صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من
الأشرف . فالأشرف والألطف فالألطف أن ساعده النقل والا فلا أحالة
في أنه تعالى خلق الأرض أولا في غايه الصغر وجعل فيها أصول الجبال
 ووضع البركة وقدر الأقوات ثم استوى الى السماء فسواهن سبعا . ثم
دحا الأرض بأن جعلها أعظم مما كانت عليه كهيئتها الآن". (١) كما ذهب
اللولؤسى الى دفع ما أستشكل على الرازي من تأخر دحو الأرض عن خلقها
بما ذهب اليه النيسابوري من أن الأرض خلقت أولا كهيئة الفهر ثم دحيث
وأن المراد من خلقها أولا خلق المواد والأصول لخلق الأشياء فيها
كما هو اليوم . (٢)

كما أن لللولؤسى في هذا البحث كلام طويل في سورة فصلت .
وقد اختلفت الأقاويل في أيهما خلق قبل السماء أم الأرض . وقد ذكر
القرطبي في آخر هذا البحث قوله " أن الاجتهاد ليس له مدخل في ذلك "

(١) غرائب القرآن للنيسابوري ٢٦٦/١

(٢) روح المعاني لللولؤسى ٢١٦/١

الفصل الثاني

بناء السماء ودحو الأرض

ويشتمل على المباحث :

اولا : بناء السماء

ثانيا : دحو الأرض .

المبحث الأول

بناء السماء :

لقد ذكر سبحانه في خلق السماء ان من الأشياء التي تضمنت هذا الخلق هو عملية البناء ودعانا الى النظر في هذه السماء والتفكر في بنائها فقال عز من قائل ﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروع ﴾ (ق : ٦) .

وبامعان النظر في هذا البناء في مواضع أخرى من كتاب الله عز وجل نجد انه سبحانه وصفه بالشدة فقال: ﴿ وبنينا فوقكم سبعا شداد ﴾ (النبأ : ١٢) .

كما وصفه بأنه محبوب فقال تعالى: ﴿ والسماء ذات الحيك ﴾ (الذاريات: ٧) ووصفه بأنه مرفوع السمك فقال تعالى : ﴿ أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ﴾ (النازعات : ٢٧) . كما وصفه بأنه ذو عمود غير مرئية على حسب اختلاف المفسرين بالمقصود بها فقال عز من قائل في موضعين من كتابه العزيز ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ (الرعد : ٢) وقال تعالى : ﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ (لقمان : ١٠) .

كما وصف هذا البناء بأنه طباق فقال تعالى : ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ﴾ (نوح : ١٥) . وأنه لا يوجد فيه التفاوت قال تعالى : ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ (الملك : ٣٠) .

فما المقصود بالبناء ؟ ولماذا خست السماء بهذا الوصف ؟ وما المقصود بالطباق ؟ والحبك والسك ؟ وما قول المفسرين فى العمدة التى أشير إليها فى الآيات ؟ وما هو تفسير علم الفلك لها ؟

ما المقصود بالبناء ؟ ولما خست السماء بهذا الوصف ؟ :-

بالرجوع الى النصوص القرآنية التى توضح لنا المادة التى خلقت منها السماء نجد أنها الدخان وهذا الدخان هو بخار الماء كما ورد فى كثير من الآثار التى وردت عن الصحابة والتابعين . ذكر ذلك ابن تيمية فى فتاويه فى أكثر من موضع . (١)

ونحن نعرف ان حالات المادة لا تتعدى ثلاث حالات هى :

- ١ - الحالة الغازية والتى فيها قوى الترابط بين جزيئات المادة تكاد تكون منعدمة بحيث لا يمكن ملاحظة هذا الترابط بين الجزيئات .
- ٢ - الحالة السائلة والتى فيها قوى الترابط بين جزيئات المادة أكبر بكثير من الحالة الغازية بحيث يلاحظ تحرك الجزيئات فى هذه الحالة عند انسياب السوائل .

- ٣ - الحالة الصلبة والتى فيها قوى الترابط بين جزيئات المادة شديدة بحيث لا يرى تحرك هذه الجزيئات وإنما يلاحظ عليها حالة السكون .
- فالسماء عندما كانت فى حالة الدخان كان حاله من حالات المادة وهو الحالة الغازية التى تعتبر أصل المادة كما أشارت النصوص القرآنية ونتائج العلم الحديث حيث سمي الدخان " بأسم السديم " . (٢) فسواها

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٦٤/٥ - جمع وترتيب عبدالرحمن النجدي مكتبة ابن تيمية - مصر .

(٢) مبادئ الكونيات للأمين محمد كعوره ص ١٨٢ ، الموسوعة العلمية الحديثه - الكون - كولين رونان - ص ٧٦ - الاهلية للنشر والتوزيع - بيروت لعام ١٩٨٥ م .

سبحانه وتعالى سبعا وجعلها كالبناء وإذا رجعنا لمعنى كلمة بنى فى اللغة

نجد أنها تعنى ضم الشيء بعضه الى بعض . (١)

فقد ضمت جزئيات هذه المادة التى كانت فى حالة الغاز - التى قال

عنها سبحانه بأنها الدخان - الى بعضها البعض وشدت شداً محكما بقوى

الترابط فيما بينها فأصبحت بناءً محبوباً .

كذلك يمكن ان يستفاد من كلمة البناء معانى أخرى توضح لماذا خصت

السماء بهذا الوصف وذلك بالرجوع الى اللغة والآثار الواردة فى ذلك .

فقد ذكر ابن الاثير فى غريب الحديث " أن الابتناء والبناء: الدخول

بالزوجه . والأصل فيه أن الرجل كان اذا تزوج امرأة بنى عليها قبلة

فيقال بنى الرجل على أهله " . (٢)

والبناء واحد الابنيه وهى البيوت تسكنها العرب فى الصحراء منها

الاطراف والخباء والبناء والقبه والمضرب . وسمى البناء بناءً لأنه

لازم موقع لا يزول من مكان الى غيره . (٣)

ويستفاد من مجمل الاقوال ان السماء تأخذ شكلاً كالقبه على

الأرض ويؤيد هذا ماوراء جبير بن مطعم وعبدالله بن عمرو بن حرام عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله على عرشه فوق سماواته

وسماواته فوق أراضيه مثل القبه) (٤) وكذلك ما أورده ابن جرير فى

تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم . (أن بناء السماء على الأرض كهيئة القبه وهى سقف الأرض) . (٥)

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣٠٢/١

(٢) النهاية فى غريب الحديث ١٥٨/١

(٣) لسان العرب لابن منظور ٩٤/١٤ - ٩٥

(٤) خلق افعال العباد للأمام البخارى ص ٢٠ - الطبعة الاولى لعام ١٤٠٤ -

مؤسسة الرسالة .

(٥) جامع البيان للطبرى ١٦٢/١

إذاً فبناء السماء يأخذ الشكل الكرى وهذا ما نقله ابن كثير فى تاريخه عن ابن حزم وأبو الفرج ابن الجوزى وغير واحد من العلماء الاجماع على ان السموات والأرض كرة مستديرة . (١)

وذكر ذلك ابن تيميه فى الفتاوى فى اكثر من موضع وقال " ان السموات مستديرة عند علماء المسلمين وحكى الاجماع فى ذلك عن اكثر من واحد من علماء أئمة الاسلام وأن العلماء رووا ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين " (٢)

والشكل الكرى لا يكون الا مستديرا . وقال ابن تيميه فى موضع آخر من فتاويه " ان السماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كرية وكذا الباقي " (٣)

وإذا نظرنا الى الاشكال الهندسية فانا نلاحظ انه لا يوجد اكمل من الشكل الكرى لكمال انتظام جميع اجزائه بالنسبة الى المركز . فسبحان الخالق يوضح لنا حكمته وبديع صنعه فى بنائه للسماء بأكمل الاشكال الهندسية انتظاما لاتفاوت فى اجزائها .

الوصاف الأخرى التى وصفت بها السماء :

ان السماء التى اخذت الشكل الكرى الذى هو أكمل الاشكال الهندسية وصفت بأوصاف أخرى كما ورد فى النصوص القرآنية . منها أنها أخذت الشكل الطبقي مرفوعة السمك شديدة محبوكة وأنها بغير عمد مرئية . ومادة طبق فى اللغة تدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه

(١) البدايه والنهاية لابن كثير ٢٧/١ - الطبعة الاولى لعام ١٤٠٥ هـ - دار

الكتب العلميه - بيروت .

(٢) الفتاوى لابن تيميه ٥٨٦/٦

(٣) المصدر السابق ١٥٠/٥

ويقال لما علا الأرض حتى غطاها هو طبق الأرض . (١) ويستعمل الطباق فى
الشئ الذى يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره تارة ، ثم يستعمل
فى أحدهما دون الآخر . (٢) ويذكر صاحب اللسان " ان قولك طابقت بين الشيئين

إذا جعلتهما على حد واحد وأن السموات الطباق سميت بذلك لمطابقة
بعضها بعضا أى فوق بعض ، وقيل لأن بعضها مطبق على بعض " . (٣) والمعنى
الآخر صحيح أيضا والمقصود أنهما غير متلاصقان بل متعلقه كل واحد
على الأخرى محيطة بها لأن الأحاديث والآثار تشير الى أن بين كل سماء
والأخرى مسيرة خمسمائة عام .

وكما قال سبحانه فى وصفها أيضا ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق
وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ (المؤمنون : ١٧) . وقد ذكر القرطبي
فى تفسيره " أن العرب تسمى كل شئ فوق الآخر طريقا " . (٤)
وذكر الالوسى نقلا عن ابن عطية : " يجوز أن يكون الطرائق بمعنى المبسوطات
من طرقت الحديد إذا بسطته " . وذكر الالوسى ان هذا القول لا ينافى القول
بكريتها . (٥)

أما بالنسبة للسماك فيقول أهل اللغة ان " السين والميم والكاف أصل
واحد يدل على العلو ، يقال سمك إذا ارتفع " . (٦)
ويذكر صاحب اللسان " أن السمك يجيء فى مواضع بمعنى السقف . والسماء
مسموكة أى مرفوعة . والسامك : العالى المرتفع " . (٧)

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٣٩/٣

(٢) المفردات للرافعي ص ٣٠١

(٣) لسان العرب لابن منظور ٢٠٩/١٠

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١١١/١٢

(٥) روح المعاني للالوسى ١٨/١٨

(٦) مقاييس اللغة ١٠٢/٣

(٧) لسان العرب ٤٤٤/١٠

وقد ذهب اكثر المفسرين الى ان المقصود بقوله تعالى : ﴿ رَفَعَ سَمَكُهَا فُسَوَّاهَا ﴾ هو اعلا سقفها وبنياها . وذكر الزمخشري في تفسيره ان معنى رفع سمكها أى جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام . (١) وقد يراد بالسمك واللحمة أعلم أنه غلظ السماء وكشفها فانه ورد في الأحاديث والآثار أن كشف كل سماء مسيرة خمسمائة عام فقد ورد في مسند الإمام أحمد عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : (كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء فمرت سحابة فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا قلنا : السحاب قال : والمزن قلنا : والمزن قال : والعنان فسكتنا فقال : هل تدرون كم بين السماء والأرض قال : قلنا الله ورسوله اعلم قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكشف كل سماء خمسمائة سنة ... الحديث . (٢) وذكر أبو الشيخ في العظمة والسيوطي في الدر عن عبد الله ابن مسعود قال (ما بين السماء والأرض خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسمائة عام ومضير كل سماء - يعني غلظ ذلك - مسيرة خمسمائة عام ٥٠٠٠) الأثر (٣) ومن المعلوم ان المراد بالكشف والغلظ غير السقف وعلو البنيان وأن كان الغلظ والكشف فيه من العلو فلا بد أن نلاحظ هذا الكشف يوضح لنا عن متانة بناء السماء التي وصفها سبحانه بأنها شديدة . وتوضح جوانب أخرى ان هذا البناء ذو الكثافة العالية لا يمكن ان يكون

(١) الكشف للزمخشري ١٨٢/٤ - دار المعرفة - بيروت

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٠٦/١

(٣) كتاب العظمة لأبي الشيخ الأصفهاني ٥٦٥/٢ ، والدر المنثور للسيوطي

فيه فرجه من الفروج قال تعالى : ﴿ أقلم ينظروا الى السماء فوقهم —
كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ (ق : ٦) .

الجانب العلمى المتضح من الحديث والأثر :

ان الجانب العلمى فى ذلك هو المسافات الشاسعة بين الاجرام السماوية
التي تقدر بملايين السنوات الضوئية حيث السنة الضوئية هى مقدار
سير الضوء بسرعه المعروفة (٣٠٠٠٠٠ كم فى الثانيه) .

وقد يقول قائل ان المدة المحددة فى الحديث والأثر هى خمسمائــــــــــــة
عام وأنت تقول ملايين السنوات وهذا بون شاسع بين ماتقول وبين المـــــــــدة
المحددة فى الحديث والأثر قلنا ان نص الحديث والأثر لم يحدد سرعة السير
بين السماء والأرض التي أعطت هذه المدة وإنما هذا زمن نسبى للسرعة
غير المحدودة للسير خلال الخمسمائـــــــــة عام .

وان كان قد اجتهد بعض العلماء وقدروا هذه السرعة بسرعة الراكب
للخيل لكن هذا يتنافى مع السرعات العاليه التي تلاحظ فى عصرنا الحاضر .
اذا فالزمن المقدر فى الحديث يعتبر زمنا نسبيا ذلك لأن الزمــــــــــــن
فى الكون لاعلاقة له بالأحداث الأرضيه وزماننا الأرضى . وإنما نستفيد
من الزمن المذكور هو سعة السماء فاذا كان غلظها خمسمائـــــــــة عام وهى
كريبة الشكل الذى يعنى أن هذا الغلظ فى جميع الاتجاهات بمقدار خمسمائـــــــــة
عام بالاضافة الى المسافة بين السماء والأرض خمسمائـــــــــة عام فان ذلك
دلالة أنها أبعاد عظيمه لايتصورها بشر فسبحان خالق الكون الذى ابــــــــــــدع
فى بناء السماء وجعلها متراميه الاطراف بهذه الابعاد التي وسعت
جميع الاجرام السماويه وبينها هذا الفضاء الواسع الذى يعتبر
لنا نحن البشر لانهاية له ولايمكن ان نتخيل ذلك .

ورغم ذلك فقد زيننت هذه السماء بهذه الاجرام التى تصدر الضياء
أوتعكسه هذه الاجرام التى شدت بين بعضها البعض بروابط قوية .
الروابط التى بين الاجرام السماوية :

ماهى الروابط التى تشد الاجرام السماوية بعضها بعضا ؟
نجد القرآن الكريم يعطينا الجواب فيقول جل وعلا * الله الذى رفع
السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل
يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنوا *
(الرعد : ٢) .

ويقول سبحانه * ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى
فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بأذنه ان الله بالناس
لرؤوف رحيم * (الحج : ٦٥) . ويقول فى موضع آخر * ان الله يمسك
السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه
كان حليما غفورا * (فاطر : ٤١) . كما يلفتنا سبحانه الى التفكير
فى كيفية رفع السماء فقال عز وجل * افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
والى السماء كيف رفعت * (الغاشية : ١٧ : ١٨) .

فهذه دعوة منه سبحانه للنظر فى كيفية رفع السماء وأن ذلك دلالة
على قدرته سبحانه فهو الممسك بها سبحانه حتى لاتقع على الأرض وحتى
لاتزول الا فى الحين الذى اراده سبحانه رحمة ورأفة بالناس فقدّر سبحانه
أسبابا وأمورا لأمساك السماء من الوقوع على الارض وهى الاعمدة غير
المرئية التى أشار اليها سبحانه فى كتابة مع اختلاف وجهة المفسرين
فيها على قوليين .

أولا : أنها عمد غير مرئية وهو قول ابن عباس ومجاهد ذكر ذلك الطبرى
فى تفسيره . (١)

وهو مذهب اليه الرازي وقال "أن هذه العمدة هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي وأنهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون كيفية ذلك الامسـاك". (١)

ثانيا :

أنها بغير عمد حملا للآية على ظاهرها وهو مذهب اليه قتادة وغيره (٢) ومال اليه الطبري وابن كثير في تفسيرهما وقال ابن كثير : " أن هذا هو اللائق بالسياق والظاهر من قوله تعالى : ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه ﴾ فعلى هذا يكون قوله تعالى : " ترونها " تأكيدا لنفى ذلك أى هي مرفوعة بغير عمد كما ترونها وهذا هو الأكمل في القدرة ". (٣)

العمد من خلال نتائج العلم الحديث :

من جهة النظرة العلمية الفلكية الحديثة هناك تفسير لهذه العمدة . لكن قبل ان نعرف هذا التفسير علينا ان نلاحظ امرا ضروريا وهو ان العلم الحديث في كل اكتشافاته ووصله الى نتائج جديدة لا يتعد حدود السماء الدنيا كما أتضح لنا سابقا من البعد بين السماء والأرض وغلظ السماء . أما السموات الست الأخرى فان بنى البشر لا يعلمون عنها شيئا بل هي غيب محجوب عنهم انما المصدر الوحيد لمعرفة اخبارها هو ماوردت به مصادر الوحي من الرسائل المبعوث بها الانبياء والرسل من ربهم سبحانه . علينا الايمان بها حتى نكون من الموصوفين بالايمان كما قال تعالى في امتداد المؤمنين المتقين ﴿الم﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين

(١) تفسير الرازي ٢٣٢/١٨

(٢) جامع البيان للطبري ٩٤/١٣ ، الجامع لاحكام القرآن ٢٧٩/٩

(٣) تفسير ابن كثير ٤٩٩/٢

يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون
بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون . أولئك على
من ربهم وألئك هم المفلحون * (البقرة : ١ : ٥) .
إذا فما المقصود بالعمد غير المرئية التى رفعت بها السموات وما المراد
بالسموات ؟

والجواب أنا نلاحظ فى العبارات القرآنية عندما نتحدث عن السموات ويكون
هناك مجال للوصول الى علم ولو يسير عن كنهها وكيفية تكوينها يأتى
الحديث عنها بصيغة الجمع غير المخصص بالعدد سبعة أو بصيغة المفرد
فالسموات هنا يقصد بها والله أعلم معناها اللغوى كل ما علاك فأظلك
إذاً جميع الاجرام السماوية من كواكب ونجوم ومجرات وما بينهما من
الفضاء الكونى يدخل تحت هذا الجمع فاذا كان ذلك هو المراد فانا نستطيع
ان نفسر المقصود بالعمد كما ذهب الى ذلك العلم الحديث وهى أعمدة مجال
الجاذبية وهى لاترى أصلاً بطبيعتها لأنها غير مادية كالعمد التى ترى فى
رفع الخيام والعمائر .

فالجاذبية العامة قانون كونى جعله الله سبحانه وتعالى فى طبيعة
الاشياء كلها ويعمل فى صمت فى الأرض والسماء .
والجاذبية على قدر ضآلتها فى الأرض فهى عارمة فى السماء حيث الكتل
عظيمة هائلة تتماسك رغم تباعدها بفضل الله سبحانه وتعالى الذى جعل
من هذه القوة ممسكا لأجرام السماء من الانفراط حتى يحين الوقت الذى
يأمر سبحانه بأنتهاء هذا الكون .

فما هو هذا القانون وما نصه ؟

" ينص القانون على أن أى كتلتين فى الوجود بينهما قوة جذب . هذه القوة

تتناسب طرديا مع حاصل ضرب الكتلتين المتجاذبتين وعكسيا مع مربع المسافة الفاصلة بينهما ، أى أن :

قوة الجاذبية تزداد بازدياد كل من الكتلتين وتنقص بنقصهما بينما تزداد هذه القوة بنقص المسافة وتقل بازدياد المسافة". (١)

هذا القانون أوضح لنا الأعمدة غير المرئية التى جعلها الله سبحانه وتعالى بين الاجرام السماوية وهو كما يتضح يقوم بجذب الاجرام السـمـى بعضها وهذا يؤدي الى وقوعها على بعضها ويؤدي الى الدمار والنهاية لكن عناية الله سبحانه وتعالى بالبشر وقدرته أمسكت هذه الاجرام من الوقوع على بعضها وعلى الأرض فجعل لها نظام الحركة المعبر عنه بالسباحة فى قوله تعالى : ﴿ كل فى فلك يسبحون ﴾ هذه الحركة ينتج عنها قوة طرد تعادل قوة الجذب فتبقى فى مدارها لاتسقط حتى يأذن الله بذلك .

" وتأثير قوى التجاذب يساوى تأثير طاقة الحركة ومضادا له .

وفق هذه المعادلة كانت الاجرام السماوية موضوعة فى الخريطة الكونية على أبعاد ثابتة بين بعضها وبعض بصورة تضمن عدم السقوط والتصادم والاضطراب فى الافلاك .

ولايمكن ان يحدث هذا التعادل لو كانت حركة الاجسام والاجرام السماوية فى شكل مستقيم اذا لابد ان تكون حركة الاجرام دائرية منحنية (٢) وهذا ما يوضح لنا لماذا كان شكل السماء كـريـما .

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور محمد حسب النبى ص ٦٢ .
(٢) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - د. عبدالعليم خضر ص ١٤٧
الطبعة الثالثة لعام ١٤٠٧ هـ - الدار السعودية للنشر - جدة .

المبحث الثانى

دحو الأرض :

هذه الأرض التى تعتبر مجالا لخلافة الانسان لا يقل شأن ذكرها فى مصادر الوحي عن السماء فهما متلازمتان كالبیت الذى يتكون من السقف المظلل والسطح المقل المعد للسكنى فكما تكرر ذكر السماء تكرر كذلك ذكر الأرض .

فما هى الاوصاف التى تضمنت خلق الأرض ؟

نجد العبارات القرآنية توضح كيفية مراحل خلق الأرض بأوصاف عدة أغلب هذه الاوصاف ترد فى معرض الامتنان من الله سبحانه وتعالى على عباده بأن جعل لهم هذه الأرض دار سكنى وسيادة .

ومن هذه الاوصاف التى تبين خلق الأرض ، فتقها عن السموات بعد أن كانت كل منهما مرتقه بالأخرى ثم دحو الأرض وطحوها وتسطيحها ومدها وجعلها فراشا ومهادا وقرارا وغير ذلك من الاوصاف التى تشير الى مراحل تكوين الأرض قال تعالى : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ (النازعات : ٣٠ - ٣١) . وقال تعالى فى معرض القسم ﴿ والأرض وماطحاها ﴾ (الشمس : ٦) وقال تعالى تنبيهنا لنا الى النظر فى عجائب الكون والتفكر فى كيفية حصول ذلك ﴿ والى الأرض كيف سطحت ﴾ (الغاشية : ٢٠) وقال تعالى : ﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ﴾ البقرة : ٢٢) . وقال تعالى : ﴿ الم نجعل الأرض مهادا ﴾ (النبأ : ٦) .

وكما ذكرنا سابقا فلم تشير الآيات القرآنية الى المادة التى

خلقت منها الأرض كما أشارت الى مادة السماء وهى الدخان .
وبالرجوع الى آية الرق والفتق للسموات والأرض والدلالة اللغوية
لمعنى الفتق يتضح ان مادة خلق الأرض مخالفة لمادة خلق السماء ولو على
الأقل لحظه الفتق وهذا يستبعد ان تكون الأرض فصلت عن الشمس لأن الشمس
من زينة السماء الدنيا التى خلقت من الدخان .
هذا ما يتعلق بخلق الأرض فما هو المراد بالوصاف الأخرى التى وصفت
بها الأرض كالدحو والطحو ؟ وما المستفاد منهما ؟ وما وجه الدلالة
على ذلك من مد الأرض وتسطيحها وجعلها كالغراش الممهّد الذى يمكن الاستقرار
عليه ؟

الدحو والطحو وما هو المستفاد منهما :

" دح " الدال والحاء أصل واحد يدل على اتساع وتبسط ، وانسحج
بطنه اذا اتسع . والدحو يدل على بسط وتمهيد . ويقال دحا المطر
الخصى عن وجه الأرض . وهذا يدل على تمهيد الأرض . وأدحى النعام :
الموضع الذى يفرخ فيه لأنه يدحوه برجله ثم يبيض فيه" . (١)
ورود فى حديث عبد الله بن عمر الذى رواه البخارى " فدحا السيل فيه
بالطحاء " . (٢) وقد فسره ابن الأثير بمعنى رمى وألقى . (٣) ودحا
البطن عظم واسترسل الى أسفل . (٤) والطحو أصل يدل على البسط والمد . (٥)
والمدومة الطواحي هى النور تستدير حول القتلى . والقوم يطحن بعضهم
بعضا أى يدفع . (٦)

-
- (١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٢٦٥ ، ٣٣٣
(٢) جامع الأصول فى أحاديث الرسول لابن الأثير ٣/٤٤٣ - تحقيق عبدالقادر
الارناؤوط - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - دار الفكر - بيروت .
(٣) النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢/١٠٦
(٤) تاج العروس للزبيدي ١٠/١٢٤
(٥) مقاييس اللغة ٣/٤٤٥
(٦) لسان العرب لابن منظور ٥/١٥

إذاً نستفيد من مجمل الأقوال ان مادة الدحو واليطحو تدل على الاشياء التالية:

١- البسط والتوسيع والمد .

٢- الدحرجه لأن السيل والمطر عندما يدحى الحصى والرمل انما يحركهما

ويحدث فيها الدحرجه .

٣- التكوير فى التكوين من دحا البطن وعظم واسترسل ولا يكون الا بشكل

منحنى .

٤- الانحالة والازالة من دحا السيل ومن موضع النعام الذى يفرخ فيه

فهو يزيح الأرض برجله ثم يبيض .

فالبسط والتوسيع والمد قد يوضح لنا أن الأرض لم تكن لحظه خلقها

بحجمها الحالى بل أصغر من ذلك لأن التوسيع والبسط يدلان على ذلك وقـــد

ذهب النيسابورى والألوسى فى تفسيرهما الى ذلك حينما ورد الحديث عــــن

أيهما خلق أولا السماء أم الأرض فقال النيسابورى: " لا احالة فى أنه

تعالى خلق الأرض أولا فى غاية الصغر وجعل فيها أصول الجبال ووضع البركة

وقدر الأقوات ثم استوى الى السماء فسواهن سباعا ثم دحا الأرض بأن جعلها

أعظم مما كانت عليه كهيئتها الآن " (١)

أما الألوسى فقد ورد عنده بهذا المعنى حينما رد على أستشكال الرازى

حينما قال " ان تدحيه الأرض لاتنفك عن خلقها لأنها جسم عظيم وأن مــــن

يقول بتأخر دحوها عن خلقها لايقول بعظمتها ابتداء " . (٢) وقد ورد عــــن

الحسن البصرى أن (الأرض خلقت كهيئة الفهر) الفهر مؤنثه وهى الحجر

من الحجارة . (٣)

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى ٢٢٦/١

(٢) روح المعانى للألوسى ٢١٦/١ ، (٣) مقاييس اللغة ٤٥٦/٤

وقد ذهبت بعض النظريات الحديثه الى ذلك حينما تحدثت عن الغلاف الغازى المحيط بالأرض تقول هذه النظرية " ان الأرض حين اكتمل حجمها بعد صغره استطاعت ايقاف أنفلات الغازات الخارجة من باطنها مع مكونات البراكين وبذلك بدأ الغلاف الغازى فى التكوين " . (١)

ولايمكن الجزم بهذه الاقوال بأنها كانت صغيرة ثم كبرت فنحن لم نشهد خلقها لكن لا يوجد مانع من ذلك والله على كل شئ قدير .

أما القول بكرية الأرض فهذا أصبح من الحقائق العلمية الذى لايمكن فيها الجدل . وقد ورد فى كتب اسلافنا الاعتراف بكريتها فهذا على سبيل المثال شيخ الاسلام ابن تيميه يورد فى الفتاوى ما نصه : " أعلم ان الأرض قد اتفقوا على أنها كرية الشكل وهى فى الماء المحيط بأكثرها . اليابس السدس وزيادة بقليل والماء أيضا مقبب من كل جانب للأرض ، والماء الذى فوقها بينه وبين السماء كما بيننا وما بينها مما يلى رؤوسنا وليس تحت وجه الأرض الأوسطها . ونهاية التحت المركز ، فلا يكون لنا جهة بينه الا جهتان العلو والسفل ، وانما تختلف الجهات باختلاف الانسان . فعلو الأرض وجهها من كل جانب . وأسفلها ما تحت وجهها نهاية المركز - هو الذى يسمى محط الأثقال فمن وجه الأرض والماء من كل جهة الى المركز يكون هبوطا ومنه الى وجهها صعودا " . (٢)

وهنا كلمة عارضة نحب أن نشير اليها وهى أن علماء الأمة الاسلاميه السابقين كانوا على معرفة بالجاذبية الأرضية ومركزها الى الأرض والقول بأن مكتشفها الأول هو اسحاق نيوتن يعتبر ادعا .

(١) هندسة النظام الكونى فى القرآن - د. عبدالعليم خضر ص ١١٢

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيميه ١٥٠/٥

نحن لاننكر جهده فى تطوير مفهومها ووضع الصيغ الرياضية لها وتطبيقها فى مجالات عدة والاستفادة منها لكن يجب الانغيث حق علمائنا فقد كان لهم الفضل فهذا قول ابن تيمية يشهد بسبق علمائنا بمعرفة الجاذبية قبل نيوتن بما لا يقل عن أربعة قرون فهو يشير الى محط الاثقال فى مركز الأرض وهذا المقصود بالجاذبية الأرضية .

والدلائل القرآنية على كرية الأرض فى قوله تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأبنتنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ (ق : ٧) .
وقد أشار الشيخ محمد متولى الشعراوى فى بعض مختاراته من التفسير بقوله " الاعجاز فى القرآن أنه يستخدم الألفاظ التى تعبر بدقة عما يريد ولا تصادم فى مفهومها مع أى عصر . يقول الله " والأرض مددناها " وذلك مطابق لما تراه العين منذ الأزل .. بأن الأرض مبسوطة ... ولكنه فى نفس الوقت اكبر دليل على كرية الأرض " (١) وقال فى موضع آخر فى تفسير الآية " والأرض مددناها " .. " أى بسطناها لأن المدهو البسط .. فالأرض اذا كانت مبسوطة لاتخرج عن أشياء أما مربعة وأما مثلثة وأما مستطيلة وأما متوازية وأما شبه منحرف أو شكل مختلف الأضلاع .. اذن ما دامت الأرض مسطحة فلا بد أن يكون لها حيز فاذا جئت فى آخر السطح لابد أن تصل الى حافة .. ولكن الله سبحانه يقول " والأرض مددناها " ومعنى ذلك أنك أينما ذهبت فوق سطح الكرة الأرضية تراها ممدودة أمامك أى منبسطة امامك فاذا ذهبت الى القطب الشمالى رأيت الأرض منبسطة واذا أسرع الى القطب الجنوبى رأيت الأرض منبسطة .. واذا

(١) المختار من تفسير القرآن العظيم للشيخ محمد متولى الشعراوى ٢٧/١ - مكتبه التراث الاسلامى - مصر .

ذهبت الى خط الاستواء وجدت الأرض امامك منبسطة فى أى مكان نذهب اليه نرى الأرض منبسطة .. وهذا لايمكن أن يحدث الا اذا كانت الأرض كرية (١).
كما يدلنا سبحانه الى التفكير فى كيفية تسطيح الأرض فالحدث على التفكير فى ذلك ليس فيه معنى يدل على عدم كرية الأرض بل ان أكثر من آية قرآنية تدل بوضوح على أن الأرض ذات سطح كرى قال تعالى : ﴿يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِثًا﴾ (الاعراف : ٥٤) . وقال تعالى : ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (ياسين : ٤٠) وقال تعالى : ﴿يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُورُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر : ٥) .

ويقول الشيخ الزندانى فى كتابه توحيد الخالق فى تفسير الأيتيين الاوليتين بقوله " أن الليل والنهار يجريان فى تتابع بحيث يسبق أحدهما الآخر وان كلا منهما يحل محل الآخر ومن المعلوم أن هذا التتابع على الأرض . وعليه فاما أن يكون هذا التتابع على خط مستقيم أو خط دائرى فاذا كان تتابع الليل والنهار فى خط مستقيم فانه لن يحدث على وجه الأرض الا ليل واحد ونهار واحد مما يجعل التتابع على وجه الأرض المشار اليه فى الآية مستحيلا ، واذاً لايمكن الا أن يكون تتابع الليل والنهار على الأرض فى شكل دائرى كما يشير اليه بدقته قوله تعالى : ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ والتقليب يعنى الدورة بشكل دائرى لا السير فى خط مستقيم . ويزيد الأمور وضوحاً قوله تعالى : ﴿يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُورُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر : ٥)

ولا يكون تكوير الا على سطح كرى دائرى ومن المعلوم ان الليل والنهار

يكوران على الأرض . ومن هذه الآيات يتضح لنا الصورة الكرية للأرض : (١)

فسبحان من دحا الأرض .

كما يستفاد من الدحو معنى الدحرجة والازاحة والى ذلك يشير الشيخ

الزندانى بقوله " والدحرجة تعنى الدوران وقد رأى بعض المفسرين ان قوله

تعالى : ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب صنع الله

الذى اتقن كل شيء ﴾ (النمل : ٨٨) . اشارة صريحة الى

أنه دوران الأرض وأنكروا ان يكون ذلك يوم القيامة لأنه لا يبعث الانسان

الا بعد أن تكون الأرض قاعا صفصفا فلا يتمكن من الرؤية فيها " (٢) واستدل

بقوله تعالى فى رؤية الجبال يوم القيامة ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل

ينسفها ربى نسفا . فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ﴾

(طه : ١٠٥ - ١٠٧) .

ويشير الشيخ محمد متولى الشعراوى فى تفسير قوله تعالى " وتترى

الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب " بقوله " معناه .. أنك وأنت

أمام هذه الجبال وأهم .. لأنك تظن أنها جامدة وهي تمرمر السحاب .

ثم يأتى بعد ذلك استخدام الله سبحانه كلمة مر السحاب .. وكما قلت

ان اختيار الألفاظ فى القرآن دقيق جدا . مر السحاب . لماذا لم يقل

سبحانه مثلا مر الرياح .. أو مر العواصف . أو مر الامواج أو أى لفظ

آخر .. لأن السحاب لا يتحرك بنفسه بل تدفعه قوة ذاتيه هى قوة الرياح

فحين يتحرك السحاب من مكان الى آخر لا يتطلق بذاته وبمعنى بل تأتى

(١) توحيد الخالق - عبدالمجيد عزيز الزندانى ٧٦/٣ - الطبعة الثالثة

١٤٠٨ هـ - دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة .

(٢) المصدر السابق ٧٧/٣

الرياح وتحمله من مكان الى آخر .. فكأن الله سبحانه وتعالى يريد
أن يقول لنا أنتبهوا .. ان حركة الجبال ليست ذاتية كحركة الأرض وليست
حركة ذاتية كحركة الرياح فهي لا تتحرك بذاتها .. اي لا تنتقل من مكانها
على سطح الأرض الى مكان آخر على سطح الأرض .. لا .. ان مكانها ثابت
ولكنها تمر امامكم مر السحاب أي تتحرك بحركة الأرض .

وأستبعد سبحانه كل الالفاظ التي تعطى الجبال ذاتية الحركة .. اي أن
الذى يتحرك ذاتيا هي الأرض .. والجبال تتبع هذه الحركة " . (١)

وكما ان كرية الأرض من الحقائق العلمية كذلك مسألة دورانها
والآيات السابقة تشير مثل قوله تعالى : * يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل * (الزمر : ٥) .

والتكوير يدل معناه اللغوي على اللغوالى من كور العمامه
ومعلوما ان الليل والنهار كما ذكر سابقا يتتابعان باستمرار وذلك على
الأرض ولا يكون ذلك الا اذا كانت الأرض تدور .

ولهذا الدوران فوائد عظيمة سنستعرضها فى الفصول اللاحقة .
ولقد شاهد أحد رواد الفضاء مما يدل على كرية الأرض ودورانها حول
نفسها امام الشمس حينما كان يدور حول الأرض وقد أكد مشاهدته بالتصوير
المتحرك . (٢) .

هذا عن دورانها وكريتها فقد أوضحت لنا آية دحو الأرض هذه المعانى
العظيمة التى أكدتها الحقائق العلمية واقوال المفسرين من مساندة
الآيات الأخرى فالقرآن كل لا يتجزأ يفسر بعضه بعضا .

(١) المختار من تفسير القرآن العظيم - الشيخ محمد متولى الشعراوى -

٣٧/١ - ٣٨

(٢) المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن - د. عبدالمعطي خضر -
ص ٢٨٥ - الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة

كما يمكن الاستفادة من آية الدحو أن لهذا الدحو نقطة بداية تكون مركز هذه الأرض . فنجد الآثار عن الصحابة والتابعين تؤكد أن الأرض دحيت من مكة المكرمة التي جعلها الله سبحانه وتعالى موقعا لبيته الحرام . فقد ذكر الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد " أن الله خلق البيت قبل الأرض بألفى عام ومنه دحيت الأرض " (١) وكما ورد عن عطاء وإبراهيم النخعي بأنها دحيت من مكة من تحت الكعبة . (٢) والأخبار في ذلك كثير فيما توردته كتب التفسير وذكر ابن تيمية في فتاويه فقال " دل الكتاب والسنة وما روى عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحسن والعقل وكشوفات العارفين أن الخلق والأمر ابتدا من مكة أم القرى فهي أم الخلق . فمكة أم القرى من تحتها دحيت الأرض " . (٣)

ولقد أثبت البحث الجغرافي أن الكعبة المشرقة هي موقع يقع في مركز الكون الصغير الأرض .

ويذكر الباحث الدكتور حسين كمال الدين القائم بهذا البحث أن الدافع له في ذلك هو حاجة المسلمين إلى معرفة اتجاه القبلة للصلاة عندما يحين وقتها . وأن فكرة هذا البحث هو عمل خريطة جديدة للكعبة الأرضية يجعل فيها مدينة مكة المكرمة مركزا لهذا الاسقاط ويكون الهدف من ذلك بيان اتجاهات القبلة على هذه الخريطة .

وكان من نتائج البحث بعد وضع الخطوط الأولى ورسم القارات الأرضية وجد أن مكة المكرمة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات أي

(١) جامع البيان للطبري ٤٥/٣٠

(٢) الدر المنثور للسيوطي ٤١٢/٨

(٣) الفتاوى لابن تيمية ٤٣/٢٧ ، ٥٠٧

ان الأرض اليابسه على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعا منتظما

وان مدينة مكة تعتبر مركزا للأرض اليابسه . (١)

(١) مجلة البحوث الإسلامية — رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء

والدعوة والإرشاد ص ٧٣٠ - ٧٧٧

مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر عام ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - شركة العبيكان

للطباعة والنشر - الرياض .

الفصل الثالث

الزمن وخلق السموات والأرض

ويشتمل على المباحث :

أولاً : مدة خلق السموات والأرض .

ثانياً : استدارة الزمان وعلاقته بخلق السموات والأرض .

المبحث الأول

مدة خلق السموات والأرض :

ذكر لنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز المدة التي كانت فيها عملية خلق السموات والأرض فذكر أنها ستة أيام وذلك مجملا في سبع مواضع من الذكر الحكيم مثل قوله تعالى : ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الاعراف : ٥٤) وقال تعالى ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ﴾ (هود : ٧) وقال تعالى : ﴿ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فسل به خبيرا ﴾ (الفرقان : ٥٩) .

وفصل ذلك في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿ قل أأنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (فصلت : ٩ - ١٢)

وبالرجوع الى مادة يوم في اللغة نجد أنها تدل على معاني عدة عند

العرب وهي :

١ - اليوم : من طلوع الشمس الى غروبها أو من طلوع الفجر الصادق

الى غروب الشمس .

٢ - اليوم : الوقت الحاضر .

٣ - اليوم : الوقت مطلقا بحيث يختص بالنهار دون الليل .

٤ - اليوم : مطلق الزمان .

٥ - اليوم : يعبر به عن الشدة .

٦ - اليوم : بمعنى الوقائع .

٧ - اليوم : الدهر .

٨ - اليوم : بمعنى الدولة وزمن الولايات . (١)

ويذكر صاحب الفروق اللغوية أن "اليوم هو اسم لمقدار من الأوقات

يكون فيه هذا السنا" (٢) والسنا مقصود به الضياء .

وقبل الخوض في المقصود بالايام التي خلق الله فيها السموات والأرض

وأقوال المفسرين في ذلك نستعرض ما يستفاد من الآيات التي ذكرت

هذه المدة .

ما تدل عليه الآيات المتضمنة لمدة خلق السموات والأرض :

أولا : ان مدة خلق السموات والأرض هي ستة أيام .

ثانيا : ان هذه المدة شملت خلق الأرض وخلق السموات وخلق ما بين السموات

والأرض .

ثالثا : ان الاستواء على العرش كان بعد خلق السموات والأرض وما بينهما .

رابعا : ان الماء خلق قبل السموات والأرض .

(١) لسان العرب لابن منظور ٦٤٩/١٢ ، تاج العروس للزبيدي ١١٥/٩

(٢) الفروق اللغوية لابي هلال العسكري ص ٢٢٦

خامسا : كان العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض .

سادسا : ان مدة خلق الأرض يوم——ان .

سابعا : جعله سبحانه الرواسى فوق الأرض والمباركة فى الأرض وتقدير——

الاقوات فيها تمام اربعة ايام من خلق الأرض .

ثامنا : ان مادة السماء حال استوائه سبحانه اليها هى الدخان .

تاسعا : ان الله تعالى أتم خلق السماء التى كانت دخانا فجعلها سبعا

واوحى فى كل سماء امرها وزين السماء الدنيا بمصابيح فى يومين

عاشرا : نصوص الآيات لاتمنع ان يكون هناك تداخلا فى مدة خلق كلا ——

السموات والأرض وما بينهما بحيث ان خلال مدة خلق الأرض خلقت

السموات والعكس . بل هى تدل على ذلك والله تعالى على كل شئ

قدير—— .

اقوال المفسرين فى المقصود بالايام :

وقد اختلف المفسرون حول تحديد المقصود بالايام الست الى اقوال

متعددة هى :

١ - ان الله عز وجل خلق السموات والأرض فى ستة أيام كل يوم مقداره ألف

سنه نص على ذلك مجاهد والامام احمد بن حنبل ويروى ذلك عن ابن

عباس . (١) وقد نقل عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يدبر

الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف

سنه مما تعدون ﴾ (السجدة : ٥) قوله " من الايام الستة التى

خلق الله فيها السموات والأرض " (٢) وذكر عن بعض أهل العلم

(١) تفسير ابن كثير ٢٢٠/٢

(٢) جامع البيان للطبرى ٩٢/٢٠ ، الدر المنثور للسيوطى ٥٣٧/٦

قوله " الأيام من أيام الآخرة كل يوم مقداره الف سنة ابتداءً فى

الخلق يوم الأحد وختم الخلق يوم الجمعة " (١).

٢ - وقال البغوى "فى ستة أيام اى مقدار ستة أيام لأن اليوم من ليلته
طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن يومئذ يوم ولا شمس ولا سماء ، وقيل
كأيام الدنيا " (٢) والى ذلك ذهب البيضاوى والرازى وابو السعود (٣)
ولقد وردت احاديث فى تحديد الايام التى خلق فيها السموات والأرض
تكلم فيها العلماء . أشهر هذه الأحاديث ما أورده الامام مسلم فى صحيحه
واحمد فى مسنده وغيرهما عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : أخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : (خلق الله عز وجل
التربة يوم السبت وخلق فيها الحبال يوم
الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق
المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب
يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى
آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى
الليل) (٤)

وقد ذكر الامام البخارى فى التاريخ الكبير ان الصحيح فى هذه الرواية
هى من رواية ابي هريرة عن كعب وليست مرفوعة الى النبى صلى
الله عليه وسلم . (٥)

-
- (١) المصدران السابقان ٣/١٢ ، ٤٧٣/٣
(٢) معالم التنزيل فى التفسير والتأويل للبغوى ٤٨١/٢
(٣) انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى ١٢/٣ -
مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت ، تفسير الرازى ١٠٠/١٤ ،
تفسير ابو السعود ٣٤٩/٢ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٣/١٧ ، مسند الامام احمد ٣٢٧/٢
صحيح مسلم ٢١٤٩/٤ باب كتاب صفات المنافقين حديث رقم ٢٧ باب ابتداء
الخلق .
(٥) التاريخ الكبير للامام البخارى ٤١٣/١ - طبع تحت مراقبة - د. محمد
عبدالمعيد خان - توزيع دار الباز للنشر والتوزيع .

وذكر ابن كثير في تفسيره ان هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد
تكلم فيه ابن المديني وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب الاحبار
وان ابا هريره انما سمعه منه فاشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا
وقد حرر ذلك البيهقي . (١) وقد سكت الامام النووي عن الحديث في شرح
مسلم . ولقد صحح الشوكاني الحديث في تفسيره . (٢)

ولقد تكلم العلماء على الحديث من جهة متنه وراؤ أنه معارض للقرآن
فقال الحافظ ابن كثير " و في الحديث استيعاب الأيام السبعة والله
تعالى قد قال في ستة أيام ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ
في هذا الحديث " . (٣)

أما من صححه فإنه يرى انه لاتعارض بينه وبين نص القرآن فـان
القرآن ذكر ان الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وخلق
الأرض وحدها في يومين ، والحديث انما بين أن الله تعالى خلق ما في
الأرض في سبعة أيام ، ويحتمل عند بعض من صححه ان تكون هذه الأيام
السبعة غير الأيام الستة التي ذكرها الله تعالى في خلق السموات
والأرض وحينئذ لاتكون معارضة وانما الحديث فصل كيفية الخلق على
الأرض وحدها . (٤)

كما أورد الحاكم في مستدركه وابن جرير في تفسيره عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان اليهود آتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته
عن خلق السموات والأرض فقال : (خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنيـن

(١) تفسير ابن كثير ٦٩/١

(٢) فتح القدير للشوكاني ٦٢/١ - دار الفكر - بيروت - طبعة عام ١٤٠١ هـ

(٣) تفسير ابن كثير ٢٢٠/٢

(٤) جامع الاصول تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ٢٦/٤ - من كلام المحقق .

وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة فقال عز وجل ﴿ أَتُنْكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ إِندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسٍ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلْسَّائِلِينَ ﴾ وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقين منه فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال حين يموت من مات وفي الثانيه القى الآفه على كل شيء مما ينفع به الناس وفي الثالثة آدم واسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة ، ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال : ثم استوى على العرش قالوا قد اصبحت لواء تمت قالوا ثم استراح قال : فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزلت ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ (١) وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد تابعه الذهبي في تلخيصه فقال " في أحد رواة الحديث وهو أبو سعيد البقال قال : ابن معين لا يكتب حديثه " وذكر ابن كثير في تفسيره ان الحديث فيه غرابه . (٢)

٣ - ذهب المفسرون الى ان المقصود بالايام عبارة عن نوبات أو اطوار ومراحل اي في ستة نوبات او ستة اطوار مرة على خلق السموات وما بينهما . (٣)

(١) مستدرک الحاكم وبذيله التلخيص للذهبي ٥٤٣/٢ ، جامع البيان للطبري ٩٤/٢٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ٩٤/٤

(٣) التفسير العلمی للآيات الكونية فی القرآن - حنفی احمد ص ١٣٢ ، الكون والاعجاز العلمی للقرآن - د. منصور محمد حسب النبي ص ٣٢٧ ، دراسة الكتب المقدسه فی ضوء المعارف الحديثه - مورس بوكای ص ١٥٨ .

مدة خلق السموات والأرض في ضوء ونتائج العلم الحديث :

ماتوصل اليه العلم الحديث في هذا المجال هو عبارة عن ارقام مهولة لتحديد ذلك فعلى سبيل المثال يرى فريق من الفلكيين أنه منذ نحو خمسة الالف مليون سنة مضت تكونت المجموعة الشمسية . كما يعتقد فريق كبير من مشاهير علماء الفلك ان عمر الكون لايمكن ان يزيد عن عشرة آلاف مليون سنة بكثير . (١) اما عن تكون الجبال التي تعتبر جزءا من الأرض والتي تأتي في مدة الأيام الأربعة الأولى من بدأ خلق الأرض فقد قال علماء الجيولوجيا : " ان جبال هماليا بدأت ترتفع فوق البحر منذ حوالي ستيين مليون سنة وانها لم تبلغ ارتفاعها الحالي الا منذ مليون سنة تقريبا . اما جبال الالب فقد بدأت تتكون منذ نحو عشرة ملايين سنة تقريبا . لكن هذه السلاسل العظيمة حديثة جدا اذا ما قورنت ببعض الجبال الأخرى فالجبال الواقعة في الشمال الغربي من استكلندا من اقدم جبال العالم وقد تكونت منذ مايزيد عن اربعمائة مليون سنة . ولقد كانت ككـالـ الجبال القديمة في العالم أشد ارتفاعا مما هي عليه الآن " . (٢)

هذا مقالته المفسرون ومقالته أهل الفلك والجيولوجيا عن المدة التي تكونت فيها السموات والأرض وما بينهما . ولاشك ان بينهما اختلافات عظيمة .

والراجع والله اعلم ان المقصود بالايام التي خلق الله سبحانه وتعالى فيها السموات والأرض وما بينهما زمان مطلق اختص الله بعلمه وانما اطلعنا سبحانه على ان هذا الزمان محدد بالعدد ستة فهي من أيام

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٢٧ ، ١١١

(٢) الموسوعة العلمية الحديثة - الأرض ص ١٨ - ١٩

الله التي تحدد بعمل من اعماله سبحانه . والى ذلك ذهب السيد قطب
فى تفسيره فقال " فأما الايام الستة الى خلق الله فيها السموات والأرض
فهى كذلك غيب لم يشهده أحد من البشر ولا من خلق الله جميعا لقوله
تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم وماكنن
متخذ المضلين عبدا ﴾ (الكهف : ٥١) .. وكل ما يقال عنها
لايستند الى أصل مستيقن . أنها قد تكون ست مراحل وقد تكون
اطوار وقد تكون ستة أيام من أيام الله التى لاتقاس بمقاييس زماننا
الناشئة عن قياس حركة الاجرام اذا لم تكن قبل الخلق هذه الاجرام التى
نعيش نحن بحركتها الزمان .. وقد تكون شيئا آخر .. فلا يجزم أحد
ماذا يعنى هذا العدد بالتحديد " (١)

المبحث الثاني

استدارة الزمان وعلاقته بخلق السموات والأرض :

ان مادة الزمان أو الزمن لم ترد في القرآن الكريم بهذا اللفظ ،
انما وردت بما يدل عليها من مترادفتها مثل : الساعة - اليوم - السنه
العام - الدهر - الليله .

ولو تطرقنا لكل واحدة من هذه وما المقصود بها في اللغة وما هي
أوجه ورودها في القرآن لأخرجنا ذلك عن خطه البحث ، لكن هذه المترادفات
كل منها تعطى مدلولاً لزمن معين فما هو هذا الزمن ؟ وكيف ينشأ ويقاس ؟
يقول أهل اللغة الزمن والزمان : " اسم لقليل الوقت وكثيره .
واصل يدل على وقت من الأوقات من ذلك الزمان وهو الحين قليله وكثيره" (١)
وحقيقة الزمان كما ذكر البلوى في كتابه الفباء انما " هو مقابلة
حادث بحادث آخر ، تقول جاء فلان فيقال اذا كان كذا لامعنى للزمن
الا هذا " (٢) .

وحساب الزمن عند الانسان منشأه من حركات الاجرام السماوية حول نفسها
او بعضها كما نلاحظ ان حركة الأرض حول نفسها تحدد اليوم والليـلـة
وحركتها حول الشمس تحدد السنه وحركة القمر حول الأرض تحدد الشهر
وهذا ما ثبت علمياً فأصبح حقيقة .

ولقد ورد في الحديث النبوي الذي رواه ابي بكره رض الله عنه

(١) لسان العرب لابن منظور ١٩٩/١٣ ، مقاييس اللغة ٢٢/٣
(٢) كتاب ألف باء لأبي الحجاج يوسف محمد البلوى ٨٧/١ - عالم الكتب -
بيروت .

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض . السنه اثنا عشر شهرا ، منها اربعة حرم : ثلاثة متوليات - ذو القعدة وذو الحجة والمحرم - ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) الحديث . (١)

ولقد اوردته المفسرون عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (التوبة : ٣٦) فما المقصود باستدارة الزمان وعلاقتها بخلق السموات والأرض حسبما قال المفسرون وشرح الحديث .

استدارة الزمان عند المفسرين وشرح الحديث :

يقول ابن حجر في الفتح " قوله كهيئته صفه مصدر محذوف تقديره استدارا استدارة مثل صفته يوم خلق السماء . وان المراد بالزمان السنه " . (٢)

وقال البغوى في شرح السنه " استدار بمعنى دار والزمان المراد به الدهر وسنيه ونقل عن بعضهم بأن الزمان والدهر واحد وأنكر بعضهم عليه بأن الزمان زمان الحر ، وزمان البرد ، وزمان الرطب ويكون الزمان من شهرين الى سته أشهر والدهر لا ينقطع الا أن يشاء الله عز وجل " (٣)

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى - كتاب بدء الخلق ٢٩٣/٦ حديث رقم ٣١٩٧ ، صحيح البخارى ١٣٠/٤ باب ما جاء فى سبع أرغين وصحيح مسلم ١٣٠٥/٢ حديث رقم ٢٩ - وصحيح مسلم بشرح النووى - كتاب القسامه باب تغليظ تحريم الدماء ١٦٧/١١ ، سنن أبى داود - كتاب المناسك باب الأشهر الحرم ١٩٥/٢ .

(٢) فتح البارى لابن حجر ٢٩٥/٦ ، ٣٢٤/٨

(٣) شرح السنه للإمام البغوى ٢١٧/٧ - تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط - المكتب الاسلامى - بيروت .

وكما ذكر ابن الاثير في الجامع ان معنى استدار اى دار واليه ذهب صاحب عون المعبود . (١)

اما الاقوال في المقصود بدورة الزمان فهي كما ذكرها المفسرون وشرح الحديث وهى :

١ - كان العرب في جاهليتهم يخالفون في أشهر السنة بالتحليل والتحریم والتقديم والتأخير لأسباب تعرض لهم ، منها استعجال الحرب فيستحلون الشهرم الحرام ثم يحرمون بدله شهرا غيره فيتحول في ذلك شهـور السنة وتتبدل ، فاذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر الى أصله فاتفق وقوع حجة النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك . نقل ذلك عن الخطابي وعزاه اليه ابن حجر في الفتح والى هذا المعنى اشار الامام النووي وقال : " ان الاستدارة صادفت حكم الله تعالى به يوم خلق السموات والأرض " . (٢)

٢ - وذكر ابن كثير ان الطبراني ذكر عن بعض السلف في جملة احاديث أنه أـتفق حج المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد وهو يوم النحر عام حجة الوداع . وقال عنه انه غريب . (٣)

٣ - ونقل القرطبي عن مجاهد قوله " كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذى الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور كلها حتى وافقت حجة أبى بكر رضى الله عنه التى حجها قبل حجة الوداع ذا القعدة من السنة التاسعة . ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل

(١) جامع الأصول ٢٦٦/١ ، عون المعبود في شرح سنن ابى داود لابى الطيب

محمد آبادى ٤٢٢/٥ - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت .

(٢) فتح البارى ٣٢٥/٨ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٨/١١

(٣) تفسير ابن كثير ٣٥٤/٢

حجه الوداع فوافقت ذا الحجة فذلك قوله فى خطبته :

" ان الزمان قد استدار " الحديث اراد بذلك أشهر الحج رجعت الى موضعها ، وعاد الحج الى ذى الحجة وبطل النسب " . (١)

٤ - كما نقل القرطبى عن بعضهم قال " كان المشركون يحسبون السنة اثنى عشر شهرا وخمسة عشر يوما فكان الحج فى رمضان وذى القعدة وفى كل شهر من السنة بحكم استدارة الشهر بزيادة الخمسة عشر يوما ، فحج ابو بكر سنة تسع فى ذى القعدة بحكم الاستدارة ولم يحج النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل وافق الحج ذا الحجة فى العشر ووافق ذلك الالهة " وهذا القول أشبه بقول النبى صلى الله عليه وسلم " ان الزمان قد استدار " اى زمان الحج عاد الى وقته الاصلى الذى عينه الله يوم خلق السموات والارض بأصل المشروعية التى سبق بها علمه ونفذ بها حكمه . (٢)

٥ - ونقل ابن حجر عن بعضهم واعتمده أن هذه المقالة " ان الزمان استداره كهيئته .. " صدرت من النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر مارس وهو آذار وهو برمهات بالقبطية ، وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل " . (٣)

٦ - ونقل القرطبى عن بعضهم ان الخوارزمى قال " أول ما خلق الله الشمس أجراها فى برج الحمل وكان الزمان الذى أشار به النبى صلى الله عليه وسلم صادف حلول الشمس برج الحمل ، واعترض عليه القرطبى بأن ذلك يحتاج الى توقيف . (٤)

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ١٣٧/٨

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) فتح البارى لابن حجر ٢٩٥/٦ ، ٣٢٤/٨

(٤) الجامع لاحكام القرآن ١٣٨/٨

المقصود باستدارة الزمان من خلال نتائج العلم الحديث :

بعد ان استعرضنا ما قاله المفسرون وشرح الحديث في المقصود باستدارة الزمان . وكما اسلفنا سابقا فان قياس الزمن ناتج عن حركة الاجرام السماوية بعضها حول بعض أو حركتها حول نفسها فيجب علينا ان نستعرض ما قاله علماء الفلك في حركات الأرض التي جبلها الله عليها يوم خلق السموات والأرض فنجد ان حركات الأرض تتراوح بين خمسة إلى اثني عشر حركة . (١) منها ثلاث حركات تحدد ثلاثة ازمنة جعلها الله سبحانه وتعالى مقياسا للخلق يتعرفون بها على السنين والحساب كما قال تعالى : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) . والحركات الثلاث للاجرام التي تحدد الازمنة هي :

١ - حركة الأرض حول نفسها والتي تحدد بالحركة اليومية للشمس والنجوم وهي ما يحدد به قياس الليل والنهار .

٢ - حركة القمر حول الأرض وهي دورة اطوار القمر والتي تحدد الشهر الهجري .

٣ - حركة الأرض حول الشمس وهي تحدد العام الميلادي .

وهذه الحركات معروفة لغالبية البشر لأنهم يحسون نتائجها بحسب الزمن الذي يحدد لهم طريقة التعامل مع بعضهم البعض في حركة حياتهم ومعيشتهم .

(١) دائرة المعارف للبيستاني ١٢١/٣ ، كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٦٢

ولكن الاخرى ما هي ؟ وماذا يقول عنها علم الفلك ؟

هناك عناصر من الحركة المعروفة تؤثر على الأرض ككوكب ، ومعظمها يحدث ببطء شديد بحيث نتعرف عليه فقط عن طريق قياس الشذوذ أو عدم الانتظام الصغير الذى يطرأ على الحركتين الاساسيتين . وهاتان الحركتان اللتان يمكن رصدتهما من غير الاستعانة بأجهزة خاصة هما : دوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس . وتعرف أعظم هذه الحركات شيئاً ما " ترنج الاعتدالين " وهى عبارة عن حركة دورانية لمحور الأرض كما لو كانت فى مخروط . (١)

" وفى وقتنا هذا يشير المحور الى موقع القطب السماوى قريباً من ألمع نجم فى كوكبه الدب الاصغر والذى نسميه طبقاً لذلك النجم الشمالى أو النجم القطبى . ولكن هذه الحركة التدريجية والتى تسمى ايضا بالتبادر تحرك القطب السماوى الشمالى بعيداً عن هذا النجم فبمرور الزمن تكون هناك نجوم شمالية أخرى حتى تمر ست وعشرين ألف سنة ويشير المحور ثانية للنجم اللمع فى كوكبه الدب الاصغر " . (٢)

وحتى لانطيل الشرح فى هذه الحركات نود ان نعرض خلاصة لبعض الحركات التى تطرأ على الأرض مقترنة بالزمن لكل دوره مأخوذة من كتاب الفلك . (٣)

-
- (١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٦٢ - ٦٣
(٢) آفاق جديد فى علم الفلك - جون براندت وستيفن ماران ص ٧٨ .
(٣) المصدران السابقان ص ٦٨ ، ص ٤٦٥

الفترة

الحركة

٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة و ٥٩.٥٩ ثانية	الدوران حول محورها
٢٥٦ر٣٦٥ يوما اى حوالى ٣٦٥ وربع يوم	الدوران حول الشمس
٢٦ ألف سنة	توانح الاعتدالين " التبادر "
٤٠ ألف سنة	حركة تغير ميل المحور الاصلى
٢٥٠ مليون سنة	حركة الشمس ومعها الارض فى المجرة
	وهناك حركات اخرى للارض مثل

- ١ - الاضطرابات الناجمة عن قبضه جذب الكواكب السياره الأخرى .
- ٢ - التغير فى الاختلاف المركزى لفلك الارض .
- ٣ - دوران المحور الاكبر للفلك حول الشمس .

هذا ما يعرضه علم الفلك من حركات تطراً على الأرض وينتج عنها
 زمن وكل حركة عبارة عن دورة تستغرق وقت معين فهل هناك علاقة بين أحد
 هذه الحركات المحددة واستدارة الزمن المعينه فى مقال الرسول صلى
 الله عليه وسلم " ان الزمان استدار كهيشته يوم خلق السموات
 والأرض " ؟

واذا كان هناك علاقة فما هى الحركة المقصودة والتي نتج عنها
 استدارة الزمان ؟

وكم دورة مرة من يوم خلق السموات والأرض وحتى مقالة الرسول صلى الله
 عليه وسلم ؟

ولا غرابة فى هذه التساؤلات فان لنا فى اسلافنا أسوة فلقد سبقونا
 فى الاستفادة مما جد لديهم من علوم لتفسير بعض نصوص الوحي التى تدل
 على الأعجاز .

• فهناك دلالات واضحة على وجود مدبر حكيم لهذا الكون .

وان هذه الدلالات وضعها سبحانه تحقيقا لقوله : ﴿ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

آيَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَنْبِيْنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ ۞۞۞۞۞۞

(فصلت : ٥٣) •

الفصل الرابع

تمهيد الأرض للحياة

ويشتمل على المباحث:

أولا : الماء

ثانيا : الجبال

ثالثا : الهواء والغلاف الجوى

تمهيد الأرض للحياة :

ان الله سبحانه وتعالى جعل هذه الأرض دار ابتلاء واختبار للانسان
قال تعالى : ﴿ انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن
عملا ﴾ (الكهف : ٧) . وان صح لنا التعبير فالأرض كصالة
الامتحان التي يهيأ للطلاب فيها الجو المناسب ليؤدي امتحانه فــــى
سهولة ويسر ليحقق النتيجة التي يستحقها بعد الامتحان :

واذا استعرضنا الآيات القرآنية التي توضح لنا ماهى الاشياء التى
امتازت بها الأرض لتصبح مكانا ملائما لهذا الانسان المبتلى لوجدنا
الآيات فى ذلك كثيرة كلاً يعالج جانباً من جوانب الحياة سواء المعيشية
او الجغرافية او السياسية او الاقتصادية او الفلكية او الجيولوجية
الى غير ذلك من الجوانب التى تتعلق بالحياة على الأرض .

وفى هذا المبحث سوف نتعرض الى بعض الجزئيات من الجانب الفلكى
وما يتعلق به من علوم أخرى لتوضح كيفيه اعداد الأرض للحياة الانسانية .
ان اساس الحياة على كوكب الأرض مع كونها كرة ساجه فى الفضاء
الكونى حسبما اقتضته العناية الالهية هو الماء والهواء . لذلك فان
علماء الفلك والجيولوجيا والاحياء أول ما يدرسون على الكواكب الأخرى
لمعرفة مدى صلاحيتها للحياة هو وجود الماء والهواء .

قال تعالى : ﴿ أنتم أشد خلقاً أم السماء بناءها رفع سمكها
فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج
منها ماءها ومزعاها . والجال ارساها . متاعا لكم ولأنعامكم

ويقول تعالى : * اولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون • وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون • وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون • وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون * (الانبياء : ٣٠-٣٢) وقال تعالى : * ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * (الروم : ٤٦) •

من الآيات السابقة نجد أن أهم الوسائل والادوات التي أعدت بها الأرض لتكون صالحة للحياة ما يأتي :

١ - مدها وتوسيعها وبسطها قال تعالى : * والأرض فرشناها فنعمم

الماهدون * (الذاريات : ٤٨) •

٢ - اخراج الماء من الأرض وجعله سبحانه العنصر الاساسي للحياة •

٣ - ارساء الجبال وجعلها في الأرض حتى لاتמיד وجعل فيها الفجاج •

٤ - الهواء وهو الذي لا يستغنى عنه أنسان حي ويتمثل في الغلاف الجوى

بطبقاته وهو السقف المحفوظ • وما يدل على حركته وهو المعبر

عنها بالرياح ووجوه الاستفادة منها •

ولقد وردت معاني عدة في بسط الأرض وجعلها ذلولا كلا يفسر الآخر

ويوضح جانبا من الجوانب • فمن هذه المعاني والالفاظ :-

الدحو - الطحو - التوسيع - كما جعلت فراشا - ومهدا - وقرارا

وذلولا - وبساطا ومستقر ومتاع الى حين - وتسطيح الأرض •

وكل هذه المعاني تدل على عناية الخالق جل وعلا ورحمته بعبادة

بأن جعل سطح هذا الكوكب الكرى الشكل السابح فى الفضاء ذلولا لهذا

الانسان .

والذلول المنقاد الذى يذل لك والمصدر الذل وهو اللين والانقياد (١)

ويطلق عادة على الدابة . ويذكر سيد قطب فى هذه الآية معنى جميلا

يجمع بين النظرة القديمة والحديثه بالنسبة للأرض فيقول " الأرض الذلول

كانت تعنى فى أذهان المخاطبين القدامى هذه الأرض المذلة للسير فيها

بالقدم وعلى الدابة وبالفلك التى تمخر البحار . والمذلة للزرع

والجنى والحصاد . والمذلة للحياة بما تحويه من هواء وماء وتربته

صالحة للزرع والانبيات .

وهى مدلولات مجملة يفصلها العلم - فيما اهتدى اليه حتى اليوم

تفصيلا يمد فى مساحة النص القرآنى فى الإدراك . فالأرض التى نراها

ثابتة مستقرة ساكنة ، هى دابة متحركة .. بل راحه راکفه مهبطه :

وهى فى الوقت ذاته ذلول لاتلقى براكبها عن ظهرها ولا تتعثر خطاها ،

ولا تنخفض وتهزه وترهقه كالدابة غير الذلول .

ان هذه الدابة التى نركبها تدور حول نفسها بسرعة الف ميل فى

الساعة ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالى خمسة وستين ألف ميل

فى الساعة . ثم تركز مع الشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل

عشرين ألف ميل فى الساعة ، مبتعدة نحو برج الجبار فى السماء .. ومع

هذا الركض كله يبقى الانسان على ظهرها آمنا مستريحا مطمئنا

معافى " . (٢) وغير هذه الحركات التى ذكرها سيد قطب هناك حركات

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢١٤/١٨

(٢) ظلال القرآن ٣٦٣٧/٦

أخرى بحيث تصل حركات الأرض حوالى اثنا عشر عنصرا من عناصر الحركة
المعروفة التى تؤثر على الأرض ككوكب ومعظمها يحدث ببطء شديد . (١) ولكل
حركة من هذه الحركات حكمة جعلها الله سبحانه وتعالى فيها لمصلحة
هذا الانسان . ومع ذلك يشعر الانسان بان هذه الأرض ثابتة مستقره على
وضع واحد بعنايته سبحانه .
كما وتتضح جوانب تدليل الأرض للانسان فى أشياء كثيرة منها :

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكـون ص ٦٢

المبحث الاول

أولا : الماء :

هناك حقيقة عرفها العلماء وبالأذات علماء الأحياء والكيمياء هي أنه لا توجد حياة بدون ماء مع أنه قد توجد حياة بدون هواء كحياة بعض البكتيريا كما وجدوا أن الماء هو المادة الوحيدة التي لها من الصفات ما يجعلها وسطا صالحا لاستمرار الحياة . (١)

كما أن الماء لا يمكن أن يوجد سائلا في أي كوكب إلا إذا توفرت لهذا الكوكب القدرة على الاحتفاظ ببخار الماء عند درجة حرارة الماء السائل . . . ووجود الماء على سطح أي كوكب معناه توفر الأكسجين والهيدروجين وثاني أكسيد الكربون . . . ومعنى ذلك أن الكوكب يحتفظ بغلاف جوي . (٢)

وإذا رجعنا للآيات القرآنية نرى توضيح ذلك وأنها سبقت علماء العصر الحديث بتقرير ما ذهبوا إليه لأن القرآن هو كلام خالق الكون ومدير أمره قال تعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ . *

وأذا تأملنا نسب اليابس والماء على سطح الأرض نجد نحو ٧١ ٪ من سطح الأرض يغطيه البحر و ٢٩ ٪ من سطح الأرض عبارة عن اليابسة . (٣) مما يدل على أهمية الماء للحياة على هذا الكوكب الأمر الذي لا يتوفر لأي كوكب من كواكب المجموعة الشمسية على حد ما توصل إليه العلم

(١) كتاب التوحيد للشيخ عبدالمجيد الزنداني ٦٧/٣ - الطبعة الأولى ١٤٠٥

دار السلام للطباعة والنشر ، دار المجتمع للطباعة والنشر - جدة .

(٢) الماء والحياة بين العلم والقرآن د . عبدالمعطي خضر ص ٣٨ - الطبعة

الأولى ١٤٠٥ هـ - الدار السعودية للنشر - جدة .

(٣) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١٣

الحديث فى الفلـك .

" هذه الأهمية تتمثل فى الحكمة الإلهية التى جعلها فى الماء منها

تلطيف مناخ الأرض بتوزيع درجات الحرارة على سطحها توزيعا عادلا . ولولا

ذلك لأصبحت فروق درجات الحرارة على الأرض هائلة لدرجة لاتسمح بالقيام

الحياة تماما . وبهذا فان مقدار الماء على سطح الأرض ليس مقسـدا

عشوائيا ولكنه محسوب ومقدر بالعناية الإلهية " . (١) قال تعالى :

﴿ وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناهن الأرض وانا على ذهاب به لقادرون

فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها

تأكلون ﴾ (المؤمنون : ١٨ - ١٩) .

وقوله " بقدر " أى بمقدار محدد لأنه لو كثر أهلك فهو بتقدير

يسلمون معه من المضره ويصلون الى المنفعه منه بقدر حاجاتهم ومصلحتهم .

" والله سبحانه وتعالى قد أسكن الماء فى الأرض بفضل المنخفضات

والتعاريج والتسرب الجزئى فى باطن الأرض وغير ذلك من وسائل التـي

أعدها سبحانه لذلك ولو تخيل الانسان ان الأرض كرة ملساء لاتعاريج فيها

لغطاها الماء بغلاف سمكه ميلان ، ولو أن الجليد الموجود عند قطبي

الأرض قد أنصهر لارتفع مستوى مياه البحار والمحيطات فى العالم كله

بنحو ستين مترا ويغطى البحر مدنا كثيرة أهلة بالسكان " . (٢)

ومصادر الماء فى الأرض هى :

١ - الأمطار وهى المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ وانزلنا من السماء

ماء .. ﴾ .

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور محمد حسب النبى ص ١٨٦

(٢) المصدر السابق ص ١٨٧

٢ - ماء العيون والأنهار وما يستخرج من الآبار وهو المشار إليه بقوله

تعالى : ﴿ فامسكناه في الأرض ﴾ .

٣ - مياه البحار والأنهار وهو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ وهو الذي

مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا

وحجرا محجورا ﴾ (الفرقان : ٥٣) .

وقال تعالى : ﴿ وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شارباً

وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حليه تلبسونها

وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (فاطر: ١٢)

٤ - الينابيع الحارة والنفورات ولعل بعضها ناتج عن الزلازل والبراكين

التي تحدث . (١) وللماء في الأرض دورة وهي ما تسمى بدورة الماء

في الطبيعة له علاقة وثيقة بتسخير الله سبحانه وتعالى للشمس

وطاقتها الحرارية سنتطرق له في مبحث لاحق عن مجال آثار المجموعة

الشمسية .

كما أن البحار والأنهار التي تعتبر من المصادر المهمة للماء في

الطبيعة منها جوانب أخرى تتضح من الآية السابقة الواردة في سورة

فاطر وهي :

أ - الثروة الغذائية الحيوانية التي جعلها الله سبحانه في البحار

والأنهار مسخرة لهذا الإنسان الخليفه في هذه الأرض فهي لازم من

لوازم حياته غير الثروة الغذائية النباتية التي جعل الله

سبحانه وتعالى للماء دوراً كبيراً في وجودها . والآيات

القرآنية مليئة بذلك وفيها دلائل رحمة الله بعباده .

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الأرض ص ٢٤

ب - السفن بمختلف انواعها وأحجامها القديم منها والحديث التى
تمخر عبر البحار ناقله جميع مستلزمات بنى الانسان ومقربسه
للمسافات بين البلدان كل ذلك ليبتغى الانسان من فضل الله
ويديم الشكر للمنعم وشكره بعبادته والاعتراف له بالفضل .

المبحث الثاني

ثانيا : الجبال :

رغم ان الجبال جزء من تضاريس الأرض ولا تعتبر جزءا ملموسا بالنسبة لحجم الأرض الا أن ذكرها بالاسم او بالوصف قد ورد في أكثر من اربعين موضعا من القرآن الكريم . وما يهمنا في هذا المبحث هو دور الجبال في جعل الأرض صالحة للحياة . قال تعالى : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون ﴾ (النحل : ١٥) . وقال تعالى : ﴿ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيهن فجاء سبلا لعلكم تهتدون ﴾ (الانبياء : ٣١) . وقال تعالى : ﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ (لقمان : ١٠) . وكل الآيات الثلاثة تتحدث عن ميد الأرض وعلاقة الجبال بها . ومادا الشيء يميد ميذا : تحرك ومال ، والميد أصلان أحدهما يدل على حركة في شيء . (١)

وأقوال المفسرين في كتب التفسير في أن المقصود بالآيات هـو لثلا تميد الأرض بسكانها ولا تتحرك وليتم القرار عليها وهم مع اختلاف اقوالهم في كرية الأرض لديهم اجماع على أن الأرض لا تتحرك وجعلت الجبال لثلا تميد الأرض ولا تتحرك .

وقد ذكر القرطبي بأن الميد هو التحرك والدوران . (٢) كما ذهب

(١) لسان العرب ٤١١/٣ ، مقاييس اللغة ٢٨٨/٥

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢٨٥/١١

ابن كثير الى ان الأرض ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنه ثابتة وأنه جعل الجبال لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها . (١)

لكننا اذا نظرنا من جهة أخرى نلاحظ ان المقصود بالآيات هو الجسم المتحرك لا الجسم الساكن لأن الجسم المتحرك هو الذى يخشى عليه من العيل والاضطراب .

إذاً لابد من نظرة أخرى قد تتضح لنا من معطيات العلم الحديث .
فالأرض لها دورات عدة منها حول نفسها وأخرى حول الشمس . ودورتها حول نفسها يعنى حول محور وهي حركة مغزلية ينتج عنها اضطراب وميل للأرض اذا كانت الكتل حول المحور متعاشله .

وحيث ان الأرض لاتضطرب ولاتميل بل هي تسبح في فلكها مع عدم شعور سكانها بهذه الحركة اذا فلا بد ان تكون الجبال موزعة في نواحي الأرض على جانب المحور بحيث يؤدي هذا التوزيع الى توازن حركة الأرض وعدم حيودها عن مدارها واضطرابها وميلها . وقد ورد في الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لما خلق الله عز وجل الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال ..) . الحديث (٢)

وعن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد^(٣) أن الله تبارك وتعالى لما خلق الأرض جعلت تمور قالت الملائكة : ما هذه بمقرة على ظهرها

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٦٢

(٢) مسند الامام احمد ٣/١٢٤ ، الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١٠/٩٠

(٣) قيس بن عباد القيس الضيعي . قدم المدينة في خلافه عمر وذكر ابن حجر انه من التابعين - تهذيب التهذيب ٨/٤٠٠

أحدا ، فأصبحت صباحا وفيها رواسيها" . (١)

" لكن توازن الأرض يقوم على أساس الارتفاع والعمق في اجزائها —————
المختلفة حيث أن المادة الأقل وزنا أرتفعت على سطح الأرض وأن المادة
الثقيلة أصبحت خنادق هاوية على شكل بحار ومحيطات . وقد بحثت حالة
ماثتين وست وأربعين جيلا فوجدت أنها موزعة توزيعا جغرافيا مذهلا بحيث
تقع على طول دائرتين في شكل سور له شغرات يحتضن حوضا هائلا تعلوه
الكتل الهوائية وتنخفض فيه وتعمل على انتظام دوران الأرض . والدائرتان
الجبليتان احدهما شماليه والاخرى جنوبيه تتماس هاتان الدائرتان عند
خط العرض المار بالبحر الأبيض المتوسط . وهذه السلاسل الجبليه —————
توجد في الغالب في أطراف القارات .

هذا التوازن موجود في قوانين حركة الأرض أفقيا ورأسيا . أي أنه
إذا حدث وأن نقصت كتلة احدى الجبال بفعل عوامل التعرية لقمته فإنا
قاعدته ترتفع في منطقة السيعا اللينه بما يساوى مانقص منه في القمة
كذلك فان المناطق التي ترسب فيها مواد التعرية تهبط في الطبقة اللينه
السيعا . وهكذا يظل مستوى الجبال في توازن مستمر والأرض في حالة
اتزان" . (٢)

هذا ما يخص حفظ التوازن في الأرض وعدم اضطرابها لكن هناك آثار
أخرى للجبال تعود على سكان الأرض بالفوائد الجمة التي تصلح لهم
معاشهم في الأرض فما هي يا ترى ؟

قال تعالى : ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال
اكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم

(١) جامع البيان للطبري ٩٠/٨

(٢) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم ص ١٤٥ - ١٤٦

نعمته عليكم لعلمكم تسلمون * (النحل : ٨١) • وقال تعالى :
* الم نجعل الأرض كفاتا • احياء! وامواتا • وجعلنا فيها رواسي
شامخات وأسقيناكم ماءً فراتا * (المرسلات : ٢٥ - ٢٧) •
وقال تعالى : * الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به
شمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغيرابيب سود * (فاطر : ٢٧) •

كل واحدة من هذه الآيات يمكن ان نستفيد منها معانى فى فوائدها الجبال
فالآية الاولى تتحدث عن جعل الأكنان من الجبال • فما هو الكن بالنسبة
للجبل ؟

فالكن والكنه والكنان يدل على ستر أو صون • يقال كننت الشيء
فى كنهه اذا جعلته فيه وصنته • والكن : البيت أيضا • (١)
اذا الاكنان فى الجبال هى التى يستخدمها الانسان للستر والصون
كالبيت •

وقد استخدم الانسان الكهوف والمغارات فى الجبال ملجأ له لئلا يدرأ
عن نفسه المضاعب التى يواجهها من تأثير المناخ والحيوانات المفترسة
ومن الفيضانات والسيول •

كما أن حضارات قديمة قامت مدنها على فن النحت فى الجبال وعمل
هندسة العمارة والبيوت من الجبال وقد ورد فى القرآن الكريم ذكر
بعض الاقوام الذين كان لهم سبق فى هذا المجال قال تعالى : * والى
شمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١٢٣/٥ ، لسان العرب لابن منظور ٢٦٠/١٣

جاءتكم بينه من ريكم هذه ناقة الله لكم آية فذورها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فىأخذكم عذاب اليم . واذكروا اذ جعلكم خلفاء مــــن بعد عاد وبواكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبــــال بيوتا فأذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين * (الاعراف : ٧٣-٧٤)

كما ألهم سبحانه وتعالى النحل الذى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس بأن تتخذ من الجبال بيوتا قال تعالى : * وأوحى ريك الى النحل أن أتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * (النحل : ٦٨) .

كما أن للجبال فوائد أخرى بعضها مباشر والبعض الآخر غير مباشر فمثلا الجبال الشامخه مكثفات هائلة نصبها الله سبحانه وتعالى لتكثيف السحاب من الجو اذا حملته الرياح . فاذا اصطدمت الرياح بقمة الجبل فانها تبرد الى مافوق التشبع نظرا لبرودة هذه القمم العاليه للجبال وأما اذا اصطدمت الرياح بالجبال دون أعاليها فان هذه الرياح تغيىر مجراها حيث ترغمها الجبال على المعود الى المناطق العلوية حيث يتكاثف بخارها سحابا وينزل مطرا على أعلى تلك الجبال ومن هنا كانت منابع الانهار من الجبال .

كما أن للجبال علاقة وثيقة بالماء العذب حيث أن ظاهرة الثلج الدائم الذى يوجد على رؤوس الجبال المرتفعة عن خط الاستواء بحد خاص والمتصف طقسها بالبرودة الدائمة والتي تكون تحت الصفر . فمثلا يظهر هذا الثلج على ارتفاع الف وماشتين متر من جبال الشروج ونحو الفين وسبعمائة متر من جبال الالب ونحو خمسة الالف وخمسمائة متر من جبال الكلما . نجاور بأواسط أفرايقيا ويكون لتراكم هذا الثلج فوق

هذه الجبال المرتفعة الأثر المباشر فى تغذية الأنهار بفضل الله تعالى وذلك كنتيجة لذوبان بعض الثلج باستمرار لضغط الطبقات العليا من الثلج على السفلى منه . كما أن هذه الثلوج لا تنفذ بمشيئة الله على قمم الجبال باستمرار ذوبان أطرافها الدنيا لأنها كما تسيّل باستمرار تتجدد أيضا باستمرار تكثف بخار الماء الموجود دائما فى الجو المحيط بهذه القمم ولولا هذه الظاهرة لجفت الأنهار اذا انقضت فصول الأمطار عند منابعها . (١)

هذه بعض الجوانب التى تظهر من الآية فى سورة المرسلات حيث ربطت بين الجبال الشامخة والماء الغرات .

كما أشارت الآية التى فى سورة فاطر عن ألوان الجبال فذكرت اللون الأبيض والأحمر بصفة جدد وذكرى اللون الأسود بالصفة غرابيب سود وجدد جمع جدة وهى الطريقة والمقصود أى طرائق تخالف لون الجبال . والغرابيب جمع غريب وهو شديد السواد . (٢)

فالجدد الأبيض مختلف ألوانها فيما بينها والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها هذا الاختلاف فى درجة اللون والظل والألوان الأخرى المتداخلة فيه وهناك الغرابيب المختلفه فى درجة السواد من حيث شدة اللون وفى هذا لفته جمالية الى مافى هذا الكون من أبدع الخالق كما أن هذه الألوان فى الصخور تعطى معانى أخرى عند علماء الجيولوجيا فالجبال البيضاء تتكون أساسا من الطباشير والحجر الجيري والجبال السوداء بها المنجنيز والفحم والحمر بها الحديد وغير

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن ص ١٨٥ ، ٢٠٧ يتصرف .

(٢) لسان العرب ١٠٨/٣ ، ٦٤٦/١

ذلك من الجبال النارية التى تتكون من الجرانيت والبازلت والتى
تحتوى على عروق الحديد والنحاس والذهب وغير ذلك من معادن تؤدى الى
تعدد ألوان الجبال وأنواعها .

سبحانه الله كل هذه المعانى تظهر واضحة جلية للإنسان المعدة لــــه
الأرض دار سكنى وابتلاء .

كما أن للجبال ميزه فى تثبيت القشرة الأرضية فهى تأخذ الشكل
الوتدى كما تشير الآيات فى ذلك قال تعالى : ﴿ الم نجعل الأرض مهاداً
والجبال أوتاد ﴾ (النبأ : ٦ - ٧) .

" وقد أكد العلم الحديث أن الجبال لها جذور معتدة تحت قارات
القشرة الأرضية فقد وجد أن سمك القشرة الأرضية تحت القارات حوالى
خمسة كيلو متر أما سمكها تحت الجبال فيقدر بحوالى خمسة وثلاثين
كيلو متر . وتتخذ شكل الأوتاد ووظيفتها . فالجبال ممسكات القارات
فى الصخور السائلة التى توجد تحت القشرة الأرضية الصلبه ولولا جذور
هذه الجبال لطفت القشرة الأرضية وسبحت فوق صخور الباطن اللين
ولنعدم توازنها وثباتها فوقها " (١) ولقد تأكد الباحثون من هذا
فى عام ١٩٦٥ م وعلموا أنه لولا أن الله قد خلق الجبال بشكل أوتاد
لطافت القارات وما دامت الأرض من تحت اقدامنا . (٢)

(١) الاكتشافات العلمية الحديثة دلالتها فى القرآن د. سليمان عرقوش

ص ١٤٤ .

(٢) توحيد الخالق للشيخ الزندانى ٤٩/٣

المبحث الثالث

ثالثا : الهواء والغلاف الجوى :

هو من أهم المصادر التى جعلها الله سبحانه لحياء الانسان على هذه الأرض لذلك فقد وفره سبحانه وأحكم له نظاما لا ينقصه تنفسنا واستهلاكنا منه كما جعله سبحانه ميسرا لكثير من حاجاتنا . فالأرض محاطة بغلاف جوى كرى نسميه الهواء . وهو طبقة من الغازات التى تحيط بالكرة الأرضية وهو متسع الأرجاء دائم الحركة لا يعترف بالحدود لأنه وحدة لا انفصال فيها ويؤثر على انحاء الكوكب والهواء عديم الطعم واللون والرائحة بالإضافة الى بخار الماء الذى يحمله الهواء لأن بخار الماء أخف وأقل كثافة من الهواء الجاف .

" ويقدر العلماء ارتفاع الغلاف الجوى حوالى ألف كيلو متر ولكنه يكون طبعا مغلخلا عند هذه الارتفاعات الشاهقة بحكم ضآلة الهواء الى حد الانعدام " . (١)

" وأهم الغازات التى يتركب منها الهواء هى النيتروجين ونسبته ٧٨ ٪ من حيث الحجم والاكسجين ونسبته ٢١ ٪ من حيث الحجم وغازات اخرى نادرة نسبتها ١ ٪ فقط .

وكلما ارتفعنا فى السماء قلت مقادير الهواء وقل تبعاً لذلك الأكسجين الجوى . فاذا كان الأكسجين عند السطح هو مائتى وحدة مثلاً فإنه يعتبر على عشرة كيلو مترات اربعون وحدة فقط ، ويعتبر ارتفاع عشرون كيلومتر عشر وحدات فقط ، وعلى ارتفاع ثلاثين كيلو متر وحدتان فقط ، وهكذا .. أى أن الانسان يمكن أن يختنق تماماً اذا ما ارتفع فوق

(١) الاعجاز العلمى فى القرآن ص ١٩٣ د . منصور حسب النبى .

عشر كيلو مترات ولم يكن محميا داخل غرفة أو حلة مكيفه" (١).

هذا قد يكون تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ (الانعام : ١٢٥) .
فعن ابن عباس " كأنما يصعد فى السماء " يقول فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يستطيع أن يدخل التوحيد قلبه حتى يدخله الله " (٢).

فابن آدم لا يستطيع أن يصعد السماء بغير أجهزة معدة لذلك .. لماذا؟
لما يلاقيه من صعوبات فى التنفس من جراء نقص الهواء وتغير مقادير الضغط الجوى فى طبقات الغلاف الجوى . كذلك الايمان اذا لم يكن مجهزا بهداية الله التوفيقية لم يك هينا على الانسان .
والغلاف الجوى يتكون من عدة طبقات كل طبقة من هذه الطبقات لها مهمة جعلها الله سبحانه مسخرة لحماية ورعاية هذه الأرض المعسدة للانسان . فما هى هذه الطبقات وما وظيفة كل منها بالنسبة للحياة على الأرض ؟

"قسم الغلاف الجوى الى طبقات ، كثيرا ما تعددت تسميتها وتباينت . وفى الواقع نجد ان اسباغ اى اسم على أية طبقة أمر شائك حتى بالنسبة للمتخصصين فى الرصد الجوى . وأساس التسميه هو فى الغلاف اختلافات درجات الحرارة " (٣)

(١) الله والكون - د. محمد جمال الفندى ص ٢٢٦ ، ٢٢٧

(٢) تفسير ابن كثير ١٧٥/٢

(٣) الأرصاد الجوية - د. محمد جمال الفندى ص ٥١ - الطبعة الثانية

١٩٨٥ م - دار النشر بدون .

وأقرب هذه الطبقات لسطح الأرض هي التي يحدث فيها التقلبات الجوية من اشارة الرياح والسحب ونزول المطر واختلاط الهواء البارد بالساخن والرطب بالجاف . وهي تمتد الى ارتفاع ثمانية عشر كيلومتر عند خط الاستواء ، وثمانية كيلو مترات عند القطبين وتقل درجة الحرارة بازدياد الارتفاع بمعدل ست درجات مئوية لكل كيلو متر حيث تصل عند نهاية الطبقة الى سبعين درجة مئوية تحت الصفر . (١)

كما توجد طبقات الأوزن - النيتروجين - من ارتفاع ثلاثين

موج مكفوف واذا اعتبرنا السماء بمعناها اللغوي ماعلاك فأظلك فـان الغلاف الجوى هو السماء التى وصفت بأنها موج مكفوف ومن المعلوم ان الاشعة الكونية الصادرة من النجوم تنطلق على شكل موجات كما يخبرنا بذلك علم الفيزياء فيقول " ان الطاقة الضوئية تسير فى موجات لا تختلف عن موجات البحر . الا أن موجات الضوء لا تسير فى الفضاء الخالى فحسب بل فى بعض الاجسام الصلبة . وان الشمس والنجوم تبعث كل هذه الموجات من اطوال مختلفة " . (١)

وهذه الاشعة فيها من الضرر ما يكفى لتدمير الحياة على الأرض لو وصلتها كلها الا ان عناية الله بالناس جعلت من صفات هذا الغلاف كف الاشعه المضرة بالحياة على الأرض والسماح بما فيه القدر الكافى من الفائدة .

وقد استدل بعض المفسرين المعاصرين . (٢) بالآية التى يقول الله سبحانه فيها ﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾ (الانبياء : ٣٢) .

لكن يظهر من الآية ان الحفظ هنا هو عدم سقوطها كما يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ .. ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بأذنــه ﴾ (الحج : ٦٥) وكذلك الحفظ هنا بالرمى بالنجوم والشهب من الشياطين لقوله تعالى : ﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ (الحجر : ١٦ - ١٧) وقوله تعالى : ﴿ انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظنا من كل شيطان مارد . لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب ﴾ (الصادقات : ٦ - ٨)

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون - كولين رومان ص ٤١
(٢) الله والكون - الفنـدى ص ٢٢٦ ، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - د. عبد العليم خضر ص ٤١

إذا فالحفظ من السقوط وكذلك من عدم استراق السمع سواءً للأنبياء
أو للجن وكما يفهم من لفظ السقف فهو الشيء المرفوع والأشعة الكونية
والشهب تأتي من أعلى الغلاف الجوى وليس من أسفله من جهة الأرض .
وللغلاف الجوى فوائد جلية غير ذلك حيث تتمثل هذه الفوائد
فى وظائف طبقاته ومن هذه الفوائد على سبيل المثال لعل سبيل
الحصر .

أولاً: فيه الاوكسجين اللازم للحياة - حتى للإحياء المائية .
ثانياً: تعمل نسبة الأوزون العالية فى الجو على امكن اطفاء أى حريق
يشب على الأرض وهذه النسبة تقدر بحوالى $\frac{4}{5}$ حجم الهواء (١)
ثالثاً: ان سمك الغلاف الجوى مضبوط بدرجة تسمح باحتراق معظم الشهب
قبل وصولها الى الأرض عند احتكاكها بالهواء . (٢)
رابعاً: فيه ثانى اكسيد الكربون اللازم لبناء النبات ويتحول الى
سكر ونشا وخشب . (٣)

خامساً: فى هذا الغلاف يتكون ضوء النهار بسبب أشعة الشمس خلال الطبقة
الممتدة من سطح الأرض حتى ارتفاع مائتان كيلو متر فقط . كما
يسمح بنفاذ أشعة الشمس والحرارة والنفوذ اللازم للحياة ولكنة
يحجز الاشعاعات الكونية الضارة . (٤)

سادساً: تنقل الموجات الصوتية والضوئية عبر هذا الغلاف الجوى مما
يسمح لنا بالاحساس بها والالوار تفعلنا عن حدود هذا الغلاف
فحيثنذ لاتدرك حواسنا ضوءاً أو صوتاً الا عن طريق الموجات
الكهرومغناطيسية كما يحدث فى مركبات الفضاء .

-
- (١) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ص ٤٢
(٢) الكون والاعجاز العلمى للقرآن ص ١٩٥
(٣) الله والكون ص ٢٣٤
(٤) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها فى القرآن ص ١٢٨ - ١٢٩

سابعاً : يمتد المجال المغناطيسى للأرض لارتفاعات كبيرة فى جـو

الأرض بحيث يؤثر على الجسيمات الذرية المشحونه كالاشعة الكونية

القادمة من الفضاء الخارجى ويجعلها تدور فى أحزمة تحيط

بالأرض على ارتفاعات بعيدة فيمنع بذلك اختراقها للجو ووصولها

للأرض . (١)

فسبحان الله ، عنايته عظيمة بهذا الانسان وهذا غيض من فيض قال

تعالى : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها

ان الانسان لظلوم كفار ﴾ (ابراهيم : ٣٤) .

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن ص ١٩٥

الفصل الخامس

الفضاء الكونى
ويشتمل على المباحث :

أولا : الفضاء الكونى والظلام

ثانيا : السباحة فى الفضاء

ثالثا : السفر الى الفضاء

الفضاء الكونى :

بالرغم ان الغلاف الجوى يعتبر من نطاق الأرض فأرتفاعه لايتعدى

الف كيلو متر الا أنه احد مكونات الفضاء الكونى .

والفضاء فى اللغة من الفعل فض وهو مادل على انفساح فى شىء

واتساع وهو المكان الواسع . (١) كالمحراها وغيرها .

وقد يتخيل بعض الناس ان الفضاء والفراغ بمعنى واحد كما ذكر

ابن الاثير فى تعريفه للفضاء " بأنه الفراغ الواسع من الأرض " (٢) وأن

كان هو لايقصد هذا . ولكن الواقع ان الفضاء هو عبارة عن العلاقة

بين المخلوقات بعضها البعض فالصحراء مثلا ليست فارغة بمعنى خلوها

من الموجودات فهى تحتوى على الرمال والتلال وجوها ملىء بالهواء

من كل جانب .

والقرآن الكريم يشير الى ان هناك خلقا وسيطا بين السموات

والأرض قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى

سنة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ (ق : ٢٨) .

ولم ترد مادة فضاء فى القرآن الكريم بهذا اللفظ الا فى موضع واحد

بصيغة الفعل حينما تحدث عن النساء ومعاشرتهم بالمعروف قال تعالى :

﴿ وان أرد ثم استبدال زوج مكان زوج وآتيتن احداهن قنطارا فلا

تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واشما مبينا . وكيف تأخذونه

وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ (النساء : ٢٠-٢٢)

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٥٠٨/٤

(٢) النهاية فى غريب الحديث ٤٥٦/٣

ويذكر ابن فارس في معنى أفضى الرجل إلى امرأته أي " باشرها -
بأنه شبه مقدم جسمه بفضاء ومقدم جسمها بفضاء فكأنه لاقى فضاءها
بفضاءها " (١)

ولكن الاشارات الى الفضاء الكوني في القرآن متعددة فمثلاً .
قال تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم
أنه أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣) .

والآفاق في اللغة جمع أفق وهو مادل على تباعد ما بين اطراف الشيء
واتساعه . (٢) وهذا معنى الفضاء حيث فيه انفتاح واتساع الشيء .

وقال تعالى : ﴿ ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق
ما يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ (المائدة : ١٧) . وقال
تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى . له ما في السموات وما في
الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾ (طه : ٥ - ٦) . وقال تعالى :
﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا
أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾ (الطلاق : ١٢)
أي يجري قضاء الله وقدره وأمره بينهما وينفذ ملكه فيهن . ولفظ
بينهن يدل على وجود عوالم ومخلوقات لا يعلمها إلا الله قال تعالى :
﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ (المدثر : ٣١)
والآيات التي تشير إلى الفضاء الواسع الذي لا يعلم مداه إلا الله
كثيره فقد وردت عبارة " بينهما " التي تدل على الخلق الذي بين

السموات والأرض في أكثر من واحد وعشرين موضعاً .

(١) مقاييس اللغة ٥٠٨/٤

(٢) مقاييس اللغة ١١٤/١

وحديثنا عن الفضاء الكونى هو فى حدود ما يخبرنا به علم الفلك الحديث وكذلك فى حدود ما سمحت به الإرادة الإلهية لبنى الانسان من معرفة هذا الكون الفسيح فى نطاق قوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق ﴾ .

ومن الاستفسارات التى ترد فى هذا المجال الآتى :

ما هى مكونات الفضاء الكونى ؟ وهل هو ثابت ؟ وهل هو مظلم أم مملوء ضوء ؟ وما نوع الحركة فيه ؟ وغير ذلك من الاسئلة التى تحتاج الى اجابة .

ونحن نعرف أن المادة الكونية تتكون من عدد من العناصر يربو على المائة . وهى توجد فى ثلاث حالات ، صلب وسائل وغاز . ويقول علم الفيزياء الحديث ان هناك صورة أو حالة رابعة للمادة هى الطاقة . (١) وذلك بما أشتهرت به القوانين التى اكتشفها أنشتين فى تحول المادة الى طاقة والعكس . والفضاء الكونى لا يخلو من أحد الحالات الأربعة للمادة فهو يتكون من :

١ - المجرات : والمجرة هى مجموعه من النجوم المتقاربة اختيرت لتسهيل أبحاث الفضاء . (٢)

٢ - السديم : وهو اما منتشر أو متجمع وهو عبارة عن كتله الغاز أو التراب تنتشر فى الفضاء فيما بين نجوم مجرتنا . أو هو كتل من النجوم أو المواد النجمية خارج مجرتنا . (٣) والسديم فى اللغة يعنى الضباب الرقيق . (٤) وقد يطلق لفظ السديم على انواع مختلفة

(١) مبادئ الكونيات - الأمين محمد كعورة ص ١٧

(٢) كتاب المعرفة - الارض والكون ص ١١٧ - ١١٨

(٣) المصدر السابق - نفس الصفحة .

(٤) لسان العرب ٢٨٤/١٢

من الاجرام السماوية ذات المظهر الضبابى . (١)

والغاز الاساسى فى الفضاء هو الهيدروجين وهو مايسمى بالغاز الكونى . " والطبقات العليا من الغلاف الجوى التى تزيد على ارتفاع خمسين كيلو مترا تتكون اساسا من الهيدروجين والهيليوم حتى نهاية الغلاف الجوى الذى يندمج مع الغاز الكونى عند ارتفاع الف كيلومتر من سطح الأرض " . (٢)

٣ - الاشعة الكونية بأنواعها واطوالها الموجية المنتشرة فى طبقات الفضاء الكونى بين النجوم . اذاً فالفضاء الكونى صاخب بالمخلوقات التى لا يحصىها الا الله وفى المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله زنه عرشه سبحان الله مداد كلماته) . (٣)

فاذا كان علم الفلك الحديث يخبرنا عن مكونات الفضاء الكونى التى منها الغاز الكونى على وجه التمثيل وهو خلق من خلق الله فكـم فيه من الذرات ؟ . اذا علمنا ان ذرة الهيدروجين تتكون من الكترون وبروتون وكل هذا خلق من خلق الله . يتفتح لنا معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فى توضيح عظمة الله سبحانه . وكل مخلوق من هذه المخلوقات له وظيفته التى حددها الله سبحانه وتعالى له .

وحين ينظر الانسان الى الفضاء يحسب النجوم متجاورة وهى على العكس متباينه جدا بين بعضها وعنا نحن والسبب فى ذلك هو أننا ننظر اليها

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن د. منصور حسب النبى ص ٣٠٧

(٢) المصدر السابق ص ١٩٤

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٤٥/١٧ - كتاب الذكر والدعاء باب التسبيح أول النهار وعند النوم - صحيح مسلم ٢٠٩١/٤ حديث رقم ٧٩

من مكان واحد فى الفضاء هو الأرض ويوضح ذلك انك لو وقفت فى شارع ونظرة أعمدة المصابيح المقامة على الشارع من رأس الشارع وليست من جانبه فانك سوف ترى المصابيح كأنها مجتمعة ولاتستطيع أن تعرف المسافة بين العمود والذى يليه لأنك تراها متلاحقة .

والنظر الى الفضاء شبيه بذلك فالمسافات فيه شاسعة ورغم ذلك فهو يزداد اتساعا وتمددا وقد تعرف علماء الفلك على هذه الظاهرة باستخدام ضوء معظم المجموعات الفلكية التى درسوها بواسطة المطياف الضوئى - سبكتروسكوب - التى يظهر ان خطوطها مائله الى الطرف الاحمر فى الطيف الضوئى . فقالوا " ان لهذه المجموعات " اتجاهها نحو الأحمر " واستنتجوا من ذلك أنها كلها تبتعد عنا وأن بعضها يبتعد عن بعض بمعنى ان الكون بكامله يزداد اتساعا فى الواقع وبوسع المرء ان يشبه الكون المتزايد الاتساع ببالون ينفخ وباتساعة يبتعد كل جزء من المطاط فيه عن الجزء الآخر". (١)

وهذا يمدقه قوله تعالى : ﴿ والسما بنيناها بأيد وانما

لموسعون ﴾ (الذاريات : ٤٧) .

وللمفسرين فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وانا لموسعون ﴾ ثلاثة

أقوال ذكرها الرازى فى تفسيره وهذه الاقوال هى :

أ - من السعة أى أوسعناها بحيث صارت الأرض ومايحيط بها من ماء

وهواء بالنسبة الى السماء كحلقة فى فلاة واليه ذهب ابن كثير

حيث قال " اى قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت

عن الأرض" .

ب - انا لموسعون بمعنى لقادرون وعزاه القرطبي الى ابن عباس ويذكر

الألوسي انها من الوسع بمعنى الطاقة فالجملة تذييل ، اثباتا

لسعة قدرته عز وجل في كل شيء فضلا عن السماء وفيه رمز الـ

التعريض الذي في قوله تعالى : ﴿ وما منا من لغوب ﴾ (١)

ج - انا لموسعون اي الرزق على الخلق وعزاه القرطبي الى ابن عباس

والحسن حيث قال : " وأنا لموسعون الرزق بالمطر " . (٢)

وكل هذه التفسيرات فيها دلالة لمعنى الآية كما فيها دلالة على

التمدد الحاصل في الفضاء الكوني والكون فلا يمنع من الأخذ بهـ

ولأن نص الآية يشير الى التوسيع المستمر وهو ما يحدث فعلا في هـذا

الكون .

(١) روح المعاني للألوسي ١٧/٢٧

(٢) الجامع لاحكام القرآن القرطبي ٥٢/١٧

المبحث الاول

الفضاء الكونى والظلام :

يتصف الفضاء الكونى بالظلام الحالك وقد اعلن رواد الفضاء عن ذلك فى رحلاتهم خلال الفضاء وذلك بعد مغادرة الغلاف الجوى . (١) والسبب فى ظهور الغلاف الجوى مغيثا لانه وسط ماذى شفاف يسبب تشتت الأشعة الصادرة عن الشمس . (٢)

وهنا قد يتضح لنا جانبا من جعل السماء الدنيا مزينة بالمصابيح والكواكب حيث ان هذه الاجرام سابحة فى الفضاء تتلألا جميعها ولكن دون أن تضىء هذا الفضاء فلا يرى الا ليل دائم مظلم . وباستعراض بعض الآيات القرآنية لنرى اقوال المفسرين فيها وما دلالاتها فى عصرنا الحاضر عصر الفضاء والفلك الحديث .

قال تعالى : ﴿ أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ (النازعات : ٢٦ - ٢٧) وقال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَاها . وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ (الشمس : ١ - ٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَيَّةُ لَيْلٍ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مَّظْلُمُونَ ﴾ (ياسين : ٣٧) .

وقال تعالى : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِالْشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ (الانشقاق : ١٦ - ١٩) .

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور حسب النبى ص ٢٢٠

(٢) الله والكون - د. محمد جمال الفتدى ص ١٨٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٥

وقال تعالى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون ﴾ . لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحرون . ولقد
جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناس — ﴿ (الحجر : ١٤ - ١٦)
فالآيات السابقة تتحدث عن مواضع عدة منها الليل والنهار فالآية
الاولى تتحدث عن اغطاش الليل واخراج الضحى والآية الثانية عن تجليه
النهار واغشاء الليل والآية الثالثة عن سلخ النهار من الليل والتي
بعدها عن ظاهرة الشفق في السماء ثم بعد ذلك تزيين السماء وعن
تسكير الابصار في حالة العروج الى السماء .

وغطش في اللغة أصل يدل على ظلمه وما أشبهها . وغطش الليل فهو
غاطش أي مظلم ، وأغطش ليلها أي أظلم ليلها . (١) وقد ذهب المفسرون
الى هذا المعنى وأنه أبرز ضوء شمسها وعباراتهم في تفسير قوله تعالى :
﴿ واخرج ضحاها ﴾ لا تخرج عن المعاني التالية ابرز نهارها ، أبرز
ضوء شمسها . (٢) وقال الرازي "انما عبر عن النهار بالضحى
لأن الضحى أكمل اجزاء النهار في النور والضوء" ، كما ذهب ابن الجوزي
والقرطبي والرازي الى أن أضافة الليل الموصوف بالظلمه والنهار
الموصوف بالنور الى السماء لأنها يصدران عنها ولأنه فيها السبب
لذلك وهو الشمس في غروبها وطلوعها .

ويقول الزمخشري " وأضيف الليل والشمس الى السماء لأن الليل ظلها
والشمس هي السراج في جوها ، حيث فسر الآية بقوله تعالى : ﴿ والشمس
وضحاها ﴾ " (٣) لكن ابن تيمية لم يذهب الى هذا المقصود بالضحى

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٤/٤٢٩ ، لسان العرب لابن منظور ٦/٣٢٤
(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٩/٢٢ ، الجامع لاحكام
القرآن للقرطبي ١٩/٢٠٤ ، تفسير الرازي ٣١/٤٧ .
(٣) الكشاف للزمخشري ٤/١٨٢

هو النهار أو الضياء وإنما قال : " أن الضحى يدل على النور والحرارة جميعا . وبالأنوار والحرارة تقوم مصالح العباد . " (١)

وكلام المفسرين يوضح اضافة الليل الى السماء في قوله تعالى :
﴿ وَأَغْطِشْ لَيْلَهَا ﴾ الى أنه الناتج عن غروب الشمس وهي سببه وهي
في السماء ونحن لانعترض على ما ذهبوا اليه لكن هناك معنى آخر يتفق
مع ما شاهدته رواد الفضاء خلال رحلاتهم من الظلام الحالك المتصف
به الفضاء الكوني بعد منطقة من الغلاف الجوى على ارتفاع مائتى
كيلو متر حيث الضمير يعود في ليلاها الى السماء والفضاء الكوني هو
سماء بالمعنى اللغوى وحيث ان دلالة الآية تشير الى ليل السماء وليس
ليل الأرض الناتج عن غروب الشمس .

كما ان حقيقة ظلام الفضاء تتضح من حركة الأرض حول نفسها خلال
أربع وعشرين ساعة وهي سابقه في الفضاء ومحاطه بغلاف جوى الذى
يعتبر من الفضاء الكوني وفي خلال دورانها يحدث لها تعاقب مرور على
المنطقة المواجهة لوجه الشمس فيحدث حين ذلك تشتيت لأشعة الشمس
في الغلاف الجوى على ارتفاع مائتى متر من سطح الأرض فيظهر بذلك ضوء
النهار على الأرض فيرى ضوء الشمس من بداية الشروق حتى نهاية الغروب
في اجزاء من الكرة الأرضية المعرضة لوجه الشمس اما الاجزاء
الآخرى فهي مظلمة لأنها في الجهة الأخرى من الفضاء لا يواجه وجه الشمس
وهذا قد يوضح لنا جانبا من معنى الآية التى يقول فيها سبحانه
﴿ وَأَيُّ لَهِمَّ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مَّظْلُمُونَ ﴾ (ياسين: ٢٧)

وسلخ فى اللغة هو اخراج الشئ عن جلده . ثم يحمل عليه . وانسلخ
النهار من الليل خرج منه خروجا لايبقى معه شئ من ضوئه . (١)
وذكر القرطبى فى تفسيره أنه جعل ذهاب الضوء ومحيى الظلمة
كالسلخ من الشئ وظهور المسلوخ فى استعارة . وقيل " منه " بمعنى
عنه والمعنى نسلخ عنه ضياء النهار واليه ذهب الطبرى فى تفسيره
وعلله القرطبى بأن ضوء النهار يتداخل فى الهواء فيضى فاذا خرج
منه أظلم وقد نقله ابن الجوزى عن الماوردى فى تفسيره . (٢)
ويرى بعض المفسرين أن فى الآية دلالة على ان الأصل الظلمة والنور
عارض طارىء عليها . (٣)

وقال الألوسى " وفى الحديث مايشعر بذلك أيضا فقد روى الامام احمد
والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : (سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول " ان الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمة ثم
ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه من نوره فقد أهدى وممن
أخطأه فقد ضل ...) " الحديث (٤)

إذا فالنهار ينسلخ من الليل الدائم فى الفضاء كما ينسلخ جلد
الشاة من جسدها . كما يراى بعض المفسرين المعاصرين أن قوله تعالى:
* ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا
انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون * (الحجر : ١٤ - ١٦) .
فيه دلالة على ما شاهدته رواد الفضاء من الظلام الحالك خلال رحلاتهم عبر

(١) مقاييس اللغة ٩٤/٣ ، لسان العرب ٢٥/٣

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٢٦/١٥ ، جامع البيان للطبرى ٥/٢٣ ، زاد
المسير لابن الجوزى ١٧/٧ .

(٣) غرائب القرآن للنيسابورى ١٦/٢٣ ، تفسير ابو السعود ٥٠٤/٤

(٤) روح المعانى للألوسى ١١/٢٣ ، مسند الامام أحمد ١٧٦/٢

الفضاء ونفوذهم من الغلاف الجوى . وأن هذه الآية تبين ان الله
سبحانه وتعالى يخبرنا بدليل علمي أن أهل مكة ماكانوا يؤمنون حتى

المبحث الثانى

السباحة فى الفضاء :

بمناسبة ذكر العروج فى السماء فان السفر فى الفضاء لايتخذ خطا مستقيما لأن الفضاء لايعرف الخط المستقيم وهذه حقيقة علمية عرفناه من الهندسة المتعددة الابعاد التى تتحدث عن أبعاد ثلاثة وهى المعبر عنها بالفضاء والتى أضيف اليها بعدا رابعا هو الزمن فأصبحت الحركة لاتتحدد الا بالمكان (الفضاء) مع الزمن فالاجرام السماوية حركتها فى الفضاء خلال زمن وان كان الزمن ما هو الا ناتج من نواتج الحركة فى الفضاء لكنه سر من اسرار الله سبحانه فى كونه قال تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) اذن ما هو المسار الذى يتناسب مع الفضاء اذا كان لايعترف بالخط المستقيم ؟

نجد الاجابة امامنا موجودة وقبل ان يتعرف اليها علم الفلك الحديث فى كتاب الله سبحانه حيث يقول عز وجل ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ (ياسين : ٤٠) . قال ابن عباس رضى الله عنهما "فى فلك كفلك المغزل" وعن الحسن "الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل". (١) أى أنها تأخذ المسار المنحنى ويقول تعالى فى موضع آخر من كتابه العزيز ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا

(١) جامع البيان للطبرى ٢٣/١٧ ، ٨/٢٣

من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴿ (الحجر : ١٤ - ١٦) ﴾ . وقال تعالى :
﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
وهو الرحيم الغفور ﴾ (سبأ : ٢) .

وعرج في اللغة تأتي بعده معاني منها ما دل على ميل ومنها ما دل
على سمو وارتقاء . ويقال للطريق اذا مال : انعرج . وعرج البناء
تعرجا أي ميله فتعرج وعرج في الدرجة او السلم يعرج عرجا أي ارتقى
والمعرج : المصعد وهو الطريق الذي تصعد فيه الملائكة ، والمعراج شبه
سلم او درجة . (١)

وقد يأخذ السلم او الدرج الشكل المائل والمسار المنحنى فيجمع
بين الميل والارتقاء كما نلاحظ على بعض السلالم حديثا في بعض العماثر
وتسمى مدخل للطواري .

اذا فالسير عبر الفضاء يأخذ المسار المنحنى مع التدرج من مسار
الى مسار في حالة الارتقاء الى طبقات اعلى في الفضاء . وهذا يعنى
ان الفضاء فيه تقوس وانحناء وهذا ما أشارت اليه نظرية النسبية العامة
حيث أن الكون والفضاء الكونى لا يخلو من وجود المادة في أحد صورها
الاربعة - الصلبه ، السائل ، الغازية ، الطاقة - وهذا يغير من شكل
الفضاء ويجعله يتقوس .

" وتحقق العلماء من ذلك ولاحظوا أن وجود المادة في الفضاء يخلق
دائما مجالا مقويا للجاذبية - أي يجعل المادة تقاوم التغيرات فى
اتجاه حركتها - وهذا من شأنه أن يجعل للأجسام كروية وأن تتخذ الاجسام
الفضائية التابعة لها مدارات بيضاوية الشكل وليست خطوطا مستقيمة " (٢)

(١) مقاييس اللغة ٣٠٢/٤ ، لسان العرب ٣٢١/٢

(٢) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ، د. عبدالعليم خضر ص ١٤٩

وهذا مما يؤكد لنا المعنى الذى ذهب اليه ابن عباس رضى عنهما والحسن بأن حركة الاجرام السماوية فى فلك كفلك المغزل . واذا تأملنا الفضاء خارج الغلاف الجوى فان نجده وسط لا أثر للهواء فيه اى تنعدم خلاله معوقات الحركة لذلك يظهر لنا سباحة الاجرام السماوية فيه . وكما نجد من الآيات القرآنية ان خالق الكون - الذى هو أعلم بأسرار خلقه التى تخفى علينا نحن البشر الا اذا شاء هو سبحانه باظهارها لنا - واطلاعنا عليها - قد عبر عن ذلك بلفظ السباحة عندما اخبرنا عن حركة الشمس والقمر وغيرها من النجوم فقال عز وجل ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ﴾ (الانبياء : ٣٣) .

هذه السباحة هى الحركة الحقيقية للاجرام السماوية فى الفضاء وهى لا تتنافى مع ماورد فى القرآن الكريم عن حركة كل من الشمس والقمر المعبر عنها بالجوى والتى سنوضحها فى فصل لاحق . ذلك الجوى فى هذا الفضاء الواسع الذى لا زال يتمدد ويتسع .

" ويقول بعض الفلكيين لكى يعطوا صورة امتداد الفضاء المرئى أنه اذا قسمنا مادة الكون المرئى على فضاءه ، كان نصيب المتر المكعب منه ذرة واحدة من المادة الكونية . وأن هذا الفضاء يمكن تقسيمه الى :

أولاً : الفضاء الخارجى وهى الذىلى الغلاف الجوى للأرض مباشرة وهو يشمل

ثلاثة انواع هى :

١ - فضاء بين الكواكب وهو مايقع بين اجرام المجموعة الشمسية .

٢ - فضاء بين النجوم وهو يقع بين نجوم مجرتنا التى تنتمى اليها .

ونجوم أى مجرة أخرى .

٣ - فضاء بين المجرات وهو الفضاء الفاصل بين الجزر الكونية

الكبرى .

ثانيا : الفضاء السحيق وهو مايلى الفضاء الخارجى :

كما يؤكدون أن الفضاء ليس فراغا ، ولو أنه يكاد يكون شفافا قليل
الكثافة اذ أن كل مليون ميل مكعب منه يحوى ملايين الجرامات واحدا
من المادة الكونية". (١)

وعلى الرغم من هذه المسافات الشاسعة فى الفضاء التى تسبح فيها
الاجرام السماوية والتى تقدر بملايين السنوات الضوئية وحيث ان السنة
الضوئية هى مقدار المسافة التى يقطعها الضوء بسرعه المعهودة والمقدرة
بحوالى ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية خلال عام الا انه يحتمل
الا يتعدى زينة السماء الدنيا وهى المسافة بين السماء والأرض والتى
حددت فى بعض الأحاديث والأثار بخمسمائة عام لكن لم تحدد فيه السرعة
اللازمة لقطع هذه المسافة مما يدلنا ان هناك سرعات أعلى من سرعة الضوء
كما ذهب الى ذلك عالم رياضى يابانى بأن هناك جزيء ذرى يتحرك بسرعة
أكبر بكثير من سرعة الضوء . (٢) لقطع هذه المسافة بين السماء
والأرض .

وهنا تظهر المعجزة الكبرى لسيد البشر سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم فى رحلتى الاسراء والمعراج اللتين تحققتا فى ليلة واحدة وفرض
عليه فيها الصلوات الخمس ثم عاد الى موضعه الذى كان فيه من مكانه
كما تظهر أهمية الصلوات الخمس التى لم تكن كسائر العبادات يأتية الوحي
وهو فى موضعه على الأرض وإنما رفعة اليه عز وجل فوق سبع سمواته وفرض

(١) الجغرافيا الفلكية - شفيق عبدالرحمن على ص ٥٥ ، ٥٦

(٢) كتاب المعرفة - الذرات والالكترونات ص ٢٨ - طبعة ١٩٨٧ - شركة

انماء النشر والتسويق - الناشر - شركة شراد كسيم - جنيف .

عليه الصلوات هناك . كما يتضح فى هذه الرحلة تصرم المسافات والسرعات حيث لا يشملها قانون يعرفه بنو البشر لأن خالق الكون ومبدع القوانين قد أبطل هذه القوانين فى هذه الرحلة كما أبطل سبحانه قوانين البحر فى نجاة موسى عليه السلام وقومه من فرعون قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ (الشعراء : ٦٣ - ٦٦) . ويذكر السيوطى عن بعض العلماء فى نكست الاسراء والمعراج أن " بين السماء والأرض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الأرض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط ، فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه ، فهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام " (١)

والبحر المكفوف الذى ذكره السيوطى هو عبارة عن الفضاء الكونى بقسميه أو على الأصح كما يقولون كون مرئى وكون غير مرئى حتى السماء الدنيا .

وقد وردت احاديث فى السنة النبوية تشير الى ما بين السماء والأرض وهو ما نعبر به فى علم الفلك بالفضاء الكونى هذه الاحاديث تشير الى فضل الذكر فقد ورد فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا

(١) الاية الكبرى فى شرح قصة الاسراء للسيوطى ص ١٢١ تحقيق - محى الدين مستو - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - دار ابن كثير - دمشق - بيروت مكتبة دار التراث - المدينة المنورة .

وصعدوا الى السماء ٠٠٠٠ (الحديث (١)

وهذه أمور غيبه لا يستطيع أن يعطى العلم فيها اى اجابة وأنما مرجعها الى الوحي مما يعمق الايمان بالله سبحانه وتعالى اذا شعر الفرد بعظمة هذا الفضاء وما فيه وغيره من المخلوقات أعظم واكبر منه تلك المخلوقات التى لا يحصيها الا هو سبحانه وتعالى فقد وجب عليه ذكره دائماً وقد ورد فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى مالك الاشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطهور شرط الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن أو تملأ ما بين السموات والأرض ٠٠) (٢) .

وقد ذكر النووى فى معنى الحديث قائلًا " يحتتمل أن يقال لو قدر ثوابهما جسماً لملأ ما بين السموات والأرض وسبب عظم فضلها ما أشتملتا عليه من التنزيه لله تعالى بقوله سبحانه الله والتفويض والافتقار الى الله تعالى بقوله الحمد لله " .

فاذا علمنا وسع الفضاء الكونى المرئى منه وغير المرئى الذى اعتبره بعض الفلكيين لانهاى وأن كان هو كذلك بالنسبة لنا نحن البشر فما بالك بالفضاء بين السموات الاخرى المطبقة على بعضها حيث أن المسافة بين السماء والتى تليها مسيرة خمسمائة عام مع العلم ان السرعة فى ذلك غير معلومة فهى أمر غيبى عنا وأن كنا نعتقد اعتقاداً جازماً بأنها أعلى كثيراً من سرعة الضوء التى اعتبرت حتى الآن هى السرعة القصوى المقاس

(١) صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكر

١٤/١٣ ، صحيح مسلم ٢٠٦٩/٤ حديث رقم ٢٥

(٢) المرجع السابق - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء ٩٩/٣ - صحيح

مسلم ٢٠٣/١ - حديث رقم ١

بها الابعاد بين الاجرام السماوية فى هذا الفضاء الواسع بين السماء
والارض .

ومعلوماتنا عن الكون والفضاء الكونى انما هى متوقفه على ما ينبعث
او يعكس من أشعة تنتج عن الاجرام السماوية أو عن طريق المناظير الفلكيه
والاجهزة المعدة لذلك ورغم ذلك فقد قصرت هذه الاجهزة عن اعطاء استقراء
كامل لما فى هذا الفضاء مما حدى بالعلماء فى هذا الفن لتجهيز المركبات
الفضائية لسبرغور الفضاء لأعتقادهم أن فى هذا الكون الواسع مخلوقات
أخرى تشاركنا سكنى هذا الكون . فهل سيتمكن الانسان من التوغل فى
اعماق الفضاء لمعرفة ذلك ؟

المبحث الثالث

السفر الى الفضاء :

لقد ذهب بعض العلماء المعاصرين الى ان مصادر الوحي تشير الى السفر الى الفضاء في بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فباي آلاء ربكما تكذبان • يرسل عليكم شواط من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ (الرحمن : ٣٣ - ٣٥) • وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق • لتركبن طبقا عن طبق ﴾ (الانشقاق : ١٦ - ١٩) •

حيث ذهبوا الى ان الآية حجة للمسلمين في كون البشر يستطيعون في كشف الفضاء والصعود اليه • كما أشار صاحب كتاب الكون والاعجاز العلمي للقرآن الى ان الآية الثانية فيها دلالة على السفر الى الفضاء حيث حقق الانسان ذلك • (١) وقال " نستطيع الآن ان نفسر قوله تعالى طبقا عن طبق" كما يلي :

١ - ان رائد الفضاء تدرب اولا على مرحلة انعدام الوزن قبل القيام

بالرحلة وذلك بالدوران في أطباق بسرعات مختلفة •

٢ - يركب رائد الفضاء في كابسولة في أعلى صاروخ متعدد المراحل كما لو

كان الصاروخ فعلا طبقا عن طبق •

٣ - اختراق الصاروخ لطبقات الغلاف الجوي المختلفة حتى ينفذ من جيو

الأرض متجها الى القمر •

(١) الكون والاعجاز العلمي للقرآن - د. منصور حسب النبي ص ٢٢٦ - ٢٣٠

٤ - لقد تم ارسال العديد من سفن الفضاء قبل نجاح الوصول الى القمر وكانت هذه السفن كالأطباق تحمل ركابا متعاقبين طبقا عن طبق لتدور حول الأرض " .

ثم استرسل فى تعداد الرحلات التى وصلت الى القمر وقال أنهم ركبوا طبقا عن طبق فى سبيل الوصول الى القمر . كما ذكر المصاعب التى ستواجه رواد الفضاء عندما يحاولون التعمق فى النفاذ من الفضاء فقال " فضلا عن المشاكل العادية كانهدام الوزن وتغير الجاذبية ومشاكل الطعام والنوم والاجهاد النفسى التى يتعرض لها رائد الفضاء كلما طالت الرحلة فان هناك مصاعب أخرى خطيرة تتعرضها فيما يلى :

١ - احتمال اصطدام سفينة الفضاء بنيزك كبير وخاصة فى المنطقة بين المريخ والمشتري .

٢ - احتمال حدوث ثقب فى السفينة الفضائية بسبب الجسيمات الصغيرة المنتشرة غالبا بوفرة فى مدار المذنبات ، لأن هذه الجسيمات تكون عالية السرعة لدرجة قد تؤدى الى زيادة طاقة حركتها رغم صغر كتلتها وتحدث عند تصادمها بالسفينة ثقبا نتيجة صهر جدار السفينة بتأثير حرارة الاصطدام .

٣ - انتشار الأشعة الكونية فى أرجاء الكون كله وهذه الأشعة خطيرة جدا على رواد الفضاء لاحتوائها جسيمات ذرية مشحونة عالية الطاقة " (١) وللمفسرين فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يامعشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ﴾

(١) المرجع السابق نفس الصفحات .

اقوال مفادها هو هل المقصود بالخطاب الدنيا أو الآخرة ؟ وما هو

المقصود بالنفوذ والسلطان فى الآيـة ؟

فذهب قوم منهم الى أن المقصود بالخطاب فى الآخرة وذكر الرازى

ان ظاهر الآية يدل على ذلك فان الجن والانس يريدون الفرار من العذاب (١)

واورد الطبرى فى ذلك عن الضحاك بن مزاحم قال : (اذا كان يوم القيامة

امر الله السماء الدنيا فتشقت بأهلها ونزل من فيها من الملائكة

فأحاطوا بالأرض ومن عليها بالثانية ثم الثالثة ثم بالرابعة ثم بالخامسة

ثم بالسادسة ثم بالسابعة فصفا صفا دون صف ثم ينزل الملك الأعلى

على مجنبته اليسرى جهنم فاذا رآها أهل الأرض ندوا ، فلا يأتون قطـر

من اقطار الأرض الا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة فيرجعون الى المكان

الذى كانوا فيه فذلك قوله تعالى حكاية عن مؤمن قوم فرعون ﴿ ويا قوم

انى أخاف عليكم يوم التناد • يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من

عاصم ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ (غافر : ٣٢ - ٣٣) وذلك قوله

تعالى : ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ (الفجر : ٢٢) وقولـه

تعالى : ﴿ يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطـار

السموات والأرض فأنفذوا لاتنفذون الا بسلطان ﴾ وذلك قوله تعالى :

﴿ اذا انشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرشك

ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ (الحاقة : ١٦ - ١٧) (٢)

ولمعترض ان يقول كيف يكون المقصود بالخطاب الآخرة فى قوله تعالى :

﴿ يامعشر الجن والانس ان أستطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض

(١) تفسير الرازى ٢٩ / ١١٣

(٢) جامع البيان للطبرى ٢٧ / ١٣٧

فأنفذوا لاتنفذون الا بسلطان ﴿ مع ان الآيات التى بعدها فى قوله سبحانه
" فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان تفيد غير ذلك حيث ان الغاء
تفيد التعقيب اى انشقاق السماء بعد عملية محاولة النفوذ وارسال الشواظ
وكما يفيد الخبر الذى اورده الطبرى عن الضحاك بن مزاحم .

فأجاب الرازى عن ذلك بقوله " ان الغاء للتعقيب على وجوه ثلاثة هى :
١ - التعقيب الزمانى للشيثيين اللذين لايتعلق أحدهما بالآخر عقلا . فلان
ارسال الشواظ عليهم يكون قبل انشقاق السموات ويكون ذلك الارسال اشارة
الى عذاب القبر والى ما يكون عند سوق المجرمين الى المحشر ، اذ ورد
فى التفسير أن الشواظ يسوقهم الى المحشر فيهربون منها الى
أن يجتمعوا فى موضع واحد على هذا معناه يرسل عليكم شواظ فاذا
انشقت السماء يكون العذاب الاليم .

٢ - التعقيب ذهنى فوجهه أن يقال " يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس"
فيكون ذلك سببا لكون السماء تكون حمراء اشارة الى لهيبها يصل الى
السماء ويجعلها كالحديد العذاب الأحمر .

٣ - التعقيب فى القول فوجهه أن يقال : لما قال " فلا تنتصران " أى فى
وقت ارسال الشواظ عليكم قال فاذا انشقت السماء وصارت كالمهل وهو
الطين الذائب ، كيف تنتصران ؟ اشارة الى أن الشواظ المرسل
لهيب واحد : (١)

كما ذهب قوم من المفسرين الى أن الخطاب موجه للجن والانس فى الدنيا
فيكون المعنى على وجهين ذكرهما الطبرى فى تفسيره . (٢)

(١) تفسير الرازى ١١٥/٢٩

(٢) جامع البيان للطبرى ١٣٧/٢٧

احدهما : أنه لا يجيرهم أحد من الموت وأنهم ميتون لا يستطيعون فرارا منه ولا محيصا لو نفذوا من اقطار السموات والأرض كانوا فـ في سلطان الله ولأخذهم الموت .

الثاني وهو مذكور عن ابن عباس رضى الله عنهما فيكون معنى الآية يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والأرض فأعلموه لن تعلموه الا بسلطان ، يعنى البينه من الله جل ثناؤه ومعنى لاتنفذون لا تخرجون من سلطاني .

إذا اذا كان المقصود بالخطاب الموجه لمعشر الجن والانس هو فى الدنيا وأن معنى النفوذ هو العلم وأن السلطان هو الحجة فانه لامنافه من الأخذ بقول العلماء المعاصرين من معنى الآية وان فيها دلالة على محاولة البشر السفر الى الفضاء الى حدود معينه بعدها سيلقون من المصاعب المعبر عنها بالشواظ المكون من النار والنحاس فان الله سبحانه وتعالى قد أذن بفتح المجال لبني البشر للوصول بسلطان العلم والتقنية الى ذلك بدليل قوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣) .

ولقد ذكر الدكتور العبادى فى كتابه العلم الحديث بعد أن رفض القول بأن فى الآية دلالة على السفر عبر الفضاء وذهب الى القول الاول من اقوال المفسرين فى ان المقصود بالخطاب هو يوم القيامة قال : " ولكن يمكن أن نشبث بعودهم الى الفضاء وكشفهم للكواكب بمدلول آخر معاكس وهو أن الله علم الانس والجن ما لم يعلموا واعطاهم قوة وسلطانا فى الدنيا ولكنه سبحانه يوم القيامة يتحداهم ويقول لهم لقد كان لكم فى الدنيا سلطان وقوة وعلم وقد سمحت لكم بأن تنفذوا من اقطار السموات والأرض

الباب الثالث

نظام حركة الافلاك فى السماء الدنيا ويشتمل على
الفصول التالية :
الفصل الاول : اعمار النجوم وانواعها
الفصل الثانى : نظام حركة النجوم
الفصل الثالث : المجموعة الشمسية ونظام حركتها
الفصل الرابع : آثار الاجرام السماوية وحركاتها
على الحياة فى الأرض .

وتصلوا او تجولوا كيف تشاءون وأن تصلوا الى بعض ماتريدون أما اليوم فليس لكم ذلك فأنتم اليوم فى حكم المأسورين وفى قبضتى فلا تستطيعون أن تفعلوا شيئا معا علمتموه فى الدنيا وعلمتموه . وبذلك نستطيع ان نثبت بأن الآية فيها دلالة على أنه لامانع من اختراع مايوصلهم الى الفضاء والصعود اليه فى الدنيا فاثبات ذلك ممكن عن طريق النفى لا عن طريق الايجاب ، فلما نفى عنهم سبحانه بأن ليس لهم سلطان للتنفوذ من اقطار السموات والأرض يوم القيامة جاز أن يكون لهم فى الدنيا " (١)

اما الاستدال بقوله تعالى : " لتركبن طبقا عن طبق " بأن فيه دلالة على تمكن الانسان من الصعود خلال الفضاء بمركبات الفضاء التى تمثل طبقا عن طبق فهذه استدالات وتفسيرات ظنية لخرج على من أخذ بها لأن اقوال المفسرين اختلفت فيها وقد نقل الطبرى فيها من الواجه مايلى : (٢)

١ - لتركبن يامحمد أنت حالا بعد حال وأمرنا بعد أمر من الشدائد .

٢ - لتركبن أنت يامحمد سماء بعد سماء .

٣ - لتركبن الآخرة بعد الأولى .

٤ - حالة السماء حيث تتغير ضروبا من التغير ، وتشقق بالغمام مرة

وتحمر أخرى فتصير وردة كالدهان ، وتكون كالمهل .

٥ - وان كان الخطاب الى الرسول صلى الله عليه وسلم لكن المراد به

الناس فأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله احوالا .

على كل حال السفر الى الفضاء اصبح غير متعذر على البشر للبحث

عما يريدون الوصول اليه لكن فى نطاق ما أذن الله تعالى به فالفضاء

الكونى واسع شاسع .

(١) العلم الحديث حجه للانسان أم عليه ؟ د. عبدالله العبادى ١٠٠/١

(٢) جامع البيان للطبرى ١٢٢/٣٠ - ١٢٥

تمهيد : _____

النجوم بمختلف انواعها من أبرز وأكبر مكونات الكون أو الفضاء الكونى وهى تتحرك فى الفضاء على شكل تجمعات كل تجمع يؤلف مجموعة من النجوم تعد بالملايين وهى ما تسمى بالمجرة .

"والمجرة فى اللغة : من جر وهو مد الشئ وسحب . يقال جررت الحبل وغيره أجره جرا . والجريز حبل يكون فى عنق الناقة من آدم ومن هذا الباب الجره جرة الانعام لأنها تجر جرا . وسميت مجرة السماء لأنها كآثر المجر" (١)

وفى اللسان المجرة : السمنه الجامدة والمجرة : هى البياض المعترض فى السماء .. " (٢)

يتضح ان المجرة عند العرب تتصف بالبياض المعترض فى السماء على شكل حبل مجرور أو شكل السمنه الجامده يظهر فيها أثر النجوم كجـرة الانعام .

وقد نقل القزوينى فى عجائب المخلوقات أن العرب تسميها أم النجوم لاجتماع النجوم فيها وزعموا أن النجوم تقاربت من المجرة فطمس بعضها بعضا فصارت كأنها سحاب .

ونقل عن أهل الهيئة أنها كواكب صغار متقاربة بعضها من بعض . وقال "أنها ترى فى الشتاء أول الليل فى ناحية السماء وفى الصيف أول الليل فى وسط السماء ممتدا من الشمال الى الجنوب وبالنسبة اليها

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٤١٠/١

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٢٩/٤ ، والنهاية فى غريب الحديث لابن الاثير

تدور دورا رحويا فتراها نصف الليل معتده من الشرق الى الغرب وفلى
آخر الليل من الجنوب الى الشمال فما كان منها شماليا يكون جنوبيها
وما كان جنوبيها يكون شماليا وتكون على فلك يختص بها". (١)

ويتضح من كلامه أنه يتحدث عن مجرة درب التبانة أو الطريق اللبنى
الذى يضم مجموعتنا الشمسية .

والمجرة فى علم الفلك الحديث يقصد بها مجموعة من النجوم المتقاربة
اختيرت لتسهيل أبحاث الفضاء . وهى تحتوى بلايين النجوم والكواكب
والاقمار والمذنبات والنيازك والشهب والغبار الكونى وتتخللها مجالات
مغناطيسية وكهربية وتربطها الجاذبية فتجعلها وحدة هائلة متماسكة. (٢)

ولم يرد لفظ المجرة فى الكتاب والسنة وإنما الذى ورد فيهما الفاظ
النجوم والكواكب والشهب والبروج والشمس والقمر التى هى من الوحدات
الاساسية فى مكونات المجرة .

ومما ورد فى نصوص الوحي بالنسبة للنجوم والحديث عنها مايلى :-

- ١ - حركات النجوم ويلتمس هذا فى قوله تعالى : * فلا أقسم بالخنس الجوار
الكنس * (التكوير : ١٦) وفى قوله تعالى : * والنجم اذا هوى *
(النجم : ١) . وفى قوله تعالى : * ومن الليل فسبحه وادبــار
النجوم * (الطور : ٤٩) .
- ٢ - مواقع النجوم وذلك فى قوله تعالى : * فلا أقسم بمواقع النجوم *
(الواقعة : ٧٥) .

(١) عجائب المخلوقات بهامش حياة الحيوان الكبرى ٣٥/١ - دار الفكر
بيروت .

(٢) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١١٧ ، الكون والاعجاز العلمى
للقرآن - د.منصور حسب النبى ص ٣٠٨

٣ - افشاء النجوم ويلتمس في قوله تعالى : ﴿ واذا النجوم طمست ﴾
(المرسلات : ٨) . وفي قوله صلى الله عليه وسلم في صفة
أهل الجنة (لو أن رجلا من أهل الجنة أطلع فبدا سواره لطمس ضوء
الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم)^(١) وقد ذكر الامام الترمذى أن هذا
الحديث غريب لاسناده .

٤ - اعمار النجوم - ويتضمن بدايتها ونهايتها وانواعها واقسامها
ويلتمس ذلك في قوله تعالى : ﴿ واذا النجوم انكدرت ﴾ (التكوثر : ٢)
وفي قوله صلى الله عليه وسلم للعباس رضى الله عنه (هل ترى فى
السماء من نجم قال : نعم قال : ماترى قال : قلت ارى الشريا ..) الحديث .^(٢)
والشريا نوع من انواع النجوم له أجل محدود .

٥ - أشار النجوم ويلتمس ذلك في قوله تعالى : ﴿ وعلامات وبالنجم هم
يهتدون ﴾ (النحل : ١٢) وفي قوله صلى الله عليه وسلم في حديثه
عن صلاة العصر حيث قال : (وإصلاة بعدها حتى يرى الشاهد والشاهد
النجم) .^(٣)

٦ - تسخير النجوم قال تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (النحل : ١٢)
٧ - ما يتعلق بعبادة النجوم لله عز وجل والسجود له قال تعالى :
﴿ الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير

(١) مسند الامام احمد ١/١٦٩ ، سنن الترمذى - كتاب صفة الجنة ٤/٦٧٨ -
حديث رقم ٢٥٣٨ .

(٢) مسند الامام احمد ١/٢٠٩

(٣) المرجع السابق ٦/٣٩٧

حق عليه العذاب ومن يهن الله فعاله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء *

(الحج : ١٨) .

هذه بعض النصوص التي تتعلق بالنجوم فماذا قال المفسرون وعلماء
الفلك عن ذلك لنتعرف على اسرار مخلوقات الله فان المتأمل في السماء
وما فيها من نجوم ليجد دلالات واضحة على فاعليها وحكمته وكمال علمه
وعلى ارادته .

كما أن هذه الدلالات تعود على المتأمل بفوائد كالتذكير بالله
وتنشر في القلب التعظيم له سبحانه وتزيل وهم الخوف الا منه سبحانه
وتعالج الهموم قال تعالى : * ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل
والنهار آيات لاولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه
فقنا عذاب النار * (آل عمران : ١٩٠ - ١٩١) .

الفصل الاول

اعمال النجوم وانواعها

ويشتمل على المباحث :

أولا : اعمال النجوم وآجالها

ثانيا : انواع النجوم فى نعوص الوحي وعلم

الفلك الحديـث .

المبحث الاول

أعمار النجوم وآجالها :-

كتب الله الفناء على كل شيء فقال تعالى : ﴿ كل شيء هالك الا وجهه ﴾
(القصص : ٨٨) . فسبحان من تفرد بالبقاء هو الآخر الذى لاشيء بعده .
فكما جعل الموت والحياة على بنى البشر وسائر الاحياء على الأرض كذلك
فاسنته لا تتغير بالنسبة للأجرام السماوية .
لذلك لم تختلف النجوم عن هذه السنه فهى لها فترة حياة ثم تنتهى
فى النهاية الى الموت تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ كل من عليها فـانـ .
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ (الرحمن : ٢٦) .
فهو الذى لا يموت سبحانه ولقد عبر القرآن الكريم عن نهاية
النجوم فى اكثر من موضع مما يدل على أن لها أجل محدود يتدرج فيها
النجم فى مراحل عمره كما يتدرج بنو البشر من الطفولة الى الشيخوخة
التي تعتبر مؤشرا الى النهاية فقد قال تعالى : ﴿ اذا الشمس كورت .
واذا النجوم انكدرت ﴾ (التكوين : ٢١-٢٠) وقال تعالى : ﴿ فاذا
النجوم طمست ﴾ (المرسلات : ٨) .
وعلم الفلك الحديث يؤكد هذه الحقيقة ويخبرنا ان النجم له فترة
معينة تبدأ من مرحلة الطفولة ثم الشباب ثم يتدرج حتى الشيخوخة ثم
الى النهاية .

ونظرا لأن الفضاء الكونى لا يخلو من الغاز والشراب الكونى . فعندما
يشاء الله سبحانه وجود نجم جديد تتراكم كميات كبيرة من هذا الغاز
والتراب بخاصية الجاذبية ويظل هذا التراكم مدة طويلة حسب كتلة النجم

بعدها يبدأ التفاعل النووى حيث ترتفع درجة الحرارة والفغط فى باطن
النجم نتيجة التراكم فيصبح النجم متوهجا معلنا عن ولادة النجم .
ويتركب النجم عادة من الهيدروجين مخلوطا بكمية صغيرة من الهيليوم
وشوائب بسيطة من العناصر الثقيلة ونتيجة التفاعل النووى يندمج
الهيدروجين مكونا هيليوم وتنتج الطاقة التى تنطلق من المركز الى
سطح النجم على هيئة أشعة جاما فيسخن السطح الى آلاف الدرجات ويتوهج
وتنطلق منه الطاقة الفوتونية المرئية وغير المرئية وتتحدد بذلك قوة
إضاءة النجم ولون سطحه الذى يعتمد على مساحة سطحه ودرجة حرارته وهذه
العوامل كلها تثبت عندما يقف الانكماش الناتج من تراكم الغاز والتراب
نظرا لتعادل الجاذبية الى الداخل والمؤثرة على التراكم مع ضغط
الحرارة العالية والاشعاع الى الخارج ويصبح النجم ثابت الحجم فى
الفضاء . ويدخل النجم بذلك مرحلة الشباب التى يمر بها ٩٠٪ من
نجوم السماء .

ويدوم عمر النجوم الشابه حتى يبلغ زاد النجم من الهيدروجين
منتهاه ويتراكم رماد الهيليوم فى باطن النجم وتقف بذلك التفاعلات
النوية فتتغلب قوة الجاذبية ويتقلص القلب فجأة فترتفع درجة الحرارة
الى مئات الملايين من الدرجات ويتحول الهيليوم بتفاعل نووى جديد
الى عناصر أخرى وتستمر هذه التفاعلات الى أن يصل التحول لعنصر الحديد
بالاندماج النووى فى قلب النجم بينما يكون الغلاف الخارجى للنجم قد
تعدد منذ اللحظة الاولى للارتفاع فى درجة الحرارة ويصبح النجم عملاقا
أحمر وهى مرحلة الشيخوخه للنجم التى تستمر حتى يتوقف بعدها انتاج
الطاقة فى باطن النجم وعندئذ يتحول النجم الى قزم حيث تعتبر مرحلة

الاقزام فى النجوم هى مرحلة نهاية النجوم . (١)

وتعتبر الشمس نجما من النجوم وهى تعد الآن فى مرحلة شبابها بمعنى أنه ستمر عليها الشيخوخة ثم منها الى المرحلة التى يشاء الله أن يتوقف انتاج الطاقة فى باطنها ثم تستعد الى مرحلة النهاية التى عبر عنها القرآن الكريم بالتكوير وفى النجوم الأخرى بالانكدار والطمس .

الاصاف الدالة على نهاية اجل النجوم :

من هذه الاصاف الطمس وهو أصل يدل على محو الشيء ومسحه يقال طمست الأثر أى استتصلت أثر الشيء . (٢)

وقد وردت هذه المادة فى التنزيل فى خمسة مواضع موضع خص به النجوم وفى موضعين خص به الأعين وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ﴾ (ياسين : ٦٦) وفى قوله تعالى : ﴿ ولقد راوده عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذرى ﴾ (القمر : ٣٧) .

وفى موضع آخر خص به السوجه قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ﴾ (النساء : ٤٧) .

وفى موضع آخر خص به المال فى قوله تعالى : ﴿ وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا أطمس على أموالهم وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا

(١) من كتاب الكون والاعجاز العلمى للقرآن . د . منصور حسب النبى

ص ٢٨٠ - ٢٨٤ بتصرف .

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٢٤/٣ ، القاموس المحيط للفيروز آبادى ٢٣٥/٢

النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١٣٩/٣

العذاب الاليم * (يونس : ٨٨) .

وكل هذه المواضع تؤدى معنى المحو والمسح وأستئصال أثر الشيء وبالنسبة للنجوم هو أستئصال ومحو ضوئها ويؤكد ذلك ماورد فى الحديث الذى رواه عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وقال : (ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله عز وجل نورهما ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب) . (١) وقال الترمذى " يروى هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو موقوفا وفيه عن أنس أيضا . وهو حديث غريب " . وقال الحافظ فى تخرجه " صححه ابن حبان وفى اسناده رجاء ابو يحيى وهو ضعيف " . (٢)

أما الانكدار من الفعل كدر هو أصل يدل على خلاف الصفو والآخر يدل على حركة . والكدر من الالوان مانحا نحو السواد والغبرة . وأنكدر اذا اسرع . والانكدار تغير من أنتشار الشيء . وأنكدر عليهم القوم اذا جاؤوا ارسالا حتى ينصبوا عليهم . (٣)

وقد نقل الطبرى فى معنى الآية انكدار النجوم تناثرها فى السماء فتساقطت من معنى الاسراع والانصباب . ونقل عن مجاهد وغيره معنى قوله تعالى : * واذا النجوم انكدرت * أى تناثرت وعن قتادة قال " تساقطت وتهافتت وعن ابن عباس ان معنى انكدرت تغيرت " (٤) ونقل القرطبى عن ابن عباس أيضا :

" أنكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها من امكانها " . (٥)

(١) مسند الامام احمد ٢/٢١٣ ، سنن الترمذى - كتاب الحج ٣/٢٢٦ حديث رقم ٨٧٨

(٢) فتح البارى لابن حجر ٣/٤٦٢

(٣) مقاييس اللغة ٥/١٦٤ ، لسان العرب ٥/١٣٤ ، المفردات فى غريب القرآن للاصفهانى ص ٤٢٧ .

(٤) جامع البيان للطبرى ٣٠/٦٥

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٩/٢٢٨

فالانكدار فيه معنى الحركة السريعة التى تحرك النجم عن مسـارة
الاصلى بحيث يسقط فى مناهة الفضاء مع انتشار فى اجزائه وذهبـاب
ضوءه .

ما المقصود بالتكوير ولما خست الشمس به دون النجـوم :-
التكوير يأتى فى اللغة من الفعل كور وهو أمل يدل على دور وتجمع من
تكوير العمامة . وهو لفها وجمعها . (١) وقد نقل الطبرى عن المفسرين
فى معنى كورت اقوالا تدل كلها على ذهاب ضوء الشمس واضمحلاله ثم الرمى
بها . ولكنه بعد أن اورد معنى كورت فى كلام العرب قال : " انما
معناه جمع بعضها على بعض ثم لفت فرمى بها واذا فعل ذلك بها ذهب
ضوءها " . (٢)

وهذا ما يحصل للنجم من الطمس والرمى المعبر عنه بالانكدار . ويظهر
والله أعلم ان الشمس خست بوصف التكوير المعبر عن نهايتها مع أنها
نجم من النجوم يحصل لها ما يحصل للنجوم فى آخر عمرها من السقوط من
مسارها والطمس لضوئها . ان الشمس اقرب نجم للأرض فضوئها لا يستغرق
اكثر من ثمان دقائق واجزاء من الدقيقة فى الوصول الى الأرض لذلك
يمكن ملاحظة ما يمكن أن يحصل لها بوضوح عن غيرها من النجوم حيث تلف
أولا وتجمع ثم يحصل لها ما يحصل لباقي النجوم من الطمس والانكدار .
هذا ما يخص اعمار النجوم وأن كان المقصود بها " يوم القيامة "
الا أن فيها دلالة على ما توصل اليه علم الفلك الحديث عن أعمار النجوم
ونهايتها هذه النهاية المعبر عنها بفترة الاقزام . الا ان هناك وقفه

(١) مقاييس اللغة ١٤٦/٥ ، لسان العرب ١٥٦/٥

(٢) جامع البيان للطبرى ٦٥/٣٠

يجب التنبيه اليها وهي ان ظاهر الآية يفيد والله أعلم ان عملية الطمس والانكدار للنجوم وتكوين الشمس هو حدث يحصل لكل النجوم في فترة واحدة هو يوم القيامة كما تدل على ذلك الآثار . أما مرحلة الاقزام التي تمر بعمر النجم فلم نخبرنا عن حدث الانكدار والطمس الجماعي للنجوم حتى ان عملية الطمس لضوء النجم في هذه الفترة لاتعتبر نهائية في عمر النجم في مرحلة الاقزام .

ذلك لان حوالى ٩ ٪ من النجوم في مرحلة الاقزام ويقال لها مرحلة الاقزام البيضاء . وهذه المرحلة تعتبر فيها رؤية النجوم أمر صعب فعلا لأنها ضئيلة النور ضالة بالغة نظرا لصغر حجم النجم جدا والبعد القصي عنا كثيرا . (١)

وحسب الاعمار التي يعطيها الفلكيون لكل فترة من فترات عمر النجم فان حدث الطمس والانكدار المراد في القرآن الكريم لم ترد على نجم من نجوم فترة الاقزام البيضاء فهي لاتزال تعطى نورا وان كان خافتا وضعيفا . كما يخبرنا علم الفلك عن نجم الشعرى اليمانية فان له شريكا آخر يعتبر في مرحلة الاقزام البيضاء وهو يشع ضوءا لكن بمقارنته بضوء الشمس يتفح الفرق في ضوء الشريك بالنسبة لضوء النجم الآخر حيث نسبة ضيائية الشعرى الخفى ثلاثة في الالف من ضوء الشمس والنجم الآخر نسبة ضيائته بالنسبة لضوء الشمس ست وعشرين مرة قدر ضوء الشمس . (٢)

(١) مقتبسه بتصريف من كتاب الكون والاعجاز العلمي للقرآن ص ٢٨٣ ، وكتاب الطريق الى النجوم - فان دريت ويلى ص ١٦١ ترجمة د. عمر فروخ الطبعة الثانية لعام ١٩٧٤ م - دار العلم للملايين - بيروت - وكتاب الجغرافيا الفلكية - شفيق عبدالرحمن على ص ٨٢

(٢) مقتبسه من المصادر السابقة نفس الصفحات وكذلك كتاب علم الفلك د. رضا مدور ص ٤٩٣ - طبعة عام ١٩٧٠ م - الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية - القاهرة .

المبحث الثاني

١ - انواع النجوم فى نصوص الوحي وعلم الفلك الحديث :

لقد ورد فى نصوص الوحي انواع من النجوم على وجه الاجمال كما فى نصوص القرآن الكريم . وورد بعض التفصيل كما يلاحظ فى نصوص السنه المطهره .

ففى القرآن ورد ذكر البروج والمنازل قال تعالى : ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ (البروج : ١)

وقال تعالى : ﴿ ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزينها للناس من ﴾ (الحجر : ١٦) .

وقال تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ (الفرقان : ٦١) .

وقال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ (ياسين : ٣٩) .

وقال تعالى : ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس : ٥) .

وقد ذكرنا سابقا ان البروج عبارة عن حزام من مجموعات من النجوم تزين السماء وتأخذ اشكالا ثابتة المعالم لا تتغير بالنسبة لبعضها البعض وقد نقل الطبرى عن مجاهد وقتادة وغيرهم ان البروج هى النجوم والى ذلك ذهب ابن كثير فى تفسيره . (١)

(١) جامع البيان للطبرى ٢٩/١٩ ، ١٢٧/٣٠ ، تفسير ابن كثير ٣/٢٢٤

واما المنازل فهي كما مر معنا سابقا عبارة عن نجوم تظهر في مواضع من قبة السماء اذا طلع القمر مع احدها يقال ان القمر بمنزلة كذا وهي ثمانية وعشرين نجما موزعة على دائرة البروج ويذكر القرويني في عجائب المخلوقات " ان العرب تسمى أربعة عشر من هذه المنازل شامية وأربعة عشر يمانية فأول الشامية الشرطين وآخرها السماك الأعظم وأول اليمنية الغفرو وآخرها الرشا " (١).

وهذه الاسماء للنجوم كان يطلقها الاقدمون على ما يرون من نجوم السماء لتمييزها عن بعضها البعض . وقد ورد بعض اسماء النجوم في نصوص السنة تصريحاً أو تلميحاً فعثلا نجد في فضل صلاة العصر حديثاً عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بالمخمس (٢) فقال : (ان هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد . " والشاهد النجم ") (٣).

والنجم : الثريا لأن العرب اذا اطلقت النجم تريد به الثريا . (٤) ويذكر القرويني " أن الثريا يقال له النجم وهو أشهر منازل القمر وهو ستة أنجم وفي خلالها نجوم كثيرة خفيه وهي تظهر في المشرق عند ابتداء البرد " ويذكر ابن الصوفي أنها من نجوم كوكبه الثور . (٥)

-
- (١) عجائب المخلوقات للقرويني ٧٤/١
(٢) المخمس طريق جبلى في عيبر وهو جبلان عن يمينك وأنت بيطن العقيق تريد مكة - معجم البلدان ١٧٢/٤ ، ٧٣/٥ .
(٣) صحيح مسلم ٥٦٨/١ - حديث رقم ٢٩٢ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها .
صحيح مسلم بشرح النووي - باب الاوقات التي نهى عن الصلاة فيها ١١٣/٦
(٤) مقاييس اللغة ٢٩٦/٥ ، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ٢٠/٥
(٥) عجائب المخلوقات ٧٦/١ ، صور الكواكب الثمانية والأربعين لابن الصوفي ص ١٤٦ - ١٦٠ .

والشريا في علم الفلك الحديث عبارة عن عنقود مفتوح يحتوى على
بضع مئات من النجوم أبعادها من ثلاثمائة وخمسة وعشرين الى ثلاثمائة
وخمسين سنة ضوئية وهى تظهر للعين سته فقط . (١)

وورد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (صلاة الليل مثنى مثنى . والوتر ركعة " قلت : رأييت
ان غلبتنى عينى ، رأييت ان نمت قال : أجعل عند ذلك النجم فرفعت
رأسى فاذا السماء . ثم أعاد فقال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (صلاة الليل مثنى مثنى . والوتر ركعة قبل الصبح) . (٢)

والسماك عبارة عن نجمين أحدهما السماك الرامح . والآخر السماك
الاعزل وهو من منازل القمر ويذكر ابن الصوفى أنه أحد نجوم بـرج
العذراء . (٣)

أما السماك الرامح فهو ألمع نجم فى كوكبه العواء . وسمى سماكا
لارتفاعه فى السماء . ويوجد بالقرب منه نجم خافت يسمى رمح السماك .
وقد كان معروفا للبحارة قديما . كما أن بعض المعابد المصرية
كانت تتجه نحوه . (٤)

وكما ورد فى التنزيل ذكر نجم الشعرى فى قوله تعالى : ﴿ وأنشأه
هو رب الشعرى ﴾ (النجم : ٣٩) .

والشعرى هى اسم بالعربية لنجمين يقال لهما الشعرى اليمانية

(١) الموسوعة العربية الميسرة ٥٧٩/١

(٢) سنن ابن ماجه - كتاب اقامة الصلاة ٣٧١/١ - حديث رقم ١١٧٥

(٣) صور الكواكب الثمانية والأربعين ص ١٨٧ - ١٩٧

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ١٠١٢/٢

والشعرى الشاميه . وبأسم الشعرى اليمانية سميت الايام التى يتوهم
طلوع الشمس فيها مع الشعرى . وكان المصريون يحسبون سنتهم مبتدئـه
بهذه الايام . (١) ويذكر ابن الصوفى ان الشعرى اليمانية من كوكبـه
الكلب الأكبر وسميت يمانية لأنها تغيب فى شق اليمن والشعرى الشاميه
من كوكبه الكلب الأصغر وسميت شاميه لأنها تغيب فى شق الشـام . (٢)
والملاحظ فى نصوص الوحى عند ذكر انواع النجوم الاعتماد على ما يظهـر
للانسان من النجوم فى صفحة السماء التى لها علاقة وثيقة بحياة الانسان
اليومية من تحديد وقت الصلاة ومعرفة الايام والسنين وما يعتمد على ذلك
من حساب فصول العام التى لها علاقة بالبروج والمنازل . وما يستفاد
بها فى جوانب أخرى من الحياة .

أما النواحى التفصيليه المتعلقة بأنواع النجوم فان النصوص لا تذكرها
الا بإشارات عابره فالقرآن الكريم جاء لترسيخ جوانب التوحيد والعقيدة
الاسلامية وبالذات فى عصر النزول . كما وضع السبل التى يستطيع بها
الناس تصحيح عقائدهم وطريقة معاملتهم مع خالقهم كما هو واضح من الآية
فى قوله تعالى : ﴿ وانه هو رب الشعرى ﴾ حيث قد شاع بين الأمم عبادة
غير الله الخالق ومن هذه العبادات عبادة النجوم .

لكن الاشارات القرآنية تدعونا الى النظر فى كتاب الله المفتوح وهو
هذا الكون بسمواته وأرضه وما بينهما فقد قال تعالى : ﴿ أو لم ينظروا
فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قـد
أقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون ﴾ (الاعراف : ١٨٥)

(١) دائرة المعارف للبستانى ٩٥/١٠

(٢) سورة الكواكب الثمانية والابعين لابن الصوفى ص ٢٨٥ - ٢٩٤

فلفظ شيء لفظ عموم يدخل تحته جميع المخلوقات ومن ظمنها النجوم
ويؤكد هذه الدعوة قوله تعالى : ﴿ قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض
وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (يونس : ١٠١) .
والنظر فى تقسيم النجوم وانواعها مجال للتفكر فى خلق السموات
والتعرف على ان صنع الله سبحانه ليس عبثا أو باطلا وانما خلق لحكمه
قد تتفح لنا وقد لا تتفح .

فالبروج مثلا كما يخبرنا علم الفلك الحديث عبارة عن تجمعات نجمية
قد تعد بالآلاف وقد تعد بالملايين تولى فيما بينها ما يسمى بالعناقيد
أو الكوكبات وهذه العناقيد اما ان تكون بشكل مجاميع مفتوحة أو مجاميع
كروية وهى على الرغم من ذلك تبعد فيما بينها أبعادا هائلة ومن أمثلة
هذه التجمعات التى تشكل العناقيد (الثريا) والنثره التى تعتبر من منازل
القمر . (١)

وقد تعد بعض هذه التجمعات مجرات بحالها أو سداثم تبعث بالضوء على
مسافات بعيدة تنبئ عن وجود نجوم اما فى حالة الولادة والطفولة أو فى
مرحلة الشباب أو فى مرحلة الشيخوخة أو مرحلة الاقزام .

وقد حيرت بعض هذه النجوم علماء الفلك . ووجه الحيرة اما فى طريقة
تحركها أو فى ما تبعثه من طاقة سواء ضوئية أو حرارية .

وسنذكر بعض الأمثلة لانواع من النجوم لتفتح أمام القلب مجالا للتفكر
فى صنع الله اذ قال سبحانه فى كتابه العزيز حكاية عن موسى وفرعون
﴿ قال فممن ربكما ياموسى . قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾
(طه : ٤٩ - ٥٠) ولفظ كل لفظ عموم يدخل تحته جميع الخلق ومنها

(١) مستفادة من كتاب الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٧٤

النجوم فهي داخلية فى الخطاب اى أنها مشمولة بالهداية فيما سخرت لـه ،
ومنه التعرف على ابداع صانعها وحكمه فيما يحدث لها من تصرف فى تدبير
حركتها واضاءتها وغير ذلك مما يخبرنا به علم الفلك عن تصرفات هذه
النجوم .

٢ - انواع من النجوم التى يخبرنا بها علم الفلك الحديث :

أولاً : النجوم المتغيرة ويمكن تقسيمها الى ثلاثة انواع :
أ - النجوم النابضة وهذه تشتد اضاءتها ثم تعود فتخبو بدقة وانتظام
بحيث لكل نجم نظامه الخاص فبعضها يتم دورته الضوئية فى ساعات
قلائل وبعضها فى يوم وبعضها يستغرق أشهر أو سنة أو أكثر .
ويعتقد الفلكيون ان الاشعاع يتجمع داخل النجم أو يخترن فيه لوقت
ويعجز عن الانطلاق بحيث يبقى معتما الى ان ينفجر هذا الاشعاع بعد
التكدس أو الاختزان باعشا كمية من الطاقة فيزداد النجم لمعانا
الى فترة ومع تلاشى الاشعاع يعود النجم قاتما مرة ثانية . ومن
أمثلة هذه النجوم نجم منكب الجوزاء . (١)

ولكن هناك نوع من النجوم تعتبر من النابضات حيرت علماء الفلك فهي
تعطى اشارات على شكل موجات راديوية غريبه وهى منتظمة جدا بين
كل اشارة وأخرى ثانية وجزء من الثانية . وهى تختلف عن النجوم
الاولى فى أن نبضاتها رتيبـه ذات الدقة المتناهية فى توقيتها . ولقد
حاول علماء الفلك من عام ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م متابعتها ورمدها ووضع
التفسيرات لها ومعرفة كنهها ومصدرها . (٢)

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٧٣ بتصرف
(٢) مقتبسه بتصرف من مجله الفيصل العدد (٤١) ذو القعدة لعام ١٤٠٠ هـ

ب- النجوم المتغيرة الكاسفه : وهذه يتذبذب بريقها أيضا بسبب دوراتها حول بعضها البعض فيكشف أحدهما الآخر أثناء الدوران في لحظة معينة بالنسبة للراصد حيث يتناقص بذلك الفوء الكلى نظرا لظهور أحدهما واختفاء الآخر خلف زميله وذلك على فترات منتظمة تعتمد على سرعة دورانهما .

وهى تدعى النجوم المزدوجه أو النجوم الثنائية . ويعتقد علماء الفلك ان مالا يقل عن ثلث النجوم ثنائى أو متعدد ولو أن كثيراً منها شديد البعد . والنجوم الثنائية الشديدة التقارب — دور بعضها حول بعض بسرعة كبيرة فى ثمان ساعات أو أقل . ومن أمثلتها الشعرى اليمانية ورفيقها القزم . (١)

ج- النجوم الوقتية : لا أحد يستطيع أن يعرف الزمان أو المكان الذى سيقع الراصد فيه على نجم وقتى . فهو عبارة عن تلال نجم فى السماء بغته فيزداد اشراقه ازديادا عظيما . فهو يعتبر من النجوم التى كانت خافته لدرجة عدم ظهورها ثم حان وقت انفجارها فأنفجرت بالتتابع شديد مفاجئ يتيح رؤيتها فى السماء حيث يقذف النجم بعضا من غازه مسافة بعيدة محدثا انفجارا رهيبا وبذلك يزداد لمعان النجم — ألوف المرات الى فترة قصيرة جدا . وقد يكون الانفجار شديدا جدا فى بعض الاحيان بحيث يتفتت النجم تفتتا تاما وفى هذه الحالة يزداد لمعانه ملايين المرات الى فترة قصيرة ثم يختفى . وهى تدعى النجوم المستعرة وتكون النجوم فيها اما متوهجة او خارقة التوهج وهو ما يدعى فى اصطلاح الفلكيين نوبا " Nova " او السوبر نوبا

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور حسب النبى ص ٢٨٦ ،
والموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٧٣ .

"SUPER NOVA" ومن أمثلته ملاحظه الصينيون عام ١٠٥٤ م

من انفجار مروع حدث فى السماء وهو المكان الذى يحتله سديم
السرطان من برج الثور وهو عبارة عن غاز وليس له علاقة ببـرج
السرطان . (١)

ثانيا : أشباه النجوم : وهى التى يطلق عليها فى اصطلاح الفلكيين
" Quasars " التى تم اكتشافها عن طريق الاشعة الراديوية

التي تصدر معها أصوات تؤثر فى موجات الراديو .
ولقد لفت نظر الفلكيين ان صدور هذه الاشعة من مواضع معينة فى
السماء لا يبدو فيها شئ للعين المجردة بحيث تصدر عنها طاقة تعادل
مائة مرة الطاقة المنبعثة من بلايين النجوم فى مجرتنا . ولقد
تتبع علماء الفلك البصرى هذه المواضع فوجدوا فى بعضها مجرات
بعيدة جدا تصدر عنها هذه الموجات . وان بعضها يصدر عن نجوم
صغير جدا من نجوم مجرتنا .

كما وقد لاحظ الفلكيون من خلال التحليل الطيفى للاشعة الصادرة عن
هذه المواضع حيودها حيودا كبيرا بحيث يخرج عن نطاق الطيف كله .
ويدل مقدار الحيود على سرعة ابتعاد هذا الجسم عنا من ناحية وعن
بعضها من ناحية أخرى .

وشبه النجم كسائر النجوم يرى بالمراقب البصرية كنقطة مضيئة
حتى بأصغر المراقب البصرية. لكن العجيب منه هو

١ - مقدار الطاقة المنبعثة منه تعادل مليون شمس مثل شمسنا .

٢ - السرعة الكبيرة التى يتحرك بها ويبتعد بها عنا .

(١) المراجع السابقة ، الطريق الى النجوم - ترجمة عمر فروخ ص ١٢٢ ،
مجلة الموسوعة العلمية العدد (١) ص ١٦ ، مجلة الفيصل عدد (٤١) لعام
١٤٠٠ هـ ص ١٢٨ .

٣ - الموجات الراديوية التى تصدر عنه تقعر هوائيات المراقب بشدة .

ولقد حاول الفلكيون ولا زالوا يحاولون فى وضع التصورات والتفسيرات

لمعرفة حقيقة اشباه النجوم . (١)

ثالثا : الثقوب السوداء :

تم اكتشافها عن طريق الاشعة السينيه حيث وجدوا أن النجوم الفرادى

هى التى تصدر هذه الاشعة . وقد وجد أن معظم هذه النجوم تنأى حيث

لايرى المرقب البصرى غير واحد منها .

والنجم المرئى يدور مع آخر حول مركز مشترك أما غير المرئى فهو صغير

ويتصف بجاذبية قوية خارقة - يظهر ان مسمى ثقب أسود أطلق عليه من هذه

الناحية - حيث يتم بهذه الجاذبية سحب مادة النجم الكبير والتهامها

فى جوفه شيئا فشيئا . ولهذا فان جهة النجم الكبير القريبة من الثقب

الأسود تكون على شكل مخروط تصب منه مادته داخل الثقب . وعن طريق

الانصباب من المادة النجمية فى النجم الكبير الى الثقب ينتج اصـدار

الاشعة السينيه . وتتميز الثقوب السوداء بانضغاط المادة فيها الى

حد ان يقال بأمكانية التحام نويات الذرات فيها بمعنى أنه تتصف بمفر

حجمها جدا لكن كتله داخلها والجاذبية على ماهى عليه قبل الالتحام

كما تتصف الثقوب السوداء بالجاذبية التى لاتسمح لشيء بالافلات منها

حتى شعاع الضوء ولهذا لايمكن ان نرى من هذه الاجسام شيئا مهما تحسنت

أجهزة الرصد . (٢)

(١) مجلة الفيصل العدد (٤٨) لعام ١٤٠١ ص ١١٠ - ١١٥ بتصرف

(٢) مجلة الفيصل العدد (٤٣) لعام ١٤٠١ ص ١٢٣ - ١٢٩ بتصرف

أقوال المفسرين فى النجم الشاقب :

اختلفت اراء المفسرين فى المقصود بالنجم الشاقب فذهب بعض علماء المسلمين المعاصرين ^(١) الى أن النجم الشاقب هو الثقب الأسود بحقيقة اللفظ لابلماجاز وأنه لا يوجد مخالفة للحقيقة الكونية التى توقعها أحد علماء الفيزياء وشم اكتشافها أخيرا وهى ما تتعلق بالثقوب السوداء . وقال فى ذلك " ان المقصود بالطارق هو السالك للطريق مما يوحي بالحركة ليلا أو نهارا وهو ما يتفق مع حركة النجم الدائمة -الى أجل- وأما النجم الشاقب فهو المقصود الذى يثقب الفضاء الكونى أثناء جريانه لأنه يكنس الفضاء ويجذب اليه كل ما يصادفه فيخلف نفقا خاليا من المادة والطاقة وكأنه يثقب الفضاء فعلا " . وأستشهد بقوله تعالى : ﴿ ان كل نفس لما عليها حافظ ﴾ (الطارق : ٤) بأن الله سبحانه يضمننا بالعناية الالهية فلا تقع ارضنا فى مصيدة الثقب الأسود لأنــــه يلتهم كل ما يصادفه وكأنه طارق الهم والغم .

كما أستشهد على صحة استنباطه بقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار ﴾ (التكوير : ١٥) .

وقال : " ان الثقوب السوداء اجراما منقبضة مختفيه وهذا المقصود من الخنس وهو التأخر والانقباض والاختفاء والكنس يشمل معنى الاستمرار والاختفاء والازلة ايضا " . وذهب عالم آخر ^(٢) الى ان النجم الشاقب كمثل نجم فى السماء يعرف بنجم الغول وهو ذو نظام ثنائى يتكون من نجم لامع وآخر خافت . وهو من النجوم المتغيرة الكاسفه التى تحدثنا

(١) الكون والاعجاز العلمى للقرآن - د. منصور حسب النبى ص ٢٩٠ - ٢٩٢

(٢) الطبيعيات والاعجاز العلمى للقرآن د. عبدالعليم خضر ص ٨٧-٨٩-٤٤٤ الطبعة الاولى لعام ١٤٠٦ هـ - الدار السعودية للنشر والتوزيع-جدة

۱ - أنه يشقب الظلام بفؤته فينفذ فيه - والعرب تقول أشقب تارك : أى أضله . (۱)

۲ - أنه يطلع من الشرق نافذاً فى الهواء كالشئ الذى يشقب الشئ .

۳ - هو النجم المرتفع على النجوم والعرب تقول للطائر اذا لحق ببطن السماء ارتفاعاً قد ثقب .

۴ - هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه أى ينفذ فيه ويحرقه .

وقد اختلفت آراء المفسرين فى الطارق هل هو نجم معين أو جنس النجم؟

وذهب غير واحد الى ان المراد به نجم معهود ومن هذه الآراء :

- المقصود به الجدى نسبة القرطبي والالوسي فى تفسيرهما الى ابن عباس .

- وقيل انه الثريا لأن العرب تسمى الثريا النجم . (۲)

- وقال آخرون أنه نجم بعينه (۳) أى ان هناك نجم من نجوم السماء اسمه الطارق .

- وقيل انه عام فى سائر النجوم لأن طلوعها بليل وكل من أتاك ليلاً فهو طارق وهو منقول عن قتادة . (۴)

وتخصيص الطارق بالليل من استعمالات العرب فقد ورد عن جابر بن عبد

الله رضى الله عنه قال : (نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يطرق أهله ليلاً) . (۵)

وقد اورد الامام البخارى فى صحيحه فى كتاب التفسير فى سورة الطارق

(۱) جامع البيان للطبرى ۱۴۲/۳۰

(۲) المصدر السابق نفس الصفحة

(۳) التفسير الكبير للرازي ۱۲۷/۳۱

(۴) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ۲/۲۰

(۵) صحيح البخارى ۹/۳ كتاب العمرة ، باب لا يطرق أهله اذا بلغ المدينه صحيح البخارى بشرح فتح البارى ۶۲۰/۳ ، حديث رقم ۱۸۰۱ .

قوله (وما أتاك ليلاً فهو طارق) (١) ولكن هناك من يقول أن الطروق قد يكون نهاراً ويؤيده الحديث الذي رواه الإمام مالك في موطأه في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم (أعوذ بوجه الله الكريم ويكلمات الله التامات ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن) (٢) ويظهر أن الحديث مرسل كما حكم المعلق . لكن ورد بمعناه في مسند الإمام أحمد ولم يذكر طوارق النهار ولكنه عمم حيث قال (ومن شركل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن ..) (٣)

وذهب آخرون إلى أن المقصود بالطارق هو نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وهو زحل . وقد نسبته القرطبي إلى الفراء وحكاه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما وعلى ابن طالب رضي الله عنه . (٤)

ويقول الألوسي في تفسيره " ولا يخفى أن المعروف أن الذي يسكن السماء السابعة أعنى الفلك السابع وحده هو زحل فيكون ذلك قولاً بأن النجم الثاقب هو لكن لا يعرف له نزول ولا صعود بالمعنى المتبادر " . وقال في نهاية كلامه ' أن هذا الخبر مكذوب على أمير المؤمنين على " . وهناك وقفه عند هذا القول في قبوله . وهو نسبته إلى الصحابييين رضي الله عنهم ، أما أحدهما فقد رفضه الألوسي واعتبره مكذوباً على الخليفة الراشد على ابن طالب رضي الله عنه وأما نسبته إلى ابن عباس فلا شك

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ، ٦٩٩/٨ كتاب التفسير ، سورة الطارق

(٢) موطأ الإمام مالك ٩٥١/٢ كتاب الشعر حديث رقم ١٠ - بتعليق محمد عبد الباقي - دار احياء التراث العربى .

(٣) مسند الإمام أحمد ٤١٩/٣

(٤) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ١/٢٠ ، معانى القرآن للفراء ٢٥٤/٣ -

دار الكتب - بيروت - روح المعانى للألوسى ٩٥/٣٠

فى عدم صحتها اليه لأنه مبنى على فكرة قديمة عن الأفلاك من الفكر اليونانى .
حيث يتصور ان الارض مركز الكون والافلاك تحيط بالارض فى الفلك الأول القمر
وفى الفلك السابع زحل . وهذه الفكرة عن الكون أنتقلت الى علم
الفلك عند المسلمين بعدما نشطت حركة الترجمة ونقل تراث الامم السابقة
الى الحضارة الاسلامية فى عصر الخلافة العباسية .

وقد أثبت الفلك الحديث خطأ هذه الفكرة وأن زحل ما هو الا كوكب من
كواكب المجموعة الشمسية التى تعتبر جزءا بسيطا فى كون الله الواسع
علاوة على أنها اكثر من سبعة كواكب .

كما ذهب آخرون الى ان المقصود بالطارق هو الشهاب واحد الشهب التى
يرمى بها الشياطين وسمى طارقا لأنه يطرق الجنى أن يصكه وأستدلوا بقوله
تعالى : ﴿ الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴾ (الصادقات : ١٠) (١)
ويتضح من اقوال المفسرين قديما وحديثا عدم الوصول الى تحديد
نجم بعينه تنطبق عليه المواصفات الكاملة لهذا النجم الذى خصه سبحانه
بهذه الفخامة والشأن العظيم .

والاولى - كما ذهب سيد قطب فى ظلاله - ترك محاولة تعيين النجم الشاقب
ولا ضرورة الى تحديد ذلك وانما يترك الامر على اطلاقه ليكون المعنى
" والسماء ونجومها الشاقبة للظلام النافذه من الحجاب الذى يستتر
الاشياء . ويكون لهذه الاشارة ايحائها حول حقائق السورة وحول مشاهدتها
الاخرى " . (٢)

(١) الكشف للزمخشري ٢٢/٤ ، تفسير الرازى ١٢٧/٣١ - ١٢٨

(٢) ظلال القرآن ٣٨٧٨/٦

الفصل الثاني

نظام حركة النجوم
ويشتمل على المباحث :

- أولا : نظام حركة النجوم في نعوص الوحي
- ثانيا : الحركات الظاهرية والحقيقة للنجوم
- ثالثا : مواقع النجوم وإضاءة الأجرام
- رابعا : علاقة الملائكة بحركة النجوم

المبحث الاول

نظام حركة النجوم فى نصوص الوحى :

قد يظهر للانسان حين تطلعه الى السماء ان النجوم ثابتة فى القبة السماوية لما يلاحظ من انتشار هذه النجوم فى هذه القبة .
ولكن اذا ما رصدت بدقة متناهية فانه من الملاحظ ان هذه النجوم تتحرك بحركات مختلفة .

ومن المعلوم ان الحركة نوعان هى :

أولاً : الحركة الارادية وهى المقرونة بالعلم والشعور وهذه ليست مجال حديثنا لاننا نعلم من النصوص القرآنية ان النجوم مسخرة كما فى قوله تعالى : ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الاعراف : ٥٤) .
وما دامت مسخرة فحركاتها ليست ارادية فنفى عنها العلم والشعور والاختيار .

ثانياً : الحركة غير الارادية وهى تنقسم الى قسمين هما :

١ - الحركة الطبيعية وهى الحركة نحو المركز ومن أمثلتها حركة الساقط من أعلى الى أسفل تحت تأثير الجاذبية . كما يحصل عند ولادة نجم جديد من تراكم كميات كبيرة من الغاز والتراب الكونى الى باطن النجم فى اتجاه مركزه . وكذلك من أمثلتها الكثيـر كسقوط الثمر من الاشجار نحو الأرض .

٢ - الحركة القسرية وهى الحركة الى غير المركز ومن أمثلتها حركة

الأرض حول محورها وكذلك حول الشمس وحركة القمر حول الأرض وحول

الشمس .

وحركات النجوم بل الاجرام السماوية جميعا تدخل تحت هذا النوع من الحركة أى غير الارادية بمعنى أنها مجبرة مقهورة ليس لها اختيار فى ادائها حركتها بل هى تحت تصرف خالقها لها .

ان المتتبع للنصوص القرآنية فى هذا المجال يلحظ ان النصوص تراعى احوالا ثلاثه :

١ - احوال المخاطبين وسعة مداركهم

٢ - الواقع المشاهد .

٣ - الواقع غير المشاهد فى الفضاء الخارجى .

لذلك فان حركات الاجرام السماوية ومنها النجوم ترد على نوعين من الحركات هى حركات ظاهرية وأخرى حقيقيه . (١)

فالحركات الظاهرية المشاهدة سواء بالعين المجردة أو بالمراقب البسيطة للنجوم والاجرام الاخرى تبدو انها تظهر وتختفى وظهرها بالليل واختفاءها بالنهار قال تعالى فى بعض مواضع من الذكر الحكيم مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم حينما أمره سبحانه باصبر والتسبح * وأصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وادبار النجوم * (الطور : ٤٨ - ٤٩) . وقال تعالى عن الشمس التى تعتبر نجم من النجوم حكاية عن ابراهيم عليه السلام مع الذى حابه فى ربه * . قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفروا الله لا يهدى القوم الظالمين * (البقرة: ٢٥٨)

(١) ذكر الباحث محمود على محمود عن تحركات النجوم الظاهرية والحقيقة فى بحثه " مبادئ وقوانين النظرية والنسبية الحركية " المقدم للمؤتمر العلمى للقرآن والسنة لعام ١٩٨٧ م ، فى اسلام آباد .

وقال تعالى فى ذكر اوقات التسبيح أى الصلاة ﴿ فاصبر على مايقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آنأى الليل فسبح وأطراف
النهار ولعلك ترضى ﴾ (طه : ١٣٠)

وورد فى السنه عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال (كنا
جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر
فقال : انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تفامون فى رؤيته فان
استطعتم ان لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس
فافعلوا) (١).

والمعلوم ان طلوع الشمس وغروبها هى عبارة عن حركة مشاهدة يومية
للشمس فهى حركة ظاهرية للعيان بمعنى أنها مرئية أى منسوبة للمشاهد
ومع ذلك فنصوص الوحي لا يخلو الخطاب فيها من الصورة النسبية المرئية
لحركات الاجرام والسبب فى ذلك ما جعله فينا بنى البشر من استطاعة
لادراك ما حولنا من مخلوقاته المحددة بحواسنا الخمس التى فيها حاسة
البصر التى لا يمكنها ادراك الحركة الحقيقية لهذه الاجرام نظرا لقصورها
وحدود امكانياتها .

(١) صحيح البخارى ١٥٦ / ٩

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٤١٩/١٣ كتاب التوحيد حديث رقم ٧٤٣٤

المبحث الثاني

الحركات الظاهرية والحقيقة للنجوم :

أولا : الحركات الظاهرية :

النسبية المرئية - للأجرام السماوية من شروق وغروب وزوال متعلقه بالجهات الست التي يحدد فيها الانسان اتجاه الحركة على الأرض وليس لهذه الجهات في نفسها صفة لازمة بل هي بحسب النسبة والاضافة للانسان وحيث أن هذه الحركات الظاهرية لها علاقة بالجهات الست التي تحدد الاتجاه النسبي للحركة على الأرض فان هذا يؤكد لنا ما يقوله علماء الفلك أن الحركة الظاهرية للأجرام السماوية ما هي الا نتيجة لدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس وليست عملية بدء النهار بخروج الشمس من ناحية الأفق الذي اطلقنا عليه الشرق - أى حركة الشروق - وانتهائه بغياب الشمس تحت ناحية الأفق الذي اطلقنا عليه الغرب - أى حركة الغروب - هي حركة حقيقية للشمس لأنها تعتمد على رؤية المشاهد وهذا المشاهد بالطبع على سطح الأرض .

وحتى يتضح لنا الأمر نضرب مثلاً بمشاهد يراقب حركة الشمس الظاهرية من منطقة الدائرة القطبية فماذا سيلاحظ ؟

سيشاهد هذا الانسان ان الشمس فوق الأفق في منتصف الليل والسبب ان تلك الأماكن الواقعة على خطوط العرض (١) الموغلة في الشمال لاتغيب الشمس عنها في اواسط الصيف أبداً ، أنها تدور حول الأفق من غير أن ترتفع فوقه كثيراً أنها تظهر وهي تتحرك دائرة من الشرق الى الغرب في الصباح مارة بالجنوب

(١) خطوط العرض دوائر وهمية مرسومة على سطح الكرة الأرضية اكبرها خط الاستواء في الوسط .

فى منتصف النهار ثم متجهة نحو الغرب فى السماء مع ميل قليل الى الافق فى الشمال من غير ان تختفى وراء الافق حتى فى منتصف الليل . (١) ومن ثم يكون الصيف فى تلك المنطقة نهارة كله .

وكذلك اذا نظرنا الى السماء فى اوقات مختلفة فى احدى الليالى الصافية فاننا نرى أن النجوم تخضع لنفس النمط من الظواهر حيث يمكن تتبع مرور النجوم وهى ترتفع فوق الأفق الشرقى لتمر بأعلى نقطه ثم تروح هابطة تجاه الأفق الغربى .

والنجوم التى فى أعلى الجزء الشمالى من السماء لا تغرب ولكنها تبدو وكأنها تتحرك حول النجم القطبى وتقع تماما فوق القطب الشمالى .

ومن المستحيل تتبع الحركة الكاملة للنجوم لأن منها ما يحدث اثناء النهار حيث تتعذر رؤية النجوم . ولكن الشخص الذى يعيش فى الدائرة المتجمدة الشمالية يستطيع ان يراقب حركة النجوم الكاملة عندما يعم الظلام طوال اليوم فى الشتاء وعلى الدوام حيث تظهر حركة النجوم على أنها حركة دوران اتجاه الغرب من حول الأرض . (٢)

ثانيا : الحركات الحقيقية للأجرام السماوية :

فنظرا لعدم تمكن المشاهد من ملاحظتها الا عن طرق خاصة تتعلق بالعلوم وبخاصة علم الفلك منجها الله سبحانه وتعالى لمن شاء من خلقه فنجد أن القرآن الكريم يعبر عنها بالفاظ تتلائم مع جميع أفهام المخاطبين على حدود مقدرتهم العقلية وحسب ما تيسر لهم من علوم فقال عز من قائل : ﴿ وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون ﴾ (الانبياء : ٢٣)

(١) الطريق الى النجوم - ترجمة عمر فروخ ص ٣١ - ٣٢ بتصرف

(٢) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٦٣ - ٦٥ بتصرف

وقال تعالى : ﴿ لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (ياسين : ٤٠) .
فهاتان الآيتان تعبران عن الحركة الحقيقية للأجرام المخصوصة بالشمس والقمر والأرض حيث ينتج تعاقب الليل والنهار عن حركتها . لكن لفظ كل يدل على أن جميع الأجرام السماوية تسبح في الفضاء لأن كل لفظ عموم كما ذهب الى ذلك القرطبي والرازي . (١) وغيرهم من المفسرين وكما ثبت ذلك من علم الفلك الحديث .

وحيث ان هذه الأجرام مستديرة الشكل كالكرة فلا تعين حركتها كما تعين حركة الانسان بالجهات الست وانما الشيء المناسب لها كما ذكر القرآن الكريم وكما ثبت من علم الفلك الحديث هو السباحة .
وهناك لفظ آخر للدلالة على حركات الأجرام السماوية في النصوص القرآنية تارة عن الحركة الحقيقية وأخرى عن الحركة الظاهرية وتارة أخرى عن الحركتين معا .

وهو لفظ الجرى فنجد في قوله تعالى : ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (ياسين : ٣٨) والمستقر هو المكان النهائي بعد عملية الجرى اذا هو جرى مكانى وفيه تعبير عن حركة حقيقية تقوم بها الشمس للوصول الى المستقر ويوضح هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا بى ذر رضى الله عنه حينما سأله عن الآية فقال صلى الله عليه وسلم (مستقرها تحت العرش) . (٢)

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢٨٦/١١ ، التفسير الكبير للرازي ١٦٧/٢٢
(٢) صحيح البخارى ١٥٥/٩
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٤١٦/١٣ كتاب التوحيد حديث رقم ٧٤٣٣

أما كون الجرى يدل على الحركة الظاهرية فذلك فى قوله تعالى :
* الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم أستوى على العرش وسخر
الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء
ربكم توقنون * (الرعد : ٢) . وذلك اذا اعتبرنا مدلول الأجل
هو زمن الليل وزمن النهار أى اليوم الناتج من تعاقبهما كحركة الشروق
والغروب والزوال فكل هذا جرى ظاهرى لأنه متعلق بالرؤية . قال تعالى :
* ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجرى الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير *
(لقمان : ٢٩) .

أما كون الجرى يأخذ معنى الحركتين معا فذلك حاصل فى حركة القمر
" فالقمر يستغرق أكثر قليلا من سبعة وعشرين يوما ليدور دورة كاملة
حول الأرض " . (١) كما يظهر لنا فى حركة شروقه وغروبه فى مدة تتراوح
ما بين تسعة وعشرين الى ثلاثين يوما . مما يوضح ان لفظ الجرى بالنسبة
للقمر صالح للحركتين معا .

والحركات الحقيقية للأجرام هى حركات مكانية وعلم الفلك يخبرنا
عن الحركات الحقيقية منها الحركة فى الفلك حول جرم آخر أو حركته
الجرم السماوى حول نفسه أى حول مركزه .

فعلى سبيل المثال الشمس يعرف دورانها حول نفسها عن طريق البقع
الشمسية . (٢)

كما أن الشمس تدور معها توابعها حول مركز مجرتنا المعروفة باسم

(١) أقرب الجيران فى الأرض - برتا موريس - ترجمة ادوار رياض ص ١٥
(٢) البقع الشمسية هى مساحات من سطح الشمس ليست مقسمة تماما بل تلمع
كالنجوم لكنها تبدو مقسمة لوقوعها فى وسط أشد توهجا ولمعانا .

" طريق التبانة " بسرعة مائتى ميل فى الثانية . (١)

واذا علمنا ان هذه المجرة تغم مايقارب مائة الف مليون نجم جميعها مختلف الانظمة والخصائص ومنها خاصيه الحركة وأن هذه الانظمة تشتمل جميع النجوم فى المجرات الأخرى تأكد لنا أن النجوم تتحرك حركات حقيقية فى كون الله الواسع وأنها مشموله بعناية الله الذى سن لها سبحانه سنتين ثابتتين فى حركتها هما سنة السباحة وسنة الجرى كما أشارت النصوص القرآنية الى ذلك وهو ما أثبتته العلم الحديث فى حركات النجوم الحقيقية الحاصلة فى الفلك .

ثالثا : سجود النجوم :

واذا جاز لنا اعتبار السجود نوع من الحركة كما هو معروف من افعال الصلاة التى تنقسم الى اقوال وحركات ، فالقيام والركوع والسجود ماهى الا حركات من أفعال الصلاة . فان نصوص الوحي أشارت الى ان للاجرام السماوية سجودا لكنا لانعرف كيفيته وحقيقته فقال تعالى : ﴿ الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوآب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء ﴾ (الحج : ١٨) .

وقد ذكر الرازى فى تفسيره بعدما أورد الوجوه لمعنى السجود فى الآية وناقشها قال " أن الاجسام لما كانت قابله لجميع الأعراض التى يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت الطاعة والانقياد وهو السجود " . (٢)

(١) الشمس فى حياة الانسان - د. طه الفرا ومحمد محمود محمددين ص ٢٩٠، ٢٨٠، ٢٤

(٢) التفسير الكبير للرازى ١٩/٢٣

وكلامه يدل على أنه اراد المعنى اللغوي فقد ذكر ابن فارس ان سجود
مادل على تطامن وذل . وكل ماذل فقد سجد . (١) ولكن ورد عن بعض
السلف أنه مقصود به سجود معين غير الذل والخفوع فقد ذكر الطبري في
تفسيره عن ابي العاليه الرياحي (٢) قوله " مافى السماء من نجم ولاشمس
ولاقمر الا يقع لله ساجدا حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له " وزاد الراوى
حتى يرجع الى مطلعه . (٣)

ويؤيد ذلك ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خبر الشمس عن
ابى ذر رضى الله عنه قال (كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد
عند غروب الشمس فقال : ياأباذر أتدرى أين تغرب الشمس ؟ قلت الله
ورسوله أعلم قال : فأنها تذهب تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى :
* والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * (ياسين : ٣٨)
وهذه حركة حقيقية للأجرام السماوية لم يخبرنا عنها علم الفلك وأتمنا
أخبرتنا نصوص الوحي بها مما يدل على أن هناك أشياء فى الكون لايسطيع
الانسان معرفة حقيقتها وانما يرد علمها الى خالق الكون الذى أبـدع
كل شيء وخضوع الكون شاهد بواحدنيته .

-
- (١) مقاييس اللغة لابن فارس ١٣٣/٣
(٢) ابو العاليه الرياحي : هو رفيع بن مهران مولا هم البصرى ادرك الجاهلية
واسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين ودخل على ابى بكر
وصلى خلفه عمر . تهذيب التهذيب ٣ / ٢٨٣ - سبقت ترجمته فى الباب الاول
(٣) جامع البيان للطبري ١٣٠/١٧
(٤) صحيح البخارى ١٥٤/٦
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٥٤١/٨ كتاب التفسير - حديث رقم ٤٨٠٢

المبحث الثالث

مواقع النجوم واضاءة الاجرام

مواقع النجوم :

ان الحركات الحقيقية للاجرام التى تمكن الانسان من معرفة شئ عنها بواسطة الوسائل المتقدمة فى العلوم الحديثة توضح لنا جانبا من القسم العظيم الذى اقسم به فى كتابه حيث قال سبحانه : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعة : ٧٥ - ٧٦) . فالمواقع التى تشير اليها الآية هى عبارة عن مواقع حقيقية لهذه الاجرام امامنا شاهد فى السماء من اجرام سماوية فما هى الا مواقع ظاهرية نظرا لأن هذه الاجرام تبعث بالضوء اثناء تحركاتها . والضوء حتى يصل الى المشاهد يحتاج الى زمن معين يكون خلالها قد تحرك الجرم السماوى الى موضع آخر غير الموضع المشاهد اثناء ترقبه . ولنضرب مثلا لذلك حتى يتبين كيف يحدث هذا .

لو أن رجلا واقف فى محطة القطار وأن قطارا سريعا قادم من بعيد وهو يطلق صفارته فالملاحظ ان الرجل يسمع صوت صفارة القطار يتبدل فحينما يكون القطار قادما نحو المحطة يكون الصوت عاليا لكن الصوت يأخذ بالانخفاض حين يبدأ القطار بالابتعاد عن المحطة والواقع ان صفارة القطار لم تتغير كما يلحظ ذلك ما لو كان الرجل راكبا فى القطار .

وتفسير ذلك علميا ان كلا من الصوت والضوء يسير فى تموجات . وسماع الصوت عن طريق انتقال هذه التموجات فى الهواء . فارتفاع الصوت يتوقف على طول تموجاته فاذا كانت هذه التموجات قصيرة سمع الصوت عاليا

وإذا كانت طويلة سمع الصوت ضعيفا . فالقطار حينما يكون قادما نحو المحطة تكون التموجات قصيرة بسبب انغصاف التموجات أما إذا ابتعد القطار حصل انفراج فى التموجات فينخفض الصوت .

والاجرام السماوية ترسل ضوءا لاصوتا . وحيث ان حركات النجوم يمكن متابعتها عن طريق منظار الطيف الضوئى الذى يحلل الضوء القادم من هذه الاجرام الى الوانه الاساسية يلاحظ انه يوجد خلال الضوء القادم طيفاً ضوئيا ساطعا وخطوط سوداء . تكون هذه الخطوط السوداء كلها أشد قربا الى الطرف الاحمر فى طيف الضوء مما ينبغى ان تكون . وحيث ان الضوء الاحمر أطول موجه من الألوان الاخرى فان هذا يعنى ان الجرم السماوى قد تحرك مبتعدا عنا كما حدث فى القطار . (١)

وقد لوحظ بهذه الطريقة عملية ازدياد الكون اتساعا وأنه فى حركة دائمة وابتعاد عنا وعن بعضه البعض . لكن نظرا للبعد الهائل عنا نجد أنها فى مواقع ثابتة من بعضها .

وأقرب النجوم الينا يبعد عنا حوالى اربع سنوات ونصف بالسنوات الضوئية فهو حينما يلاحظ فى السماء فان هذا موقعه موقع ظاهرى كان ذلك قبل رصده باربع سنوات ونصف اما موقعه الحقيقى فقد تحرك من هذا المكان بمسافة تقدر بحوالى :

٣٠٠٠٠٠ كيلو متر فى الثانية $24 \times 60 \times 60 \times \frac{1}{4} \times 365 \times \frac{1}{4}$ أى حوالى ٤٢٦٠٢٧٦٠٠٠٠٠٠ كم .

سبحان الله العظيم اذا كان اقرب النجوم الينا بعد الشمس يبعد هذه المسافة عنا . حقا قسم عظيم ذلك الذى يقسم سبحانه به . ولنتصور

(١) الموسوعة العلمية - الكون ص ٨٠ - بتصرف

عظمة هذا القسم نستعرض بعض ابعاد النجوم والمجرات عنا وعن بعضها البعض " فالشمس تبعد عن مركز مجرة التبانة التابعة لها حوالى ثلاثين ألف سنة ضوئية كما يبلغ قطر مجرة التبانة حوالى مائة ألف سنة ضوئية تقريبا . ومن هذه المجرات مجرة المرأة المسلسلة التى تبعد عن مجرتنا بنحو مليون ونصف سنة ضوئية " . (١)

مع العلم ان السنة الضوئية كما ذكرنا سابقا هى المسافة التى يقطعها الضوء فى عام كامل بسرعة ثلاثمائة الف كيلو متر فى الثانية .

اضاءة النجوم والكواكب :

نظرا لاهمية الضوء الصادر من الاجرام السماوية الذى يعتبر مفتاح من المفاتيح لاسرار الله فى الكون والذى من خلاله تعرفنا ولو بجزء بسيط عن عظمة القسم الذى اقسم به الخالق عز وجل القادر العليم بما فى هذا الوجود فانه لا بد ان نتعرض للاضاءة الصادرة عن هذه الاجرام . حيث ان نصوص الوحي قد بينت أن لهذه الاجرام اضاءات مختلفة فقد روى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه فى صفة أهل الجنة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (..... ولو أن رجلا من أهل الجنة أطلع قيذا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم) (٢) فالشمس حينما تلمس ضوء النجوم لايعنى أنها أشد اضاءة منها ولكن لأن ضوءها يصل الى الأرض خلال ثمان دقائق وجزء من الدقيقة بينما أقرب النجوم لنا يصل إلينا ضوءه خلال اربع سنوات ونصف سنة ضوئية . وهذا مايدل على ان القرب والبعد عن النجم يؤثر فى شدة اضاءته .

(١) الشمس فى حياة الانســــــــــــــــان ص ١٦

(٢) مسند الامام احمد ١/١٦٩ ، سنن الترمذى ٤/٦٧٨ كتاب صفة الجنة

والكواكب وتوابعها تبعث بالضوء ولقد ورد في صفه أهل الجنة —
ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أول
زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على اثرهم كآشد
كوكب اضاءة ...) (١) وعنه أيضا (...) ثم الذين يلونهم على أشد
كوكب درى فى السماء اضاءة ...) الحديث . (٢) وعن ابى سعيد رضى
الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ان أول زمرة يدخلون
الجنة يوم القيامة وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية
على مثل أحسن كوكب درى فى السماء ...) الحديث . (٣) لكن من المعروف
فلكىا ان الضوء الصادر عن الكواكب وتوابعها انما هو عملية انعكاس
من سطوحها لأن هذه الكواكب والاقمار عبارة عن كتل صخرية اما الشمس
والنجوم فهى عبارة عن كتل غازية العنصر الغالب فيها هو الهيدروجين
ومن خصائصه الاشتعال نتيجة التفاعلات التى تحمل داخل النجوم فينتج
عنها هذا التوهج .

وقد أشارت نصوص القرآن الى الفرق بين خصائص الضوء فى الشمس
وخصائص الضوء فى القمر الذى يعتبر تابع لكوكب الأرض .
فأخبر ان الشمس عبارة عن سراج والقمر عبارة عن نور مما يوحى
الى ان ضوء القمر ليس نابعا منه وانما هو عملية انعكاس كما يقول علم
الفلك قال تعالى : * ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل
القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا * (نوح : ١٥ - ١٦) .

(١) صحيح البخارى ١٤٣/٤

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣١٩/٦ كتاب بدء الخلق حديث رقم ٣٢٤٦

(٢) صحيح البخارى ١٦٠/٤ كتاب بدء الخلق - باب خلق آدم وذريته .

المصدر السابق ٣٦٢/٦ كتاب الانبياء حديث رقم ٣٣٢٧

(٣) سنن الترمذى ٦٧٧/٤ كتاب صفة الجنة - حديث رقم ٢٥٣٤

وقال تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا

وقمرا منيرا ﴾ (الفرقان : ٦١) .

وذكر الطبرى ان القراء قد اختلفوا فى قراءة " وجعل فيها سراجا " الى وجهين فقراءة قراء المدينة والبصرة " وجعل فيها سراجا " على التوحيد ، ووجهو تأويل ذلك الى أنه جعل فيها الشمس وهى السراج عندهم . وقراءة عامة قراء الكوفة " وجعل فيها سرجا " على الجمع ، كأنهم وجهوا تأويله وجعل فيها نجوما " وقمرا منيرا " وجعلوا النجوم سرجا اذ كان يهتدى بها .

وقال الطبرى " ان الراجح أنهما قراءتان مشهورتان فى قراءة الأمصار لكل واحدة منهما وجه ومفهوم فيأتهما قرأ القارئ فمصيب " . (١)

والقراءة الأخيرة التى فيها صيغ الجمع تشير الى مايقوله علم الفلك الحديث ان النجوم تتوهج وتبعث بالضوء نتيجة التفاعلات التى تحدث داخلها وليس نتيجة انعكاس الضوء من سطوحها كما هو حادث فى الكواكب والاقمار كما أن ضيائية الجرم السماوى تعتمد على سببين .

أ - قرب الجرم وبعده عن الراصد له .

ب - شدة اللمعان الفعليه للجرم .

لذلك يستفاد من السببين فى تعيين مواقع هذه الاجرام فى الفضاء . ومن ثم قسم العلماء الفلك النجوم باعتبارات عدة منها ما يعتمد على الضوء الصادر عن هذه النجوم المعبر بالنوع الطيفى واللون .

" ولقد رتبت النجوم حسب ذلك الى ثمانى مراتب مستخدمين - للتمييز

رموزا ابجدية بحيث ترتب النجوم ترتيبا تنازليا من حيث تفاؤل درجة

(١) جامع البيان للطبرى ٣٠/١٩

حرارة كل منها . وبناءً على هذا الترتيب كانت الشمس في المجموعة
الخامسة حسب لونها وحرارتها الضوئية والطيفية " . (١)

(١) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن د. عبدالعليم خضر ص ١٩٦

المبحث الرابع

علاقة الملائكة بحركة النجوم :

لم تذكر نصوص الوحي على وجه التحديد علاقة الملائكة بالاجرام السماوية كما هو واضح بالنسبة لعلاقة الملائكة بكل من الجبال والامطار والسحب والرحم والموت والرحمة والعذاب فعلى سبيل المثال ورد ان للجبال ملك يقوم على تصريف أمر الله فيها فعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أشد يوم أتى عليه أشد من يوم أحد فأخبرها صلى الله عليه وسلم ما لقيه يوم العقبة من قریش حينما عرض نفسه على القبائل فذكر لها بأن الله يعث اليه ملك الجبال (... فنادنى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد ... ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين . (١)) الحديث (٢)

أما بالنسبة للسحب والامطار فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أقبلت يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم اننا نسألك عن خمسة أشياء قالوا فأخبرنا ما هذا الرعد قال : (ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده أو فى يده مخراق من نار يذخر به السحاب يسوقه حيث أمر الله ...) الحديث (٣) وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابه اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب

(١) الأخشبان : جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى وهما وأحد

معجم البلدان ١٢٢/١

(٢) صحيح البخارى ١٣٩/٤ - ١٤٠

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣١٣/٦ - كتاب بدء الخلق - حديث رقم

٣٢٣١ .

(٣) مسند الامام احمد ٢٧٤/١

فأفرغ مائه في حرة . . .) الحديث . (١)

ففي هذه الأحاديث دلالة ظاهرة على أن الملائكة موكله بالجبال والامطار والسحاب . أما بالنسبة للنجوم والكواكب وتوابعها فإن النصوص لم تصرح بذلك لكن المفسرون يرون أن الملائكة موكله بتصريف أمر الله سبحانه في نظام حركة الاجرام السماويه . بدلالة قوله تعالى : ﴿ فإلمدبرأت أمرا ﴾ (النازعات : ٥) .

وقد أجمع المفسرون على أن المقصود بذلك الملائكة تدبر أمر ماوكلت به من أمور الدنيا بأمر الله ومنها الاجرام السماوية وقد ذكر ابن القيم أن الملائكة موكله بالعالم العلوي والسفلي تدبره بأمر الله عز وجل وأنه سبحانه وكل بالافلاك والشمس والقمر ملائكة تحركها كما وكل بالرياح ملائكة تصرفها بأمره وهم خزنتها . ثم قال : " فإذا عرف أن كل حركة فسببها الملائكة وحركتهم طاعة الله بأمره وإرادته فيرجع الأمر كله الى تنفيذ مراد الرب تعالى شرعا وقدرًا ، والملائكة هم المنفذون ذلك بأمره ولذلك سموا ملائكة من اللوكة وهي الرسالة فهم رسل الله في تنفيذ أوامره " . (٢)

وذكر السيوطي نقلا عن ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (أن الشمس إذا طلعت يقف معها ملكان موكلان بها يجريان معها ما جرت حتى إذا وقعت في قطبها حذاء بطنان العرش خسرت

واذا صحت أقوال المفسرين في ان الاجرام السماوية موكل بنظــــام
حركتها الملائكة ينفذون فيها اوامر الله فان ذلك لايتنافى مع ما جعله
الله من قوانين عامه تحكم نظام الكون كقوانين التوازن الحاصله فى
الافلاك من قوى الجذب والطرء المؤثره على حركة الاجرام السماوية التى
أوضحها العلم الحديث لأن هذه الاجرام كما سبق وأن قلنا تحت الحركة
الاضطرارية القسرية التى تحكم حركتها الخاضعه لحكم الله ولأمره وهو
سبحانه له ماشاء من توكيل من شاء من خلقه فى تدبير أمر هذا الكون،
والاحاديث والأثار توضح هذا وتفسره .

الفصل الثالث

المجموعة الشمسية ونظام حركتها
ويشتمل على المباحث:

أولاً : المجموعة الشمسية

ثانياً : نظام حركة المجموعة الشمسية

المبحث الاول

المجموعة الشمسية:

أن الأرض التي نعيش عليها ما هي الا فرد في عائلة الكواكب التي تتبع الشمس في نظام حركتها حيث تقع الشمس في مركز النظام الشمسي . ويضم النظام الشمسي تسعة كواكب رئيسية مرتبة حسب بعدها عن الشمس وهي: عطارد - الزهرة - الأرض - المريخ - المشترى - زحل - اورانوس - نبتون بلوتو .

" وترى الكواكب الخمسة الأولى أى عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل بالعين المجردة وقد شاهدها البشر وعرفوها منذ القدم ، كما أن اسماءها العربية تدل على أن العرب عرفوها كبقية الأمم الأخرى . اما الكواكب الأخيرة أورانوس ونبتون وبلوتو فلا ترى بالعين المجردة وقد بدأ اكتشافها في أواخر القرن الثامن عشر عندما تطورت صناعة المنظار المقرب وتظهر الكواكب كأجرام مضيئة في السماء ، ولكن هذا الضوء الصادر منها هو ضوء الشمس منعكسا عليها ، اذ أن الكواكب كالأرض غير مضيئة في ذاتها . وتظهر أرضنا كالكوكب المضيء اذا ما شوهدت من الكواكب الأخرى . وقد ظهرت أرضنا كقمر كبيرا أزرق اللون عندما شاهدها وصورها من القمر رجال الفضاء الأمريكيون " . (١)

ويظن بعض العلماء أنه قد تكون هناك كواكب أخرى أبعد لا نعرفها وذكرت مجلة الموسوعة العلمية أنه اكتشف كوكب عاشر عام ١٩٧٧م وأسمه خيرون لكن المجلة لم تغف معلومات أخرى عن هذا الكوكب .

الجديد نتعرف بها على صفاته . (٢)

(١) مبادئ الكونيات - الأمين محمد كعوره - ص ٧٢

(٢) مجلة الموسوعة العلمية العدد الثالث - دار المعارف للطباعة والنشر

كما أن المجموعة الشمسية تضم عددا من الاقمار التى تعد توابـع لكواكب المجموعة الشمسية ماعدا عطارد والزهرة . وكذلك كثيرا من الاعضاء الصغيرة الموجودة فى النظام الشمسى مثل الكويكبات والمذنبات وشظايا الصخور والغبار الكونى وكميات كبيرة من الغاز والجسيمات المشحونة وهى تقع فى الفضاء الرحيب الواقع خلال نظام المجموعة هـذا ماـيـخبرنا به علم الفلك عن الكواكب .

أولا : الشمس والقمر والفروق بينهما فى نصوص الوحى :

ورد ذكرهما فى نصوص الوحى اكثر من غيرهما من اجرام نظام المجموعة الشمسية باستثناء الأرض التى خست بخلافة الانسان وذلك لشدة ارتباطهما بحياة الانسان على هذه الأرض . فالشمس هى أحد نجوم السماء ومركز النظام الشمسى والقمر هو التابع الوحيد للأرض .

ولقد أوضحت الآيات القرآنية الفرق الكبير بين الشمس والقمر كما ذكرنا سابقا فالشمس سراج وهاج وضياء والقمر نور قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ (يونس : ٥) وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾ (نوح : ١٥-١٦) وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ (النبأ : ١٣) . ويقول صاحب الظواهر الجغرافية " جاء مدلول النور محددًا واضحًا بمنتهى الدقة قال تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبعثون ﴾ (البقرة : ١٧) فالآية تشير الى أن ما يصدر من النار ضياء ولكن وقوعه على الاجسام المظلمة وانعكاسه منها على أبصار المنافقين - حسب معنى الآية - وبعد الانعكاس أصبح معنى الضياء نورا" . (١)

لذلك فضوء القمر سمى نورا لانه منعكسا عن غيره وهو الشمس .
كما أن هناك فرق آخر بين الشمس والقمر وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وجعلنا
الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلنــه
تفصيلا ﴾ (الاسراء : ١٢) .

حيث جعل سبحانه علامة الليل القمر وعلامة النهار الشمس قال ابن
عباس فى تفسير الآية " كان القمر يغىء كما تغىء الشمس ، والقمر آية
الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل : السواد الذى فى القمر " (١)
وهى مع هذه الفروق الا انها تتفق فى صفة تجمع بينهما مع سائر
الاجرام هى صفة التسخير لكن ذكر التسخير فيهما كان اكثر من غيرهما
بسبب صلتهم المباشرة دون غيرهما من الاجرام بالانسان وحياته المعيشية .
وهذه الصفة وردت متصلة بالشمس والقمر بلفظ سخر فى سبع مواضع
من كتاب الله تأكيداً على أن ما يحدث من أثر متعلق بهما انما هو من
خلقة سبحانه وانما جعلت اسباب ظاهرة لما اراده الله سبحانه
وتعالى فى الكون ويوضح ذلك الحديث الذى اورده الامام البخارى فى باب
قول النبى صلى الله عليه وسلم " أظلت لكم الغنائم " قصة النبى
الذى غزا وحبست له الشمس حيث قال للشمس (انك مأمورة وأنا مأمور
اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليهم) . (٢)

كما أن صفة التسخير وردت بالفاظ أخرى كالجعل الذى يفيد أن هذه
الاجرام مجبورة مقسورة اذ لا اختيار لها فى حركتها قال تعالى : ﴿ فالق

(١) جامع البيان للطبري ٤٩/١٥

(٢) صحيح البخارى ١٠٤/٤ - ١٠٥ - كتاب الجهاد - باب قول النبى اظلت
لكم الغنائم .

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٢٢٠/٦ كتاب فرض الخمس رقم الحديث

الاصباح وجعل الليل ساكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز

العليم ﴿ الانعام : ٩٦ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها

سراجا وقمرا منيرا ﴾ (الفرقان : ٦١) والجعل يفيد الجبر والتسيير

بمعنى انها مسخرة .

ثانيا : عدد الكواكب وخصائصها :

لم تشر نصوص الوحي الى عدد معين للكواكب فى السماء مما يدل على

انها قد تزيد على هذا العدد لكن عدم الاحاطة من بنى الانسان بكل شئ

مهما تقدمت وسائل التقنيه لديه تجعل الجرم بعددها امر بعيدا قال

تعالى : ﴿ انا زيننا السماء الدنيا بزينه الكواكب ﴾ (الصافات : ٦)

وفى حديث صفة الحوض عن ابي ذر رضى الله عنه (قال : قلت : يا رسول

الله ما آتية الحوض قال : والذى نفس محمد بيده لآتيته أكثر من نجوم

السماء وكواكبها ...) (١) .

اما من يحتج بأن عدد الكواكب قد حدد فى القرآن بروية يوسف عليه

السلام حيث ذكر الله تعالى حكاية عن يوسف ﴿ اذ قال يوسف لأبيه يا أبت

انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ﴾ (يوسف : ٤)

وأن رؤيا الانبياء وحيا ، قيل لهم ان هذه الرؤيا قد فُسرَت فى آواخر

السورة حيث قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام ﴿ ورفع أبويه على

العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها

ربى حقا ... ﴾ الآية (يوسف : ١٠٠) .

(١) صحيح مسلم ١٧٩٨/٤ - حديث رقم ٣٦

صحيح مسلم بشرح النووي ٦١/١٥ - ٦٢ - كتاب الفضائل باب حوض نبينا

صلى الله عليه وسلم وصفته .

وتأويل الأحد عشر كوكب هم أخوة يوسف وهذا ما أجمع عليه المفسرون أما حديث بستانه اليهودى الذى جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن الكواكب التى رآها يوسف عليه السلام أنها ساجدة له من أسماؤهم ؟ والذى أورده الطبرى فى تفسيره ونقله عنه ابن كثير فى تفسيره والسيوطى فى الدر المنثور وعزاه الى غيره واحد من أهمل الحديث (١) فان فى ألفاظه الخاصة بأسماء الكواكب اختلاف بين الناقلين وقد ضعفه الأئمة وتركه الأكثرون كما ذكر ابن كثير . وذكر الألوسى أن من أهل الحديث من ذكر أنه منكر موضوع . (٢)

والأسماء التى ذكرت هى جربان ، الطارق ، الذيال ، قابس ، عمودان ، الفليق الفصيح والفزع ، ووشاب ، وذو الكتفين ، والضروح .

وذكر صاحب الفتوحات الالهية بعد أن ذكر صفات بعضها قال (وهذه نجوم غير مرصودة خضت بالرؤيا لغيبتهم عنه) . (٣)

ويلحظ من كلامه أنه يقول نجوم مع أن المذكور كواكب وقد ذكرنا سابقا الفرق بين النجم والكوكب ويقول الرازى (واعلم أن كثير من هذه الأسماء غير مذكورة فى الكتب المعتمدة فى صورة الكواكب والله أعلم بحقيقة الحال) . (٤)

ودرستنا لكواكب المجموعة الشمسية لمعرفة خصائصها ونظام حركتها حتى نتعرف على نعمة الله على الانسان فى تهيئة كوكب الأرض وجعله صالحا للحياة حيث ثبت علميا أن الحياة على غير هذا الكوكب للبشر مستحيلة .

(١) جامع البيان للطبرى ١٥١/١٢ ، تفسير ابن كثير ٤٦٨/٢ ، والدر المنثور ٤٩٨/٤ .

(٢) روع المعانى للالوسى ١٧٩/١٢ .

(٣) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الحلالين - سليمان العجيلى الشهير بالجمل ٤٣٤/٢ - دار احياء التراث العربى - بيروت .

(٤) التفسير الكبير للرازى ٨٨/١٨ .

لان الله سبحانه وتعالى جعل خلافة الإنسان قاصرة على الأرض قال تعالى: ﴿ وَاذْ قُلْ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ اَنْى جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيفَةً ۚ ۝ ٠٠ ﴾ الآية (البقرة: ٣٠) وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِى الْاَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ اِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ اِلَّا خُسَارًا ﴾ (فاطر : ٣٩) .

وفى التعرف على خصائص المجموعة الشمسية رد على زعم من يرى ان لهذه الاجرام سعادة وشقاوة للانسان وتوضح انها مسخرة لله سبحانه وهو ما نستعرضه فى فصل لاحق .

خصائص الكواكب :

عطارد والزهرة :

أتضح من الصور التى ارسلتها المركبات الفضائية عام ١٩٧٣م ، ١٩٧٥ م ان سطح عطارد يشبه سطح القمر وأن له مجالا مغناطيسيا كالأرض . كما ان قربه من الشمس يجعل الوجه المقابل لها اكثر حرارة مما يكفى لصهر القصدير أما الوجه البعيد عن الشمس فبارد جدا اذ ليس لعطارد جو يحفظ الحرارة .

اما بالنسبة للزهرة فنظرا لزيادة الضغط الجوى فيها عن الأرض باثنتين وتسعين مرة ادى الى صعوبة استكشافها وسطحها صخرى وجوها الكيف المكون من ثانى اكسيد الكربون يحبس الحرارة مما يجعلها اكثر حرارة من سطح عطارد . (١)

المريخ :

لقد خاب ظن العلماء فى وجود حياة على سطح المريخ بما أتضح من

(١) النظام الشمسى - سوبيكليك - ترجمة د. خليل هندی ص ١٢ - ١٤ بتصرف الطبعة الاولى عام ١٩٨٧م - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت

ابحاث الفضاء عن هذا الكوكب حيث اتضح انه يتصف بالبرودة الشديدة جدا والجفاف وأن سطحه مشابه لسطح القمر وأنه عبارة عن مناطق صحراوية حمراء ذات صخور مفتته وفيها من الكثبان الرملية . (١) وأن كثافة جوه المباشر لسطحه لاتزيد عن جزء من أربعين جزء من جو الأرض المباشر لسطح الأرض . (٢) ومن عجائب حكمة الله في هذا الكوكب انه عندما يكون اكثر بعدا عن الشمس يسير بسرعة معينة اما اذا اقترب منها فان سرعته تزداد بشكل ملموس وبالتالى تزداد كتلته . (٣)

المشتري وزحل :

فالمشتري هو أكبر الكواكب الأخرى مجتمعه ويوجد حوله أحزمة أشعة بقوة اشعاعات انفجار نووى . ويظن ان سطحه غير صلب حيث يعتبر ككرة هائلة من السوائل والغازات وهو منخفض الحرارة بحيث تصل دون الصفر مما تجعله غير مشع كالشمس .

أما زحل فهو شبيه بالمشتري في احزمته وهو يعتبر كرة من الغاز وفى المركز نواه صخرية يحيط بها طبقة سميكة من الجليد محاطة بطبقة غازية . وهو محاط بمئات الحلقات التى مازالت من الظواهر الفلكية الغامضة ويظهر أنها غير متماسكة وأنها عبارة عن صخور صغيرة يقارب معظمها حجم كرة السلة ومظهرها يشبه الثلج المتسخ . (٤)

اورانوس ونبتون وبلوتو :

تقدر درجة حرارة سطح اورانوس بثلاثمائة وستون درجة تحت الصفر

- (١) المرجع السابق ص ٢٢ بتصرف
- (٢) فى سبيل موسوعة علمية - د. احمد زكى ص ٥٤٦ - الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ دار الشروق .
- (٣) كتاب المعرفة - الذرات والالكترونات ص ٢٨ - ٢٩
- (٤) النظام الشمسى ص ٢٤ ، ٢٦ ، الجغرافيا الفلكية ص ١٣٨ ، ١٤٠ - مجلة الفيصل العدد ٤٨ لعام ١٤٠١ - ص ١٠١ - ١٠٤

وهو يتكون من كميات ضخمة من الغازات وله احزمة كزحل والمشتري . ويدور حول الشمس وكأنه مستقلقى على جانبه نظرا لأن محوره يشكل زاوية قائمة مع كافة محاور الكواكب الأخرى .

اما نبتون فان سبب اكتشافه هو وجود انحراف فى مسار اورنواس . ويظن العلماء انه يتكون كالمشتري وزحل من سواحل وغازات . وتهبط الحرارة على سطحه الى ثلاثمائة وثمانين تحت الصفر .

اما بلوتو فهو كوكب صغير وقد يكون بحجم عطارد . وهو أحيانا يصبح أقرب الى الشمس من نبتون . (١)

ثالثا : اقمار المجموعة الشمسية :

كل كواكب المجموعة لها أقمار ماعدا عطارد والزهرة والصفه الغالبه على هذه الاقمار أنها تتكون من صخور وكثبان رملية وغازات كما أن بعضها يحتوى على البراكين الشائرة التى تقذف بالمواد المتلهبه . كما أن الفوهات صفة غالبه أيضا على أسطح الاقمار كما هو ملاحظ على سطح قمر الأرض . ويتراوح عدد الاقمار فى المجموعة الشمسية حوالى اربع واربعين قمرا . (٢)

وما يهمنا هو القمر التابع للأرض الذى ورد ذكره كثيرا فى نصوص الوحي وبالذات مرتبطا بمعرفة الشهر كما سنوضح ذلك فى الأثار .

رابعا : الشهب والنيازك :

لم يتفخ الى الآن ما هو مصدرها ويغلب الظن أنها تأتى من نطاق الكويكبات الواقع بين مدارى المريخ والمشتري حيث لاتعدو الكويكبات

(١) الجغرافيا الفلكية - شفيق عبدالرحمن ص ١٤٧ - ١٤٨ ، النظام الشمسى

ص ٢٨ - الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٦٤

(٢) النظام الشمسى صفحة الغلاف ، ص ٢٤ ، مجلة الفيصل العدد ٤٨ لعام ١٤٠١

كونها قطع من الصخر يبلغ قطر أكبرها نحو حجم بريطانيا . (١) وهي
تعتبر أحد اعضاء المجموعة الشمسية .

ولم ترد مادة نيازك فى نصوص الوحي وانما وردت مادة شهب لكـ
المادتين وردت فى علم الفلك والفرق بينهما فى الحجم والسرعة حيث
يعتبر كل منهما قطع صخرية .

وقد تدع الشهب نجوما كما ورد فى الخبر عن ابن عباس رضى الله
عنهما عن صعود الجن الى السماء واستراقهم السمع حيث قال (فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لابليس ولم
تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ...) (٢) وعنه رضى الله عنه قال
أخبرنى رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الأنصار (أنهم
بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى بنجم فأستنار
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا كنتم تقولون فى الجاهلية
إذا رمى يمثل هذا ...) الحديث (٣)

والمقصود بالنجم هو الشهاب الذى يرمى به الجن عند استماعهم لخبر
السماء كما هو واضح من آخر الحديث حيث فيه (فتخطف الجن السمع ...)
وتسميه الشهاب واحد الشهب نجما لما يحدثه من ضوء لامع اثناء احتكاكه
بالغلاف الجوى للأرض .

(١) النظام الشمسى ص ٥

(٢) سنن الترمذى ٤٢٧/٥ كتاب التفسير - حديث رقم ٣٣٢٤

(٣) صحيح مسلم ١٧٥٠/٤ - كتاب السلام حديث رقم ١٢٤

صحيح مسلم بشرح النووى ٢٢٥/١٤ - كتاب الطب - باب تحريم الكهانة

المبحث الثاني

نظام حركة المجموعة :

أما عن نظام حركة المجموعة الشمسية فسوف نركز في الكلام حركة كل من الشمس والقمر والأرض لأن ذلك ما يهمنا في الفصل اللاحق أما بقية أعضاء المجموعة ومنها الأرض فتستعرض الجدول التالي لتتعرف هذه الحركة في شكل أرقام مأخوذ من مجله علميه (١).

السمكة	البعد عن الشمس بالملايين			قطر خط الاستواء بالكيلومتر	زمن الدورة كاملة حول الشمس بالأيام أو السنين	زمن دوراته حول نفسه بالأيام والساعات والدقائق والثواني	السرعة المدارية بالكيلومتر في الثانية
	أعظم بعد	أصغر بعد	البعد الوسطي				
عطارد	٦٩ر٧	٤٥ر٩	٥٧ر٩	٤٨٨٠	٨٨ يوم	٥٩ يوم	٤٧ر٩
الزهرة	١٠٩	١٠٧ر٤	١٠٨ر٢	١٢١٠٤	٢٢٤ر٧ يوم	٢٤٢ يوم *	٣٥
الأرض	١٥٢ر١	١٤٧ر١	١٤٩ر٦	١٢٧٥٦	٣٦٥ر٦ يوم	٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤٣ ثوان	٢٩ر٨
المريخ	٢٤٩ر١	٢٠٦ر٧	٢٢٧ر٩	٦٧٨٧	٦٨٧ يوم	٢٤ ساعة و٤٧ دقيقة و٢٣ ثانية	٢٤ر١
المشتري	٨١٥ر٧	٧٤٠ر٩	٧٧٨ر٣	١٤٢٨٠٠	١١ر٨٦ سنة	٩ ساعات و٠ دقيقة و٣٠ ثانية	١٣ر١
زحل	١٥٠٧	١٣٤٧	١٤٢٧	١٢٠٠٠٠	٢٩ر٤٦ سنة	١٠ ساعات و ١٤ دقيقة	٩ر٦
اورانوس	٣٠٠٤	٢٧٣٥	٢٨٦٩ر٦	٥١٨٠٠	٨٤ر٠١ سنة	١١ ساعة *	٦ر٨
نبتون	٤٥٣٧	٤٤٥٦	٤٤٩٦ر٦	٤٩٥٠٠	١٦ر٨٦ سنة	١٦ ساعة	٥ر٥
بلوتو	٧٣٧٥	٤٤٢٥	٥٩٠٠	٦٠٠٠	٢٤٧ر٧ سنة	٦ أيام و ٩ ساعات	٤ر٧

(١) الموسوعة العلمية ص ١ - ٨٠ العدد (٣)

* إشارة ناقص (-) أمام عدد أيام الدورة يدل على أن الكوكب يتحرك حول نفسه باتجاه معاكس لحركة الكواكب الأخرى .

حركات القمر :

قال تعالى : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك
يسبحون ﴾ (ياسين : ٣٩ - ٤٠) .

والآية تحدثنا عن حركة القمر الظاهرية والدليل على ذلك تشبيهه
القمر في مراحل تحركاته مع النجوم التي تدع منازل القمر بالعرجون
القديم ، وهذه حالة القمر بالنسبة للمشاهد في بعض أيام الشهر من
أو له حيث يدعى هلالا أو في آخره حيث يدعى محاقا كما ورد ذلك في لغة
العرب .

والمقصود بالعرجون كما تذكر كتب التفسير العذق اليابس وهو من
الموقع النابت في النخلة الى موضع الشماريخ . (١) وانما شبهه جمل
شأوه بالعرجون القديم لأن ذلك من العذق لا يكاد يوجد الا متقوسا منحنيا
إذا قدم ويبس ولا يكاد أن يصاب مستويا معتدلا كأغصان سائر الأشجار وفروعها
ووجه الشبه الاصفرار والدقه والاعوجاج . (٢)

وللقمر في تحركه الظاهري خمس حالات حيث يتدرج وجهه ظهورا واختفاء
بالنسبة الى المشاهد خلال الشهر . وهذه الحالات هي :
١ - مولد الهلال : يقع القمر بيننا وبين الشمس حيث يتجه الجانب المضيء
بعيدا عنا .

٢ - التربيع الاول : تزداد الالهة حتى يصير وجه القمر مضيئا ويرى عند
الغروب .

(١) الشماريخ مفردا الشمروخ وهو غصن دقيق رخص ينبت في أعلى الغصن
الغليظ - لسان العرب - مادة شمرخ ٣/٢١ .
(٢) جامع البيان للطبري ٦/٢٣ ، روح المعاني للالوسي ٢٠/٢٣

٣ - القمر البدر : تقع الأرض فى وقت البدر بين الشمس والقمر حيث يكون

الجانب المضىء هو المواجه لنا .

٤ - التربيع الثانى: يرى نصف وجه القمر الشاحب اللون عند الشروق .

٥ - المحساق : يقع القمر بيننا وبين الشمس حيث يتجه الجانب

المنىء بعيدا عنا . (١)

"والقمر يدور حول الأرض ويتأثر فى دورانه بجاذبيه كل من الأرض والشمس وبسبب حركته الدائرية فانه يبدو متحركا من الشرق الى الغرب ويظهر ذلك حينما نقارنه بما خلفه من نجوم فى السماء . ويتأخر أشراقه كل يوم حوالى خمسين دقيقة عن اليوم السابق .

وعلى هذا يشرق القمر حوالى الظهر عندما يصل الى التربيع —————
الأول ويغرب حوالى منتصف الليل . أما فى اليوم الذى يكون فيه القمر بدرا فانه يشرق حوالى غروب الشمس ويغرب عند شروق الشمس تقريبا ويصل الى أعلى موضع فى السماء حوالى منتصف الليل . ويشرق القمر عنــــــد التربيع الأخير حوالى منتصف الليل ويقرب حوالى منتصف النهار .

ويشرق الهلال الجديد دائما عقب شروق الشمس ويغرب عقب غروب الشمس مباشرة ويشاهد دائما فى السماء فى الجهة الغربية . أما الهلال القديم فانه يشرق قبل شروق الشمس بقليل " (٢) كما أن هناك فرق بين الهلالين فى وضع كل منهما بالنسبة للانحاء .

" ويلاحظ ان القمر يتم دورته حول الأرض فى سبعة وعشرين يوم وسبع ساعات وثلاث واربعين دقيقة واحدى عشر ثانيه وذلك كمتوسط عام الا ان تلك

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١٠٩ ، اقرب الجيران الى الأرض

ص ١١ - ٢١

(٢) الشمس فى حياة الإنسان ص ٣٦ ، اقرب الجيران الى الأرض ص ٢١ - ٢٢
بتصرف .

الدورة تختلف ما بين شهر وآخر فى حدود سبع ساعات .

أما الفترة الواقعة بين حدوث اوجه القمر وتكرارها فانها تزيد يومين على دورة القمر الشهرية والسبب فى هذا الاختلاف هو أن القمر حينما يكمل دورته حول الأرض تكون الأرض قد دارت حول الشمس فتغير موقعها ، والقمر تابع للأرض يلاحقها ليكون فى موضعه بالنسبة لها عندما يتم دورته حولها أول الشهر ولا يستطيع أن يلحق بهذا الموضع الا بعد مضي نحو يومين " (١) وهذا يفسر لنا كيف أن عدد أيام الشهر القمري بين تسعة وعشرين الى ثلاثين يوم .

حركات الأرض :

سبق أن ذكرنا أن للأرض عدة حركات أهمها حركتان وهى :

أولاً : الحركة السنوية وهى التى تدور فيها الأرض حول الشمس وبهذه الحركة

تكون الأرض أقرب للشمس فى مواقع دون غيرها وذلك راجع الى

ان مدار الأرض حول الشمس غير مستدير استدارة كاملة وانما يأخذ

شكل الانبعاج أو يسمى عند علماء الفلك شكل القطع الناقص .

ثانياً : الحركة اليومية وهى التى تدور فيها الأرض حول محورها والتى

ينتج عنها الحركة الظاهرية للأجرام والتى تظهر فيها حركة

النجوم على أنها دوران تجاه الغرب حول الأرض وفى الحقيقة

ان سبب هذا الشعور هو حركة الأرض حول محورها بالنسبة الى

غيرها من الاجرام السماوية - والتى أشرنا لها سابقا .

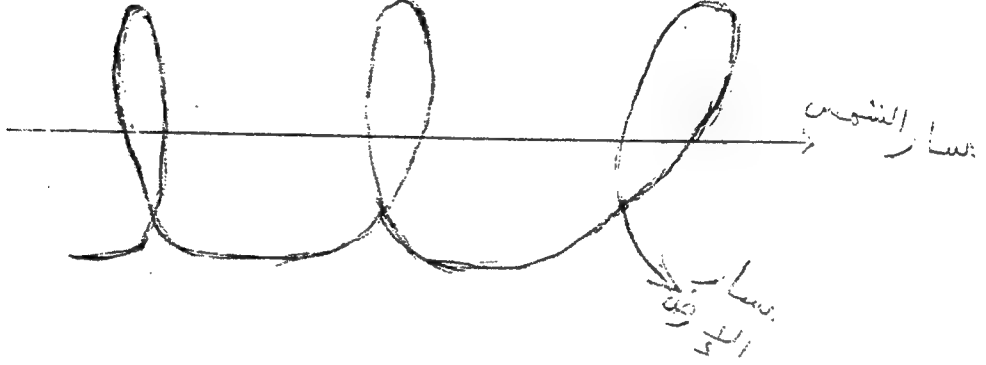
أما الحركات الأخرى للأرض فهى عبارة عن نواتج لهاتين الحركتين حيث

يتم قياس عدم الانتظام الصغير الذى يطرأ عليها . وأعظم هذه الحركات

(١) الشمس فى حياة الانسان ص ٤٠

ما يسمى بترنج الاعتداليين . (١)

كما أن الأرض تشارك في حركة الشمس في المجرة . لذلك فإن الأرض لا تعود أبدا إلى نفس النقطة في الفضاء ولا تعيد رسم نفس القطع الناقص وهي تعتبر حركة لولبية خلال المجرة . والشكل يوضح هذه الحركة . (٢)



حركات الشمس :

تحدثنا عن حركات الشمس حينما تكلمنا عن حركات النجوم باعتبار الشمس نجما من النجوم تتبعه كواكب المجموعة الشمسية في الحركة . وما يهمنا هو الحديث عن الحركة الظاهرية التي أكثر ما أهتمت بها نصوص الوحي نظرا للحال الواقع الذي يشهده الإنسان بالنسبة لحركة الشمس قال تعالى في قصة أصحاب الكهف ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يغفل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ (الكهف : ١٧) .

والمقصود بتزاور الشمس حين طلوعها وميلها وعدولها كما في معنى زور لغويا أصل يدل على الميل والعدول . (٣) وأما قرضها فهي تقطع

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٦٢ - ٦٨ بتصرف

(٢) آفاق جديدة في علم الفلك ص ٤٦٠

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٣٦

متجاوزتها مع عدول وميل لأن أصل القرض فى اللغة القطع وقرض فلان فى سيره يقرض قرضا أى عدل يمينه ويسره . (١)

فهى بستخير الله لها تعدل فى سيرها وتميل عن اصحاب الكهف فيكون أصل الكلام كما ذكر الطبرى فى تفسيره " وترى الشمس اذا طلعت تعدل عن كهفهم فتطلع من ذات اليمين لئلا تصيب الفتية واذا غربت تتركهم بذات الشمال فلا تصيبهم . يقال منه : قرضت موضع كذا اذا قطعتـه فجاوزتـه " . (٢)

وقال تعالى فى موضع آخر من كتابه آمرا نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر والتسبيح * فأصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آنأى الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى * (طه : ١٣٠) ويلاحظ فى النصوص الاهتمام بالجهات الست التى يحدد بها المشاهد اتجاه الحركة للشمس بالنسبة له ففى الحديث عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أقرب ساعة الى الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (جوف الليل الآخر مل مابدا لك حتى تملى الصبح ثم انهى حتى تطلع الشمس ومادامت كأنها جحفه حتى تنتشر ثم صلى مابدا لك حتى يقوم العمود على ظله ثم انهى حتى تزول الشمس فإن جهنم تسجر لنصف النهار ثم صلى مابدا لك حتى تملى العصر ثم انهى حتى تغرب الشمس) الحديث (٣)

ففى الحديث يتكلم عن اوقات الصلاة المسموح بها والمنهى عنها اعتمادا على حركة الشمس الظاهرية من شروب وغروب وارتفاع فى الافق حتى

(١) لسان العرب لابن منظور ٢١٦/٧ - ٢١٩

(٢) جامع البيان للطبرى ٢١١/١٥

(٣) مسند الامام أحمد ١١٤/٤

تصل الى كبد السماء ثم تميل . والمقصود بقوله (ومادامت كأنها جحفه حتى تنتشر) ان الصلاة منهي عنها بعد وقت صلاة الفجر بحوالى ساعتين زمنيه وهو مايفسر بطلوع الشمس قيد رمح او رمحين كما فى حديث كعب بن مرة البهزى رضى الله عنه قال (قلت يا رسول الله اى الليل اسمع قال : جوف الليل الآخر قال : ثم قال : ثم الصلاة مقبولة حتى يصلى الفجر ثم لاصلاة حتى تكون الشمس قيد رمح او رمحين ثم الصلاة مقبولة حتى يقوم الظل قيام الرمح ثم لاصلاة حتى تزول الشمس ثم الصلاة مقبولة حتى تكون الشمس قيد رمح أو رمحين ثم لاصلاة حتى تغرب الشمس) الحديث (١) وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل ان تزيف الشمس آخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما فان زاغت قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب) . (٢)

فالالفاظ التى فى الاحاديث هى الزوال والطلوع والمغيب والزيف هى حركات فيها ميل وعدول وهذا لأن حركة الشمس الظاهرية ماهى الا عبارة عن حركة الأرض حول محورها لكن فيها تعبير باعتبار حركة الانسان على الأرض . والمتتبع لحركة الشمس خلال فصول العام يلاحظ ان المواضع تختلف حسب ميل الشمس على خط الاستواء ومدار السرطان والجدى (٣) لذلك يجب ملاحظه هذا الاختلاف حتى تحدد مواعيد الصلاة بدقة .

(١) المصدر السابق ٣٢١/٤

(٢) صحيح البخارى ٥٨/٢ - كتاب الصلاة باب اذا ارتحل بعد ما زاغت الشمس صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٥٨٣/٢ كتاب تقصير الصلاة - حديث رقم ١١١٢ .

(٣) مدار السرطان ومدار الجدى خطان وهميان من خطوط العرض على الكرة الارضية الاول شمال خط الاستواء والثانى جنوبه - قواعد الجغرافيا العامة . ص ٥٣

الفصل الرابع

آثار حركات الاجرام السماوية

ويشتمل على المباحث :

أولا : واجب الانسان نحو آثار الاجرام السماوية

ثانيا : الآثار المتعلقة بالنجوم والكواكب

ثالثا : الآثار المتعلقة بالشمس والقمر والارض

المبحث الأول

واجب الانسان نحو آثار الاجرام السماوية

قبل الخوض فى آثار النجوم والشمس والأرض والقمر وما يتعلق بحركاتها لابد أن نقف على المقصود من الأثر ؟

يذكر ابن فارس ان مادة " أثر لها ثلاثة أصول هى

أ - تقديم الشيء مثل قولك آثرت بأن أفعل كذا وهو هم فى عزم .

ب - ذكر الشيء مثل قولك يافلان هذا آثرا ما .

ج - رسم الشيء الباقي ونقل عن بعضهم قوله والأثر بقيه مايرى من كل شيء وما لايرى بعد أن تبقى فيه علقه " (١)

إذاً آثار الاجرام وحركاتها تقع تحت الأصل الثالث . وذلك بأن ماينتج عنها وعن حركاتها يترك علاقة محسوسة سواءً مادخل تحت نطاق الحواس الخمس أو لم يدخل بحيث يمكن قياسه بواسطة أجهزة حساسة لتلك العلاقة الناتجة عن تحركاتها مع العلم ان هذا التأثير من الاجرام عبارة عن دلالات جعلها الله سبحانه وتعالى آيات منه ترى فى هذا الكون توضح القانون الالهى الشامل لهذا الوجود الذى ينبىء عن علم وحكمه وابداع وقدرته خالقه وليس هذا التأثير من فاعلية الجرم السماوى ولا من فاعلية حركته لأنه من المعلوم سابقا ان هذه الاجرام ليس لها ارادة واختيار وانما حركاتها غير ارادية فهى تحت التسخير والجبر بسنن الله تعالى فى هذا الوجود قال تعالى : ﴿ ان الله فالق الحبال والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى توفكون . فالق الاصباح وجعل الليل

سكننا والشمس والقمر حسبنا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فضلنا الآيات لقوم يعلمون * (الانعام : ٩٥ - ٩٧) .

فالآيات تشير الى هذا التسخير الذى جعله الله تعالى تمكيننا للانسان الذى جعله خليفه فى هذه الأرض ليؤدى ما فرض عليه من شروط الخلافه وهو تحقيق العبوديه لله سبحانه وعدم صرفها الى غيره من ظواهر وأشياء سواء سماوية أو ارضية لأنها تعد مخلوقات له سبحانه فهى عاجزه امام قدرة خالقها لاتستطيع تدبيرها أو نفعها أو ضرها لأحد من خلقه ، فهى وآثارها من خلق الله تعالى .

والانسان امام الظواهر والآثار الكونيه فى تأمل وتفكر يريد تفسيرها لما يحدث حوله فى هذا الوجود مدفوعا بفطرته الى تفهم ما حوله والحكمة منه والاهتداء بذلك الى خالقه .

وقد يصيب الانسان وقد يخطئ فى الوصول الى فهم ما خفى عليه من أمور الكون وما وقع فيه من سنن وعلى أساس ذلك يكون تعامله مع خالقه . وحتى يصبح الانسان فى حالة توفيق لتفسير هذه الظواهر والأشياء الكونيه وبالأخص مايتعلق بالفلك من حركات الاجرام السماوية لابد من الرجوع الى اتجاهين لتفسير ذلك :

أولا : توضيح العلاقة السببيه التى تؤدى الى اقتران الظواهر والأشياء بغيرها من احوال فى الكون كحالة حركة الاجرام فى نطاق مفهومي علمى معتمدا على وسائل الاحساس بالملاحظه المتتابعه ثم وضع الفروض لذلك ثم اجراء التجارب للتأكد من صحة ذلك .

فالاسلوب العلمى الموضوعى المنزه عن الاهواء لابد وأن يتفق فى

النهائية مع الفطره السليمة التي تجانب الخرافات والاباطيل والتي
توصل الى ان النافع والضرار والمدير هو الله سبحانه وتعالى لا آله
غيره ولا معبود بحق سواه .

ثانياً :

نصوص الوحي والأخذ بها فهي تعتبر المصدر الخال من الشك والذي له المدة
دائما في حياتنا باعتبارنا مسلمين والذي قد يقع تعليلا لظاهرة أو أثر
لم يستطيع العلم الوصول اليه ولن يستطيع في بعض الاحيان وذلك
مدعاه للايمان بالغيب وان للعلم حدوده وامكانياته القاصرة التي
يتوقف عندها . مثال ذلك ظاهرة الحرارة والبرودة اذ تعليها
العلمي بالنسبة للأجرام والمعروف لدى أغلب الناس حتى الذين ليس
لهم اطلاع علمي ولا يعرفون قواعد منهج البحث العلمي أنها الشمس
ونحن نقول ان هذا حق لا جدال فيه الا أن هذا التعليل ليس هو التعليل
الوحيد لتلك الظاهرة فقد ورد في الحديث الذي أخرجه الشيخان
في الصحيح وغيرهما عن ابي هريرة رضى الله عنه قال : (قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أشتكت النار الى ربها فقالت : يارب
أكل بعضى بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف
فهو أشد ماتجدون في الحر وأشد ماتجدون في الزمهرير) وفي الرواية
الأخرى (فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما جدتم من
حر أو حرور فمن نفس جهنم) . (١) وذكر النووي في الشرح ان العلماء
قالوا "الزمهرير شدة البرد والحرور شدة الحر" . وقد اختلف

(١) صحيح البخارى ١٤٦/٤ باب صفة النار ، صحيح مسلم ٤٣٢/١ حديث رقم ١٨٧
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٣٠/٦ كتاب بدء الخلق حديث رقم ٣٢٦٠
صحيح مسام بشرح النووي ١١٩/٥ - ١٢٠ ، كتاب المساجد باب استحباب
الابراد بالظهر في شدة الحر .

العلماء فى الشكوى هل هى بلسان المقال أو بلسان الحال لكن الراجع

حمل الشكوى على الحقيقة كما ذهب غير واحد من العلماء كما ذكر

ذلك ابن حجر فى الفتح . (١)

فهذه أمور غيبية عنا لأن النار المراده فى الحديث هى من عالم الغيب

وليست من عالم الشهادة كالشمس وسائر الاجرام السماوية . فتتوقف

حدود معرفتنا العلمية المحدودة والمقيدة بغوابط المعرفة الانسانية

المعتمدة على القياس والافتراض والتجارب والوصول الى حقائق .

لكن مع هذا يمكن الوصول الى نتائج صحيحة من الحديث وهى ان حرارة

الدنيا كلها التى هى فى الظاهر حسب معرفة الحس البشرى من الشمس

هى مجرد نفس من انفس جهنم ، وهذا معناه الحرارة المنبعثة من

الشمس جزء ضئيل من حرارة جهنم .

فواجبنا نحو النصوص الشرعية الوقوف عند المراد منها حسبما ورد فى

النص لأن ذلك صفة من صفات المؤمنين المتقين ولان صفة التقوى حتى

فى مجال الأخذ بالاسباب العلمية والوقوف عند حدود العقل بهـ

ورد علمها الى الله قال تعالى : ﴿ ولله غيب السموات والأرض واليه

يرجع الأمر كله فأعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾

(هود : ١٢٣) .

ولكى نبداً باستعراض أشار الاجرام السماوية نذكر ما أورده الامام

البخارى فى صحيحه عن قتادة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد زيننا

السما بمصابيح ... ﴾ الآية (الملك : ٥) . حيث قال "خلق

هذه النجوم لثلاث : جعلها زينة للسماء ورجو ما للشياطين وعلاميات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف مـالا علم له به " . (١) والمقصود من كلام قتادة رحمة الله أن أثر النجوم لا يتعدى الامور الظاهرية المحسوسة التى ليس لها علاقة بحياة الانسان من سعادة وشقاوة وما الى غير ذلك من التعليقات التى يفعها أهـل التنجيم والدليل على ذلك ما ذكره ابن حجر فى الشرح موصلا من طريق آخر قول قتادة " وان ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا فى هذه النجوم كهانه : من غرس بنجم كذا كان كذا ومن سافر بنجم كذا كان كـذا ولعمري ما من النجوم الا ويولد به الطويل والقصير والأحمر والأبيض والدميم ، وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر شـيء من هذا الغيب " .

(١) صحيح البخارى ١٣٠/٤

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٢٩٥/٦ ، كتاب بدء الخلق - باب فى النجوم

المبحث الثاني

الأثار المتعلقة بالنجوم والكواكب :

أولا : النجوم زينة السماء :

من المعروف تبعث الطاقة على شكل موجات كهرومغناطيسية وهذه الموجات انواع وصور متعددة منها امواج اللاسلكى والراديو والتلفزيون والرادار والضوء والأشعة السينيه والكونية وهذه الموجات تختلف اطوال موجاتها وزينة السماء راجع الى الطاقة الفوتية المنبعثه من النجوم .

وبالنسبة للشمس فأثرها واضح فى هذه الزينه . فالشمس فى القرآن الكريم من حيث الأثر ليست نجما وان كانت من جنس النجوم من حيث التكوين فهى تشترك مع سائر النجوم فى زينة النجوم وتزيد عليها بأثار أخرى ملموسة فى حياة الانسان . وزينتها وجمالها يتمثل فى أصفرار الشروق واحمرار الشفق وتلوين السماء باللون الازرق — خلال الغلاف الجوى المحيط بالأرض وكذلك ظاهرة قوس قزح .

والضوء ينبعث من النجوم نهارا وليلا . الا اننا لانرى الضوء الا فى الليل فقط لان ضوء الشمس فى النهار يحجب نظرا لقربها الشديد الى الأرض من سائر النجوم . والواقع ان السماء شديدة الظلام كما أتضح لرواد الفضاء من خلال رحلاتهم .

لذلك ترى النجوم فى السماء كأنها مصابيح لامعه فى لوحة سوداء . وكما يظهر لنا ذلك على الأرض ليلا .

ظاهرة زرقة السماء :

ترجع الى ان الضوء مركب من عدة الوان تتدرج من أقصر موجه الى اعلى

موجه حسب الترتيب التالى بنفسجى - نيلى - ازرق - اخضر - اصفبر -

برتقالي أحمر .

فعندما يصدر الضوء من الشمس يلقى طبقات الغلاف الجوي .^١ إلا ان الطبقة التي تغنىء بـضوء النهار هي قشرة سمكها نحو مائتى كيلو متر فقط تواجه الشمس . عندئذ يتناثر أو يتشتت ضوء الشمس في تلك الطبقة العظيمة الكثافة من الهواء واكثر الوان اللطيف تناثرا هو اللون الأزرق لذلك تكتسب القشرة اللون الأزرق وهي التي تحدد معالمها القبة السماوية الزرقاء .^(١)

ظاهرة الشروق والغروب :

" ان ضوء الشمس يكون شبه افقى أو موازيا للأرض ونتيجة لمرور الضوء على هذه الطبقة الكثيفة الطويلة يحدث تشتيت في الوان الضوء ذات الامواج القصيرة وتختفى أو تضيع تأثيرها وتبقى الأطول اى الصفراء والحمراء وهي التي تعطينا الوان الشروق والغروب " .^(٢)

ظاهرة الشفق :

لم ترد هذه الظاهرة الا فى موضع واحد من كتاب وذلك فى موضع القسم حيث يقول تعالى : ﴿ فلا أقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر إذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق ﴾ (الانشقاق : ١٦ - ١٩) اما بالنسبة للسنة فان اكثر مايرد بالنسبة للشفق فى تحديد مواقيت صلاة المغرب والعشاء فعن عائشة فى الله عنها قالت : (أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ناداه عمر الصلاة نام النساء والصبيان فخرج فقال : ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم . قال : ولا يصلى يومئذ الا بالمدينه

(١) الله والكون . د. محمد جمال الغندى ص ٢٣١

(٢) مبادئ الكونيات الامين محمد كعورة ص ١٢

وكانوا يصلون فيما بين أن يغيب الشفق الى ثلث الليل الأول (١) . وعن بريدة رضى الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بأقامة صلاة العشاء حين غاب الشفق وفى المرة الأخرى أمره بأقامة المغرب قبل أن يغيب الشفق) . (٢)

وللمفسرين فى المقصود بالشفق اراء ذكرها الطبرى فى تفسيره وهى (٣)

١ - الشفق : الحمرة فى الأفق من ناحية المغرب من الشمس وهو ماذهب اليه اكثر المفسرين .

٢ - الشفق : النهار كله وهو مذكور عن مجاهد .

٣ - الشفق : هو اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الاغداد .

وحسب الراى الاخير اختلف الفقهاء على المراد بالشفق . فأخذ الامام الشافعى بأنه الحمرة التى ترى فى المغرب بعد مغيب الشمس وأخذ الامام أبو حنيفة على أنه البياض الباقي فى الأفق الغربى بعد الحمرة المذكورة . (٤)

وتفسير ظاهرة الشفق علميا " ان الشفق يسببه ارسال الشمس لجسيمات مشحونه بالكهرباء . وان بعض هذه الجسيمات ينحبس فى الفضاء المحيط بالارض وتتراكض فى مسارات متموجه بين القطبين الشمالى والجنوبى ذهابا وايابا . وينفلت بعضها فى كل انطلاقه من انطلاقاته بحيث ان هذه الجسيمات المنفلته تحمل الالكترونات الموجودة فى ذرات الهواء على القفز فى كل اتجاه مما يؤدى الى توهج الذرات نفسها هذا التوهج هو الذى ندعوه الشفق " . (٥)

(١) صحيح البخارى ١٤٨/١ كتاب الصلاة - باب وقت العشاء .

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٤٩/٢ كتاب مواقيت الصلاة حديث رقم ٦٩

(٢) مسند الامام احمد ٣٤٩/٥

(٣) جامع البيان للطبرى ١١٩/٣٠

(٤) النهاية فى غريب الحديث والاثر لابن الاثير ٤٨٧/٢

(٥) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٤٩

ظاهرة قوس قزح :

هو عبارة عن ضوء الشمس المتشتت بعد فترة نزول المطر حيث "تفعل قطرات المطر فعل مرآيا منحنية وأمامها موشورات فإذا ما اشرقت الشمس على هذه القطرات انحل ضوءها الى ألوان قوس قزح وانعكس في الفضاء ولانرى قوس قزح الا اذا كنا بين الشمس والمطر بحيث يشاهد دائما فى جهة الفضاء المقابلة للشمس " . (١)

وذكر القرطبي (١) أن المصابيح لاتزول ولايرجم بها . . . وقيل : ان الغمير
فى قوله " وجعلناها رجوما " راجع الى المصابيح على أن الرجم من أنفس
الكواكب ولايسقط الكوكب نفسه انما ينفصل منه شيء يرجم به من غير
أن ينقص ضوءه ولاصورته " . (١)

فالرجوم اذا جزء من كواكب المجموعة الشمسية أو من مكان ما فى
السموات ترى مندفعه بالليل بسرعة رهيبه ومشتعله يصدر عنها وميض
خاطف . لها خاصية جعلها الله فيها تتعامل مع جاذبية الاجسام النارية
كالجن بحيث تسد الباب على الكهان والمنجمين من سماع خير السماء المنقول
لهم عن طريق مسترقى السمع وحفظا لأمر الدين الاسلامى من خرافاتهم
واكاذيبهم التى يدعون فيها علم الغيب . ويؤيد ذلك مارواه ابو هريرة
رفى الله عنه (ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : اذا قضى الله
الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على
صفوان ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى
قال : الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع فيلقيها الى
من تحته ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر
أو الكاهن فربما ادرك الشهاب قبل يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه
فيكذب معها مائة كذبه) (٢)

ثالثا : النجوم علامات يهتدى بها :

يحتاج الانسان الى تحديد سير اتجاهه ومكانه ، وكذلك الوقت الذى

(١) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٢١١/١٨

(٢) صحيح البخارى ١٥٢/٦ سورة سبأ

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٥٣٧/٨ - كتاب التفسير حديث رقم ٤٨٠٠

يمر به وبالذات خلال سفره سواء في البر أو في البحر وذلك كتحديد
جهة القبلة قال تعالى : ﴿ والقي في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا
وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ (النحل : ١٥ - ١٦)
فالعلامات ما يستدل به من معالم الطريق كما ورد عن ابن عباس بأن

العلامات معالم الطرق بالنهار وبالنجم هم يهتدون بالليل . (١)

وقد اختلف المفسرون في المراد بالنجم على قولين

أولا : ان الالف واللام للجنس فيكون المراد الجميع وقد اورد القرطبي

والرازي والالوسي ان بعضهم قرأ بضم النون والجيم أو بضم النون

وتسكين الجيم فيكون المراد جميع النجوم . (٢)

ثانيا : انها نجوم مخصوصه هي التي يهتدى بها في البر والبحر وذكرها منها

على اختلافهم في ذلك الجدى والفرقدان وبنات نعش والثريا . وذكر

ابن العربي قوله " فأما جميع النجوم فلا يهتدى إلا العارف بمطالعها

ومغاربها والمفرق بين الجنوبي والشمالي منها وذلك قليل فـ

الآخرين . وأما الثريا فلا يهتدى بها إلا من يهتدى بجميع النجوم

وانما الهدى لكل أحد بالجدى والفرقدين لأنهما من النجوم المنحصرة

المطلع الظاهر السميت الثابتة في المكان فانها تدور على القطب

الثابت دورانا محصلا فهي أبدا هدى الخلق في البر اذا عميت

الطرق وفي البحر عند مجرى السفن وعلى القبلة اذا جهل السميت " (٣)

ونجم الجدى المذكور ليس هو برج الجدى وانما هو نجم من كوكبه

الدب الاصغر ويذكر ابن الصوفي ان هذه الكوكبه تشمل سبعة أنجم تظهر

اتجاه القطب الشمالي وأن العرب تسميها بنات نعش الصغرى ويقسمها

(١) جامع البيان للطبري . ٩١/١٤

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٩١/١٠ ، التفسير الكبير للرازي ١٠/٢٠ ، روح المعاني ١١٧/١٤

(٣) احكام القرآن لابن العربي ١١٤٩/٣ تحقيق محمد البجاوي - دار المعرفه
بيروت .

ابن الصوفى على صورة الدب ثلاثة على ذنبه والاربعة الباقية على مربع مستطيل على بدنه وأنها تختلف فى شدة اضاءتها فالذى على طرف الذنب أشد اضاءة من الآخرين وهو ما يسمى بنجم الجدى ، أما التى على البدن فان اثنان منها أشد اضاءة من الآخرين وهى الى جهة الرأس وهى ما تسمى بالفرقدين . والجدى هو ما يتوخى به القبلة . (١)

وبوسع أى انسان أن يلاحظ دورة النجوم الشماليه التى تدل على اتجاه القطب الشمالى وذلك اذا انعم النظر فى مواقع العناقيد النجميه لتلك الجهة حيث يشاهد أنها تدور حول نجم يبدو دائما ثابت هو النجم القطبى وسبب رؤيته ثابتا لأن المحور الذى تدور حوله الأرض يشير الى الجهة التى يوجد فيها هذا النجم .

ودوران النجوم هذا ظاهرى لأن الأرض هى التى تتحرك حول المحور وينتج عنه هذه المشاهدة التى يستفيد منها الانسان تعين الزمن والمكان أيضا . وقد ورد فى الحديث ان للنجوم دور فى تحديد أوقات صلاة الليل فـ قد ورد فى صحيح مسلم فى فضل صلاة العصر قوله صلى الله عليه وسلم (لا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد - والشاهد النجم) (٢) والنجم المراد هو نجم الشريعة .

ومراعاة النجوم بقصد معرفة الاوقات والقبلة هو أمر مشروع اذ تدعونا النصوص الى معرفته وبالأخص اذا كان الفرد فى موقع يتعذر عليه معرفة الوقت والمكان وما هذه الوسائل الحديثة التى يسرها الله سبحانه وتعالى

(١) صور الكواكب الثمانية والأربعين لابن الصوفى ص ٢٧ - ٢٩

(٢) صحيح مسلم ٥٦٨/١ - حديث رقم ٢٩٢

صحيح مسلم بشرح النووي ١١٣/٦ - كتاب صلاة المسافرين باب الاوقات المنهى عن الصلاة فيها .

لنا كالبوصلة والساعة الا وفكرتها تبني اساسا على حركة الاجرام السماوية

كالشمس والقمر والنجوم .

كما قد يستدل بالنجوم لمعرفة أوقات الغيث حيث جعل الله سبحانه هذه

النجوم علامات يستدل بها الانسان على ذلك نظرا لكثرة الملاحظة والخبرة

وعادة ربط الله سبحانه نزول الغيث بها وهي ليست دائمة التوقع والحدوث

وانما راجع الى مشيئة الله وقدرته وحكمته . وهذا معروف لدى العرب

بالانواء وهي مايسمى اليوم بالارصاد الجوى حيث يمكن للمختصين توقع

حالات الجو .

المبحث الثالث

الآثار المتعلقة بالشمس والقمر والأرض :

أولاً : تتابع فصول العام :

وهي متعلقة بالحركة الظاهرية للشمس حول منطقة البروج بحيث لكل

فصل من فصول العام بروجـه الخاصة .

فالشـتاء يخصه من البروج - الجدى - الحوت - الدلو .

والربيع يخصه من البروج - الحمل - الثور - الجوزاء .

والصيف يخصه من البروج - السرطان - الأسد - السنبلة .

والخريف يخصه من البروج - الميزان - العقرب - القوس .

" ولا يشترط ان يكون للفصول معنى مناخى فى كل مكان من العالم فهى

تدل على الزمن وتشير الى أوضاع خاصه للأرض بالنسبة للشمس ، فالسنة

فصل حرارى واحد فى نطاقين .

فى النطاق الاستوائى حيث تسقط أشعة الشمس عمودية أو قريبة من

العمودية ، وحول القطبين حيث تمل أشعة الشمس شديدة الميل . فهنا

أو هناك لانكاد نجد اختلافا يذكر بين الفصول من الوجهة الحرارية . فالسنة

فى النطاق الأول صيف دائم مرتفع الحرارة وحول القطبين شتاء مستمر

قاس البرودة . لكن التمايز بين الفصول من الوجهة المناخية يظهر بين

النطاقين السالفى الذكر أى فيما يسمى المناطق المعتدلة " . (١)

وتتابع الفصول فى المناطق المعتدلة هو اصلا ناتج عن حركة الأرض حول

الشمس وحول محورها الذى خصه الله سبحانه بالميل على مستوى فلك الأرض

بزواية معينه لحكمة تجلى منها بعض الشئ وهو أنه خلال جزء من رحلة

الأرض حول الشمس يحدث ان يتجه قطبها الشمالى بعيدا تماما عن الشمس

(١) قواعد الجغرافيا العامه د. جوده حسين ، د. فتحي ابو عيانه ص ٥٥ - طبعة

عام ١٤٠٦ هـ - دار النهضة العربية - بيروت .

وبعد مضي حوالى ستة أشهر يتجه قطبها نحو الشمس بنفس القدر وهذا التغير فى اتجاه الميل بالنسبة للشمس يحدث عنه تتابع الفصول واختلاف فى طول الليل والنهار فى كل من نصفى الكرة الأرضية " ويعنى ذلك ان البقاع التى تدخل فى نطاق القطبين الشمالى والجنوبى يكون طول النهار فيها اربع وعشرين ساعة خلال الصيف بينما فى الشتاء تظل مظلمة على الدوام " (١).

ويتساوى الليل والنهار فى وقتى الاعتدالين الربيعى والخريفى كما تتعادل فيهما الحرارة . كما أن الاختلاف فى وقتى النهار والليل يحدث فى وقتى الانقلاب الصيفى والشتوى . (٢)

وأما ما نقله ابن العربى عن الامام مالك ان الشتاء نصف السنة والصيف نصفها . (٣)

فذلك صحيح لسبب ان الامام مالك كان موجودا فى منطقة المدينة المنورة التى تقع فى الحجاز وهذه لا يظهر فيها تمايز بين الفصول الاربعة ظهورا محسوسا كما يتضح ذلك فى البلاد المجاورة كالشام ونظرا لأن منطقة الحجاز والشام تقع فى النصف الشمالى من الكرة الأرضية لكن منطقة الحجاز أقرب الى خط الاستواء من منطقة الشام حيث ان المنطقة الاستوائية كما اسلفنا ليس فيها اختلافا كبيرا بين الفصول من الوجهة الحرارية ، وأما احتجاج ابن العربى بقول مالك والاستدال على أن الله سبحانه قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا فذلك لا يستقيم مع ما خصه الله سبحانه لكل موضع من المواضع الاعتدالية من الكرة الأرضية من زمن يظهر فيه تمايز

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ٧٢

(٢) قواعد الجغرافيا العامة ص ٥٤ ، ٥٥ بتصرف

(٣) احكام القرآن ١٩٨١/٤

الفصول الذى له تأثير فى كل مما يلى :

١ - انواع المحاصيل الزراعية التى يمتاز بها كل فصل عن الآخر والتى يعود أثرها على الانسان . وأهل الخبرة فى هذا المجال يعرفون مدة زراعة كل محصول وما هو الفصل الذى يصلح فيه .

٢ - تغير الهواء من حرارة وبرودة. وغير ذلك مما يتعلق بالناحية الصحية والمناخية التى تظهر أثرها على كل من النبات والحيوان والانسان .

وفصول العام تذكر بالآخرة فحدة. حر الصيف يذكر بحر جهنم وهو — سمومها — وشدة برد الشتاء يذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها كما ورد فى الحديث عن ابي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قالت النار : رب أكل بعضى بعضا فأذن لى أتنفس فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم) (١)

وأما الربيع فهو أطيب فصول العام وهو يذكر بنعيم الجنة وطيب عيشها .

وقد ذكر ابن رجب فى لطائفه عن بعضهم فى وصف الربيع قوله : " أرضه حرير وأنفاسه عبير وأوقاته كلها وعظ وتذكير " . (٢)

لذلك يجب على الانسان اغتنام فرص هذه المواسم بالعمل للتقرب الى الله فقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الصوم فى الشتاء الغنيمه الباردة) . (٣) وكان أبو هريرة رضى الله عنه

(١) صحيح مسلم ٤٣٢/١ - حديث رقم ١٨٧

صحيح مسلم بشرح النووي ١١٩/٥ - ١٢٠ - كتاب المساجد باب استحباب بالظهر .

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ص ٢٣٠ لابن رجب الحنبلى

(٣) مسند الامام احمد ٣٣٥/٤ ، سنن الترمذى ١٦٢/٣ كتاب الصوم - حديث رقم ٧٩٧

يقول " ألا أدلكم على الغنيمة الباردة قالوا بلى فيقول الصيام في الشتاء " يقول ابن رجب " ومعنى كونها غنيمة باردة انها غنيمة حصلت بغير قتال ولا تعب ولا مشقة فصاحبها يحوز هذه الغنيمة عفوا صفوا بغير كلفه . ويروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مرحبا بالشتاء تنزل فيه البركة ويطول فيه الليل للقيام ويقصر فيه النهار للصيام " . (١)

ثانيا : تعاقب الليل والنهار :

أثر من أشار حركة الأرض حول محورها جعله الله سبحانه وتعالى نعمة للإنسان لفترة راحته وسكنه وفترة معاشه قال تعالى : ﴿ الم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا . وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ﴾ (النبأ ٦ - ١١) وقال سبحانه ﴿ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ (يونس : ٦٧) .

كما أنه سبحانه جعل تعاقب الليل والنهار مجالا للتذكر والتفكير فى نعم الله فلو أن الليل استمر أبدا ماذا سيحدث للإنسان ؟ سكون دائم يتعطل فيه الجانب الحركى والعمل الذى يدعوه للانتاج . ولو كان النهار مستمرا دائما فانه يحصل له الإرهاق والتعب وعدم المواصلة والتقدم وقد يؤدي الى التدهور الصحى وذلك لعدم فترة راحة وسكون . قال تعالى : ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ﴾ (الفرقان : ٦٢) .

" وقد اكتشف الاطباء حديثا جهازا عصبيا فى المخ يسكن فى الظلام

ويبقى متوترا فى النهار وفى الليل المفاء لذلك فان كثيرا من الأمراض تعترى العاملين ليلا . كذلك اذا نام فى مكان مضاء ليلا فانه لا يحس بالراحة فى نومه لان هذا الجهاز يبقى متوترا ولكنه اذا نام فى مكان مظلم فانه يهنا بنوم عميق هادئ . (١) لذلك نجد ان الله سبحانه وتعالى قد جعل من مؤشرات الرحمة بالانسان السكون فى الليل والسعى فى النهار قال تعالى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (القصص : ٧٣) .

وكما أن من الملاحظ فى الآيات التى يرد فيها ذكر الليل والنهار معا تقدم لفظ الليل على النهار فى الغالب الا فى بعض مواضع من الكتاب الكريم كقوله تعالى : ﴿ والضحى والليل اذا سجا ﴾ (الضحى : ١ - ٢) وقوله تعالى : ﴿ والفجر . وليال عشر ﴾ (الفجر : ١ - ٢) . والفجر والضحى بداية النهار . ولا بد فى ذلك من حكمة قد تخفى علينا لكن هناك من يرى أن الحكمة فى تقديم لفظ الليل على لفظ النهار هو ان ظاهرة الليل أوضح فى تصوير القدرة الالهية من ظاهرة النهار فى عملية التمدد الكونى واتساعه ويقول " ظاهرة الليل والنهار دليل على اتساع الكون وتباعد شموه عن شمسنا المصاحبة لمجموعتها من الكواكب ومنها الأرض ، ومما يعطى الفرصة لسيادة ضوء شمسنا على غيرها من الشموس المتباعدة باتساع الكون وتمدده " . (٢)

ومعنى كلامه ان المفروض ان يكون النهار دائما فى كل اجزاء الكرة ولا يكون ليل نظرا لما يصل اليها من ضوء الشمس التى لا تحصى ولكن التمدد

(١) الاكتشافات العملية الحديثه ودلالاتها فى القرآن الكريم ص ٧٩

(٢) الانسان فى الكون بين العلم والقرآن - د. عبدالعليم خضر ص ٣٥٠ -

الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - عالم المعرفة للنشر والتوزيع - جدة .

الكونى هو الذى يفسر لنا ذلك . كما فى قوله تعالى : ﴿ والسماء

بنيناها بأيدى وأنا لموسعون ﴾ (الذاريات : ٤٧) .

وكما ان تعاقب الليل والنهار من أكبر الأدلة على دوران الأرض فهو

أيضا يعتبر رحمة من الله سبحانه بنا من عدم استمرار على وقع واحد

من ليل أو نهار على الأرض وذلك لأنها معرفه لاشعة الشمس ونظرا لشكلها

الكرى فان هذه الاشعة ستضىء نصف سطحها فقط فيكون نهارا معرفا على

الدوام لدرجات حرارة تفوق طاقة البشر والنصف الآخر مظلما فيكون ليلا

تنخفض فيه درجة الحرارة الى حدود البرودة التى لا يستطيع معها الانسان

التحمل لمتاعب الجو الساكن المظلم البارد .

لذلك يذكرنا سبحانه بهذه النعمة فيقول ﴿ قل أرايتم ان جعل الله

عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتاكم بغياء أفلا

تسمعون . قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة

من اله غير الله يأتاكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ (القصص ٧١-٧٢)

وكما هو يلاحظ العلماء على الكواكب الأخرى من طول ليل أو نهار . وتعاقب

الليل والنهار له بداية ونهاية على كل موقع من اجزاء الكرة الارضية

وهو ما يلاحظ عند الفجر وعند غروب الشمس لكن هذا التعاقب لا يحدث

بشكل فجائى اى فى لحظة واحدة من نور الى ظلام وبالعكس . وذلك لما

جعله الله سبحانه وتعالى من خصائص للغلاف الجوى " فقبل ان تظهر فوق

الأفق نرى أشعتها وهى اما ان تنكسر واما ان تتناثر بواسطة الغلاف

الجوى بحيث نرى جانبا من الاشعة قبل ان نرى الشمس وذلك حين الفجر

أما عند الغروب فان الشمس عندما تكون قد هوت فعلا " تحت الأفق بحيث

يمكن استمرار رؤية اشعتها المنكسرة أو المتناثرة خلف الغلاف الجوى

نتيجة لميل محور الأرض على مستو فلكها بزاوية معينها خلال تتابع

الفصول كما أشرنا سابقا .

وأن هذا الاختلاف الذى يعتبر من الآيات لأهل الالباب على كمال قدرة

الخالق وابداعه وأن هذا الاختلاف ملك له سبحانه فقد قال تعالى :

* وهو الذى يحي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون *

(المؤمنون : ٨٠) .

ومن اقوال المفسرين فى الآية نقصان أحدهما وزيادة الآخر. (١)

ويتضح ذلك جغرافيا بالحقائق التالية :

" ١ - أن الليل والنهار يتساويان فى طولهما عند خط الاستواء كما

يتساويان على جميع جهات الأرض عندما تتعامد الشمس على خط الاستواء

٢ - أن الاختلاف بين طوليها قليل فيما بين مدار الجدى والسرطان بينما

يعظم اختلاف طوليها كلما ذهبنا شمالا أو جنوبا بعيدا عن المدارين .

٣ - يتراوح اقصى طول الليل أو النهار فى الاقاليم القطبية بين أربعة

وعشرين ساعة عند الدائرتين القطبيتين وستة أشهر عند القطبين (٢)

ثالثا : علم السنين والحساب :

أو ما يعرف بالوقت والزمن والذى له صلة وثيقة بحركة الاجرام

وبالذات حركة الشمس والقمر والأرض وتعاقب الليل والنهار وتتابع

الفصول الناتجة عن تلك الحركات .

ولقد كان اهتمام الانسان بتحديد الزمن مبكرا جدا لأمر أهمها

اوقات الزراعة وملاحية نفع الثمار وما يرتبط بها من ظواهر جوية .

(١) الجامع لاحكام القرآن ، القرطبي ١٢/١٤٤ ، تفسير ابو السعود ٤/٨١

(٢) قواعد الجغرافيا العامة ص ٥٢

كما ظهر الاهتمام أيضا بتحديد الوقت عندما أصبحت هناك شعائر دينية ارتبطت بمواسم معينة لها علاقة بحركات الاجرام السماوية .
ولقد أصبح الحرص على تحديد الوقت أكثر لزوما لما جاءت التشريعات السماوية التي ربطت احكامها بأوقات وأزمان معينة .
والدين الاسلامي خاتم الرسالات السماوية قد علق غالبية احكامه اذا لم يكن كلها على تحديد الزمن . وكان ارتباط هذه الاحكام له علاقة وثيقة بالدورة الهلالية للقمر الذي قدره سبحانه منازل لها علاقة بالبروج التي تحدد المسار الظاهري للشمس وكذلك الارتباط بحركة الشمس الظاهرية .
واحكام الدين التي تعلقت بالزمن اما شرعية واما شرطية فالشرعية تنقسم الى قسمين :

أولا : شرعية بأصل الشرع كالصلاة والزكاة والصوم والحج .

ثانيا : شرعية بسبب العبد كالعدة وصوم الكفارة والنذر ومدة الايلاء .

وأما الشرطية كالأجل في الدين والخيار وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾ (الاسراء : ١٢) .

وقال تعالى : ﴿ ويسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾

الآية (البقرة : ١٨٩) .

فأله سبحانه وتعالى يخبر ان الأهلة مواقيت للناس وهذا عام فـ في جميع امورهم وخص الحج بالذكر تميزا وسبب هذا التميز كما يقول ابن تيميه " لأن الحج تشهده الملائكة وغيرهم ولأنه يكون في آخر شهور الحول فيكون علما على الحول . ولهذا يسمون الحول حجة فيقولون له سيعون حجة وأقمنا

خمس حجج " (١) . قال تعالى فى قمة موسى حينما كان فى مدين فى شأن نكاحه * قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصا لحيين * (القصص : ٢٧) .

ولقد كان تحديد الزمن المتعلق بحركة الشمس والمتبع فيه شروقها وغروبها وما يرتبط بذلك من تفاوت فى اطوال ظل الاشياء واختلاف اتجاه الظل . لذلك نجد ان الله سبحانه وتعالى يذكرنا بهذه النعمة فيقول تعالى : * الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . ثم قبضناه اليها قبضا يسيرا * (الفرقان : ٤٥ - ٤٦) والآية تدل على ان الظل مخلوف آخر غير الشمس يعرف بالشمس التى تعتبر دليلا عليه .

ويذكر أحد الباحثين فى حديثه عن حركات النجوم الحقيقية والظاهرية ويستدل بالظل على أننا امام كون منظور وهو عبارة عن صورة مرئية حقيقية غير مشاهدة وأن السرعات المرئية هى جزء من العالم المنظور ويقول أيضا " بما أن الظل له وجود موهى ذو بعدين - طول وعرض - فان له صورتين صورة مكانية وصورة حركية مرئية أى انه اذا كانت الصورة الظلية متحركة فانه يتكون لها صورة حركية مكانية وصورة أخرى مرئية " . (٢)

وبحركة الظل الذى يكون دليله الشمس فى حركتها الظاهرية وبتغير أوجه القمر حددت مقاييس الزمن من الساعة واليوم والاسبوع والشهر والسنة

(١) الفتاوى لابن تيمية ١٣٣/٢٥

(٢) محمود على محمود فرحات فى بحثه المقدم بأسم " مبادئ وقوانين النظرية النسبية الحركية " للمؤتمر الاول للاعجاز العلمى للقرآن والسنة لعام ١٩٨٧ م فى اسلام آباد .

لكن هناك فرق كبير بين الاصطلاح الفلكى العرفى فى معنى اليوم

والاصطلاح الشرعى فى بعض الاحيان .

فالיום فى الاصطلاح الفلكى " ما يعبر عن طوله بحركة الأرض وهو الفترة

التي تتم فيها الأرض دورة واحدة حول نفسها او من بداية شروق الشمس

حتى بداية شروقها التالى " . (١)

اما اليوم فى الاصطلاح الشرعى فهو من طلوع الشمس الى غروبها وهو

كما يسميه ابن تيميه باليوم الطبيعى . (٢) وهو كذلك فى الاصطلاح اللغوى

" معروف مقداره من طلوع الشمس الى غروبها أو من طلوع الفجر الصادق

الى غروب الشمس " . (٣)

وقد ورد هذا المعنى فى كثير من نصوص الوحي قال تعالى : ﴿ وأما

عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام

حسوما ﴾ (الحاقة : ٦) .

وفى الحديث عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال (لا يتقدم من احدكم رمضان بصوم يوم أو يومين الا أن يكون رجل

يصوم صومه فليصم ذلك اليوم) (٤)

ومن المعلوم ان الصوم لا يكون الا من طلوع الفجر الصادق الى غياب

الشمس فيكون المقصود باليوم هو النهار قال تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم

وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها

ليالى وأياما آمنين ﴾ (سبا : ١٨) .

(١) الشمس فى حياة الانسان ص ٧٢

(٢) مجموع الفتاوى ١٤١/٢٥

(٣) لسان العرب لابن منظور ٦٤٩/١٢ ، تاج العروس للزبيدي ١١٥/٩

(٤) صحيح البخارى ٣٥/٣

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٢٧/٤ كتاب الصوم - حديث رقم ١٩١٤

لكن الواقع والمحسوس هو ان كلا من الاسبوع والشهر والسنة يحدد بتكرار اليوم المعروف بدورة الأرض حول نفسها في أربع وعشرين ساعة فترة من تعاقب الليل والنهار وما يؤيد ذلك الحديث فعن أم سلمة رضي الله عنها (أن النبي صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهرا فلما مضى تسعة وعشرون يوما غدا - اوراق - ف قيل له : انك حلفت أن لا تدخل شهرا فقلنا : ان الشهر يكون تسعة وعشرين يوما) . (١)

ويقول ابن تيمية " وقد انقسمت عادات الامم في شهرهم وسنتهم القسمة العقلية وذلك ان كل واحد من الشهر والسنة : اما أن يكونا عدديين أو طبيعيين أو الشهر طبيعيا والسنة عددية أو بالعكس " (٢) فيكون التقسيم حسب التالي :

أولا : كل من الشهر والسنة عددي بمعنى ان الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا .

ثانيا : كل من الشهر والسنة طبيعي أي الشهر قمرى والسنة شمسية ويلحق في آخر الشهور الايام المتفاوتة بين السنتين القمرية والشمسية ومقدار التفاوت حوالي احد عشر يوما .

ثالثا : الشهر عددي والسنة طبيعية أي السنة تعتبر بسير الشمس أما الشهور العددية فهي الشهور الافرنجية - يناير - فبراير ... حيث كل شهر محدود الايام .

رابعا : الشهر طبيعي والسنة عددية . واذا كان الشهر طبيعيا فانه يكون تسعة وعشرين تارة ويكون ثلاثين تارة كما أشار الى ذلك حديث عبد الله

(١) المرجع السابق ١٢٠/٤ كتاب الصوم - حديث رقم ١٩١٠

صحيح البخارى ٣٥/٣

(٢) الفتاوى لابن تيمية ١٣٧/٢٥

بن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال :
(انا امة أمية لانكتب ولانحسب الشهر هكذا وهكذا . يعنى مرة تسعة
وعشرين ومرة ثلاثين) . (١)

وأما السنة العددية فهى كما حددها الله سبحانه وتعالى فى قوله :
* ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق
السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن
أنفسكم * الآية (التوبة : ٣٦) .

وهذا هو الجارى فى سنة المسلمين حيث الشهر هلالى .
ويقول ابن تيمية " ونظير الشهر والسنة اليوم والاسبوع . فان اليوم
طبيعى من طلوع الشمس الى غروبها . وأما الاسبوع فهو عددى من
أجل الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض . فوقع
التعديل بين الشمس والقمر باليوم والاسبوع بسير الشمس والشهر
والسنة بسير القمر وبهما يتم الحساب " (٢) وما ذهب اليه ابن تيمية
صحيح الا فى شأن اليوم فانه من المعروف انه يحدد بتعاقب ليل ونهار
اى يرجع الى الاصطلاح الفلكى كما ذكرنا سابقا ولأن الشمس لاتحدد
الا نصف اليوم وهو النهار والاسبوع والشهر والسنة هو تكرار لليوم
بمعناه الفلكى .

أما بالنسبة لتعليق الشرع الشهر برؤية الهلال فان ذلك أمر ميسور
للجميع فلا يفضل أحد عن دينه ولا يشغله عن مصالحه ولا يقع فيه تلبيس
فى دين الله ففى الحديث عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما

(١) صحيح البخارى ٣٥/٣

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٢٦/٤ - كتاب الصوم ، حديث رقم ١٩١٣

(٢) مجموع الفتاوى ١٤١/٢٥ - ١٤٢

(ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال : لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له) وفى حديث آخر عن ابى هريرة رضى الله عنه قال (قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غبى عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين) . (١)

كما أن التحديد للهلال بالرؤية لأمور من أهمها فلكيا عوامل تؤثر على حركة القمر وهى :

- ١ - التغيير فى المدار الاهليلجى للقمر دوريا .
 - ٢ - التفاوت وهو تأثير يعجل بظهور الهلال والبدر قبل ميعادهما ويؤخر ظهور نصف القمر .
 - ٣ - التغيير فى بعد الأرض عن الشمس وبالتالى فى بعد القمر عن الشمس ولذا تتأثر قوة جاذبية الشمس المؤثرة على القمر .
 - ٤ - التغيير فى تلاقى مدار القمر على مدار الشمس .
 - ٥ - التغيير فى زاوية ميل محور القمر .
- كل هذه العوامل لها تأثيرات على حركة القمر والأرض والشمس فتصبح معقدة للغاية لدرجة ان مواقع هذه الاجرام بالنسبة لبعضها لا تتكرر أبدا . (٢)

ومن هذا يظهر لنا رحمة رب العالمين فى تعليق امور الدين بظواهر فلكية لاتحتاج الى جهد وعناء وحساب والسبب حتى يتساوى فى ادراكها العلماء المتخصصون وعامة الناس ولأجل ذلك نصيها بينه للأبصار ظاهرة

(١) صحيح البخارى ٣٥/٣

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١١٩/٤ - كتاب الصوم حديث رقم ١٩٠٦ وحديث رقم ١٩٠٩

(٢) مبادئ الكونيات للأمين محمد كعورة ص ٩٦

دون استبصار فلا عذر لأحد أن يقبلها خفية ويحدث بذلك التخبط فـ

التكليف وتبديل الاحكام .

رابعاً : ظاهرتا الخسوف والكسوف :

أثر من أشار تحركات الشمس والقمر والأرض . ومادة خسف تدل على

غموض وغور وأما كسف فيدل على تغير في حال الشيء الى ما لا يحب وعلى

قطع شيء من شيء . (١)

وبالنسبة للشمس والقمر فالمقصود غمض وغار فوهما وتغير حالة

من الاضاءة الى الظلمه .

ولم يرد في النصوص القرآنية الكسوف بالنسبة لاي من الشمس أو القمر

لكن ورد الخسوف للقمر في قوله تعالى : ﴿ فاذا برق البصر . وخسف

القمر . وجمع الشمس والقمر ﴾ (القيامة : ٧ - ٩) .

وأما بالنسبة للسنة النبوية فقد ورد ذكر الخسوف والكسوف لكل من

الشمس والقمر بدون تمييز فيما يخص كل منهما في اغلب الاحيان فعن عن

عائشه رضي الله عنها (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ان الشمس والقمر من آيات الله وانهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته)

الحديث وفي رواية أخرى عنها رضي الله عنها (ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال : ان الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته) الحديث (٢)

ويذكر ابن الاثير ان الخسوف ورد كثيرا للشمس والمعروف لها لغويا

الكسوف لا الخسوف . واما اطلاقه في الحديث فتغليباً للقمر لتذكيره

على الشمس فجمع بينهما فيما يخص القمر وللمعارضة .

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ١٨٠/٢ ، ١٧٧/٥

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٠/٦ ، ٢٠٤ - كتاب الكسوف

صحيح مسلم ٦١٨/٢ حديث رقم ١ ، حديث رقم ٦

واما اطلاقه على الشمس منفردة فلاشتراك الخسوف والكسوف فى معنى
ذهاب نورهما واطلامهما . (١)

وذكر النووى عن جمهور اهل العلم ان الخسوف يكون لذهاب ضوءهما
كله ويكون لذهاب بعض وقال بعضهم الخسوف فى الجميع والكسوف فى بعض
وقيل الخسوف ذهاب لونهما والكسوف تغييره . (٢)

ولكل من هاتين الظاهرتين تفسير علمى كما لها فى نصوص الوحى
تفسير ولاتعارض بين التفسيرين . فمن المعروف علميا وكما اشارت الآية
ان الاجسام التى تقع فى مسار الاشعة تترك خلفها ظللا ودليل الظل هو
الشمس قال تعالى : ﴿ الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله
ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ﴾ (الفرقان : ٤٥) .

والارض والقمر عاكسه لاشعة الشمس كما انها تترك خلفها ظللا على
شكل مخروط ينتشر فى الفضاء . وحادثه الخسوف والكسوف هو وقوع كلا من
القمر أو الارض فى ظل الآخر .

ففى حادثه الخسوف يحدث احيانا ان تقع الارض بين الشمس والقمر فى
خط واحد بالغبط بحيث يمر القمر فى ظل الارض فى اثناء دورانه حول
الارض وعندئذ تحدث ظاهرة خسوف القمر .

" ويمر القمر احيانا فى حافة ظل الارض فيحدث خسوف جزئى للقمر
وأحيانا ينغمر تماما فى ظل الارض ويحدث الخسوف الكلى . ولا يختفى القمر
تماما حتى عندما يقع كله فى ظل الارض وذلك لأن هوا الارض يكسر بعض
اشعة الشمس فتصل الى القمر فيظهر احمر قاتما .

(١) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣١/٢

(٢) شرح صحيح مسلم للنووى ١٩٨/٦

ولا يمكن الخسوف الا اذا كان القمر بدرا حيث لا يمكن دخول القمر في ظل الأرض الا في هذا الوقت ومع ذلك فان هذه الظاهرة لاتحدث دائما والسبب هو أن القمر في حالة كونه بدرا يمر أعلى من مخروط ظل الأرض قليلا أو أسفله قليلا " (١).

أما حادثة كسوف الشمس فيحدث أحيانا ان يقع القمر بين الشمس والأرض في خط واحد بالضبط في وقت القمر المحاق ويمر جزء من الأرض في ظل القمر فيحدث بذلك الكسوف للشمس " فاذا ما وقع القمر بالضبط بين الشمس والأرض حجب ضوء الشمس وسبب لها الكسوف الكلى .

وفي ذلك القسم من الأرض حيث يقع ظل القمر يحل ظلام يدوم دقائق قليلة . وأحيانا يحجب القمر جزءا من الشمس فقط وهذا يدعى الكسوف الجزئى وهو أكثر حدوثا من الكسوف الكلى " (٢) والشمس والأرض أكبر جدا من القمر لا يغطى الأرض بأكملها . لذلك نرى ان كسوف الشمس الكلى مختلف تماما من أحد الوجوه عن الخسوف الكلى للقمر فانه يمكن أن يشاهد على جزء صغير من الأرض ومع ذلك يوجد كسوف جزئى على مسافة كبيرة من جانبى ظل القمر . (٣)

أما تفسير ظاهرتى الخسوف والكسوف كما جاءت بها نصوص الوحي فقد ورد في أحد الأحاديث التى رويت فى هاتين الظاهرتين عن أكثر من صحابى مارواه أحمد والنسائى وابن ماجه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : (انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فكان يصلى ركعتين ويسأل ويصلى ركعتين ويسأل حتى انجلت فقال : أن رجلا

(١) أقرب الجيران الى الأرض ص ٢٧ - ٢٨

(٢) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٥١

(٣) أقرب الجيران الى الأرض ص ٢٩

يزعمون ان الشمس والقمر اذا انكسف واحد منهما فانما ينكسف لموت عظيم من العظماء وليس كذلك ولكنهما خلقتان من خلق الله عز وجل فاذا تجلى الله عز وجل لشيء من خلقه خشع له (١)

وقد ذكر ابن القيم أن واحدا من أهل العلم قد رد ما روى عنه صلى الله عليه وسلم " فاذا تجلى الله لشيء من خلقه خشع له " بحجة ان هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب ناقلها ولو كان صحيحا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية فكم من ظواهر أولت بالأدلة العقلية التي تتبين في الوضوح الى هذا الحد وأعظم ما يفرح به الملحد أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه ابطال الشرع . قال ابن القيم " واسناد هذه الزيادة ليس فيها مطعن لأن روايتها كلها ثقات حفاظ لكن لعل هذه اللفظة مدرجة في الحديث من كلام بعض الرواة ولهذا لا توجد في سائر أحاديث الكسوف فقد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم بضعة عشر صحابيا ولم يذكر أحد منهم هذه اللفظة التي ذكرت في حديث النعمان فمن ههنا نخاف أن تكون أدرجت في الحديث ادراجا وليست من لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم " . (٢)

ومبنى كلام ابن القيم على التخوف بان الزيادة قد تكون مدرجة لامبرر له نظرا لان الرواة ثقات حفاظ ولأنه لا يوجد منافاه بين ان يكون سبحانه وتعالى قدر في الأزل ان هاتين الظاهرتين - الخسوف والكسوف - تقتربان مع وقتي تجلى الله تعالى للشمس والقمر فيحدث لهما هذه

الظاهرة بسبب التجلى .

(١) مسند الامام احمد ٢٦٩/٤ ، سنن النسائي ١٤١/٣ كتاب صلاة الكسوف

سنن ابن ماجه ٤٠١/١ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها حديث رقم ١٢٦٢

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢١٣/٢ - دار الفكر للطباعة والنشر

بيروت .

ويؤيد ذلك ما ذهب إليه ابن تيمية حيث قال "ان التجلى لا ينافى

السبب المذكور - التفسير العلمى للظاهرتين - فان خضوع الشمس والقمر
لله فى هذا الوقت اذا حصل لنوره ما يحصل من انقطاع يرفع تأثيره على
الأرض وحيل بينه وبين محل سلطانه وموضع انتشاره وتأثيره فان الملك
المتصرف فى مكان بعيد لوضع ذلك لذل لذلك . " (١)

ونقل السيوطى فى شرح سنن النسائى عن بعض أهل العلم تأويل للحديث
" بأن العالم بالجزئيات ومقدر الكائنات سبحانه قد قدر قبل الخلق
خسوفهما بتوسط الأرض بين القمر والشمس ووقوف جرم القمر بين الناظر
والشمس ويكون ذلك وقت تجليه سبحانه وتعالى عليهما فالتجلى سبب
لكسوفهما فثبت العادة بأنه يقارن توسط الأرض ووقوف جرم القمر . لمانع
من ذلك ولا ينبغي منازعة القوم فيه اذا دلت عليه براهين قطعية " . (٢)

خامسا : فى مجال الرياح والمياه :

من المعروف ان من أهم ما يجعل الأرض صالحة للحياة عنصران اثنان
الهواء والماء ، وأن كل منهما له تحرك وفعل وفوائد هامة تقوم بها
حياة الانسان على الأرض بتسخير من الله سبحانه وتعالى للقيام بدورة
فى خلافة الأرض .

وكل من حركة هذين العنصرين له علاقة بتحركات الشمس والقمر
والأرض فمثلا :-

الهواء عبارة عن خليط من الغازات تحيط بالكرة الأرضية ، وحيث
أنه يتركز على سطح الكرة الأرضية فان وزنه يؤثر على جميع الأشياء التى

(١) الفتاوى لابن تيمية ١٧٧/٣٥

(٢) شرح السيوطى على سنن النسائى ١٤٤/٣

يلامسها وهو ما يسمى بالضغط الجوى .

" وأبسط مظاهر الهواء فوق أننا نستشقه تأثيره على الاجسام عند تحركة حيث يعرف بالريح . وأن تحرك الهواء وثيدا سمي الريح نسيمًا ، ومنه الخفيف والمنعش والمعتدل وأن هر الريح فروع الشجر أو أشجار الرمال سمي شديدا ، وأن كان تحركة عنيفا صار عاصفا " . (١)

ومن أهم العوامل المؤثرة فى الهواء لتدفعه الى التحرك لينتج عنه انواع الرياح .

١ - الحرارة والتي مصدرها الاكبر الشمس .

٢ - اختلاف الضغط الجوى من مكان الى آخر بسبب اختلاف الارتفاع عن سطح الأرض والذي يتعلق بفروق درجات الحرارة .

هذه الرياح والتي لها أيضا علاقة بدوران الأرض حيث تغير من اتجاه حركتها آثار هامة قد تكون خيرا وقد تكون شرا كما ورد فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : (كان النبی صلى الله عليه وسلم اذا رأى الريح قال : اللهم انى اسألك خیرها وخیر ما فیها وخیر ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فیها وشر ما أرسلت به) . (٢)

ومن آثار الرياح المفيدة للانسان ما يستفاد من قوله تعالى :
﴿ ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقکم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضلہ ولعلکم تشکرون ﴾ (الروم : ٤٦) .
- فالرياح مبشرات بالغيث والرحمة كالخصب كما ذهب الى ذلك اكثر المفسرين مثل الطبرى فقد اورد فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا

(١) الارصاد الجوية . د. محمد الفندى ص ١٠

(٢) سنن الترمذى ٥٠٣/٥ ، كتاب الدعوات ، حديث رقم ٣٤٤٩

الرياح لواقع فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم لـه
بخازنين * (الحجر : ٢٢) ما نسبة لابن مسعود رضى الله عنه
قال : " يرسل الله الرياح فتحمل الماء فتجرى السحاب فتدر كما تدر
اللقحة ثم تمطر " . (١)

- وكذلك الرياح تدفع السفن وبالذات الشراعية التى تعتمد فى سيرها
على قوة الرياح واتجاهها . وقال القرطبي " انما زاد تعالى قوله
" بأمره " لأن الرياح قد تهب ولا تكون موافقه فلا بد من ارساء السفن
والاحتياط بحبسها وربما عصفت فأغرقتها بأمره " . (٢) ويؤيد ماذهب
اليه القرطبي قوله تعالى : * وهو الذى يسيركم فى البر والبحر
حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح
عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله
مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين * (يونس : ٢٢)
وعن طريق السفن بالاعتماد على سير الرياح يكون التماس الرزق بالتجارة
التي تتطلب الانتقال فى البلاد بوسائل النقل والتي منها الطائرات
التي تعتمد أيضا على سير الرياح .

- كذلك تعتبر الرياح لواقع كما أشارت الآية فى تقوم بتلقيح الأزهار
فى النبات فتثمر . وكذلك لواقع حيث تقوم بتلقيح السحب بواسطة مدها
بنوى التكاثف وتلقيحها كهربائيا بالجمع بين نوعى الكهربيه الموجبة
والسالبة الموجودة. فى السحب واحداث التفريغ الكهربى وما يصحب
من رعد وبرق كما أثبت العلم الحديث " . (٣)

(١) جامع البيان للطبرى ٢٠/١٤

(٢) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٤٣/١٤

(٣) الكون والاعجاز العلمى للقرآن د. منصور حسب النبی ص ٢٠٤

أما الجوانب المغفرة فى الريح فهى ما تحدثه من تدمير واهلاك وخراب
وذلك بانواع من الريح الرهيبه كالعوامف والإعاصير .

والاعصار عاصفة عنيفة جدا . " وهو يحدث عندما يصطدم هواء شديد
الحرارة والرطوبة بهواء بارد جاف " . (١)

وقد يكون الاعصار عذاب من الله عز وجل قال تعالى : ﴿ فلما
راوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب اليم . تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا يرى
إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ (الاحقاف : ٢٤ - ٢٥)

أما علاقة الماء بأثر الاجرام فيتمثل فى علاقته بالشمس والقمر .
فالأثر الاول وهو الذى يخلقه الله من خلال علاقة الماء بالشمس فهو
أما مباشر وأما غير مباشر فالمباشر مايسمى بدورة الماء فـ فوق
الأرض حيث تقوم الشمس بعملية التبخير المستمر لماء البحار والمحيطات
والانهار والمسطحات المائية بانواعها وتحويل هذه المياه الى بخار ماء
يمعد الى طبقات الجو العليا لتكوين السحب بالتكثيف . وأما الأثر
غير المباشر فهو دور الرياح حيث ان لكل من الشمس والأرض دورا كبيرا
فى حركتها .

فتقوم الرياح بنقل بخار الماء الناتج من عملية التبخير وحمله
الى طبقات الجو العليا لتكوين السحب قال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله
يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله
وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن
من يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار ﴾ (النور : ٤٣) .

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الأرض ص ٦٤

فالأية توضح أن الله سبحانه وتعالى يسخر الرياح لتسوق السحاب بعد أن أوجده سبحانه بالتبخير والتكثيف والتأليف بينه ثم يجمعه على بعفه ثم يخرج من خلاله المطر ويذكر الطبرى عن بعض أهل التفسير قوله "الرياح أربع يبعث الله الريح الأولى فتقم الأرض فما ثم يبعث الثانية فتنشئ سحابا ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما ثم يبعث الرابعة فتمطره " . (١)

والرياح دورها فى حمل وسوق السحاب وهو بخار الماء المتصاعد من المسطحات المائية بالأشعاع الشمسى قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ (فاطر : ٩) .

هذه نعم الله سبحانه توجب الشكر والعرفان لخالق هذا الكون الذى سخر كلا من الشمس والأرض والرياح لانزال مقوم الحياة الأول الا وهو الماء . اما علاقة الماء وتحركه بكل من القمر والشمس فذلك ما يعرف بحركة المد والجزر وهما ظاهرتان معروفتان لسكان السواحل حيث يلاحظ ان مياه البحار والمحيطات تزداد ارتفاعا وتقدما فى بعض الاوقات وهذا هو المد ، ويقل انخفاضها وتراجعها فى اوقات اخرى وهذا هو الجزر ، وهما ظاهرتان غير فجائيتين وانما تحدثان شيئا فشيئا .

فما هو المد والجزر وما الذى يسبب كل منهما ؟

" الواقع ان المد والجزر عبارة عن تحركان لمياه البحار والمحيطات استجابة لقبضه جذب الأرض والقمر والشمس - بتسخير الله تعالى - كما تتأثر فترة مكثه بالعلاقات المتغيرة القائمة بين جذب تلك الاجرام .

وعلى الرغم من أن الشمس هي اكبرها ثقلا نجد أن تأثير المد والجزر

الذى يحدثه القمر اكبر وذلك لقربه العظيم نسبيا من الأرض" . (١)

ومن أهم العوامل المؤثرة على حركة المد والجزر مايلى . (٢)

١ - وضع كل من القمر والشمس بالنسبة للأرض فإذا كان الوضع لهذه الاجرام

على خط مستقيم بحيث تكون الأرض بين القمر والشمس أو القمر بين

الأرض والشمس فان قوة الجذب الواقعة على المياه تكون عالية حيث

يشترك كل من الشمس والقمر فى عملية جذب المياه . واما اذا كان

وضع الشمس والقمر متعامدا بالنسبة للأرض فان الجذب يخف على المياه

٢ - تغير اوجه القمر فالمد يكون فى أقماه فى وقت القمر الجديد -

المحاق - البدر وهذا له علاقة بالعامل الأول .

٣ - تأخر القمر فى الظهور كل يوم خمسين دقيقة تقريبا عن اليوم السابق

يؤدى الى تأخر المد عن اليوم السابق .

٤ - لحركة الأرض تأثير على المد والجزر كما للريح تأثير فى ذلك وكذلك

عمق المياه وشكل الشواطىء .

ومن الفوائد التى تعود على الانسان بتسخير الله سبحانه وتعالى

للشمس والقمر والأرض من هاتين الظاهرتين . (٣)

١ - تنظيف سواحل البحار بازالة الفغلات التى تسبب الأمراض .

٢ - تعيش بعض الحيوانات البحرية كالواقع على السواحل بين حدى

المد والجزر فيقوم الصيادون بحفر الرمال المبتله بعد عمليه

انحسار الماء ويجمعون هذه الحيوانات التى تستعمل كغذاء عند

(١) كتاب المعرفة - الأرض والكون ص ١٦

(٢) ، (٣) خلاصة من المصدر السابق ص ١٦ - ١٧ ، كتاب الماء والحياة بين

العلم والقرآن د. عبدالعليم خضر ص ١٩٧ - ٢٠٢ ، المنهج الايمانى

فى الدراسات الكونية د. عبدالعليم ص ١٧١ - ١٧٧ ، الشمس فى حياة

الانسان ص ٥٠ - ٥٢

بعض الامم .

٣ - للظاهرتين علاقة بنظم الملاحة البحرية فلا بد أن يعرفها الملاحون البحريون بدقة وخاصة عند الدخول فى اى ميناء والخروج منه لان السفن الكبيرة يمكنها ان تدخل كثيرا من الموانى وتغادرها عند حركة المد فقط .

٤ - يستفاد من الظاهرتين فى بعض مناطق العالم لتحريك الطواحين الصغيرة . كما وتستخدم اليوم فى توليد الطاقة الكهربائية .

كما وأن لهذه الظاهرتين أثر فلكى وهو الابطاء من سرعة دوران الأرض بحيث يطول النهار بمقدار لا يذكر وذلك لان حركة المد التى تحدث بمياه البحار والمحيطات عندما تصطدم بحافات القارات فتسبب مقاومة الاحتكاك الذى ينتج عنه حرارة على حساب طاقة دوران الارض حول محورها فيستفيد كمية كبيرة منها فتقل سرعة دوران الأرض . ف سبحانه الله المسخر لجميع هذا الاشياء لخدمة هذا الانسان الخليفة فى الأرض قال تعالى : ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك تجري فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ (ابراهيم ٢٢-٢٣) فمن تسخير الفلك فى جريانها وتسخير الشمس والقمر مايتعلق بظاهرتى المد والجزر .

سادسا : فى مجال التغذية والطاقة :

سخر الله سبحانه الشمس لفائدة الانسان ومن هذه الفوائد عملية الغذاء حيث للشمس بأمر الله تعالى أثر كبير فى ذلك من جانبين هما جانب مباشر وآخر غير مباشر .

أما الجانب غير المباشر فهو يتمثل فى أن زراعة المحاصيل الزراعيه ونفوج الثمار وتنوعها له علاقة وثيقة بتتابع فصول العام المتعلقة بدورة الشمس الظاهرية فكل فصل من فصول العام له ثمار ومحاصيل خاصه به لاتوجد الا فيه . وكذلك بدورة الماء فوق الأرض التى لها علاقة باشعاع الشمس كما أشارنا الى ذلك قال تعالى : ﴿ وهو الذى انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج به حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا ثمر وينعه ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (الانعام : ٩٩) .

أما الجانب المباشر بالنسبة للشمس فى بناء الغذاء مايعرف بعملية التمثيل الضوئى وهى عملية حيوية ضرورية لبناء خلايا النباتات . " تتم هذه العملية بوجود المادة الخضراء التى تعرف باسم الكلوروفيل - اليخضور - ولكى تتم العملية فلا بد من وجود ثانى اكسيد الكربون وضوء الشمس الى جانب المادة الخضراء .

تمتص النباتات أشعة الشمس وتأثير الكلوروفيل يتحلل الماء وثانى اكسيد الكربون الى العناصر الاوليه المكونه لهما وهما الاكسجين والكربون والهيدروجين وتتحد هذه العناصر مرة أخرى فى صورة مخالفه مكونه السكر والنشا والدهن وتستقل النباتات تلك المنتجات لبناء خلاياها وتطلق الاكسجين الزائد اثناء عملية التمثيل الضوئى " . (١)

أما بالنسبة للطاقة فأبسط مظاهرها المعروفة لدى البشر النار التى لا يخفى على أحد منافعها على الانسان اذا ما استخدمت للاستخدام المطلوب . ومن اهم مقومات النار هو الوقود الذى يذكرنا سبحانه

(١) الشمس فى حياة الانسان ص ٦٥ - ٩٦

بنعمة علينا فى تسخير الشجر لذلك حيث قال سبحانه ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ﴾ (ياسين : ٨٠) .
وقال تعالى : ﴿ افرايتم النار التى تورون انتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ﴾ (الواقعة : ٧١-٧٢)
ومن المعلوم ان الشجر الذى يعتبر وقودا مباشرا للنار قد أخذ صوراً عدة منها الفحم والبتروال المستخرجه من باطن الأرض وذلك بمضى الزمن . وهذا الوقود ماهو الا طاقة شمسية مخزن تكفل الله سبحانه وتعالى برعايتها للانسان بعمليات متعددة منها عملية التمثيل الضوئى الذى يعتمد النبات عليها فى بناء خلاياه الحيوية .

اذا فالشمس تدخل فى عملية الوقود دخولا غير مباشر وينتج عنه الطاقة التى يستفيد منها الانسان .

ومع تقدم الانسان فى العلوم بحكم استخلاف الله له فى الأرض يستفيد من خيراتها أخذاً العلوم فى استخدام الشمس كمصدر مباشر للطاقة وذلك فى العديد من المجالات منها :

- توليد الكهرباء عن طريق الخلايا الضوئية التى تأخذ أشعة الشمس وتقوم بتحويلها الى طاقة كهربائية .

- تحلية مياه البحار وذلك عن طريق استخدام الأجهزة الممتصة للحرارة .

- تدفئة البيوت باستخدام الأجهزة الممتصة للحرارة لتسخين الماء حيث يمر فى انابيب داخل حجرات البيوت .

- الافران الشمسية وتعتمد الفكرة على استخدام المجمعات الحرارية كالعذسات والمرآيا .

كما أن هناك مجالات أخرى مازال العلم والتكنولوجيا تكشف عنها

فسبحان الله المسخر لهذا الكون في خدمة الانسان . يقول الله تعالى بعد أن عدد بعض النعم التي جعلها سبحانه للانسان في هذه الارض ﴿ وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم ﴾ (النحل : ١٨) . وقال تعالى : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار ﴾ (ابراهيم : ٣٤)

النتائج المستخلصة من هذا الباب :

يمكن ان نخرج من هذا الباب بنتائج تعتبر كمقدمة للفصل اللاحق
فى شأن العقائد الوثنية وعلاقتها بالفلك وكذلك نستخلص منها بعض
البريدود على النظريات المتعلقة بالفلك فى الجانب العقدي
منها :

أولا : ان هذا الكون له فترة ابتداء وفترة انتهاء وليس هو قديم
أزلى وذلك لما ثبت من علم الفلك الحديث بأن لهذه الاجرام
السماوية اعمارا تؤدي فيها الدور المطلوب منها والذي
كلفها خالقها سبحانه به ثم تنتهى .

ثانيا : ان هذا الكون يجرى حسب سنن الخالق سبحانه وتعالى فيه وليس
له محظ ارادة اختيارية فى اداء وظيفته وانما هو مسخر
لله سبحانه وتعالى .

ثالثا : ليس لهذه الاجرام حياة عاقلة بالمعنى المفهوم لدى الفلاسفة
القدماء وانما هى عبارة صخور واتربة وغازات جعل الله سبحانه
وتعالى فيها بعض المميزات والخصائص خدمة لهذا الانسان
الخليفه فى الأرض من جانب وتذكيرا له وتوضيح من جانب آخر
حتى يكون على بصيرة فى التعامل مع خالقة لما يظهر له من
آيات مطابقة للفطرة التى فطر عليها وهى التوحيد .

رابعا : يوضح لنا جانب من حقيقة الابتلاء حيث ربط سبحانه وتعالى بعض
الآثار المتعلقة بحياة الانسان بهذه الاجرام اختبارا منه لنا
فى كون ارجاع ذلك له والتوجه اليه فى كل حركة من حركات
حياتنا أو التوجه الى هذه الاجرام وارجاع الفضل لها .

الباب الرابع

الفلك والعقائد الوثنية ويشتمل

على الفصول التالية :

الفصل الأول : العلاقة بين تصور الفلك والحقيقة

الفصل الثاني: التنجيم

الفصل الثالث: عبادة الأجرام السماوية

الفصل الاول

العلاقة بين تصور الفلك والعقيدة

ويشتمل على المباحث :

أولا : الفلسفات الالحادية القديمة في تفسير الكون

ثانيا : المعتقدون في الاجرام والقائلون بنفعها

ثالثا : الفلسفات الالحادية الحديثة في تفسير نشأة الكون

العلاقة بين تصور الفلك والعقيدة :

فطر الله سبحانه وتعالى الخلق على الاقرار بوحداية وربوبيته
وأخذ العهد على بنى آدم فى ذلك قال تعالى : ﴿ واذا أخذ ربك من بنى
آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا
ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الاعراف : ١٧٢)
لان بنى آدم هم الطرف الثانى فى الابتلاء الذى من أكبر مجالاته
الابتلاء بالعبادة قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾
(الذاريات : ٥٦) .

ولم يترك الله سبحانه البشر بدون هدايه . وهى الدلالة على
وجوده وتفرد به بالربوبية التى تستلزم اتخاذها يعبدون سواء بلا
شريك . وقد جعل الله تعالى فى الكون الآيات الواضحات التى تدل
على ذلك والتى تتمثل فى الآفاق بما يشملها من فلك واجرام سماوية
وفى الأنفس .

واعقب بذلك أرسال الرسل ومن قبل هذا كله الفطرة الموجودة فى
النفس الانسانية التى أشرنا اليها فقد ورد فى الحديث القدسي عــــن
عياض بن حمار المجاشعي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ذات يوم فى خطبته (الا ان ربي أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى
يومى هذا ، كل مال نحلته عبداً حلال وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم
وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت
لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا) الحديث . (١)
والمقصود بقوله " اجتالتهم " اى ازالتهم عما كانوا عليه

(١) صحيح مسلم ٢١٩٧/٤ - حديث رقم ٦٣

صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٧/١٧ كتاب صفة الجنة باب الصفات التى
يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، مسند الامام احمد ١٦٢/٤

من فطرة سليمة مقرة بوحدانية الله ووقعوا في الغلال كما هو نص رواية الإمام احمد حيث قال " فأضلّتهم " .

فالشیطان قد توعد بنى آدم باضلالهم قال تعالى حاكيا مقالة إبليس ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادة مني المخلصين ﴾ (ص : ٨٢-٨٣) والمخلصون هم اتباع الرسل الذين اتبعوا منهج الاسلام أما الذين كتب عليهم الغلال باغواء الشيطان فقد اختلفوا الى فرق قسمها ابن حزم الى ست فرق . (١) هي حسب الترتيب التالي :

"أولا : مبطلو الحقائق والذين يسمونهم بالسوفطائية .

ثانيا : القائلون بقدّم العالم وأن ليس له مدبر ولا محدث .

ثالثا : القائلون بقدّم العالم وأن له مدبرا قديما .

رابعا : القائلون بأن للعالم أكثر من مدبر .

خامسا : القائلون بحدوث العالم وأن له خالقا واحدا قديما وأبطلوا النبوات .

سادسا : القائلون بحدوث العالم وأن له خالقا واحدا قديما وأن له محدثا

قديما واحدا قديما وأثبتوا النبوات لكنهم خالفوا في بعضها

على سبيل الاقرار والانكار" - والمخالفة المقصود بها مخالفة

أهل السلف - والفلك والاجرام السماوية ما هي الاجزاء من العالم

أو العالمين ، والعالمون كل ما سوى الله عز وجل وهو رب كل ما سواه فكل

ما سواه مربوب له لانه خالقه ومدبره ومالكه ورازقه وهذا بعض ما يتفمنه قوله

تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (الفاتحة : ٢٠) من

معاني .

ويظهر ان الشبه التي أضل بها الشيطان العباد والتي تتمثل في

(١) الاصول والفروع لابن حزم ١٥٢/٢ ، الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

القول بقدم العالم والاختلاف في مدبره ومحدثه . ما جعله سبحانه وتعالى
لهذه الاجرام من تأثيرات على حياة الانسان في جميع مجالاته بطريق
مباشر أو غير مباشر ابتلاء منه سبحانه . وكذلك ما أبدعه الله تعالى
من نظام لهذه الاجرام وحركاتها مما أبهر العقول قديما وحديثا حيث
بدأ الانسان يتطلع الى ملكوت الله عز وجل محاولا استكشاف اسراره فمتهم
من هدى الله هداية توفيق لاتباع الحق والاعتراف بخالق الكون ومدبره
متفقا مع فطرته التي فطره الله عليها ومنهم من اتبع هواه واطاع
شيطانه فأضلّه الله عز وجل ومن ثم أصبح للشيطان عليه سيلا . واستحق
بذلك عذاب الله في الآخرة . من هؤلاء .

أولا : بعض الفلاسفة الملحدين الذين انكروا الصانع وقالوا بقدم العالم ،
وهذا المذهب لازالت له الى يومنا هذا فلسفات ومذاهب تقوم عليه
حيث يلتمس ذلك في بعض النظريات التي يفسر بها وجود الكون
تفسيرا ماديًا .

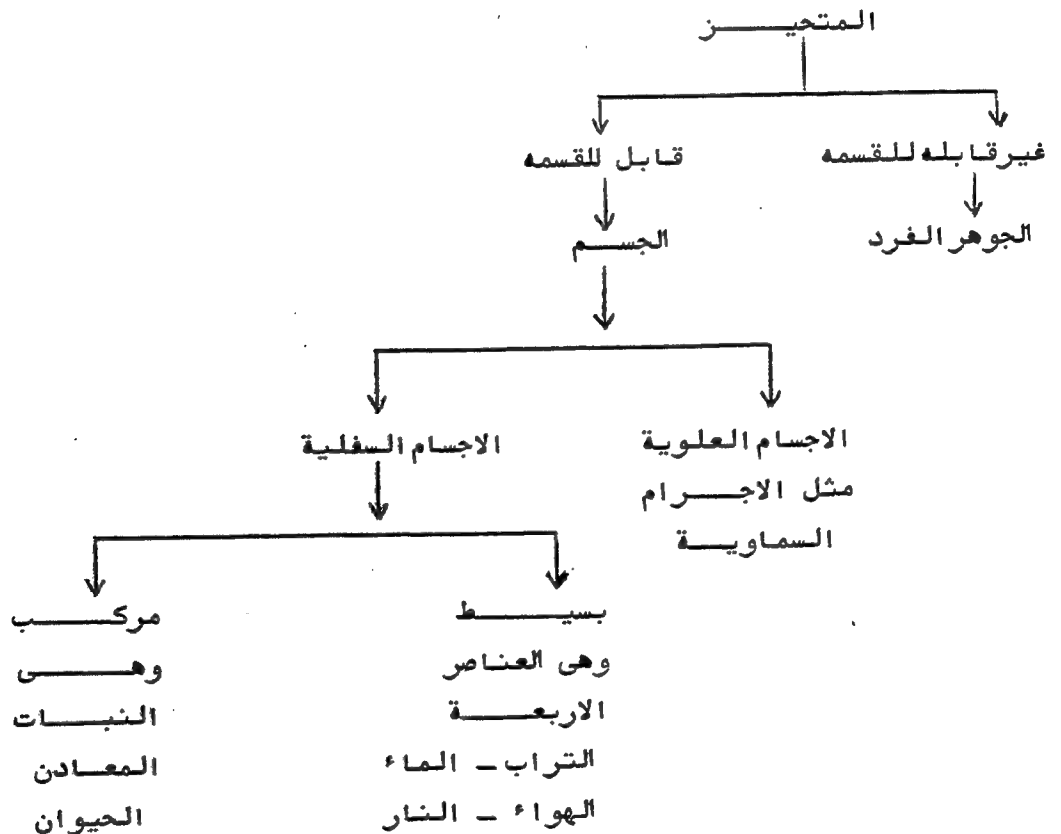
ثانيا : الذين وصفوا الاجرام السماوية بصفات لاتليق الا بالخالق سبحانه
وادعوا اشتراكها معه في التدبير والضر والنفع او على الاصح
ان التدبير كله من الاجرام السماوية وأنها تتشبه بالخالق كمفه
العاشق لمعشوقه ومن ثم عبدوها وهؤلاء هم العابثة عبدة الاجرام
السماوية وغيرهم من القائلين في نفعها .

المبحث الأول

الفلسفات الالحادية القديمة فى تفسير الكون :

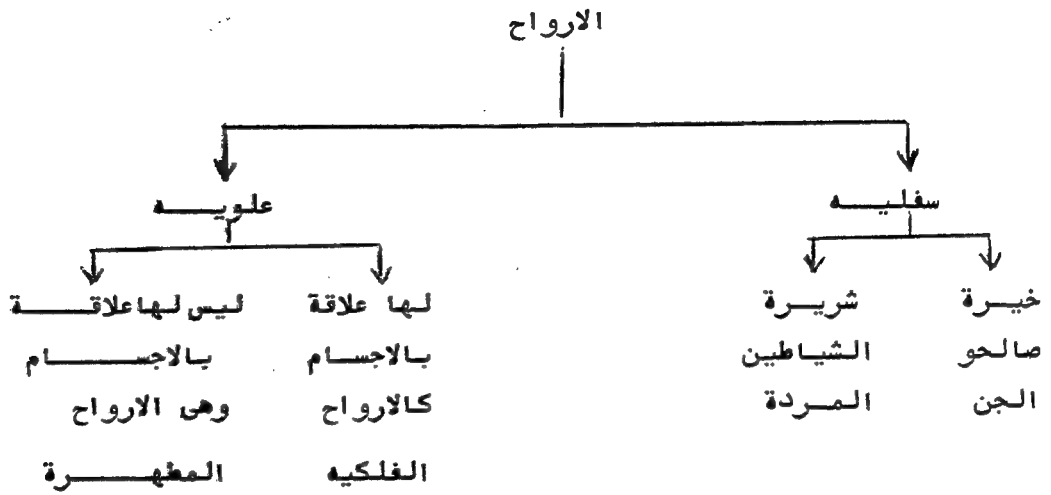
قبل التعرض للفلسفات الالحادية التى وصفت الاجرام السماوية بصفات لا تليق الا بالخالق من دعوى اشتراكها معه فى التدبير والضر والنفع او ان التدبير كله من الاجرام السماوية وأنها تتشبهه . بالخالق كمفة العاشق لمعشوقه . لابد ان نستعرض قول الرازى فى تفسيره عن تقسيم العالمين (١) فقد نقل عن الفلاسفة والمتكلمين بأن العالم كل موجود سوى الله وهو ينقسم الى ثلاثة اقسام :

أولا : المتحيز وهو ينقسم حسب التفريعات التالية



ثانيا : صفة المتحيز وهى الاعراض :

ثالثا : غير المتحيز ولاصفة له وهى :



ونحن لسنا فى مجال الأخذ والرد لهذه التقسيمات وتفتيد الصحيح منها لكننا نلاحظ من خلال التقسيمات دعوى ان للاجرام السماوية ارواحا هى الارواح الفلكية . ويظهر ان اتصاف الاجرام السماوية والافلاك بالارواح والآنفس كان سائدا فى اعتقاد بعض الناس قديما حتى عـصـور متأخره . لذلك نجد صاحب كتاب التعريفات عندما يعرف النفس الناطقة يقول : " هى الجوهر المجرد عن المادة فى ذواتها المقارنه لها فى افعالها وكذا النفوس الفلكيه " . (١)

واذا كان ذلك صحيحا فانه يقتضى ان الافلاك وما بها من اجرام ذات انفس ناطقة وذات حياة تعرف نفسها وتفعل عن اختيار . وهذا مذهب اليه بعض الفلاسفة قديما كما يقول ابن حزم " زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وأنها ترى وتسمع ولاتذوق ولاتشم " . وقال فى موضع آخر " ممن اراء الفلاسفة بالنجوم أنها ناطقة مدبرة وكذلك الفلك " . (٢)

(١) كتاب التعريفات للشريف على بن محمد الجرجاني ص ٢٤٤ - الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ١٤٧/٥ ، ٢٣٣/٢ تحقيق د. محمد ابراهيم نصر ، د. عبدالرحمن عميره ، دار الجيل ، بيروت .

وهم اختلفوا فى تصورهما فبعضهم تصور العالم المحسوس بجميع اجرامه

السماوية كائن حى ذا نفس وجسد وله تدبير وفعل . (١)

وذهب آخرون الى ان لكل فلك عقلا ونفسا وهو ما أوضحه ابن تيمية

حيث قال : " ذكروا العقول العشرة والنفوس التسعة وقالوا : ان العقل

الأول هو الصادر الأول عن الواجب بذاته وانه من لوازم ذاته ومعلول له

وكذلك الثانى عن الأول وان لكل فلك عقلا ونفسا " . ويقول فى موضع

آخر " ويزعمون أن للفلك نفسا تحركه كما للناس نفوس ، لكن قدماءهم

يقولون : ان نفس الفلك عرض قائم بالفلك كنفس البهائم وكما يقوم

بالانسان الشهوة والغضب ، ولكن طائفة منهم زعموا أن النفس الفلكية

جوهر قائم بنفسه كنفس الانسان " . (٢)

والقول بمرور حياة للاجرام لا نزاع فيه لكنها ليست حياة كحياة

الاحياء وانما لها اعمار وآجال تنتهى بانتهاؤها لما اقتضته سنة الله فى

الكون .

والدراسات الفلكية تخبرنا ان هذه الاجرام ماهى الا عبارة عن

صخور وأتربة وغازات اعطى الله سبحانه وتعالى لكل جرم منها صفه

وميزة يتميز بها عن الاجرام الاخرى وتركيبا مغايرا لكن ليس من كـل

الوجوه وانما من بعضها حتى يظهر وجه التشابه والاختلاف فيما بينها

ليبدو بعض اوجه حكمه الله فى ذلك وصنع ابداعه وجعل الكون فى هذا

النظام المتقن الدقيق الذى يدل دلالة واضحة على خالقة ومديره .

ولم تشر هذه الدراسات ان للاجرام السماوية انفسا وعقولا تميز بها

(١) القضاء والقدر فى الاسلام . د . فاروق احمد الدسوقي ١٦٠/٣ - الطبعة

الثانية ١٤٠٦ هـ - المكتب الاسلامى - بيروت ، مكتبة الخانسي

الرياض - الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية عام ١٤٠٥ هـ .

(٢) نقض المنطق لابن تيمية ص ٩٩ - مكتبة السنة المحمدية - القاهرة

مجموع الفتاوى ٢٧٣/٩

حتى ولم تثبت وجود اى نوع من انواع الحياة عليها ، وان كان البعض يتوقع ذلك . وليس لهؤلاء ادلة علمية ترجح توقعهم حتى الآن .

أما للاجرام عقولا ونفوسا وتميزا فهذا لا يكون اذ كيف لصخر وتراب وغاز ان يميز ويعقل كتميز الانسان المتصف فعلة بالاختيار فى أغلب شؤونه . وادعائهم هذا مبنى على انها تدبر حياة الانسان كما ذكر ابن حزم عنهم حيث قال محتجهم " لما كنا نعقل وكانت النجوم تدبرنا كانت اولى بالعقل منا " . (١)

والتدبير فى اللغة : هو النظر فى عاقبة الأمور كما يشير صاحب المقاييس بقوله " والتدبير أن يدبر الانسان أمره وذلك بأنه ينظر الى ما تصير عاقبته وآخره " . (٢)

اما اطلاق صفة التدبير لله سبحانه وتعالى فذلك بما يلائم جلاله وعظمته حسبما وردت بها نصوص الوحي من غير تشبيه . وهى من صفات الأفعال قال تعالى : ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون . يدبر الامر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ﴾ (السجدة : ٤ - ٥) .

ونسب التدبير للاجرام كفر بالله سالب لأصل الايمان لأن المعتقد فى تدبير الاجرام جعل الأمر لها أو على الاقل أشركها مع الخالق فى تدبير الأمر والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه

(١) الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ٢٣٨/٢

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٣٢٤/٢

حشيشا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر

تبارك الله رب العالمين ﴿ (الاعراف : ٥٤) ٠

ولا أحد ينكر ما للأجرام السماوية من تأثير على حياة الإنسان

وقد أثبت خالقها لها ذلك على وجه التسخير منه لا الاختيار منها وفي

كتاب الله ما يدل على هذا قال تعالى : ﴿ فالفلق الاصباح وجعل الليل

سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ٠ وهو الذى

جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات

لقوم يعلمون ﴿ (الانعام : ٩٦ - ٩٧) ٠

وتأثيرها كتأثير النار بالاحراق والطعام بالتغذية ٠ اما نسب

التدبير للأجرام فان ذلك يدل على اثبات فاعلية لها عن اختيار ٠

والقول بالفاعلية المختارة للأجرام والفلك نتج عنه فساد فى

مفهوم الألوهية عند بعض الفلاسفة ومن تبع أثرهم وهو الشرك والاحاد

بعينه ٠

ويظهر ان فساد تصورهم يرجع أيضا الى القول بأن حركة هذه الاجرام

فى افلاكها هى حركة اختيارية وليست حركة اضطرارية قسرية ٠ فقد نقل

من اقوالهم " لا يمكن ان يكون فى السماء شئ يجرى قسرا " وكذلك

" الحركة القسرية لا تدوم فى ذاتها بل يعرض لها البطلان وكذلك كل شئ

قسرى " ٠ (١)

ويبدو ان حكمهم على أن حركة الاجرام والافلاك حركة غير قسرية

يعتمد على ملاحظاتهم للحركات الظاهرية للأجرام فى افلاكها فهى للمشاهد

دائمه ٠ مع قياس ذلك عقلا على التصور الكمالى للإنسان فى تحركاته ٠

(١) القضاء والقدر ٠ د. فاروق الدسوقي ٢٦٦/٣

وعلم الفلك الحديث يظهر لنا فساد تصورهم فى ذلك . فمثلا حدوث الانفجارات النجمية الهائلة التى تدعى بالسوبر نوفا والتى تلقى النجوم الكثير من طاقتها بشكل اشعاعات ومواد تلقى فى الفضاء الكونى والتى تفيدنا بأن هذه الاجرام مقسورة على فعلها ليس لها فيه اختيار اذ لو كانت كذلك لما حدث لها هذه الانفجارات وخرجت عن مداراتها ————— والقت بمادتها الى الفضاء .

كذلك يشرح لنا كيفية بقاء الجرم السماوى فى مداره حيث يقع كل جرم سماوى تحت تأثير قوتين تجعله يسير فى مداره بهذه الصفة الدائمة الى الأجل المعلوم الذى يريده خالقة منه على صورة مترننه بحيث لو تغلبت أحد القوتين على الاخرى فان الجرم السماوى يخرج عن مداره وتنتهى صفة الدوام فى حركته بحيث ينتثر أو ينكدر كما يشير الى ذلك التعبير القرآنى فى وصف نهاية الكواكب والنجوم حيث تسرع الى حالة الاستقرار وهو عدم الحركة لانتهاء وظيفتها .

هاتان القوتان تتصف بالتساوى فى المقدار والتأثير المغاد على الجرم السماوى وهما الطاقة الحركية للجرم وقوة الجذب من الجرم لجرم آخر كما هو واضح من نظام الكون . فالشمس فى المجموعة الشمسية هى التى تجذب الكواكب اليها والكواكب بدورها تحاول الافلات من هذا التأثير بما يتمثل فى طاقة حركتها ومن هاتين العمليتين يحدث التوازن الذى يؤثر فيه أيضا مواضع الاجرام بالنسبة الى بعضها فهى مرتبه مكانيا بنسب متقنه بحيث لو زادت أو نقصت هذه المسافات بمقدار صغير جدا لحدث ان انتهى التوازن فى الكون .

والفضاء الكونى الذى تسبح فيه هذه الاجرام رغم ما فيه من غبار

وغازات وطاقه بمختلف انواعها الا انه يعتبر فراغا اكمل من اى فراغ
يمكن تحقيقه فى المختبرات بالاستعانة بأحدث المعدات ، كل ذلك حتى
لا يكون هناك عائق يؤثر على حدوث خلل فى حركة الاجرام ما لم يأذن بذلك
خالق الكون .

فهل يعقل ان يكون هذا الاتقان من فعل الاجرام وماهى الا اشكال متنوعة
من المادة والطاقه ؟

وهل يعقل ان يكون هذا الاتقان صدفه ؟

ان القول بالحركة الاختيارية للاجرام فى افلاكها دعوى باطله حيث
ثبت علميا أنها حركتها قسرية وقد ذكرنا فى الفصل السابق ان حركه
الاجرام تدخل تحت الحركة غير الارادية بمعنى أنها مسخرة ونصوص الوحى
تثبت ذلك وتبينه فى اكثر من موضع قال تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾
(النحل : ١٢) .

إذاً فالتدبير يكون لله سبحانه وليس للاجرام تدبير لما فى
الأرض لكونها مسخرة وليست مختارة فى حركتها . وهذه عقيدة المسلم فى
الاجرام التى تخالف عقيدة الصابئة فى كون الاجرام مدبرة لما فى الأرض التى
أدت بهم الى الشرك والالحاد والتى سنفرد لها مبحثا لاحقا .

وفساد مفهوم الالهية عند القائلين بالفاعلية المختارة للاجرام
والفلك يكمن فى نظريات تؤدى الى نفي صفات الكمال عن الله تعالى
وتعطيلها . سببها الفهم الخاطىء والباطل للفلك هذه النظريات الباطلة
التي أدت بأصحابها الى الشرك والالحاد هى :

١ - العلل الاربع ومبدأ حتمية صدور المعلول عن العلة .

٣ - الفيض والصدور

٢ - التولد

النظرية الاولى العلل الاربع :

والعلل المقصودة هي :

- العلة الغائية مثل بناء البيت لغاية السكن .
 - العلة الفاعلية مثل استدعاء النجار لعمل نافذه المنزل .
 - العلة المادية مثل احتياج كون شئ خشبا كونه مادة .
 - العلة الصورية والمقصود بالصورة الماهية اذاً المقصود بالعلة هنا هو كون الشئ متشكلا بما يبرز ماهيته .
- وما يهمنا من هذه النظرية هو الجانب الفلكى وعلاقته بالاله الخالق وهو ما يتمثل فى العلة الغائية والعلة الفاعلية .

فالاله بمفهوم القائلين بهذه النظرية هو محرك أول يحرك العالم دون أن يتحرك بمعنى أنه علة غائية ويكون دورة فى التحريك " كما يحرك المعشوق والمعقول دون أن يتحركا " (١) ويكون علاقة الفلك والاجرام بالاله علاقة شوق والاله بالنسبة للاجرام السماوية معشوقا لها مسلوب الفاعلية " حيث تشتت السماء أن تحيا كحياته ما أمكن لها ذلك لكنها لاتستطيع لماديتها فتحاكيها بالتحرك حركة متصلة مادية هي "الحركة الدائرية" فهو غاية العالم القصوى لأنه علة الخير فى العالم ، فاننا نرى كل شئ منظم فى ذاته ونرى الأشياء منظمة فيما بينها " (٢) ودور هذه الاجرام والفلك غير التشبه بالاله ، فعلها من أثار فى الشئ الطبيعى على الأرض بمعنى كونها علة فاعلية أى أن حركة الشئ على الأرض مرتبطة فى النهاية بحركة الاجرام . " ان آخر الاجسام المحرك لما يليه من المتحركات يتحرك أيضا

(١) القضاء والقدر د. فاروق الدسوقي ٩٨/٣ نقلا عن كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو .

(٢) المصدر السابق ٩٩/٣

لكن لا يتحرك الا بالحركة المكانية فقط دون غيرها ، ولا تكون حركتها
المكانية مستقيمة ، بل يتحرك حركة مستديرة " . (١)

هذه الحركة المستديرة ليس مصدرها الاله - حسب زعم القائلين -
بالنظرية - وانما هي حركة ذاتية دون تدخل الاله " والحركة المستديرة
مبدوها القريب نفس في الفلك تتجدد تصوراتها وارادتها ، وهي كمال جسم
الفلك وصورته " . (٢) وهذه الحركة المستديرة غير منتهية لكون النفس
الفلكية تعقل عن المحرك الاول - الاله - فتكسب بذلك قوة غير منتهية
" والقوة التي في النفس متناهية لكنها بما تعقل الاول فيسيح عليها
نوره دائما فصارت قوتها غير متناهية ، فكانت الحركات المستديرة أيضا
غير متناهية " . (٣)

فحاجة الفلك والاجرام للاله - حسب زعم القائلين بالنظرية - كونه
علة غائية للتشبه كالمؤتم بالامام للبقاء على الكمال " والتشبه بالخير
الاقصى - الاله - يوجب البقاء على اكمل كمال ، ولم يكن هذا ممكنا
للجرم السماوي بالعدد ، فحفظ بالنوع والتعاقب ، فصارت الحركة حافظة
لما يكون من هذا الكمال ، ومبدوها الشوق الى التشبه بالخير الاقصى
في البقاء على الكمال ومبدأ الشوق هو ما يعقل منه " . (٤)

والمقصود من هذا الكلام ان الاجرام السماوية لاتستطيع البقاء في اكمل
كمال نظرا لكثرتها والاله يتصف بالاحدية لكنها استطاعة المحافظة على شيء
من الكمال في اتصافها بالتعقل وهو نوع ما يتصف به الاله - تعالى الله

(١) المصدر السابق ٩٥/٣

(٢) الملل والنحل للشهر ستاني ١٩٢/٢ - تحقيق محمد كيلاني - طبعة
١٤٠٢ هـ - دار المعرفة - بيروت .

(٣) الملل والنحل للشهر ستاني ١٩٢/٢

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

عن ذلك - وكذلك حفظت بعض الكمال بالتعاقب والمقصود به حركتها

المستديرة حيث هي في حركتها متشوقة الى الاله .

هذه الحركة - عندهم - هي المسببه لوجود الحياة على الأرض " ويلزم

عن حركتها - اي الاجرام السماوية - وجود هذه الكائنات "(١)

ويظهر من هذا الاستعراض أنهم وقعوا في المحاذير الآتية :

١ - وصف الله تعالى بما لا يليق بجلاله وعظمته حيث جعلوه عقلا محضاً

لا يعلم شيئاً سوى ذاته مسلوب الارادة والقدرة والفاعلية .

٢ - نسب ما يحدث في الكون من تدبير للاجرام السماوية والافلاك .

٣ - وصف الاجرام والفلك بالاختيار لكونها تمتلك نفساً عاقلة .

٤ - اعطاء حركة الاجرام صفة الدوام اللانهاهي بمعنى انها ازليـه

أبدية وهذا الجانب ما يتفق مع النظريات الالحادية الحديثة في تفسير

الكون والتي سترد في مبحث لاحق .

نقد نظرية العلل الاربع :

بناءً على المعلومات الفلكية الحديثة في علم الفلك بما يتعلق

بالمكونات الاساسية للاجرام السماوية فان الصفات التي نعتت بها الاجرام

والفلك من كونها عاقلة ذات نفس عاشقة تشبه بالاله للوصول الى الكمال

بما يحدث فيها من حركة دائرية وبما تحدثه في الكون من أثر منقوضه

مردودة . لكون هذه الصفات تدل على الاختيار مع أن حركة الاجرام

الدائرية ما هي الا حركة قسرية اجبارية لكونها مسخرة كما دلت على

ذلك نصوص الوحي وثبت علمياً من خلال نتائج علم الفلك الحديث .

ونعرب مثلاً لتوضيح حركة كل جرم سماوي في الفضاء تحت تأثير قوتين

متساويتين فى المقدار ومختلفتين فى الاتجاه بتجربة الدلو الممتلئ الى منتصفه ماء ولفه بحركة دائرية سريعة فى الهواء فان الماء سيظل فى الدلو حتى ولو كان مقلوبا . واذا بطأت الحركة الدورانية فسينسكب الماء .

ان الماء يمثل الجرم السماوى وسرعة تلفيف الدلو تمثل السرعة المدارية للجرم السماوى حول جرم آخر والذراع واليد اللتان تقوم بعملية التلفيف تمثلان قوة الجاذبية . وما دام الجرم السماوى متحركا بالسرعة الكافية التى سنها الله له فان القوة الطاردة المركزية الناتجة عن حركته والتى تحاول ابعاده فى الفضاء ستوازن دائما - الى أن يحين انتشاره او انكداره فى الوقت المعلوم الذى كتبه خالقه - قوة الجاذبية وتحفظه فى مداره .

اذا الكمال المزعوم لدى القائلين بهذه النظرية الذى احتفظت به هذه الاجرام بهذه الحركة الدائرية ليس من ذاتها بل من تدبير خالقها وتسخيرها الذى له العلم الكامل والاحاطة الكاملة بكل جزئية فى هذا العالم وهذا جانب مما يتضمنه معنى ربوبيته سبحانه للعالمين .

واذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ ان الله لا يستحي ان يغرب مثلا مبعوضه فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يغل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يغل به الا الفاسقين ﴾ (البقرة : ٢٦) .

نجد كمال العلم والاحاطة بالجزئيات فى هذا الكون والرد على من زعم ان الله سبحانه لا يعقل شيئا الا ذاته . اذا قورن ذلك بين الكون بجميع اجرامه وبين البعوض الذى لاتعتبر الا جزءا بسيطا يكاد لا يذكر فى هذا

الكون ورغم ذلك فهو محيط بها وبما هو أصغر منها اذا فهم معنى الفوقيه من جانب عكس بمعنى أصغر من البعوضه بشيء كثر .

أن الآيه تغيد الخبر منه جل ذكره أنه لا يستحق أن يضرب فى الحقيق من الأمثال صغيرها وكبيرها ابتلاءً بذلك عباده واختباراً منه لهم ليميز به أهل الايمان والتصديق من أهل الكفر والضلال الذين يزعمون عدم احاطته وعلمه وفاعليته وارادته ونسب ذلك للفلك والاجرام المتشوقه بحركتها للتشبه بالاله لاستكمال وجهه النقص فيها .

النظرية الثانية نظرية التولد :

تعتمد هذه النظرية أساساً على منطوق نظرية العلل بحيث ان فعل الاله يحدث فى الكون من خلال سلسلة متناسقة من العلل منها القريب المباشر ومنها البعيد المنفصل وآخر العلل هو الفلك حيث أنه المؤثر المباشر فى الحياة على الأرض عن ارادة واختيار . ولنستعرض اقوال القائلين بهذه النظرية حتى يتضح لنا مفهومهم فى تسلسل هذه العلل لتفسير العناية الالهية بالعالم " فأما أولها فمن باريه تعالى وبعض عن بعض فان الأول منها ينفعل فينفعل عنه آخر وينفعل عن انفعال ذلك آخر وكذلك حتى ينتهى الى المنفعل الأخير منها " وأيضا " فأما البارى تعالى فهو العلة الاولى لجميع المفعولات التى بتوسطه والتى بغير توسطه بالحقيقة لأنه فاعل لامنفعل البتة الا أنه علة قريبه للمنفعل الأول وعلة بتوسط لما بعد المنفعل الأول من مفعولاته " . (١)

ويكون التسلسل فى العلل حسبما ورد فى هذا الكلام .

العلة الاولى " الاله " بزعمهم يتولد عنه الفعل الأول يتولد عنه

الفعل الثانى يتولد عنه الفلك المؤثر فى الحياة على الأرض .

نقد نظرية التولد :

ان القول بالتولد يلزم قائله بأن فعل الله في الكون فعل آلى ليس فيه ارادة واختيار حيث سمى البارى تعالى العلة الاولى لجميع المفعولات ذلك " لأن اطلاق اسم العلة على الفاعل يستتبع قولنا بصـدور مفعلوه عنه صدورا آليا كصدور المعلول عن العلة وفى هذا الغاء لعلمه وارادته المختارة ونفى لفاعليته " . (١)

وفعل الله سبحانه يتصف بالعلم الشامل قال تعالى : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ . الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقـدوره تقديرا ﴿ (الفرقان : ١ - ٢) .

فآليات بعد أن أثبتت ان السموات والأرض وما فيها ملك لله نـفست كون الولد والشريك لله كما أثبتت العلم الشامل فى تقدير الاشياء المخلوقة له سبحانه الدالة على مطلق الفاعلية والاختيار .

كما ان الوقوع فى دائرة الشرك التى نهى الاسلام عنها متمثلا فى القول بهذا المنطوق حيث جعل من العقل الكلى للكون والنفس الكلى والفلك اكفاء لله فى الفعل والله سبحانه غنى عن الشريك فقد الزم عباده بنفى الشريك عنه فقال تعالى آمرا رسوله ابراهيم عليه السلام ﴿ واذبوا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع والسجود ﴾ (الحج : ٢٦) .

مهما كان هذا الشريك لما دل عليه لفظ " شيئا " فكيف بمن يزعم باطلا بكون العالم له عقل ونفس تشترك مع الله سبحانه فى الفعل .

(١) القضاة والقدر ١٩١/٣

والرسول صلى الله عليه وسلم يخبرنا فى الحديث القدسى عن ربه عز وجل (أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب) . (١) هذا حال من قال فكيف بممن اعتقد فى تدبير الاجرام كقولهم " علة كوننا الفاعلة نطقنا الذى هو نوعنا " . وليس هو مفهوم بمعنى التسخير من خالقها للتأثير فى الحياة على الأرض لكنه تأثير فيه الاختيار والفاعلية عن تدبريكونها عاقلة ذات نفس وادراك .

النظرية الثالثة نظرية الفيض والصدور :

ومن النظريات الالحادية فى الفلسفات القديمة التى يدعى أصحابها تفسير العلاقة بين الاله والفلك نظرية الفيض والصدور حيث ينسب اصحاب هاتين النظريتين الفاعليه الكامله المختاره للاجرام السماويه والفلك . فهاتان النظريتان ترتبطان فيما بينها لتفسير هذه العلاقة . ونظرية الفيض عند هؤلاء كما يوضحها ابن تيمية تتمثل فى قولهم " ان الرب لايفعل شيئا بمشيئته وقدرته وليس عالما بالجزئيات ولايقدر أن يغير العالم بل العالم فيض فاض عنه بغير مشيئته وقدرته وعلمه وأنه اذا توجه المستشفع الى من يعظمه من الجواهر العاليه كالعقول والنفوس والكواكب والشمس والقمر فانه يتصل بذلك المعظم المستشفع به فاذا فاض على ذلك مايفيض من جهة الرب على هذا من جهة شفيعه . ويمثلونه بالشمس اذا طلعت على مرآة فأنعكس الشعاع على المرآة على

(١) صحيح مسلم ٨٣/١ - حديث رقم ١٢٥

صحيح مسلم بشرح النووي ٥٩/٢ - كتاب الايمان باب كفر من قال مطرنا بالنوء .

موضع آخر فأشرق بذلك الشعاع فذلك الشعاع حصل له من مقابلة المـرآة وحصل للمرآة بمقابلة الشمس " . (١)

ويظهر من هذا المنطق ان مفهوم الفيض يعنى بلغة العصر عـمـل اوتوماتيكى الا انه لا يحدث كما يحدث فى الآلة حيث تحتاج طاقة للانتاج وانما صفته كمفة خروج الماء من النبع .

واما نظرية الصدور تتمثل فى أن الواحد لا يصدر عنه الا واحد وخلاصة قولهم فى ذلك " أن أول الموجودات عن الأول واحد بالعدد . وذاته وما هيته وحدة لافى مادة فهى عقل . ومن الموجودات أجسام وكل جسم يجب بغيره وحيث أنه لاسبيل لوجوده الا بواسطة وهذه الوسطة واحـدة فبالحرى أن تكون المبدعات الثانية والثالثة وغيرها اثنتين فيها ضرورة " . (٢)

وفى هذه النظرية يظهر دور الوسائط بين الاله والعالم المحسوس وذلك بيقاع اللزوم على فعل الاله بحيث أنه واحد فلا يصدر عنه الا واحد وفعله ماهو الا عبارة عن فيض .

فالعلاقة بين الاله والعالم حسب النظرية تقوم على الحتمية بحيث يحكمها مبدأ حتمية صدور المعلول عن العلة التى هى لب نظرية الفيض والصدور . التى نتج عنها القول بالعقول العشرة .

يقول قائلهم " أن الجسم من حيث هو لا يكون مبدأ الجسم ولا يكون متوسعا بين نفس ونفس . ولو أن نفسا كانت مبدأ لنفس بغير توسط الجسم قلها انفراد قوام من دون الجسم وليست النفس الفلكيه كذلك فلا تفعل

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠٤/٩

(٢) الملل والنحل للشهر ستانى ١٨٧/٢ - ١٨٨

شيئا ولا تفعل جسما فان النفس متقدمة على الجسم فى المرتبة والكمال^(١) واذا رجعنا الى تصورهم فى الفلك بأن لهذه الاجرام السماوية انفسا يظهر لنا المراد من كلامه هذا فهو يقصد ان الجرم السماوى مركب من جسم ونفس .

فالجرم السماوى وجوده ليس من كونه جسم لانه الجسم مادة لها طبيعته عدميه وليس من كونه نفس رغم انها كمال وصورة للفلك كما هو تصورهم . وهذا المراد مع التجاوز فى أن للفلك نفسا كلام مقبول لو أرجع ذلك الى فعل الله وأنه مبدىء كل شيء لكنه يرجعه الى شيء آخر هو العقل الجواهر المفارق على حد تعبيرهم . يقول فى ذلك " فتعين أن للافلاك مبادئ غير جرمانيه وغير صورة للاجرام - أنفس - والجميع مشترك فى مبداء واحد وهو الذى نسميه المعلول الاول والعقل المجرد ويختص كل فلك بمبداء خاص فيه ويلزم دائما عقل من عقل حتى تتكون الأفلاك باجرامها ونفوسها وعقولها وينتهى بالفلك الأخير ويقف حيث يمكن ان تحدث الجواهر العقلية منقسمه متكثرة بالعدد " . (٢)

ويقول آخر " والاكر - جمع كره - تسع لما دل الرصد عليها . فالعقول المفارقة عشرة تسعة منها مدبرات النفوس التسعة المزاولة وواحد هو العقل الفعال " (٣) والعقل الفعال هو عندهم مبدع ماتحت فلك القمر والاكر - جمع كره - التسع المشار اليها تقوم على المعلومات القديمة عن الفلك والتي تعتبر الأرض فى مركز العالم حيث لاتعتبر كوكبا من الكواكب مع الاعتراف بكريتها وان الافلاك تحيط بها . اولها فلك القمر

(١) الملل والنحل ١٨٩/٢

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق ١٢٥/٢

يليه فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل ثم

فلك النجوم الثوابت فيكون ترتيب العقول على حد زعمهم :

أولا : العلة الاولى " الاله " .

ثانيا : المعلول الاول والعقل المجرد مدبر فلك الثوابت .

ثالثا : المعلول الثانى وهو عقل ومدبر فلك زحل .

رابعا : المعلول الثالث وهو عقل ومدبر فلك المشتري .

خامسا : المعلول الرابع وهو عقل ومدبر فلك المريخ .

سادسا : المعلول الخامس الخاص بفلك الشمس .

سابعا : المعلول السادس الخاص بفلك الزهرة .

ثامنا : المعلول السابع الخاص بفلك عطارد .

تاسعا : المعلول الثامن الخاص بفلك القمر .

عاشرا : المعلول التاسع العقل الفعال مبدع ماتحت فلك القمر .

فالاله - تعالى الله عن ذلك - يفيض فيصدر عنه الاول والاول بشوقه

للتشبه به يفيض مثله وهكذا حتى العقل الفعال ثم تتوقف السلسلة ويكون

العقل الفعال هو الذى يختص بما تحت فلك القمر اى الارض من تدبير امره .

نقد نظرية الفيض والصدور :

ومن الاعتراضات على قولهم بالفيض والصدور فى الوسائط بين الله

تعالى وخلقه مع ان هذه الوسائط جزء من خلقه مع أنهم لم يقولوا بالخلق

وانما قالوا بالفيض افكار تتعلق بعلم الفلك والمعلومات القديمة

فيه التى بنوا عليهم فكرتهم بالفيض والصدور .

النقد العلمى للنظرية :

ان النجوم كثيرة العدد بحيث تتحرك فى الفضاء على شكل تجمعات كل

تجمع يؤلف مجموعة من النجوم تعد بالملايين وهى غير الكواكب بحيث ان كل نجم له فلك خاص به فلماذا لا يكون لكل منها عقل بحيث تصبح العقول اكثر من عشرة اى عقول غير معروفة العدد . كما ان مركز الكون ليس هو الأرض - كما عرف من معلومات الفلك القديم والتي ثبت خطأها حديثا - من حولها الافلاك تحيط بها وانما مركز المجموعة الشمسية هو الشمس التى تعد نجم من النجوم وليس كوكبا من الكواكب وهى تغم تسع من الكواكب ليس القمر منها وانما هو تابع لكوكب الأرض ، فيكون بذلك مجموع اعضاء المجموعة احد عشر عفوا غير التوايح الاخرى للكواكب فيخص كل منها عقل حسب زعم القائلين بنظرية الفيض والصدور تضاف الى عقول افلاك النجوم فيصبح لدينا من العقول عددا غير معروف .

فان قالوا الحركة للفلك والنجوم فى فلك واحد ثابتة وحركتها بحركة الفلك كما هو قول بعضهم " ان الدوائر تتحرك فقط وان الكواكب ساكنة مشدودة مركزه موثقه فى الدوائر تسلك بها الدوائر " (١).

قلنا الدعوى باطله وذلك لان النجوم ليست ثابتة فى فلك واحد وان ظهر ذلك من قبة السماء حيث تبدو كذلك وانما هى متحركة بسرعات مختلفة ولكن نظرا للبعد الشاسع بيننا وبينها فانا لانلاحظ هذا التحرك . كما ان حركتها فى افلاكها وتغير مواقعها يحدث بنسب متقنه بحيث لا يلاحظ مدى الابعاد التى تحدث فيما بينها .

وام حركتها بحركة الفلك فالفلك ماهو الا مدار للجرم السماوى فى السماء بمعنى ان الفلك هو الحيز المكانى فى الفضاء الذى يشغله الجرم اثناء دورته حول جرم آخر هو مركز مداره فى الفضاء فحركة الجرم ليست

(١) ارسطوطاليس فى السماء والآثار العلوية ص ٢٥٩ - تحقيق عبدالرحمن بدوى - الطبعة الاولى ١٩٦١م - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

بحركة. الفلك وليس الفلك مشدود مركزه موشق فى الفلك. وانما هو سابع فيه

النقد العقلى الفلسفى :

ان التناقض واضح فى القول بالمدور حيث قالوا لا يصدر عن الواحد
الا واحد لكنهم أثبتوا أن المعلول الاول بزعمهم عقل مجرد اى بسيط غير
مركب قد فاض عنه عقل ونفس وفلك وهؤلاء ثلاثة وليسوا واحد " فان قيل
ان لهذا العقل تعقلين أو ثلاثة تعقلات مما نجم عنه صدور ثلاثة من هذا
العقل ، قلنا الاول - الاله بزعمهم - له تعقلات أيضا ، تعقله لذاته
وتعقله لغيره ، وله علمان ، علمه بذاته وعلم بغيره ومن ثم يلزم عن
الاله اثنان وليس يلزم عنه صادر واحد " . (١)

كما أن هناك تناقض فى القول بالفيض فالعقل الفعال العقل الأخير
بسيط غير مركب اى " وجود لا فى مادة وهو يتعقل الاول مثل سابقه فلم
لا يفيض مثلهم عقلا آخر وهكذا" الى سلسلة غير منتهية من الفيوضات . (٢)
ما هو السر فى توقف مفعول الفيض عنده ؟ ولماذا لم يصدر هذا العقل
فيضا ؟

انه تعسف يتعارض مع منطق المذهب القائل بالفيض والصدور .
قال تعالى : ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم
القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه الله وتعالى عما يشركون ﴾
(الزمر : ٦٧) .

وقد ذهب بعض الفلاسفة واتباعهم الى ان العقول العشرة عند الفلاسفة
هى الملائكة عند الانبياء زعماء للتوفيق بين العقول العشرة عندهم

(١) القضاء والقدر - د. فاروق الدسوقي ٢٦٣/٣

(٢) المصدر السابق ٢٦٢/٣

والملائكة فى خلال عرفة نظرية الصدور حيث يقسم الوسائط مع الاله النسى ثلاث درجات يأتى فى الدرجة الثالثة العقل الفعال فيقول " وفى الدرجه الثالثة يوجد العقل الفعال فى الانسانية المسمى بالروح القدس وهو الذى يصل السماء بالأرض " . (١)

وبالرجوع الى نصوص الوحي نجد ان الملائكة كما ورد فى القرآن الكريم فى اكثر من موضع يخالف ماذهب اليه هؤلاء الفلاسفة من كونهم عقول بالمعنى المراد من نظريتهم فقد قال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحه مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير ﴾ (فاطر : ١) .

ومعلوم ان الرسول منفذ لأمر من أرسله أما أنه يفعل من تلقاء نفسه ويدير بذاته بدون الرجوع الى أمره فذلك وصف ليس فى الملائكة وهذا يخالف لقولهم بالفاعلية لهذه العقول .

كما ان الله سبحانه وتعالى وصف الملائكة بكونهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول قال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ (الانبياء : ٢٦-٢٧) كما ان عدد الملائكة لا يعلمه الا الله وأما العقول التى قال بها أهل الفيض والصدور هى عشرة .

الفرق بين التولد والصدور :

مع كون كل من الصدور والتولد يناقيا عقيدة التوحيد ويؤدى الى الشرك الا ان هناك فرقا بينهما . فالتولد وان كان يثبت نوعا مــــن

(١) تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب - محمد لطفى جمعه ص ٣٥

العناية الالهية بالكون عن طريق الوسائط وهذا هو الشرك حيث الوسائط

مشاركة لله في فعله وتديره .

أما الصدور فانه لا يثبت عناية الهية للكون وانما ينسب كل العناية

للوسائط على انها تعقل وتتشبهه بالاله بزعمهم الذي ليس له دور الا في

الالى للعقل الأول .

المبحث الثاني

المعتقدون في الاجرام والقائلون بنفعها

أولاً : معتقدات الصابئة في الاجرام السماوية :

ان من مبادئ الشرك عبادة الاصنام والاولثان المتمثلة في جوانب من اكبرها :

- ١ - شرك قوم نوع عليه السلام وهو عبادة القبور والأموات من الصالحين.
- ٢ - شرك قوم ابراهيم عليه السلام المتمثل في عبادة الاجرام والروحانيات وعبدوا الاجرام السماوية وان كانوا قد اشتهروا بأسم الصابئة
- الا ان المفسرين قد اختلفوا في اساس ديانتهم حسب المعنى اللغوي في مادة صبا فقد اورد ابن فارس في هذه المادة ثلاثة أصول منها صبا ما يدل على الامالة وقال " فأما المهموز - صبا - فهو يدل على خروج وبروز . يقال صبا من دين الى دين اي خرج ، وهو قولهم صبا ناب البعير اذا طلح .

والخارج من دين الى دين صابىء والجمع صابئون " . (١)

واختلفت أقوال المفسرين في الصابئة كما ورد في تفسير الطبري وابن الجوزي . (٢)

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٣٣١

(٢) جامع البيان ١/٣١٨ ، زاد المسير ١/٩٢

لكن الرازى أورد فى تفسيره قولاً ورجحه . (١) ومفاده أن العابثة قوم يعبدون الكواكب وأن لهم قولان فى ذلك .

أولاً : أن خالق العالم هو الله سبحانه وتعالى إلا أنه سبحانه أمر بتعظيم هذه الكواكب واتخاذها قبلة للعلاة والدعاء والتعظيم .

ثانياً : أن الله سبحانه خلق الأفلاك والكواكب ثم أن الكواكب هى المدبرة لما فى هذا العالم من الخير والشر والصحة والمرض والخالقة لها فيجب على البشر تعظيمها لأنها هى الأرباب المدبرة لهذا العالم ثم أنها تعبد الله سبحانه .

وهذا القول هو المسوب لقول ابراهيم عليه السلام . وقد احدثوا عبادة الأصنام والأوثان لما كانوا يجدون صعوبة فى تتبع الأجرام السماوية عند غروبها فلم يكن لهم بد من أن يعوروا الأجرام السماوية صورا ومثلاً . فصنعوا أصناما واشتغلوا بعبادتها . (٢)

وقد ورد ذكر العابثة فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شىء شهيد ﴾ (الحج : ١٧) .

(١) تفسير الرازى ١٠٥/٣ .

(٢) اتقادات فرق المسلمين والمشرىكين للرازى ص ٩٠ - مراجعة على سامى النشر - طبعة ١٤٠٢ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

فهم فرقة من الملل الست، ويظهر أن منهم مؤمنين فقد قال تعالى: ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصبايين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (البقرة : ٦٢) .

وهذا قبل شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث كانوا ينتسبون الى دين الله العام الذى أوجبه الله على جميع عباده الأولين وهو الاعتراف بواحد نيته بما يوافق الفطـر .

يقول ابن تيمية فى تفسير الآية السابقة " فالذين آمنوا هم أهل شريعة القرآن وهو الدين الشرعى بما فيه من الملى والعقلى . والذين هادوا والنجاري أهل دين علي بشريعة التوراة والانجيل بما فيه من ملى وعقلى . والصبايين أهل الدين العقلى بما فيه من ملى أو ملى وشرعيات " . (١)

ويذكر الشهر ستانى (٢) أن مذهب العايشة مداره على التعصب للروحانيين ويدعون انه مكتسب وليس فطرى . وهم مقرون بأن للعالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدشان . لكنهم عاجزون عن الوصول الى جلاله فيتقربون اليه بالمتوسطات المقربة لديه وهم الروحانيون المطهرون جوهرًا وفعلًا وحالًا .

١ - المطهرون جوهرًا هم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرمون من القوى الجسدانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح .

(١) مجموع الفتاوى ٦٤/٢٠

(٢) الملل والنحل للشهر ستانى ٥/٢ - ٨

فيعتبرون عند العابثة هم الأرباب المتقرب اليهم والمتوكل عليهم

للسفاعة عند الله وهو رب الارباب واله الالهة رب كل شيء ومليكه .

٢ - المظهرون فعلا هم الأسباب المتوسطة في الاختراع والايجاد وتصريف الأمور

من حال الى حال وتوجيه المخلوقات من مبدا الى كمال يستمدون قوتهم

من الحضرة القدسية ويفيضون على الموجودات السفلية وهم ينقسمون

الى ثلاثة اقسام .

أ - مدبرات الكواكب السبعة السيارة في افلاكها وهي هياكلها فلكل

روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى الهيكل الذي

اختص به كالروح للجسد .

ب - مدبرات الآثار العلوية في الجو كالمطر والرياح والبرد والصواعق

والشهب وما يحدث في الأرض .

ج - متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات ومدبرات الهداية

الشائعة في جميع الكائنات .

٣ - المظهرون حالا : فأحوالهم من الروح والريحان والنعمة واللذة والراحة

والبهجة والسرور في جوار رب الأرباب .

هذه معتقدات العابثة في الروحانيات وفي كلامهم حق وباطل . الباطل

فيه اكثر من الحق ، فأما وجه الحق فهو نعمتهم للملائكة بالتقديس والتسبيح

والتهليل والتمجيد وأنسهم بذكر الله تعالى وطاعته فمن قائم وممن

راكع ومن ساجد ، وهذا ما جاء به النصوص عن صفات الملائكة .

أما ان الملائكة هم ارباب والهة وهم شفعاء للبشر عند الله فيجب

على البشر التوجه اليهم بالعبادة بدعوى ان التقرب الى الله عن طريقهم

لأنهم الفاعلين الحقيقيين لما في هذا الكون فهذا باطل مردود بنص القرآن

قال تعالى : ﴿ ولا يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أياً أمرکم

بالکفر بعد إذا أنتم مسلمون ﴾ (آل عمران : ٨٠) .

أما قيام الملائكة بتنفيذ أوامر الله تعالى الكونية في الأرض فهو صحيح على شرط الاعتقاد أنهم يفعلون ذلك عن طاعة دون التصرف من ذات أنفسهم وإنما يرجعون في ذلك إلى الله سبحانه كما وردت به النصوص ، أما أنهم فاعلين حقيقيين بحيث يكون فعلهم هذا عن محض اختيار وعدم روجوعهم إلى الخالق بحيث يأخذون صفة الإله والرب سبحانه فإن هذا من جنس ماذهب إليه الفلاسفة في قولهم بالعقول العشرة هي الملائكة . وقد علم بطلان ذلك وأنه يناقض كمال التوحيد الخالص ولا يتفق مع ميزان القرآن والسنة في صفة الملائكة بأنهم عباد الله لا يعصونه وإنما يأتون بأمره .

ثم إن هؤلاء العابثة الذين جعلوا الروحانيات وسائط بين الإله سبحانه وبين الإنسان قد اختلفوا في طريقه التوجه إلى هذه الوسائط بحيث اتخذوا لها أشكالاً يتقربون إليها . فنقسموا إلى فرق وهي (١)

١ - أصحاب الهياكل : وهم من اتخذوا السيارات السبع بحيث أخذت هياكلهم

أشكالاً هندسية لكل هيكل شكل معين وكوكب معين .

٢ - أصحاب الأشخاص وهم من أقام الأصنام والأوثان مقام الهياكل وهو ما

يتمثل في أصنام قوم إبراهيم عليه السلام .

ويذكر الشهرستاني أن من فرق العابثة جماعة تدعى الحرثانية لهم

مزاعم كثيرة وعنهم نشأ مذهب التناسخ والحلول وغير ذلك من المزاعم .

ثانياً : القائلون بنفع الأجرام السماوية وضرها والحكم الشرعي فيهم :

هناك صنف لا يقوم بتوجيه عبادة خاصة لهذه الأجرام وإنما اعتقد

فى نفعها وضرها وهم على نوعين .

١ - من اعتقد فى نفع الاجرام من دون الله وان لهذه الاجرام فعل اختيارى

وتأثير عن فاعلية مختارة فهذا يدخل فى حكم العابثة الذين توجهوا

لهذه الاجرام بالعبادة فاشركوها بالله عز وجل .

٢ - من اعتقد فى تأثيرها من تسخير الله سبحانه لمصلحة الانسان فانــــه

لايدخل فى دائرة الكفر والشرك .

وقد ورد فى الحديث عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال (صلى

بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى اثر السماء

كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال

ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر

فأما من قال مطرنا بغفل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب

وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب) . (١)

وقد اورد الامام النووى فى شرح الحديث أن العلماء قد اختلفوا فى

كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين .

أولا : كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأهل الايمان ومخرج عن ملة الاسلام

اذا كان الاعتقاد أن الكوكب فاعل ومدبر لذلك وهذا مذهب الجمهور .

ويذكر ابن حجر فى الفتح . (٢) " أنه كفر الشرك بقريئة مقابلتــــه

بالايمان " واستدل بما رواه الامام احمد فى مسنده عن معاوية الليثى

قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون الناس مجدين فينزل

الله تبارك وتعالى عليهم رزقا من رزقه فيصبحون مشركين فليل له

(١) صحيح مسلم ٨٣/١ حديث رقم ١٢٥

صحيح مسلم بشرح النووى ٦٠/٢ - كتاب الايمان

(٢) فتح البارى ٥٢٣/٢

وكيف ذاك يارسول الله قال يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا (١) ويقول
الامام الشافعى " لان النوء وقت والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا
ولا يمطر ولا يصنع شيئا " (٢)

ثانياً: كفر بنعمة الله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكواكب
بحيث لا يعتقد تدبيرها . وقد استدل لها النووى وابن حجر بأحاديث كثيرة
فى الباب منها فى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تر الى ما قال ربكم قال :
ما أنعمت على عبادى من نعمة الا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون
الكواكب وبالكواكب " .

ويذكر ابن حجر ان الحديث يحمل على المعنيين لتناول الأمرين وذلك
لان طرق الحديث لم يقع فيها شيء بين الكفر والشرك كواسطة . ولا يرد
الساكت لان المعتقد قد يشكر بقلبه أو يكفر . وعلى هذا فالقول فى قوله
" فأما من قال " لما هو أعم من النطق والاعتقاد كما أن الكفر فيه لما
هو أعم من كفر الشرك وكفر النعمة " .

ومما يدل على كفران النعمة فى نسب الغيث الى الاجرام السماوية
مع عدم الاعتقاد فى تدبيرها ما رواه النسائى فى سننه عن ابى سعيد
الخدري رضى الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمسك
الله عز وجل المطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لأصبحت طائفة من الناس
كافرين يقولون سقينا بنوء المجدح) (٣)

(١) مسند الامام احمد ٤٢٩/٣

(٢) الام للامام الشافعى ٢٥٢/١ - الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - دار المعرفة
بيروت .

(٣) سنن النسائى ١٦٥/٣

والمجدح هو الدبران نجم من نجوم كوكبه الثور وسمى دبران لدبوره

الثريا . (١)

وقد يكون كفران الشرك اذا صاحبه الاعتقاد فى تدبير النجوم . ولقد

انكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الاعرابى وقد مطر الناس قوله

" اجاد ما أقرى المجدح البارحة " وذلك لافادة المطر الى المجدح . (٢)

ولقد اختلف العلماء فى كراهة قول من قال مطرنا بنوء كذا وكمان

قصده ان الله سبحانه وتعالى انزل المطر وقت نوء كذا اعتبارا بالعادة .

ورجحه النووى وقال " كراهة تنزيه لا اثم فيها وسبب الكراهة أنها

كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بعابحها ولأنها شعار الجاهلية

ومن سلك مسلكهم " . (٣)

(١) صورة الكواكب الثمانية والاربعين لابن الصوفى ص ١٥٤

(٢) الام للامام الشافعى ٢٥٢/١

(٣) شرح النووى لصحيح مسلم ٦١/٢

المبحث الثالث

الفلسفات الالحادية الحديثة فى تفسير نشأة الكون :

هذه النظريات التى وفعت لتفسير نشأة الكون والتى وجد منكرو المانع

مرتکز لهم فيها تتلخص فى التفسيرات التالية :

١ - نظرية الانفجار الاعظم أو نظرية الذرة البدائية الكبرى .

٢ - نظرية الكون الأزلى الثابت أو نظرية التجديد المستمر .

٣ - التفسير الميكانيكى للكون .

النظرية الاولى " نظرية الذرة البدائية " :

وهذه النظرية تفيد أنه لم يكن شيئاً موجوداً من هذه الاجرام " شىء واحد كان موجوداً - كرة النار المبدئية الساخنة ذات الكثافة العالية التى احتوت كل المادة والطاقة فى الكون - ثم انفجرت كرة النار الى غازات سريعة التمدد والبرودة تتكون من البروتونات والنيوترونات والأليكترونات السابحة فى بحر كثيف من الاشعاع . وفى البداية حافظ ضغط الاشعاع على انتظام التمدد ، ولكن المادة التى يتكون معظمها الآن من الهيدروجين مع بعض الهليوم ، بدأت فى تكوين تجمعات . وقد استمرت التجمعات سابحة بعيداً عن بعضها مع أن المادة فى التجمع الواحد كانت تنكمش بسبب تشاقلها الذاتى " . (١)

وعن تكوين النجوم والكواكب تفيد النظرية ان هذه التجمعات الهائلة " ابتدأت فى تكوين ملايين المجرات المنتشرة فى الكون وبعد تكوين

(١) آفاق جديدة فى علم الفلك - جون برندات ، ستيفن مارات ص ١٠

المجرات ابتداءً السديم - الغازات - يتكشف الى قطع أصغر مكونا ملايين النجوم . وعندما تكونت النجوم تكونت معها او بعدها اجرام أخرى أصغر منها وصارت تدور حولها وهي ما تسمى بالكواكب " . (١)

اما عن نهاية هذا الكون فان القائلين بها قد اختلفوا في هذه النهاية الا ان منهم من يرى ان الكون بدون نهاية رغم احتياجه الى قوة خارجية لبدايته تقول النظرية حسب من يرى ذلك " أن الكون احتياج لقوة ما خارجه عنه لبدايته لكنه مع ذلك كون أزلي ليست له نهاية " (٢)

الملاحظات على النظرية الاولى :

يلحظ على هذه النظرية من جانب عقدي وهو ما يهمننا في هذا المبحث

الملاحظات التالية :

١ - ان النظرية لم تشر الى الخالق المدبر سبحانه وتعالى . والحكمة التي من أجلها تم هذا الانفجار رغم اتفاقها في بعض الوجوه مع الأديان السماوية في تحديد بداية للكون بمعنى ان الكون حادث .

٢ - افادت النظرية بأن الكون أزلي ليس له نهاية بمعنى انه لا يلحقه العدم . وقبل الخوض في نقد النظرية نود استعراض النظرية الثانية لاتفاقها مع الأولى في جوانب كثيرة .

النظرية الثانية " نظرية الكون الأزلي الثابت " :

وسبب اقتراحها هو اعتراض على النظرية الاولى نظرية الذرة البدائية في كون استمرار الكون الى الابد مع احتياجه لقوة خارجه عنه . وتقتصر هذه النظرية " ان غاز الهيدروجين الذي يستهلك في المجرات يتجدد

(١) مبادئ الكونيات - الأمين محمد كعورة ص ١٨٢

(٢) مبادئ الكونيات ص ١٨٣

فى الكون من لاشئ* ، ويوفر هذا الهيدروجين المتجدد الاساس لتكوين
نجوم جديدة بدلا من النجوم القديمة التى تتلاشى ، وهو ايضا يتجدد فى
الفراغ الناشئ من تمدد الكون وابتعاد مجراته عن بعضها . وبهذا يعمل
هذا الهيدروجين المتجدد على استمرار بقاء الكون فى حالة اتزان وثبات
وهذا يعنى ان الكون أزلى ، بدون نهاية ولا بداية ، وهو كما كان عليه
سابقا وسيستمر على ما هو عليه* . (١)

الملاحظات على النظرية الثانية :

- ١ - تتفق هذه النظرية مع سابقتها بعدم الاشارة الى الخالق بل وتشير الى
ان الهيدروجين المستهلك من المجرات والمتجدد يوميا يوجد من لاشئ*
وهذا يتنافى مع القاعدة القائلة بأن المادة لا تبنى ولا تستحدث
بالتغيرات الفيزيائية او الكيماية - الا ان يشاء الله .
- ٢ - تتفق مع النظرية السابقة فى ان الكون غير منتهى وتختلف فى تحديد
البداية فهى تقول بأن الكون ليس له بداية وهذا ما ذهبت اليه بعض
الفلسفات القديمة من كون العالم قديم أزلى .
- ٣ - جعلت هذه النظرية الكون هو المجدد والمحدث لنفسه بنفسه مما يبدل
على ان القائلين بها ينكرون الربوبية والالوهية .

النقد العلمى للنظريتين معا :

من المعلوم علميا ان النجوم تبعث بالطاقة على شكل اشعة مرئية
أو غير مرئية وعلى شكل طاقة حرارية فالشمس عبارة عن كرة ضخمة من
الغازات المتوهجه " وتتولد الطاقة الشمسية نتيجة نوعين من التفاعلات الذرية
أحدهما يحيل الهيدروجين الى هليوم فى قلب الشمس . ويقدر ما يتحول

(١) مقتطفات من العلوم العامة - محمد روبين ادريس ص ١١٩ - الطبعة
الاولى ١٩٨٤م - دار المستقبل للنشر والتوزيع - عمان / الاردن .

كل ثانية من الهيدروجين بنحو ستمائة مليون طن تصبح خمسمائة وستة وتسعين طن من الهليوم وتنطلق أربعة ملايين طن من الغوء ويقدر ماتستهلكه الشمس فى السنة بنحو واحد الى مليون من مادتها " . (١)

هذه الطاقة المفقودة لايمكن ان تسترجع الى ماكانت عليه سابقا وذلك حسب مايفيده القانون الثانى للديناميكا الحرارية حيث يتفهم مفهومه العام حقيقة " أن الاجراءات تحدث فى اتجاه معين وليس فى عكسه " (٢) بمعنى ان الحرارة تنقل من وسط اكثر حرارة الى وسط اقل حرارة دون العكس ومعنى ذلك ان الشمس وسائر النجوم سيأتى عليها وقت تفقد جميع طاقتها وتصل الى حالة الاستقرار والنهاية وهذا دلالة على ان الكون باجرامه لابد له من لحظة ينتهى فيها وليس هو ازل أبدي .

كما يدل ان الفلك كان له لحظة بداية بدأت فيه هذه النجوم تبعث بطاقتها على شكل أشعة وحرارة وهو ماقلت به النظرية الاولى .

كما أن هناك أثر فلكى لحركة المد والجزر التى عرضناها فى الفصل السابق تدل على أن للكون بداية ونهاية هذا الأثر ناتج من احتكاك المياه نتيجة المد والجزر " فيؤثر احتكاك المياه فى قوة دوران الأرض فيشتت منها مايقدر بنحو مليونان حمان ، حيث تدفع مياه المد خلال الممرات الفخلة الخفية ، ونتيجة لما يضيع من قوة طاقة الدوران فان سرعة الأرض تبطئ بحيث يطول النهار بمقدار واحد الى الف من الثانية فى القرن " . (٣) وهذا معناه أنه لابد من وقت تتوقف الأرض فيه عن الحركة وتنتهى الحياة عليها . وكذلك ما اكتشفه علماء الفلك " بأن معظم المجموعات الفلكية التى

(١) الشمس فى حياة الانسان ص ٢٠

(٢) الديناميكا الحرارية - جوردون ج - فان وايلن ص ١٦٥ - ترجمته

د . عبدالرزاق عبدالفتاح ١٩٧٠ م - مكتبة الخانجي - القاهرة .

(٣) الشمس فى حياة الانسان ص ٥٢

درسوها بواسطة المصليات الفوضى - سيكتروسكوب - يظهر خطوط فوش -
ماثله الى الطرف الاحمر فى الطيف الفوضى . فقالوا ان لهذه المجموعات
اتجاهها نحو الاحمر . واستنتجوا من ذلك ان كلها تبتعد عنا وأن بعضها
يبتعد عن بعض أى أن الكون بكامله يزداد اتساعا فى الواقع " (١) مثل
البالون الذى ينفخ حيث يتسع حين النفخ .

وهذا يدل على حدوث تغير كلى فى الكون ينفى القول بثباته كما
ينفى القول بأزلية الكون أى منذ الأزل على ما هو عليه ذلك لان اتساع
الكون باستمرار وتباعد اجزائه . يثبت أنها كانت متقاربة وأن الكون
كان فى حجم أصغر بكثير جدا من حجمه الحالى وهذا معناه بالضرورة وجود
بداية للكون كما إشارة النظرية الاولى وهذا ما يخبر به خالق الكون
فى أكثر من موضع من كتابه العزيز .

أما بالنسبة لتدبير الله فى الكون فان المجال الفلكى اكبر شاهد
على أن هذا الكون يسير حسب سنن تدل على وجود فاعل مبدع مهيم على
هذا الكون . يقول عالم الرياضيات والفيزياء إيرل تشتريكس
" ان دراسة الظواهر الكونية دراسة بعيدة عن التحيز وتبسم بالعدل
والانصاف قد أقنعتنى بأن لهذا الكون ألها ، وأنه هو الذى يسيطر عليه
ويوجهه ، أى أن هنالك سيطرة مركزية هى سيطرة الله تعالى وقوته التى
توجه الكون " . (٢)

النقد العقلى للنظريتين :

ان العقل يحكم بأن هذه الاجرام وكل ما فى هذا الكون " العالم " لا يخلو

من أحد وجهين :

١ - اما أن يكون لم يزل بمعنى أنه قديم أى ليس له بدايته .

(١) الموسوعة العلمية الحديثة - الكون ص ٨٠

(٢) الله يتجلى فى عصر العلم ص ١١٥

٢ - وأما أنه لم يكن ثم كان بمعنى أنه محيّد .

فأما النظرية الأولى فقد ذهبت الى ان لهذا العالم بداية بمعنى أنه محدث وأما النظرية الثانية ذهبت الى أنه قديم فقولهم " يستلزم امتناع حدوث حادث ، فان القديم . اما واجب بنفسه أو لازم للواجب بنفسه ، ولوازم الواجب لا تكون محدثة ولا مستلزمة لمحدث ، فالحوادث ليست من لوازمه ، وما لا يكون من لوازمه يتوقف وجوده على حدوث سبب حادث ، فإذا كان القديم الواجب بنفسه ، أو اللازم للواجب ، لا يصدر عنه حادث - امتنع حدوث الحوادث " . (١)

لكن قولهم بأن الهيدروجين يتجدد باستمرار يدل على انه حادث وهذا تناقض في القول لأن عبارتهم " وهو كمان كان عليه سابقا وسيستمر على ما هو عليه " تدل على أن هذا الكون قديم .

" والقديم اما واجب بنفسه واما بغيره ... وإذا كان واجبا " بغيره فلا بد أن يكون الموجب له قديما " بالضرورة واتفاق العقلاء ... ولا يكون موجبا " له حتى تكون شروط الايجاب قديمة أيضا " ... لأن الموجب المقتضى للفناء الموثر يمتنع أن يتأخر عن موجبه الذي هو مقتضاه وأثره معلوم بالضرورة ومتفق عليه بين العقلاء ، وإذا كان ذلك فيمتنع أن يكون جميع العالم واجب بنفسه ، إذ لو كان كذلك لم يكن في الموجودات ما هو حادث " . (٢)

ومنطوق النظرية يدل على أن الكون يتجدد وذلك بتجدد الهيدروجين الذي هو العنصر الأساسي في هذا التكوين .

(١) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية ٣٨٩/١ - الطبعة

الأولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) موافقه صحيح المنقول لصريح المعقول ٣٩٠/١ - ٣٩١ .

إذاً فالحوادث يمكن أن يوجد ويمكن ألا يوجد وما كان كذلك فلا يكون

واجب الوجود فغلا عن أن يكون قديما أزليا .

والمشاهدات في الكون تدل على حدوث موجودات كثيرة حدثت بعد أن لم تكن

ونشهد عدمها بعد أن كانت .

وعلم الفلك يخبرنا عن تكون نجوم جديدة وتلاشي نجوم أخرى وهو

ما ذهبت اليه النظرية وهذا يدلنا على عدم قدم شيء من العالم .

هذه الحوادث كانت معدومة ثم وجدت إذاً فهي مفتقره الى موجد ومحدث

لكن هذا الموجد لها ليس مثل هذه الحوادث لا من كل الوجوه ولا من بعض

الوجود وذلك لأن مساوته لها يلزم منه كونه محدثا وهذا يأتي بنا الى

التسلسل او الدور .

إذاً فخالق الاشياء وموجودها غنى عن الحوادث وليس هو العدم كما تقول

النظرية بأن الهيدروجين يتجدد من لاشيء ، لان العدم كما هو معروف لدى

العقلاء ، ليس مصدر للشيء ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

إذاً فالعالم حادث مفتقر الى خالق غنى لايحتاج . هذا الخالق هو

الله سبحانه الذى تدل الآثار كلها فى الكون على وجوده وغناه . القديم

الأزلى المتمصف بكونه الأول والآخر وكل ما سواه حادث وليس له بقاء .

التفسير الثالث لنشأة الكون " التفسير الميكانيكى " :

هذا التفسير يقوم على أساسين اثنين :

١ - قانون الصدفة .

٢ - قانون التعليق .

يقول التفسير " ان الكون لم يكن له وجود قبل الفى مليون مليون سنة

وأنه لم يكن حينئذ شيء مثل النجوم والسيارات ولكن كانت هناك المادة

التي لم تكن متجمدة بل منتشرة في كل مكان في الفضاء الفسيح في صورة الذرات الأولية الأليكترونات والبروتونات كانت تغمر الكون كله . وكانت المادة في حالة توازن تام حينئذ دون أية حركة إطلاقاً . وصدفة حدث خلل خفيف في المادة الراكدة تماماً كما يحدث عندما يحرك أحداً بيده مياهها راكدة في حوض من أحواض المياه فان دوائج الحركة تكبر حتى تشمل الحوض كله . ثم استمر هذا الخلل في الكبر والانتشار . وكانت النتيجة أن المادة بدأت تتقلص وتتجمع في مختلف الامكنه وهذه المواد المجتمعة المتقلصة هي التي نسميها اليوم بالنجوم والسيارات والمجرات " .

كما يقرر التفسير وجوب وجود واقعة قبل حدوث واقعة أخرى حتى يمكن ارجاع نسبة هذه الواقعة الأخيرة الى التي سبقتها . (١)

الملاحظات على التفسير :

١ - يتفق مع النظريتين السابقتين في كون العالم قديم أزلي الا أنه ليس بشكله المعهود من نجوم ومجرات وانما في بنيته الاساسيه وهو المادة الأولية .

٢ - يتحاشى القائلون بهذا التفسير الاعتراف بوجود الفاعل الذي هو خارج هذا الكون والغنى عنه وهو الله سبحانه .

لذلك يرتبون الوقائع ترتيباً تسلسلياً بحيث ان كل واقعة تكون علّة للحادثه التاليه لكن يضلون في النهاية الى الواقعة الاولى ويفسرونها بالصدفه المحضه التي لايقبلها العقلاء لما يرى من نظام

(١) الدين في مواجهة العلم - وحيد الدين خان - ص ٤٥ - ٤٦ بتصرف
ترجمة ظفر الاسلام خان - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - دار النفائس
بيروت .

الكون ودقة الابداع فيه الدالة على الفاعل المختار .

لذلك يذكر صاحب كتاب الدين في مواجهة العلم خيرا مقتسبا عن دائرة معارف نشرت عام ١٨٧٤ مفاده . (١)

ان الفلاسفة الطبيعيين وبعض علماء الكيمياء والفيزياء يعتقدون أن سببا واحدا ينتج نتيجة واحدة دائما . وأية نظرية لو أثبتت نجاحها في مثال واحد فانه يلزم في نظر هؤلاء العلماء ان يظل النجاح مفسردا الى الأبد .

ولهذا لم يعد هناك اى اختلاف في العلوم الطبيعية حول قانون التعليل والاختلاف الوحيد الذى يوجد ينحصر في دائرة المؤمنين بما بعد الطبيعة .
نقد هذا التفسير من منطق رياضى :

ان وجود الكون الحالى بفعل قانون الصدفة لهو من الاستحالة بمكان حسب قوانين الرياضيات . فحساب الاحتمالات الذى يعتبر من اكبر فروع الرياضيات العليا يعتمد اساسا على التجارب العشوائية .

هذه التجارب معلومة النتائج مسبقا . بحيث تحصر جميع النتائج الممكنة لهذه التجارب لكن يستحيل مقدما التنبؤ بحدوث أحد الممكنات دون غيره . وبعض التقديرات العددية لاحتمالات لا تستند الى اساس رياضى ، ولكن تعتمد على احداث وخبرات سابقة مثل توقع نجاح تلميذ باحتمال سبعين فى المائه ، هذا التقدير يرجع الى تتبع الحالىة التعليمية للتلميذ . وليس بالضرورة فى حساب الاحتمال " قانون الصدفة " الرياضى وقوع الحادث المنتظر لأن معنى محتمل انه قد لا يحدث . ولنقرب مثالا رياضيا على ذلك .

تقضى التجربة برمى مكعب ذى ست أوجه كل وجه برقم فالنتائج الممكنة
هو خروج أحد الأرقام من واحد الى ستة خلال الرمى ، إذن نسبة احتمال
خروج الرقم واحد اثناء الرمى هو السدس . اما لو كانت التجربة تقضى
برمى مكعبين مختلفين فى اللون فما هو احتمال خروج الرقم واحد من
المكعب الاول مع خروج الرقم واحد من المكعب الثانى ؟

نجد النتائج ليست هى من واحد الى ستة بل تضاعفت بمقدار ما حاصله
ستة ضرب ستة أى ان نسبة خروج الوجهين المرقمة بالرقم واحد للمكعبين
معا خلال الرمى هى واحد الى ست وثلاثين .

هذا المثال يوضح لنا كيفية تعقد الوقائع بنسبة كبيرة جدا فى
مقابل المدفه . فالغازات على اختلاف اشكالها يحدث فيها تركيبا
لتصبح عناصر عظيمة الاهمية للحياة ، فهل يتوقع احتمال واحد على عشرة
مليون أن يجتمع هذه الغازات فى تناسبها المطلوب ويجمع خصائصها
اللازمة للحياة على كوكب معين بطريق المدفه .

يقول عالم الطبيعة " أدوين فاست " بعد ان نفى كون هذا العالم
بقانون المدفه " ومهما بالغنا فى تحليل الأشياء وردنا الى أصولها
الاولى ، فلا بد أن نصل فى نهاية المطاف الى ضرورة وجود قوانين طبيعية
تخضع لها ذرات هذا الكون ويعد ذلك فى ذاته دليلا على وجود اله قادر
مدبر ، هو الذى قدر لكل ظاهرة من ظواهر هذا الكون أن تسير فى طريقها
المرسوم " . (١)

ان التفسير الميكانيكى للكون لهو عاجز من اعطاء التفسير المقنع

لوجود الكون ومن وراء وجوده ؟

(١) الله يتجلى فى عصر العلم . ص ١٠٠

بل قد يعود بنا الى فكرة سابقة هي تعدد الالهة . يقول صاحب كتاب الدين في مواجهة العلم " ان هذا التفسير يقتضى وجود الهين اثنين . فمن ناحية يقدم لنا هذا التفسير نكته قانون الصدفة لشرح الحركة الاولى التى وقعت فى المادة الراكدة ، ولكن هذا التفسير من ناحية أخرى يعجز عن تقديم تفسير مقنع لتسلسل الحركة بواسطة تلك الصدفة نفسها التى وقعت صدفة للمرة الاولى . لذلك وجب البحث عن اله آخر لشرح هذا الجزء الأخير من التفسير الميكانيكى . ذلك اله هو مبدأ التعليل ويعنى هذا المبدأ أنه بمجرد وقوع الحركة الاولى فى مادة الكون الراكدة وجدت فى الكون تلقائيا سلسلة العللة والمعلول التى تحدث بمقتضاها كل وقائع الكون " (١) واذا كان هذا صحيحا فان كلا الالهين عاجز عن ابداع نظام الكون لأن كل منهما محتاج فالأول يحتاج من الثانى ان يكمل له عمله وفعله حتى يظهر منتظما دون خلل والثانى يحتاج الاول فى وضع اللبنه الاولى لهذا العملى، ومدام انهما محتاجان فان نظام الكون سيكون فى اختلال وفوضى وعدم انسجام لما تقتضيه اختلاف لكل منهما .

لذلك كما قلنا العقل السليم يأبى هذا ، فالعلماء الذين قاموا باكتشاف بعض قوانين الله فى الكون كقانون الجاذبية لم يذهبوا الى هذا التفسير الخافع للصدفة والتعليل وانما اقوالهم تدل على اقرارهم بوجود الصانع .

يقول نيوتن " هذا هو اسلوب الله فى العمل فالله يجرى مشيئته

فى الكون بواسطة اسباب وعلى " . (٢)

(١) الدين فى مواجهة العلم - وحيد الدين خان ص ٤٧ ، ٤٨

(٢) المصدر السابق ص ٤٢

الفصل الثاني

التنجيم

ويشتمل على المباحث :

أولا : ظاهرة التنجيم في عصرنا

ثانيا : تعريف التنجيم وتاريخه وأهدافه

ثالثا : التنجيم بين المشروعية والرفض

رابعا : التنجيم والعلم

خامسا : موقف العقل والدين من التنجيم

المبحث الاول

ظاهرة التنجيم فى عصرنا

بالرغم من تقدم العلوم فى جميع المجالات وبالذات علم الفلك الا ان علم التنجيم لازال يجد مكانه فى أخذ حيز من مجالات العلوم عند من يدعون الاطلاع على أمور الغيب .

ولايزال التنجيم يجد - ممن يعتبره معدرا من مصادر الغيب - صدرا رعبا واذناً واعية مصغيه وقلبا معتقدا وممدقا . وذلك فى مجالات عدة من حياة الانسان كالأمر الاجتماعى والسياسية وماله علاقة بحياة الانسان على وجه الأرض .

فى أبواب بعض الصحف والمجلات :

نقرأ فى أكثر الصحف والمجلات تحت عناوين تؤثر فى عواصف وعقول الناس وقد تؤثر على اعتقاداتهم مثل - أعرف برجك ، أو أنت والنجوم ، أو المهن والحرف الملائمة لمواليد كل الابراج ، أو حظك اليوم - بدعوى مخاطبة النجوم ومعرفة الاسرار التى تخص حياة كل شخص فيما يتعلق بعاطفته وعمله وماله التى أكثر ما تشغل الشخص وتجعله دائما فى خوف واضطراب ومن أمثلة ما ذكر فى ذلك تحت عنوان انت والنجوم فى بعض المجلات ما أورده الكاتب تحت بعض الابراج (١) فقال فى برج الحمل :

العاطفه : تعيش فى دوامه من الافكار وتشعر بقمامة تحيط بحياتك ستزول سريعا ربما يومى الثلاثاء والخميس ... تسمع خبرا مفرحا وتفكر بالقيام برحلة قصيرة .

العمل : لا تهمل ما يجب أن تنجزه فى محيط عملك فان ذلك يترك اثرا

سلبيا لدى رؤسائك ، ستوقع على صفة مهمة عن قريب .

يذكر في برج العذراء .

العاطفه : قديما قالوا : زغباً تزدد حبا .. هل فهمت المعنى ؟ جو

متقلب غير مستقر هذا الاسبوع .

العمل : نشاطاتك الاجتماعية قليلة ، لذلك لم تصل الى النتائج التي

كنت تتوقعها ، اسبوع غير مناسب للسفر ، كن حذرا في قيادة

السيارة ليلا .

ويذكر في برج الميزان :

المال : الزهرة ستوفر لك المال هذا الاسبوع .

الملاحظات في هذه المقالات :

١ - نسب فاعلية مختارة للأجرام السماوية من جنس ما ورد في الاحاديث

كقول من قال سقينا بنوء المجدح .

٢ - الاحكام المذكورة غالبا تقوم على الحدس والتخمين دون الاستناد الى

اي مبادئ علمية أو أسس معقولة وانما هي احكام عامة .

٣ - اشارة للعواطف بالترهيب والترغيب .

٤ - دعوة الى التشاؤم والتطير وان كان فيها جوانب من التفاؤل المبني

على اجتذاب كثير من السذج للتصديق والاعتقاد في ذلك .

مقال جريدة المسلمون : (١)

أولا : أنتجت أحد الشركات اليابانية منجما وعرافا الكترونيا يوجه

النصائح لضحاياها ويقول لهم متى يسافرون وماذا يفعلون وكيف يتخذون

(١) جريدة المسلمون العدد (١٧٨) - ٢٢٣ القعدة - لعام ١٤٠٨ - ١٩٨٨م

قراراتهم كما لجأت بعض الشركات الأمريكية الى قراءة طالع طالبى وطالبات الزواج وادعاء القدرة على تحديد الزواج السعيد والزواج الفاشل واختيار الزوج المناسب والزوجة المناسبة . وبدأ فى الأسواق طرح عراف الكترونى للجيب فى حجم الآلة الحاسبة وادعوا أيضا أنه يعرف المستقبل على أسس علمية .

ثانياً: ابتداء موسم ازدهار أعمال النجيم وقراءة الطالع مع وصول طلائع السائحين العرب الى أوروبا فى بداية موسم الاجازات الصيفية وامتلأت الصحف والمجلات العربية التى تصدر من أوروبا ومن بعض

أسباب هذه الظاهرة :

يمكن تحليل هذه الظواهر بالأسباب الآتية :

أولاً : الفراغ الروحي الذي يفتقر إلى منهج اعتقادي صحيح وذلك في غير

المسلمين أم بالنسبة للمسلمين فهو الابتعاد عن المنهج الإيماني

المتمثل في الروح الإسلامية والالتزام بحدود الشريعة .

ثانياً : الابتعاد عن مواطن الذكر وعدم اللجوء إلى الله في حالة الشدة

فقد قال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة

الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾

(البقرة : ١٨٦) .

وكذلك نسيان الله تعالى المنعم في حالة الرخاء .

ثالثاً : عدم الإيمان بالقضاء والقدر من الله تعالى الذي هو أحـد

أركان الإيمان الستة . والإيمان بأنه لنافع ولا ضار إلا الله سبحانه

فقد ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (كنت خلف

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : يا غلام أتى أعلمك

كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فأسأل

الله وإذا استعنت فاستعن بالله . وأعلم أن الأمة لو اجتمعت

على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو

اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك

رفعت الأقلام وجفت الصحف) (١)

فإذا كانت الأمة لاتستطيع أن تنفع أو تضر شخص إلا بإرادة الله فكيف

بجرم سماوي أساس تكوينه الصخر والتراب والغاز . مكونات ليس

فيها جنس الروح او العقل .

رابعاً: رغم تقدم العلوم والصناعة وبخاصة علم الفلك وعلوم الفضاء
الا ان كثيرا من الناس يعيشون بعقليات خرافية فيما يتعلق بالأمور
الغيبية وعدم ترك امرها لله تعالى عالم الغيب والشهادة فهم
يحاولون استطلاع الغيب بأمور تتنافى مع عقيدة الاسلام .
فاستطلاع الغيب لا يكون الا بطرق الوحي وأمر الوحي قد أنقطع حيث
أنتهت فترة النبوة .

لذلك نجد أن العقول الشيطانية تستغل هذه العقليات الخرافية بأسم
التقدم العلمى فى ترويج اكاذيب معرفة الغيب بأنتاج الآلات الكترونيه
تعمل عمل المنجم والعراف فى معرفة الغيب .
مع العلم ان الآلات - كالحاسب الآلى - لايعطى لهذه المعرفة
أساسا يقنيه لأن دور الحاسب الآلى قاصر على ابراز المعلومات التى
تعطى له فى الوقت المطلوب فان كانت المعلومات صحيحة كان عطاؤه
صحيحا وان كانت باطلة كان عطاؤه باطلا .

لذلك نجد من يؤمن بالتنجيم والامور الأخرى التى يدعى اصحابها
معرفة الغيب .

فاذا كانت العناية بالتنجيم كبيرة الى هذا الحد فيجب علينا
التعرف على التنجيم وحقيقته وما موقف العقل والعلم والدين منه
حتى يكون الفرد على حقيقة شبه متكاملة فى هذه الصناعة ليتضح كيفية
سلوك الفرد اتجاهها فى اطار العقيدة الصحيحة والشرعة السمحاء .

المبحث الثاني

تعريف التنجيم وتاريخه وأهدافه

التنجيم فى اللغة :

أصله من مادة نجم بمعنى طلع وظهر . (١) والنجم يطلق على عدة أشياء منها النجم بتشديد النون وفتحها وسكون الجيم الوقت المعلوم ويذكر صاحب اللسان " انه من هذا المعنى سمي المنجم " . وتنجم رعى النجوم من سهر او عشق . والمنجم والمتنجم والنجم من ينظر فيها بحسب مواعيقتها وسيرها . (٢)

" وتنجم الدين : هو أن يقرر عطاؤه فى أوقات معلومة متتابعه مشاهرة أو مسانة - أى بالشهور او بالسنين - وتنجم المكاتب ونجوم المكنابه أصله أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وغيرها فتقول : اذا طلع النجم حل عليك مالى " (٣) اذا خلاصة القول أن التنجيم فى اللغة هو مراعاة النجوم فى أوقات معلومة وحسب سيرها لغرض معين .

التنجيم فى الاصطلاح :

" احكام عقلية يراد بها الاحوال الغيبية المستنتجة من مقدمات معلومة هى الكواكب من جهة حركاتها ومكانها وزمانها " . (٤) وهناك تعريف اصطلاحى آخر هو ان التنجيم " علم تعرف به الافعال

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٩٦/٥

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادى ١٨١/٤ ، بصائر ذوى التمييز ٢٠/٥ ، لسان العرب ٥٧٠/١٢

(٣) النهاية فى غريب الحديث ٢٣/٥ - ٢٥

(٤) تذكرة داود الانطاكى ٢١/٢ ، كشف الظنون ٢٢/١

الصادرة عن الكواكب وتأثيراتها فيما دون فلك القمر وهو الأرض وما أحاط بها بالتجربة والقياس " (١).

الملاحظ على التعريفيين :-

١ - ارجاع معرفة الاحوال الغيبية الى احكام عقليه تعود الى مقدمات متعلقة بحركة الاجرام السماوية وهذا مخالف لنصوص كثيرة من القرآن الكريم فقد قال تعالى : ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله وما تشعرون ايان تبعثون ﴾ (النمل : ٦٥) .

وقال تعالى : ﴿ ما كان الله ليزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلکم اجر عظيم ﴾ (آل عمران / ١٨٩) .

إذاً فمعرفة الاحوال الغيبية ليست احكاما عقليه ترجع الى نتائج مقدمات تعود الى تحركات الاجرام السماوية وازمانها وانما هى وحيا من الله يجتبي من ارتضاه من عباده فيطلعهم على بعض الغيب فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة قال تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد . الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴾ (الجن : ٢٦ - ٢٧) .

٢ - دعوى ان علم التنجيم يقوم على التجربة والقياس . وهى تحتاج الى الدليل ذلك لان التجربة والقياس تعطى احكاما موحدة واكيدة وليست ظنية ومختلفة من شخص الى شخص وما فى صناعتهم يتناقض مع روح المنهج التجريبي القائم على التجربة والقياس ، وانما هو مصادفة

(١) احكام الحكيم فى علم التنجيم - عبدالفتاح السيد الطوخى ١١/١

وتخمين والدليل على ذلك ما ينقل عن بعضهم على من أنكر أحكامهم ونسبها إلى محض الصدفة والاتفاق. حيث قال : " ان الاتفاق اذا دام ووقع فى أكثر الاحوال فهو أحد البراهين على أننا نرى أن الشمس تسخن واستمرت التجربة ان القمر يرطب . وفصول السنة تتغير ويختلف هواؤها فى الحر والبرد والاندا . بحسب اتصالات الكواكب بعضها ببعض وهذا عيان لا يمكن دفعه يقوم مقام البرهان " . (١)

وفى كلامه عن تتابع فصول السنة خطأ علمى قديم حيث اسند ذلك إلى اتصالات الكواكب مع أن المعروف حديثا وكما ذكرنا سابقا ان الابطال الالهى فى خلق الأرض حيث جعلها تميل بزاوية معينة على محورها أثناء حركتها ودورانها حول الشمس . هذه الميزة التى قدرها الله فيها هى التى ينتج عنها تتابع الفصول وليس هو اتصالات الكواكب .

وكما ان الاستدال بالامور التى يعرفها كل شخص من حرارة الشمس وتسخينها واختلاف احوال الجو باختلاف الفصول هو من دوام الصدفة والاتفاق بحسب اتصالات الكواكب غير صحيح بل هو من اوهام الصابئة ومن سار على نهجهم . لكن الواقع ان هذه الامور اجراها الله سبحانه وتعالى فى الكون حسب قوانين ثابتة لقيام الحياة على وجه الأرض وليست الصدفة والاتفاق .

ظهور التنجيم وغايته وحقيقته :

يظهر ان التنجيم سبق علم الفلك فى الظهور ، لكن لم يكن يعرف بدايته غير أنه بدأ مع الاعتقاد فى أن مساكن الاله هى الاجرام السماوية

(١) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١١/١ - ١٢

ومع بداية تصور الامم بأن هذه الاجرام فيها من الروحانيات أو أنها تتمف بالروحانيات والعقول التي تقوم بتصريف جميع الأمور على الأرض وما أحاط بها .

ويذكر صاحب قصة الحضارة تعليقه بقاء علم التنجيم بقوله " فالتنجيم قد سبق علم الفلك وربما دام وجوده على الرغم من ظهور علم الفلك ذلك لأن النفوس الساذجة أكثر اهتماما بالكشف عما يخبئه لها الغيب منها بمعرفة الزمن ، فنشأت ألوف الخرافات من تأثير النجوم في خلق الانسان ونصيبه المقدور ولا يزال كثير من هذه الخرافات مزدهرا الى يومنا هذا . وربما لم تكن هذه الخرافات خرافات بالمعنى الصحيح ويجوز أن تكون ضربا آخر من الخطأ في التعليل " . (١)

ورغم سبق التنجيم لعلم الفلك الا أنه يعتبر قديما من فروع الفلك القديم اذ لم يكن هدفا لعلم الفلك . فقد كانوا يقسمون علم الفلك الى ثلاثة أقسام هي : (٢)

أولا : علم التقويمات الفلكية حيث يعرف بها مقادير حركات الكواكب بواسطة القواعد الحسابية أو الجداول .

ثانيا : علم الهيئة وهو علم فلكي يبحث عن الاجرام الفلكية عموما من معرفة خواصها والآلات الموصلة الى هذه المعرفة مع ما يشاركها من حسابات .

ثالثا : علم الاحكام النجومية أو التنجيم وهو ثمرة للقسمين السالفين . اذا علمنا ذلك تبين أن موضوع التنجيم هو الاجرام السماوية وأوضاعها في الافلاك من المقابلة والمقارنه والتثليث والتسديس

(١) قصة الحضارة ١/١٣٦

(٢) احكام الحكيم في علم التنجيم ١/٥ - ١٢ بتصرف

والتربيع وغايته هو استطلاع الغيب فى الحوادث الواقعة فى عالمنا

عالم الكون والفساد من احوال تتعلق بالجو والمعادن والنباتات

والحيوان وغير ذلك من احوال الانسان .

إذاً يمكن ان نقول حقيقة التنجيم محاولة استطلاع الغيب بما يظهر

من آثار تتعلق بحركات الاجرام السماوية بحيث تعطى احكاماً عامة تخمينيه

مبنيه على الحدس والظن وأن وقع شيء من هذه الاحكام فهو من قبيل الصدفة

وليس شيئاً اكيداً يعتمد على التجربة والقياس كما هو زعمهم .

لذلك ينقل ابن تيمية عن احد رؤساء المنجمين فى زمانه قولاً

"والله انا نكذب مائة كذبة ، حتى نصدق فى كلمة " . (١)

يحاولون التستر على معرفة هذه الصناعة لذلك يقول قائلهم " ويجب

على طالب هذا العلم أن يستتر به جهد طاقته " . (٢)

فروع التنجيم :

تشعبت فروع هذه الصناعة الى فروع عدة نذكر منها على سبيل المثال:

أولاً : فرع الاختيـارات :

" وهو يبحث عن احكام كل وقت وزمان من الخير والشر وأوقات يجب

الاحتراز فيها عن ابتداء الأمور وأوقات يستحب فيها مباشرة الأمور وأوقات

بين بين ثم كل وقت له نسبة خاصة ببعض الأمور الخيرية وبعضها

بالشرية وذلك بحسب كون الشمس فى البروج والقمر فى المنازل والأوضاع

الواقعة بينهما من المقابلة والتربيع والتسديس وغير ذلك " . (٣)

لقد جعل الله سبحانه الانسان حراً مختاراً فى جوانب كثيرة من حياته

(١) مجموع الفتاوى ١٧٢/٣٥

(٢) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١٢/١

(٣) مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده ٢٣٥/١

وعلى أساس هذا الاختيار يحاسبه في الآخرة . لكن هذا الفرع من التنجيم يقضى على حرية الاختيار عند الانسان ، بحيث تجعل الانسان متوقفا على اتخاذ القرار المناسب حسب معطيات وعوامل وعلل مشاهدة طبيعية ، فتكون هذه القرارات مبنية على اوهام وعلل غير ثابتة أو صحيحة لأنها تخمينية وظنون .

ثانيا : فرع منازل القمر :

ويسمون هذا الفرع منازل المعانى (١) وهو حسبما فهمنا من تذكرة داود (٢) يقسم الانسان بمقتضى التشریح الطبى الى ثمانية وعشرين قسما على عدد منازل القمر بحيث تقسم الى جزئين :

الجزء الاول يضم ست عشر قسما توزع على الاجرام السبعة كالآتى:
الشمس لها الوجه - الفؤاد - الكبد - الكليتين أما القمر
فله الجلد والجمجمة وأما عطارده فله العروق والعصب كما يخض المريخ
الدم والصفراء ويخض زحل الشعر والاففار وللمشتري اعتدال الجسم
وسلامته وللزهرة النفس والصورة .

الجزء الثانى يضم اثنا عشر قسما غير التى ذكرت من اعضاء الجسم فتقسم على البروج بحيث يخص كل برج عضو من الاعضاء .

ولكل قسم من الاقسام الثمانية والعشرين حروف خاصة لكل منها اربعة طبائع حارة - يابسه - باردة - رطبه .

بحيث تستخدم الحروف وطبائعها فى الطب الروحانى فاذا علم مريض عضو من الاعضاء علم مالذلك العضو من الحروف والعضو الذى يليه من فوقه ومن

(١) كشف الظنون لحاجى خليفه ١٨٢٩/٢

(٢) تذكرة داود الانطاكى ٩١/٢ - ٩٣

تحتته فيجمع تلك الحروف وينظر في كتاب الله تعالى اى آية جمعت تلك الحروف فمن توفى وصلى ركعتين وكتبها ومحاها وسقاها أوعلقها عليه فهو ببراً من المرض وان تداعى سائر جسده فأى آية جمعت الحروف كلها فليفعل بها كما مر وأن كان عضو من اعضاء البروج فليفعل ذلك اذا نزل به القمر فهو أقوى .

الملاحظ فى هذا الفرع هو الاستشفاء بالقرآن الكريم وهذا حق لاشك فيه فقد ورد أنه شفاء ، لكن ماهى العلاقة التى تربط بين اعضاء جسم الانسان والاجرام السماوية ، وعلاقة ذلك كله بالحروف ؟ وهل للحروف طبائع كمايقولون ؟ وما هو الدليل على ذلك ؟

كل هذه الاستفسارات تحتاج الى توضيح يخفف لمنهج تجربى قوامه التجربة والقياس حتى نكون بذلك بعيدين كل البعد عن التخمين والحدس الذى لا يودى الى نتائج مضمونه مما قد يجعل للانسان عرضه للاضطراب والضللال .

ثالثاً : فرع الزايرجه :

وهو عبارة عن دائرة عظيمة فى داخلها دوائر متوازية للأفلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك من أصناف الكائنات والعلوم . وكل دائرة مقسومة بأقسام فلکها اما بروج او عناصر او غيرهما بحيث خطوط كل قسم تمر الى المركز ويسمون هذه الخطوط الأوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة وعلى ظاهر الدوائر جدول بيوت متقاطعة طولاً وعرضاً فى العرض خمس وخمسين بيتاً وفى الطول مائه وواحد وثلاثين وهذه البيوت يكتب داخلها حروف واعداد وبعضها لا يكتب فيه شيء وفى حافته الدائرة الكبيرة وهى الزايرجه أبيات شعرية تتضمن صورة العمل فى استخراج

المطلوب من تلك الدائرة الا أنها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح .
ويعتمد استخراج المطلوب في هذا الفرع على السؤال لاستخراج الجواب منه
وعلى تحديد البرج الطالع من الغلك للدخول في دائرة الزايرة . وهذا
الفرع مشروح في مقدمه ابن خلدون . (١)

ويذكر ابن خلدون في الرد على هذا الفرع مامعناه ان السر في ذلك
استنباط الجواب من السؤال بطريقة التناسب للحروف وذلك في الوقعات
الحاصلة في الوجود أو العلم أما الكائنات المستقبلية اذا لم تعلم
أسباب وقوعها ولم يثبت لها خبر صادق فهي غيب لا يمكن معرفته .
إذاً القصد من هذا العمل التمويه بمعرفة الغيب مع أن الغيب لا يدرك
بأمر صناعي البتة .

(١) مقدمه ابن خلدون ص ١١٦ - ١١٩

المبحث الثالث

التنجيم بين المشروعية والرفض

يزعم أهل التنجيم ان هذه الصناعة هي صناعة ادريس عليه السلام وكانوا يسمونه هرمس العظيم ويقال " هو الذى وضع اسامى البروج والكواكب السيارة ورتبها فى بيوتها وأثبت لها الشرف والوبال والأوج والحفيض والمناظر والتثليث والتسديس والتربيع والمقابلة والمقارنه والرجعة والاستقامة . وبين تعديل الكواكب وتقويمها " (١)

وقد اجاب ابن تيميه على هذا الزعم ويمكن تلخيص رده فى ذلك بالنقاط التالية : (٢)

١ - هذا الزعم قول بلا علم لأن ذلك لا يعلم الا بالنقل الصحيح ولا سبيلا الى ذلك .

٢ - ان كان أصله مأخوذا عن ادريس فانه كان معجزه له وعلم اعطاه الله

أياه ، فيكون من العلوم النبويه وهؤلاء يحتجون بالتجربة والقياس

٣ - ان كان بعض هذه الصناعة مأخوذ عن نبي فمن المعلوم أن فيها من

الكذب والباطل أضعاف ما هو مأخوذ من ذلك النبى . وقد ثبت تحريف

أهل الكتاب فى كتبهم على أنبياءهم بالكذب والباطل ، ومن المعلوم

ان الكذب والباطل فى صناعة التنجيم اضعاف الكذب والباطل عند أهل

الكتاب . فاذا كان الحال مع الوحى المحقق مع أنه أقرب اليأس

من عهد ادريس عليه السلام فما الظن بهذا القدر من الصناعة المنسوبة

الى ادريس عليه السلام .

(١) الملل والنحل للشهرستانى ٤٥/٢

(٢) الغتياوى ١٧٩/٣٥ - ١٨١

٤ - لا ريب أن علم النجوم نوعان حساب - ماخص علم الفلك - وأحكام - ماخص علم التنجيم - فان كان الأول هو المأخوذ عن أدریس عليه السلام فهذا ممكن والله أعلم بحقيقة الحال وان كان الثانى فى من جنس السحر وهذا منفى عن الانبياء لأن أضافة ذلك الى بعض الانبياء كإضافة من أضاف ذلك الى سليمان عليه السلام وقد نفاه الله عنه .

أما أدلتهم فى الأخذ بهذه الصناعة فهى تنقسم الى ادلة عقلية وادلة شرعية ولا بد من استعراض هذه الادلة حتى نكون على علم بمدى قوتها ومصداقيتها وهل لهم فيها أسس يقنيه يقيمون عليها هذه الصناعة أم لا .

الادلة العقلية :

وهى تنفرع الى اتجاهين . ما يختص بالقوى الفعالة السماوية ومنها ما يختص بطبائع الاجرام الفلكية .

أولا : ما يختص بالقوى الفعالة السماوية فلهم فى ذلك دليلان هما (١)

الدليل الاول :-

القول بوجود ارواح عاليه هى المدبرة لأحوال هذا العالم ولا يتم احداث شئ غريب فى هذا العالم الا بالاستعانة بتلك الارواح لأن هذه الارواح هى جواهر للافلاك . أو القول بأن حدوث الحوادث فى هذا العالم منوطه ومربوطه بالحركة المستديرة الفلكية المبرأة عن الانقطاع والتغير . وحيث ان الاجرام الفلكية تحتوى على الكواكب التى يحصل من تحركها نسب مختلفة تكون مبادئ لحدوث الحوادث فى عالم الكون والفساد .

(١) المطالب العالية من العلم الالهى للرازى ١٤٩/٨ - ١٥٢ بتصرف

الدليل الثانى :-

هناك احوال كثيرة فى هذا العالم مرتبطة بأحوال الشمس فى كيفية حركتها تحت منطقة البروج وهى بهذه الحركة تصير تارة شمالية وتارة جنوبية ولأجل هذا الاختلاف تحصل الفصول الأربعة وبسببها تختلف احوال العالم وأيضا بسبب طلوعها وغروبها فى اليوم تختلف احوال العالم وهذا استقرار قوى وبيان تام فى اسناد احوال هذا العالم بحركات الكواكب .

أما الدليل الاول فهو من اقوال الفلاسفة القائلين بأزلية الفلك والاجرام السماوية وأن حركتها اختيارية ودائمة لاتنقطع أبدا . وأن لهذه الافلاك عقولا وانفسا . وقد أبطلنا هذه الاقوال سابقا بنتائج علم الفلك . أما ان المقصود بالعقول والارواح الفلكية هى الملائكة فالملائكة من عالم الغيب وهم رسل الله وسفرته الى خلقه لهم مهمات يقومون بها امتثالا لأمر رب الكون وخالقة ولايخرجون عن أمره فى تدبير الكون ، أما الكواكب والنجوم فهى من عالم الشهادة . فاذا كان العلم بالملائكة ليس له مصدر الا الوحي . فان الوحي لم يذكر لنا ان الملائكة هى ارواح النجوم والكواكب . لذلك فهو رجم بالغيب ليس له أساس من عقل أو دين أو تجربة .

كما أن الملائكة عباد مخلوقين والمخلوق حادث اى له بداية وله نهاية سوا ١٦ طالت مدت حياته أو قصرت .

أما الدليل الثانى :- وهو مايسمونه الحجة الاقناعية فهو صحيح فيما أثبتوه من آثار للشمس ناتج عن حركتها كاختلاف الفصول وتتابع الليل والنهار وأن حياة الإنسان تتأثر بهذه الآثار ، لكن الخطأ فى عملية

التعميم بحيث اسندوا آشارا جميع الكواكب فى حياة الانسان ناتجه عن حركتها ، وأن هذه الآشار تتعدى الى اشياء ليس لها علاقة بالكواكب ولا بحركتها كالموت والحياة ووقوع الحروب والفتن والأمن وليس لهم دليل من موضوع الفلك يسعفهم لاثبات ذلك .

ثانيا :

ما يختص بالطبائع الفلكية والكواكب " ان الطريق الى ذلك أحـد

أمور ثلاثة : القياس والتجربة والوحى " (١)

ان القياس والتجربة ادلة عقلية مقنعة لكن بشرط خضوع الدعوى لها بحيث يتيسر لكل فرد ان يحكم باجابة واحدة مقنعة ، بمعنى ان تكون نتائج القياس والتجربة واحدة لا تختلف من شخص لآخر ومن بيئة الى أخرى لأن القياس والتجربة من مناهج البحث التى لاتخضع لها الامور النسبيه فلو وصفنا بأن كوكبا من الكواكب طبيعته السعادة والنحاسة ، فان هذه دعوى لاتخضع لقياس او تجربة وذلك لأن السعادة او النحاسة أمور نسبية بين مفاهيم الناس .

يقول قائلهم فى افراح الكواكب الموافقة للبروج " فرح عطارد فى الطالع وفرح القمر فى الثالث وفرح الزهرة فى الخامس وفرح المريخ فى السادس وفرح الشمس فى التاسع وفرح المشتري فى الحادى عشر وفرح زحل فى الثانى عشر فأى كوكب يوجد فى هذه البيوت فهو فرحان وهى من الحظوظ الصغرى للكواكب . " (٢)

أمور لاتخضع لتجربة أو قياس ، لكنها دعوى مبنية على اوهام قديمة فى كون الاجرام السماوية ذات عقول وانفس وارواح التى اثبت العلم

(١) المطالب العالية فى العلم الالهى للرازى ١٥٩/٨

(٢) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١٠٧/١

الحديث فى الفلك بطلانها .

أما طريق الوحي فليس المقصود به الوحي الذى ينزل على الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، لأنه لا يوجد فيما نزل عليهم ما يثبت دعوى احكام النجوم التى يقول بها المنجمون انما المراد بها ما يلهم به المنجم من أمور غيبية . يذكر عن بعضهم " أنه لما بلغ فى تمفيه النفوس ورياضة الذهن لاح له من الصور الفلكية ما لا يمكن وصفه " . (١)

ومن هذا الطريق تدخل الخرافات والاهام ، لأنه لا يوجد ضابط له وهنا يتوقف دور العقل حتى صدور النتيجة فان وافق الواقع حكم بالصحة وان لم يوافق حكم بعدمها .

اذن العملية اساسا تقوم على الحدس والتخمين ومحض الصدفة فى حصول الامر أو عدم حصوله من وقوع الكوكب الفلانى فى البرج الفلانى مع أتماله بأخر فى الوقت الفلانى .

الادلة الشرعية :

اما ادلتهم الشرعية التى يزعم المنجمون أنها ادلة على صحة التنجيم فمنها الآيات القرآنية ومنها الاحاديث النبوية ومنها الآثار عن الصحابة والتابعين .

الآيات القرآنية :

احتجوا بأغلب الآيات الخاصة بالفلك مع أنه ليس لهم فيها حجة على صحة احكام النجوم منها الآيات التى وردت فى معرض القسم ببعض الاجرام السماوية كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (الواقعه : ٧٥ - ٧٦) . وقوله تعالى :

(١) المطالب العالية ١٦٠/٨

* فلا أقسم بالخنس الجوار المكنس * (التكوير : ١٥ - ١٦) وقوله تعالى : * والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الشاقب * (الطارق : ١ - ٣) .

وليس في هذه الآيات دلالة على احكام النجوم وانما هي دلالات على قدرة الله وبديع صنعه التي أوضح لنا منها علم الفلك الحديث جوانب كثيرة وبالذات ما يخص المواقع والابعاد الشاسعة التي بينها وان لهذه الاجرام انواع وصفات لم يكن يعرفها البشر قبل تقدم علم الفلك في هذا العصر والتي تدل دلالات أكيدة على عظم خالقها وبديع صنعه أما بالنسبة لشرفها فالله سبحانه اقسم باشيء آخر غير هذه الاجرام مما ليس لله تعلق بها والله ان يقسم بما شاء من خلقه .

كما احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام وقومهم * فنظر نظرة في النجوم . فقال انى سقيم . فتولوا عنه مدبرين * (الصافات : ٨٨ - ٩٠) . بأن خليل الرحمن قد تمسك بعلم النجوم واحكامها حين قال " انى سقيم " وقد ذكر الرازى للعلماء فيها وجوها منها " ١ - ان قوم ابراهيم عليه السلام كانوا اصحاب النجوم يعظمونها ويقفون بها على غائب الامور فلذلك نظر ابراهيم عليه السلام في النجوم اى في علوم النجوم وفي معانيها لا أنه نظر بعينه اليها وانما اراد ان يوهمهم أنه يعلم ويتعرف من حيث يتعرفون حتى اذا قال انى سقيم سكنوا الى قوله .

٢ - لانسلم ان النظر في علم النجوم والاستدلال بمقايستها حرام لأن من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بقوة وبخاصية لأجلها يظهر منه أثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل وأما

الكذب فغير لازم لانه ذكر قوله انى سقيم على سبيل التعريف بمعنــــى
أن الانسان لاينفك فى أكثر احواله عن حصول حالة مكروهه اما فى بدنه
أو فى قلبه وكل ذلك سقم" . (١)

فالجواب على هذا ان الانبياء ملوات الله عليهم وسلامه معصومون عن
الخطأ والكذب وقول الزور وعدم اعتمادهم فى تبليغ أمره والدفاع عن
دينه بما يخالف أمر النبوة . فالقول بأنه عليه السلام نظر فى علم
النجوم وفى معايينه ليس من النبوة فى شيء والا فكيف يفرق بين معجزة
النبي وبين قول الساحر حيث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان علم احكام النجوم شعبة من السحر (من اقتبس علما من النجوم اقتبس
شعبة من السحر زاد ما زاد) (٢) وأما ما أورده القرطبي فى تفسيره
عن ابن عباس " كان علم النجوم من النبوة فلما حبس الله تعالى الشمس
على يوشع بن نون أبطل ذلك فكان نظر ابراهيم عليه السلام فيها علما
نبويا " . (٣)

هذا الاثر لم يرد فى كتب التفسير وبالذات الكتب المعتمده كما
انه بغير اسناد يرفعه الى ابن عباس فبهذا يكون الاثر مشكوك فى صحته وفى
نقله عن ابن عباس كما أنه يتنافى مع ما هو معروف عن النبوة التى تثبت
فيها المعجزة للانبياء بدون الاعتماد على معادر غير يقينيه فى احكامها ،
وكيف يكون التنجيم من النبوة وهو شعبة من السحر ؟

ولكن الاصح فى حق هذا النبي ان يؤخذ المعنى على مراد يوافق
ماشرف به من نبوة ورسالة وهو ان العرب تقول لم تفكر أنه نظر فى

(١) تفسير الرازى ١٤٧/٢٦

(٢) سنن ابن ماجه ١٢٢٨/٢

(٣) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ٩٢/١٥

النجوم ، والقرآن قد نزل بلغتهم ونقل ذلك ابن كثير عن قتادة وقال
 " يعنى قتادة أنه نظر الى السماء متفكرا فيما يليهم فقال انى سقيم
 أى ضعيف " . (١) حيث انه اعتذر عن الخروج معهم الى عيدهم نظــــرا
 لما يجده من تضاييق فى نفسه من عمل قومه ولم يكن كذبا انما كان صادقا
 فى ذلك ، لأن الضيق فى النفس والقلب يمرض صاحبه ويسقمه . أما حديث
 الرسول صلى الله عليه وسلم (لم يكذب ابراهيم عليه السلام الاثــــثلاث
 كذبات) . (٢) فقد ذكر فيه العلماء انه ليس من باب الكذب الحقيقى
 الذى يذم فاعله . ويذكر ابن حجر قوله " واما اطلاقه الكذب على الامور
 الثلاثة فلكونه قال قولا يعتقده السامع كذبا لكنه اذا حقق لم يكن
 كذبا لأنه من باب المعارض المتحملة للأمرين فليس بكذب محض " . (٣)

ولقد ترجم البخارى فى الصحيح لأحاديث كثيرة تدخل فى هذا الجانب
 فى كتاب الأدب - باب المعارض مندوحة عن الكذب بمعنى الفسحة والمتسع
 اذا الآية " فنظر نظرة فى النجوم " ليس فيها دلالة على الأخذ بصناعة
 التنجيم .

الاحاديث النبوية :

اما احتجاجهم بالآحاديث فذلك ما وجدناه فى أحد كتبهم (٤) منها
 ايراد خبر عن بعض الكتب المنزلة عن الله تعالى (أنا الله الذى لا اله
 الا انا وحدى لاشريك لى محمد المختار عبدي ورسولى أمته الحامدون رعاة
 الشمس) ثم استشهد بالحديث (ان خير عباد الله الذين يراعــــون
 الشمس والقمر لذكر الله) وهذا الحديث فى الحلية لابی نعيم وعنه

(١) تفسير ابن كثير ١٣/٤

(٢) صحيح البخارى ١٧١/٤ كتاب بدء الخلق - باب . واتخذ الله ابراهيم خليلا
 صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٨٨/٦ كتاب الانبياء .

(٣) فتح البارى ٣٩١/٦

(٤) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١١/١

الحاكم عن ابن ابي او فى بلفظ (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خيار عباد الله الذين يرعون الشمس والقمر والنجوم والأظلام لذكر الله) . (١)

وذكر ابو نعيم " ان الرواية وردت مرفوعة وموقوفة " وقد تابع الذهبى الحاكم وقال " اسناد صحيح " كما روى الحاكم موقوفا على ابي الدرداء قوله (ان احب عباد الله الى الله الذين يحبون الله الى الناس والذين يرعون الشمس والقمر) . (٢)

فلاحاديث ليس فيها دلالات على التنجيم وانما المراد ذكر الله وبالاخص فى اوقات الصلاة فانها مرتبة بأزمان تتعين بحركة الشمس اليومية والقمر . وما يؤيد هذا ما ذكره صاحب المقاصد " ان الطبرانى روى فى معجمه الاوسط عن أنس بن مالك يرفعه " لو اقسمت لبررت أن احب عباد الله الى الله لرعاة الشمس والقمر - يعنى المؤذنين - وأنهم ليعرفون يوم القيامة بطول اعناقهم " . (٣) وهو بمعنى رواية الحاكم عن ابي الدرداء رضى الله عنه . كما احتجوا بحديث عبد الله بن مسعود قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابى فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا) . (٤) وقال ابن القيم فى المفتاح " ان الحديث لم يثبت ولو ثبت لكان حجة عليه لانه اذا لو كان علم الاحكام النجومية حقا لابطال ما ينفى عنه النبى صلى الله عليه وسلم ولا أمر بالامساك عنه .

فانه لاينهى عن الكلام فى الحق بل يدل على أن الخائض فيه خائض فيما

(١) حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني ٢٢٧/٧ ، مستدرک الحاكم ٥١/١

(٢) مستدرک الحاكم ٥١/١

(٣) المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٢٠٢ - حديث رقم ٤٤٩

(٤) حلية الاولياء ١٠٨/٤ وقد حكم ابو نعيم على غرابه الحديث .

لأعلم لله به " (١) . وأما احتجاجهم بنهيه صلى الله عليه وسلم عن استقبال الشمس والقمر واستدبارهما عند قضاء الحاجة . فإنه لم يثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء ، وإنما هي آراء لبعض الفقهاء في ذلك فقد ذكر ابن القيم والشوكاني أنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كلمة واحدة . لا بأسناد صحيح ولا ضعيف ولا مرسل وليس لها أصل في الشرع وأن ذلك من غرائب أهل الفروع والحديث مكذوب على الرسول صلى الله عليه وسلم . ويقول الشوكاني " وأعجب من ذلك الحاق النجوم النيرات بالقمرين فإن الأصل باطل فكيف بالفرع ؟ " (٢)

آثار الصحابة والتابعين :

أما احتجاج بالآثار عن الصحابة والتابعين فما أورده صاحب الأحكام (٣) منها :

١ - ماروى عن على رضى الله عنه " من اقتبس علما من علوم النجوم من حملة القرآن ازاد به ايمانا ويقينا " .

٢ - ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما " علم النجوم هو علم من علوم النبوة وليتنى كنت احسنه " .

٣ - ماروى عن ميمون بن مهران " اياك والتكذيب بالنجوم فإنه علم من علوم النبوة " .

هذه الآثار الواردة في هذا المجال تخالف هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يعقل من الصحابة والتابعين مخالفة هدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حكم على أن من اقتبس شعبة من النجوم والمراد به التنجيم قد اقتبس شعبة من السحر فكيف يكون من

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢١٤/٢

(٢) المصدر السابق ٢٠٥/٢ ، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني ٧٠/١

(٣) أحكام الحكيم في علم التنجيم ١١/١

حملة القرآن ازداد به ايماننا وبقيننا .

كما ان الخبر الوارد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يتنافى مع انكاره على المنجم الذي حاول منعه من الخروج لقتال الخوارج بحجة أنه لن ينتصر لأن القمر في برج العقرب فكذبه وخرج وقاتل وانتصر وقال للمنجم " ماكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأبي بكر ولا لعمر منجم بل أخرج ثقة بالله وتوكلا على الله وتكذيبا لقولك " (١) فنصره الله وأخزى عدوه .

واما الادعاء بأن احكام النجوم من النبوة فهذا لم يرد به خبر صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو اجماع من المسلمين . مع مافى التنجيم من مخالفة للنبوة حيث فيه من الحسد والتخمين بمعرفة الغيب عن النجوم ، والغيب لله سبحانه وتعالى يختص به من شاء من عباده علما يقينا وليس علما ظنيا والعابه والتابعين رضوان الله عليهم يعلمون علما جازما ان التنجيم يخالف هدى النبوة فكيف يليق بهم الادعاء بأنه من علم النبوة ؟

هذا ماتيسر لنا من ادلتهم العقلية والشرعية .

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢/٢١٢٥

المبحث الرابع

التنجيم والعلم

من المعلوم ان للعلم مجالات لاتخرج عن ثلاث اتجاهات هي مجال الالوهية
مجال الكون ، مجال الانسان . وعن طريق ترابط هذه المجالات وتفرقها
تنتج فروع العلم .

ومعرفة الغيب من العلم الالهي . والتنجيم هو اصدار احكام غيبية
تخص حياة الانسان ونسبها الى بعض اجزاء الكون وهي الاجرام السماوية
وانها هي الفاعله مع ان هذه الافعال من صنع الاله .
اذاً فالتنجيم يبحث في علاقة الانسان بالالوهية في مجال الكون . فهو
يعتبر بذلك فرعا من فروع العلم له علاقته بالعلوم الاخرى .

وقد يقول قائل كيف يكون التنجيم علما وهو يقوم على الحدس والتخمين
فيقال الحدس والتخمين هو ظن وقد ثبت ان الظن علم ، كما تقول هـذا
يفيد العلم الظني . وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
(ما اقتبس رجل علما من النجوم الا اقتبس بها شعبة من السحر ..) (١)

فالرسول صلى الله عليه وسلم سماه علما وعده شعبة من السحر
ولا يخفى ان السحر علم بنص القرآن قال تعالى : ﴿ واتبعوا ما تتلوا
الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان
من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر .. ﴾ (البقرة : ١٠٢)
اذاً مادام التنجيم علم ، فهل هو من الظن البحت ، أم فيه جانب

(١) مسند الامام احمد - د - ٢٢٧/١

لعلم الفلك بمناهجه الحديثه وهى كذلك نتائج معلومه لعلم الهيئه
الفلك - عند المسلمين .

لكن الامور الظنيه حينما يستخدم المنجمون هذه المقدمات الصحيحه
لاستنباط أمور واخبار غيبية عن مستقبل الانسان فى أحواله الاخلاقيه
والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية فان هذا نوع من التنبؤ
الباطل بالغيب ، اذ لاتوجد اى رابطة بين المقدمات الصحيحة المتعلقة
بالفلك وبين مايقوله هؤلاء المنجمون وذلك لأن الجهة منفكه بين المقدمات
والنتائج .

وان قال قائل من المعروف ان الشمس بحرارتها تؤثر فى أمزجة الناس
وبالتالى تؤثر فى اخلاقهم وحياتهم قيل ان كان ذلك مما يقع تحت القياس
والتجربة كما هو شرطكم فهذا مقبول ، كاختلاف عادات الشعوب نظــــرا
لأن اجواء بلدانهم تختلف من حرارة وبرودة والتي لها علاقة بالشمس
فهذا أمر محسوس وليس فيه أمر غيبى ، اما اذا كان الأمر فيه شيء من
الغيب بحيث لايقع تحت تجربة وقياس وملاحظة مستمرة ينتج عنها حكم قطعى
فهذا مجرد حدس وتخمين .

علاقة التنجيم بالعلوم الاخرى :

تتنح علاقه التنجيم بالعلوم فى فرعين من فروع العلم هما علم الفلك

والسحر .

أولا : العلاقة بعلم الفلك :

يعتبر علم الفلك اساسا لعلم التنجيم وان كان التنجيم متقدما عليه
لكن ليس كل ما فى علم الفلك يحتاجه التنجيم وانما جوانب من علم الفلك
يعتمد عليها التنجيم . فمثلا أنظمة المجرات ، ومكونات الاجرام السماوية

والسرعات الحقيقية ، ومواقع النجوم الحقيقية ، ودوران المجرات كل هذا لاتجده فى كتب التنجيم . وانما غالبية ما يحتاجه التنجيم من الفلك الحركات الظاهرية للنيرين والكواكب فى البروج والمنازل ، وبعض الاثار المتعلقة بهذه الحركات .

كما أن روح الفلك القديم تظهر بوضوح فى جانب التنجيم . أما المعلومات الحديثة فى علم الفلك وان كانت تتفق فى بعض الأساسيات مع علم الفلك القديم الا جانب التنجيم لا يبدو فى انسجام مع المعلومات الحديثة فى الفلك .

فمثلا نجد فرقا واضحا فى اصطلاح نجم وكوكب فى العلم الحديث لكن فى القديم نجده فى أغلب الاحيان بمعنى واحد . ومما يدل على ذلك ما ثبت حديثا فى علم الفلك من ان الشمس نجم من النجوم يحتل المركز فى النظام الشمسى ومن حوله تسع كواكب . اما فى الفلك القديم فالشمس هى أحد الكواكب السبعة وهو المعتبر فى التنجيم ومما يدل على ذلك ماورد فى كتاب احكام الحكيم فى علم التنجيم (١) جدول يعرف منــــه ما للكواكب السبعة من الجواهر والطعوم . الخ .

فنجد فى الجدول ان الكواكب السبعة هى زحل - المشتري - المريخ الشمس - الزهرة - عطارد - القمر - بنفس فكرة الفلك القديم للكواكب واعتبار القمر كوكبا مستقلا مع انه تابع لكوكب الأرض .

واذ عدنا الى التعريف الاصطلاحى للتنجيم وموضوعه تبين لنا ان علم التنجيم لايعتمد على كل المعلومات الفلكية ، وبالاخص المعلومات الحديثة ، وانما على جزئيات من علم الفلك . فالتعريف يبين ان الاحكام

(١) احكام الحكيم فى علم التنجيم ١٤٧/١

النجوميه مستنتجه من الكواكب من جهة حركاتها ومكانها وزمانها .
اي الحركات الظاهرية ومكانها وزمانها بالنسبة للبروج والمنازل .
وفى التعريف الآخر يقول معرفة الافعال العادرة عن الكواكب
وتأثيراتها فيما دون فلك القمر .

اذن الجوانب المستفادة من علم الفلك فى التنجيم هى :

١ - الحركات الظاهرية للكواكب بما فيها النيرين وعلاقة ذلك بالبروج
والمنازل .

٢ - التقويمات الفلكية المعتمدة على الحساب فى تحديد ساعات الطوالع
والبروج والمنازل والاعتماد على بعض اجهزة الرصد .

٣ - التأثيرات الفلكية فيما دون فلك القمر . مع العلم ان غالبية
التأثيرات المشار اليها فى علم التنجيم ليس لها دليل من علم
الفلك ، كالتأثير على الاضطراب والأمن فى دولة من الدول .

ثانيا : علاقة التنجيم بالسحر :

يختلف كثير من الناس فى التعريف الاصطلاحي للسحر وكذلك فى حقيقته
وانواعه لكن اغلب المصادر ، اذا لم تكن كلها ، تجمع على ان من انواع
السحر ماله علاقة بالنجوم واحكامها . ويرون ان من رياضة السحر
التوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية بأنواع التعظيم .

ويذكر الرازى أن النوع الأول من انواع السحر والذى يعتبر أعظمها
قوة وأشدّها تأثيراً - على مايقال - السحر المبنى على مقتضيات احكام
النجوم . ويقول بعد ان ذكر اقسام السحر " واعلم ان شيئا من هذه
الاقسام لا يتم ولايكمل الا عند الاستعانة بالسحر المبنى على النجوم " (١)

(١) المطالب العاليه من العلم الالهى ١٤٣/٨ - ١٤٦

هذا ما تذكره المصادر عن علاقة السحر بالتنجيم ، الا أن العبارة
الآخيرة من كلام الرازي بأن أي قسم من اقسام السحر لا يتم ولا يكتمل
الا بالاستعانة بالسحر المبني على النجوم فهذه عبارة لا تعرف مدى صحتها
وانما أمرها يرجع لأهل هذا الفن . المهم عندنا القول بأن النجوم
واحكامها لها علاقة بالسحر ومعداق هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم
(من أقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) (١)

ويذكر الجصاص ان علوم أهل بابل قبل ظهور الفرس والتي يعتمد
عليها سحرهم الحيل واحكام النجوم وغيرها . وكانوا يعبدون أوثاناً
قد عملوها على اسماء الكواكب السبعة وجعلوا لكل واحد هيكلاً في
صنمه ويتقربون اليها بغروب من الافعال حسب اعتقاداتهم من موافقة
ذلك الكوكب المطلوب من الدخن والرقى والعقد والنقث عليها . وجميع
تلك الرقى بالنبطية تشتمل على تعظيم الكواكب الى ما يريدون من خير
أو شر ومحبة وبغض . فهذا أصل سحر بابل ومع ذلك كانوا يستعملون
سائر وجوه السحر والحيل . (٢)

ويذكر ابن خلدون ان نفوس السحرة مراتب ثلاثة هي :

- ١ - نفوس مؤثرة بالهمة من غير آلة ولا معين .
- ٢ - نفوس مؤثرة بمعين من مزاج الافلاك أو العناصر أو خواص الاعداد
- ٣ - نفوس مؤثرة بالقوى المتخيلة .

ويقول " ان الفلاسفة يفرقون بين التأثير الأول والتأثير الثاني
فالأول يسمونه سحر وهو اتحاد روح بروح ، والثاني العظمسات وهي اتحاد
روح بجسم ، ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع
السفلية والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب . ولذلك يستعين

(١) سنن أبي داود ١٦/٤

(٢) احكام القرآن للجصاص ٤٣/١ - ٤٥

صاحبه غالب الامر بالنجامه" . (١)

ويذكر القرافي في الفروق ان العلوم لها تعلق بالأفلاك والكواكب
كما انه قسم السحر الى ثلاثة انواع نوع منها له تعلق بالآثار السماوية
من الاتصالات الفلكيه وغيرها من احوال الفلك . (٢)

إذاً فخلاصة القول هو ان التنجيم يعتبر من أكبر الفروع التي يعتمد
عليها السحر سواء كانت العلوم فرع من فروع السحر أم لم تكن .

(١) مقدمه ابن خلدون ص ٤٩٦ - ٥٠٣

(٢) الفروق للقرافي ١٣٧/٤ - ١٤٢

المبحث الخامس

موقف العقل والدين من التنجيم

لأحد ينكر ما لهذه الاجرام السماوية من أثر في حياة الانسان على الأرض منها ماورد به العلم على وجه التجارب والقياس والتتبع بحيث يقطع بعصه ذلك ومنها ما ثبت بادلة شرعية .

فقد ورد عن عائشة رضى الله عنها ان النبی صلی الله عليه وسلم نظرا الى القمر فقال (يا عائشه استعيذى بالله من شر هذا ؟ فان هذا الغاسق اذا وقب) (١) وقد ذكر الترمذی ان هذا الحديث حسن صحيح .

ولفظه وقب" كلمة تدل على غيبة شيء في مغاب . يقال وقب الشيء: دخل في وقبه . ووقب القمر وقوبا دخل في الظل العنوبری الذي يكسفه (٢) وهو ما يحدث في حالة خسوف القمر عندما يقع في ظل الأرض . وقد ورد في احاديث الكسوف ان الله سبحانه يخوف بهذه الحادثة عباده حتى يلجأوا اليه .

لذلك ورد الامر الشرعى بالعلاة والذكر حتى ينجلى . والرسول صلی الله عليه وسلم حينما أمر عائشة رضى الله عنها بالاستعاذه من شر القمر اذا وقب فهو من جنس هذا . كما ورد عنه صلی الله عليه وسلم الاستعاذه من شر الريح وشر ما أرسلت به وهذا من الاستعاذه السابقة وليس المراد انه فيه دلالة على احكام النجوم والأخذ بها .

لذلك نجد ان للعقل والدين موقفا من التنجيم .

(١) مسند الامام احمد ٦١/٦ ، سنن الترمذی ٤٥٢/٥ ، مستدرک الحاكم ٥٤١/٢

(٢) مقاييس اللغة ١٣١/٦ ، لسان العرب ٨٠١/١

وقد يقول قائل اذا كان هذا الكلام صحيحا فكيف أنتشر في عصرنا الحديث هذا العلم وأخذ الطابع العصري بحيث أصبح تحديد الطالع واصدار الاحكام النجومية عن طريق استخدام الحاسب الآلى .

وهذا الانتشار انما يدل على ان العقل يقر هذا ويقبله وان هذا علم له أصوله وقواعده نقول هذا الكلام عن انتشار هذا العلم صحيح ، بحيث أخذ الطابع العصري . لكن المروجين له ليس مقصودهم قبول العقل اورده أو صحة الاعتقاد فيه وانما المراد من هذا الترويج هو الكسب المادى والاقتصادى فقط ، بحيث يستغلون حب الناس لاستطلاع الأمور الغيبية فيوهمونهم بأن هذا أمر منطقى مقبول لاستدرار الاموال الطائلة التى تعود بالربح على مصنعي الآلات العصرية التى تستخدم فى هذا المجال واستغلال النظم العصرية فى ذلك . مع ان الحاسب الآلى كما ذكرنا سابقا ليس له دور فى اعطاء الاحكام الصحيحة . فحسبنا تعطى له المعلومات يكون عطاءه .

وما دام المنجمون متناقضين ومختلفين حول أسس علمهم وأصوله أختلفا كبيرا من غير دليل يمكن معه ترجيح رأى الامح ، فأن ذلك مما لا يعول عليه فى شيء ولا يقبله العقل ولا يقره . لذلك يذكر عن بعض الفلاسفة قوله " انه لاسبيل الى اليقين بمعرفة تأثير الكواكب " (١) .

ثانيا : موقف الدين الاسلامى من التنجيم :

ان الدين الاسلامى لا يمنع تعلم الأمور الفلكية كعلم قائم بذاته باعتباره أنه أحد الدعائم التى جعلها الله سبحانه دلائل للخلق للتعرف عليه سبحانه كما قال سبحانه ﴿ سريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم

حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد *

(فصلت : ٥٣) .

وعلم الفلك هو جزء من آيات الآفاق . كما أنه يفيد في معرفة

عدد السنين والحساب وأوقات العلاء والحج والمصوم .

أما تعلم الاحكام النجومية والتي يرد بها استطلاع الغيب فان الاسلام

لا يقره . فنجد في النصوص الشرعية النهى حتى عن مجالسة اصحاب النجوم

- اى المنجمون - فقد ذكر الامام احمد في مسنده وصية رسول الله

صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه حيث قال : (يا على اسبغ الوضوء

وان شق عليك ، ولا تأكل الصدقة ، ولا تنزل الحمير على الخيل ، ولا تجالس

اصحاب النجوم) (١) فاذا كان النهى عن مجالستهم فما بالك بمن يعمل

عملهم .

وذكر الالوسى في تفسيره . أن الفقهاء اختلفوا في أمر التنجيم

لكن الجمهور على تحريمه (٢) لما في ذلك من المحاذير التالية .

١ - اعتبر الشرع احكام النجوم من شعب السحر كما قال صلى الله عليه

وسلم (من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) (٣)

وحيث ان النصوص الشرعية قد ذمت السحر وجعلت عدم الفلاح لأهل

كما قال تعالى حكاية عن موسى وقومه * فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا

ان هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر

هذا ولا يفلح الساحرون * (يونس : ٧٦ - ٧٧) .

وقال تعالى لموسى * والحق ما فى يمينك تلقف ما منعوا انما منعوا

كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * (طه : ٦٩) .

(١) مسند الامام أحمد ٧٨/١

(٢) روح المعاني ١٢١/٢٣

(٣) مسند الامام احمد ٢٢٧/١ ، سنن ابى دواود ١٦/٤ ، سنن ابن ماجه ١٢٢٨/٢

وقد أتضح من اختلاف أهل التنجيم على أصول علمهم عدم فلاحهم .

والانسان يسعى في هذه الأرض لاكتساب الفلاح والنجاح .

٢ - يؤدي الى الاعتقاد في تأثير الكواكب بنفسها ، وهذا يتنافى مع

ما جاء في نصوص الوحي بأنها مسخرة لما اراده منها خالقها سبحانه

٣ - كما تؤدي هذه الاحكام الى التشاؤم والتطير وقد نهانا الشرع عن

التشاؤم والتطير الذي يؤدي بالانسان الى ترك العمل خوفا مما

سمعه فقد أورد الامام مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السلمي

حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الطيرة فقال (ومنا رجال

يتطيرون قال - قول النبي - ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا

يعدنهم ...) (١) .

كما ذكر البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما

عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة السبعين ألف الذين يدخلون

الجنة بغير حساب فقال (هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون

وعلى ربهم يتوكلون ...) (٢) .

ولأن الطيرة تؤدي الى الشرك فقد ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله

عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الطيرة شرك - ثلاثا)

وقال ابن مسعود " وما منا الا ولكن الله يذهب بالتوكل " . (٣)

٤ - ما قد تؤدي به من اضرار اجتماعية وسياسية وغير ذلك فمثلا يذكر

ابن خلدون - ما ينشأ عنها كثيرا في الدول من توقع القواطع وما

يبعث عليه ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمتربصين بالدولة الى

الفتك والثورة - ويقول "وقد شاهدنا من ذلك كثيرا " . (٤)

(١) صحيح مسلم ٣٨٢/١ حديث رقم ٣٣ ، صحيح مسلم بشرح النووي ٢٤/٥

(٢) صحيح البخاري ١٦٣/٧ كتاب الطب باب من اکتوى او كوى غيره

صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١٥٥/١٠ ، حديث رقم ٥٧٠٥

(٣) سنن ابى داود ١٧/٤ - عون المعبود ٤٠٥/١٠ - ٤٠٦ .

(٤) مقدمه ابن خلدون ص ٥٢٢

الفصل الثالث

عبادة الاجرام السماوية
ويشتمل على المباحث :

أولا : عبادة النجوم

ثانيا : عبادة الشمس

ثالثا : عبادة الكواكب

رابعا : عبادة القمر

عبادة الاجرام السماوية :

ان اعتقادات الناس فى الأوثان وفى الاجرام السماوية لا زالت الـى
يومنا هذا . ففى بعض دول العالم وبالأذات الدول ذات الكثافة السكانية
كالهند والصين وغيرها من بلاد شرق آسيا تنتشر عبادة بوذا .

ويرى بعض دارسى العقائد ان ديانة بوذا قد تكونت على أساس اساطير
الشمس القديمة . (١)

كما أن دولة اليابان على قدر تقدمها فى مجالات العلوم بحيث تعتبر
من الدول الصناعية المتقدمة ، الا ان اعتقاداتهم فى الاجرام لازال كما هو
على عهد القدماء . فهم يعتقدون ان امبرطور اليابان هو ابن الله
الشمس . يقول صاحب قصة الحضارة فى ذلك نقلا عن اقدم مادون فى اليابان
من تاريخ " فى البداية كانت الآلهة تولد ذكرا وانثى ثم تموت حتى مدر
الأمر فى النهاية من شيوخ الآلهة الى اثنين منهما هما - ايزانا-جى ،
ايزانامى - وهما أخ وأخت من الآلهة أن يخلقا اليابان فوقفا على جسر
السماء العائم وقدفا فى المحيط برمح مرمع بالجواهر ، ثم رفعاه الـى
السماء فتقطرت من الرمح قطرات أصبحت هى الجزر المقدسة ، وشهدت الآلهة
ماتسونه الغفادع فى الماء ، فتعلمت منها سر اتعال الذكر بالأنثى
ومن ثم التقى ايزانا-جى وايزانامى التقاء الزوجين وأنسلا الجنس اليابانى
وولدت أماتيرا سو - الالهة الشمس - من عين ايزانا-جى اليسرى وكذلك
حفيدةا نني-جى ، فنشأت سلسلة متصلة مقدسة حلقاتها هم أباطره اليابان
العظمى . فمنذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا لم تشهد اليابان الا هذه
الاسرة الحاكمة الامبراطورية " . (٢)

(١) قصة الحضارة ٨٦/٣

(٢) المرجع السابق ٨/٥

واذا حاولنا معرفة أسباب انتشار هذه العبادات التي لا يزال بعضها موجودا الى يومنا هذا . نجد أن من أهم هذه الاسباب ، الفطرة التي لم تسلم من الخلل ، يحجبها الخوف وبالذات من الموت ، وكذلك الدهشة من الحوادث التي تحدث في الكون والتي لها علاقة بالاجرام السماوية ، مما دفع الانسان للبحث عن علل هذه الحوادث التي كثيرا ما تخفى على الانسان ، وبخاصة في عصر التخلف الحضارى فيؤدى به الى وصف هذه الاجرام بصفات التقديس التي لاتليق الا بالحق سبحانه وتعالى .

فقد يصفها بالروحانيات والعقول ويتجه اليها بنوع من شعائر العبادات ومظاهر الاجلال التي لاتليق الا بالخالق سبحانه .

وقد لا يكون هناك نوع من مظاهر عبادية ، وانما هي اعتقادات فى نسبة الفاعلية المستقلة لها . ومن ثم ينتج عن ذلك سلوك معين من الخوف والرهبنة التي لاتكون الا لله .

وربما كان هذا الخوف من نوع الخشية على المعالحم مما ينتج عنه نوع من التشاؤم والتفاؤل فى الأقدام على الأعمال او الأحجام عنها .

وقد ثبت ان للعرب قبل الاسلام اعتقادات فى النجوم كما ذكرناها سابقا .

المبحث الأول

عبادة النجوم :

سنخص بالذكر عبادة النجوم عند العرب لكون القرآن قد ذكر نجوم الشعرى رداً على بعض القبائل العربية التي اتخذته الها ورباً فقال سبحانه وتعالى في كتابه ﴿ وانه هو رب الشعرى ﴾ (النجم : ٤٩) . وهو اسم بالعربية لنجمين يقال لهما الشعرى اليمانية او العبور والشعرى الشاميه او الغميعاء " ويزعم العرب انهما اختان فأقبل نجم سهيل من ناحية اليمن واقبلت الشعرى من ناحية الشام حتى أنتهى الفريقان الى شاطئ المجرة فخطبهما سهيل فاجابته فعبرت اليه الشعرى اليمانية ولم تستطع الشاميه ان تعبر فقعدت تبكى حتى غمعت عيناهما اى سال غمعهما من شدة البكاء " (١)

ويذكر ابن الصوفى ان القصة هي " ان الشعرين هما اختا سهيل وأن سهيل تزوج بالجوزاء فنزل عليها وكسر فقارها وظهرها فهو هارب نحو الجنوب خوفاً من ان يطالب بكسر الجوزاء ولاذ بكبد السماء وان العبور عبرة المجرة الى سهيل وتسمى اليمانية لأن مغيبها في شق اليمن وتسمى العبور " . (٢)

- اما الزعم الوارد في دائرة المعارف الاسلامية من ان الشعرى أمها غير عربى وانهما المرزبان في لغة العرب فغير صحيح . لان المرزبانان نجمان آخران غير الشعرى - المهم انه كان للعرب اعتقادات اسطورية في هذه النجوم كاعتقاد المنجمين في الكواكب . حتى أن احدهم لا يتحرك

(١) دائرة المعارف للبستانى ١/ ١٥٧ ، ٤٩٥

(٢) سورة الكواكب الثمانية والأربعين ص ٢٨٨

ولاييسكن ولايسافر ولايقيم الا بنوء نجم معين .

وكان من شأن الشعري أن عبدته بعض القبائل العربية ونقل القرطبي
واللوسى عن السدى أن من عبدها من العرب حمير وخزاعة . (١)

ويذكر ابن الاثير ان المشركين من أهل مكة ينسبون النبی صلى الله
عليه وسلم الى ابي كبشه الخزاعي كان خالف قريشا في عبادة الاوثان وعبد
الشعري العبور فلما خالفهم النبی صلى الله عليه وسلم في عبادة الاصنام
شبهوه به . (٢) .

وذكر في دائرة المعارف ان طيثا تكرم نجم سهيل اكراما كثيرا فهم
يعتقدون بأنه المكفل بأمورها ويقولون ان له اعظم تأثير سعيد على
النبات . (٣) .

ومن النجوم التي أعتقد العرب قبل الاسلام في فاعليتها المستقلة
وتم عبودها . الدبران ، والثريا والمرزم .

فالدبران كانت تعبد قبيلة كنانة وطائفه من تميم . كما ان طيثا
عبدت الثريا الى جانب عبادة سهيل . كما ان بعض قبائل ربيعة عبـدت
المرزم . كما شاركت خزاعة في عبادة الشعري بعض قبائل لخم وقريش . (٤)
والدبران هو ما تسميه العرب بالمجدح وهو يتبع الثريا . لذلك
سمى دبران لدوره الثريا .

ويذكر ابن الصوفي ان هناك فرجه بين مغيب الثريا ومغيب الدبران
تقدر بست درجات من درجات البروج يسميها العرب الغيقه ، لأنهم يستعملون

(١) تفسير القرطبي ١١٩/١٧ ، تفسير اللوسى ٦٩/٢٧

(٢) جامع الاصول في أحاديث الرسول ٢٧٣/١١ ، ويرجع هامش سيرة ابن
هشام ١ ، ٤٧٨/٢ ، والروض الانف للسهيل ٢٢٨/٢

(٣) دائرة المعارف للبستانى ١٥٧/١٠

(٤) دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، د. السيد عبدالعزيز سالم ص ٤٢٦

نواها وسقوطها في المغرب بالغدوات عند طلوع رقبائها وظهورها — تحت الشعاع .

ولقد استنحسوا هذه الفئقة واستنحسوا الدبران أيضا مفردا ، وتشاءوا به حتى قالوا ان فلانا أشأم من حادى النجم . كما يتشائمون بالمطر الذى يكون في نوثه ويزعمون ان سنتهم جديه في ذلك . (١)

اما الحديث الذى اوردته الامام احمد في مسنده والطبراني في المعجم عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (اذا طلوع النجم رفعت العاهة عن كل بلد) وفي رواية احمد أيضا (ماطلع النجم صباحا قط وتقوم عاهة الا رفعت عنهم أو خفت) (٢) والنجم هو الشريا .

فالمقصود ان النجم علامة لارتفاع عاهات الثمار وليس المؤثر فيها وما يؤيد ذلك ما حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس حال بيع الثمار يحتجون بعاهات تعيب الثمار في حال التقاضى . فأشار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لاتباع هذه الثمار الا في حالة الملاح . فكان زيد بن ثابت يتحين طلوع الشريا حيث يدل طلوعها على ملاح الثمار من الأصفر والأحمر . وهذه الحادثة اوردتها الامام البخارى في صحيحه في كتاب البيوع باب بيع الثمار قبل أن يبدؤ ملاحها .

وطلوع الشريا يوافق اوائل الصيف حيث يشتد الحر في بلاد الحجاز وينفج الثمر . ويقول ابن حجر " فالمعتبر في الحقيقة النجم ، وطلوع النجم علامة — " . (٣)

ويؤيد ذلك ما رواه الامام احمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال

(١) صور الكواكب الثمانية والاربعين ص ١٥٤ - ١٥٥

(٢) مسند الامام احمد ٣٤١/٢ ، ٣٨٨ ، معجم الطبراني الصغير ٤١/١

(٣) فتح البارى ٣٩٥/٤

(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمار حتى تذهب العاهه)

فلما سئل ابن عمر متى ذاك قال " حتى تطلع الشريـا " (١)

إذاً فقد تبين ان المقصود من الحديث ليس كما كان يعتقد العرب قبل الاسلام فى النجوم وبالذات نجم الشريـا من القاعلية المختارة التى تستلزم الاتجاه لهذه النجوم بنوع من العبادة ، وانما هى علامه يهتدى بها على ذلك ، فيكون المغمون أن هذامما يهتدى به من حركات النجوم كما قال تعالى : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ (النحل : ١٦) .
فالانتفاع بمنازل النجوم كدلالة على القبول ومواعيد الزراعة والحصاد
حلال مباح لا غبار عليه .

(١) مسند الامام احمد ٥٠/٢

المبحث الثاني

عبادة الشمس:

كان أكثر انتشارها في البيئات الزراعية كبلاد الرافدين ، ومصر ، واليمن ، والهند واليابان وقد كانت متأخرة عن عبادة القمر . وربما أدى الى انتشارها ملاحظته الانسان البدائي من أثر للشمس على نمو النباتات . أى حينما حلت الزراعة محل العيد . يقول صاحب قصة الحضارة " ولم يكن كثير من الالهة فيما بعد سوى تشخيص للشمس وتجسيد لها . وكذلك استبقت العصور الوسطى بقية من عبادة الشمس في الهالات التي كان الناس يصورونها حول رؤوس القديسين وامبراطور اليابان في أيامنا هذه معدود عند معظم شعبة بأنه تجسيد لاله الشمس" . (١)

عبادة الشمس في اليمن:

قال تعالى حكاية عن الهدد الذي ذهب الى مملكة سبأ واتى بخبرهم الى نبي الله سليمان ﷺ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فعدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﷻ (النمل : ٢٤) فعبادة الشمس شاعت في اليمن خلال العصور القديمة والآية توضح سجود الناس للشمس أيام حكم بلقيس على دولة سبأ .

فقد كانت الديانة اليمنية القديمة قبل الاسلام ديانة فلكية ، تقوم على عبادة آلهة تجسدها اجرام سماوية . ومهما اختلفت أسماء الآلهة عند قبائل اليمن وممالكها الا أنه يمكن ادراجها تحت أحد اجزاء ثالوث يتكون من الزهرة والشمس والقمر . وقد رمزوا اليها بعفات متعددة .

(١) قصة الحضارة ١٠٣/١

ونظرا لتأنيثهم الشمس بعكس الساميين فى الشمال فقد كانت كل الاسماء

المؤنثة فى النقوش صفات للشمس .

فهى عند المعينين نكرج وهو اسم يععب تعليلة أو تفسيره ، وعند
السبئيين ذات حميم ، وذات بعدن وذات غفران ، وذات برن ، وعند

القتبانين ذات صخرن ، وذات رحبن .

ولم تكن تصور الالهة فى تماثيل وأشخاص غير ان النقوش دلت على ان
ديانة اليمن كانت تتمثل فى الديانة الفلكية وذلك ما وجد من رموز مثل
رسم قرص الشمس والهلل بصورة خاصة فى المباخر التى تستخدم لحرق
البخور . (١)

ويظهر ان الوثنية اليمنية تأثرت بوثنية بلاد الرافدين حيث ان الاجرام
السماوية كان مصدرها العابثة وبقايا الكلدانيين . وعن أهل اليمن
أخذ عرب الشمال هذه العبادة التى تمثل الثالوثى الذى أهدى اعمدته الشمس
والتي كان يمثلها الاله شمس وهو أقل مرتبة من الاله القمر ، كما
كانت تسمى اللات والالهة وهى فى نظرهم زوجة القمر ومنهما ولد عشتار
وهو الزهرة .

اما الشمس فعند العرب قبل الميلاد وبه تسمى كثيرا من
الاشخاص وقد ذكر الاخباريون أن أول من تسمى به سبأ الأكبر لأنه أول من
عبد الشمس . (٢)

ويذكر الامام البخارى فى ترجمة عمران بن ملحان العطارى قوله

" وانما سمي بنى عبد شمس لانهم كانوا يعبدون الشمس " . (٣)

(١) تاريخ اليمن القديم - محمد عبدالقادر بافقيه ص ٢١٢ - ٢١٤ بتصرف

(٢) دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٤٠٩ - ٤١٠ بتصرف

(٣) التاريخ الكبير ٤١١/٦

عبادة الشمس فى بلاد الرافديين :

كانت الشمس تعرف - بأوتو - عند السومريين فى بلاد الرافدين وهى تعتبر عندهم ابن الاله نانا وهو القمر ، وربما كانت الشمس هى أحد الالهة السبعة عندهم التى كانت تقدر المعاشر . وكانت الالهة عندهم تفضل كل ما هو اخلاقى وروحى فهى تمجد على أنها محبة للخير والصدق والحقيقة والأمانة .

وكان الاشراف على النظام الاخلاقى عملا رئيسا لعدد من الالهة منها الاله الشمس أوتو . حيث كان يرتبط اسم هذا الاله دائما بالشرائع والقوانين . ففى سنة حموا ربى مثلا ، ترى الملك يتسلم الشريعة من يد هذا الاله المتربع على عرشه . كما أن من اعماله مقاضه الموتى ويشاركه فى تقدير معير المتوفى الاله القمر نانا ، فمن كانت المقاضه لمعالحه فان روحه تعيش بسعادة ورفا وتحل كل ماترغب فيه . (١)

كما أن الاساطير السومرية تحكى عن هذه الالهة وكأنها بشر تنطبق عليها حياة البشر تماما ، وهو مايلاحظ فى اشعارهم وترانيمهم وقصصهم عنها .

عبادة الشمس فى مصر :

آخذت الشمس أسماء أخرى عرفت بها كآلهه منها رع ، وكذلك أتون وربما هو أوتو كما عند السومريين . وكان يعبر به عن القوة الكامنه فى قرص الشمس . وقد بنيت لاله المعابد والهيكل .

(١) السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم ص ١٦٢ - ١٨٠ بتصرف

ولعل الفكرة القائمة فى اليابان من أن الامبرطور هو ابن الشمس
لم تكن هى الوحيدة ، فقد ادعى احد الفراعنه الذين دعوا الى عبادة
الشمس المسمى أتون انه ابن الشمس ، وهو وحده المكلف بعبادته ، أما
الناس فكانوا يعرفون أتون بعبادتهم لأبنه .

ويرون انه بهذا الاله عاشت الاسماك والوحوش والزواحف والنبات .

ويقول نشيدهم فى هذا الاله أتون . (١)

" أنت تطلع ببهاء فى أفق السماء * يا أتون الحى يابدايه الحياة

عندما تبرغ فى الافق الشرقى * تملأ كل البلاد بجمالك

أنت جميل ، عظيم ، متلألئ ، وعال فوق كل بلـ

وتحيط أشعتك بالأراضى كلها التى خلقتها . لأنك أنت " رع " وتعل الـ

نهايتها . وتخضعها لابنك المحبوب ."

ويلاحظ فى هذا النشيد وصف الاله الشمس - على حد زعمهم - بأنـه

الخالق يقول النشيد " أيها الخالق لبذرة الحياة فى النساء ، انـك

أنت الذى يجعل من البذرة السائلة انسانا " . كما يثبت العناية بالانسان

للشمس مع أنها عناية الله سبحانه بهذا الانسان فى جميع مراحل حياته

من قبل ولادته حتى بعد وفاته يقول النشيد " انك انت الذى يعنى بالطفل

فى بطن أمه وأنت الذى يهدئه بما يوقف بكاءه ، لأنك تعنى به وهو فى

الرحم . أنت الذى يعطى النفس ليحفظ حياة كل من يخلقهم " كما

يستطرد النشيد فى وصف الاله أتون بصفات لاتليق الى بالله سبحانه " أيها

الاله الأوحد الذى لاشبيه له . لقد خلقت الدنيا كما شئت ، عندما كنت

وحدك " ويقول النشيد أيضا " أنت الذى صنعت الدنيا بيدك . وخلقـت

الناس كما شئت أن تمورهم .

فهم يحيون عندما تشرق ، ويموتون عندما تغرب ، انك الحياة بعينها " يلاحظ من هذا النشيد الشرك في الربوبية حيث وصف الاله آتون - الشمس - بأنه الخالق - كما وصف بصفات تخص الله جل جلاله لكونه رب العالمين كالعناية بالخلق .

وهذا مخالف لقول من قال - ان الناس مقرة بتوحيد الربوبية - حيث ان من خصائص الربوبية الخالقيه والعناية بالخلق من نفع وضر لكونه سبحانه النافع الضار . اذاً يكون توجيه معنى قوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (لقمان : ٢٥) .

وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ (الزخرف : ٨٧) . انه خاص بالعرب في جاهليتهم - في أقرارهم بالخالقيه لله ولايعم كل الشعوب لأن غير العرب نسب الخالقيه لغير الله ، مع ان العرب ليسوا موحدى ربوبية لكونهم نسبوا النفع والضر لالهتهم .

عبادة الشمس في الهند :

هناك من توجه الى الشمس بالعبادة وزعموا أن الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات السفليه وهى ملك الفلك تستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهؤلاء يسمون الدينيكتيه أى عباد الشمس .

وقد اتخذوا صنما بيده جواهر على لون النار وله بيت خاص قد بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا وقربانا ، وله سدنه وقوام فيأتون البيست ويعلمون ثلاث كرات . ويأتيه أصحاب الامراض فيعمومون له ويعلمون ويدعون ويستشفون به . (١)

(١) الملل والنحل للشهر ستانى ٢٥٨/٢ بتصرف

وكان أعظم آلهة تدمر (١) واقواها جميعا الالهة شمس والاله بعل
وكان من أجمل مباني مدينة تدمر وأعظمها هيكل الشمس الذى شيد للشالوث
الأعظم بعل وبرهبول الشمس وأجبليول القمر . وبعل عندهم هو الله
الشمس (٢) .

وقد يطول بنا الكلام عندما نحاول استقصاء عبادة الشمس قديما . لكن
نقول ان آثارها لازلت الى يومنا هذا فى شرق آسيا .

(١) تدمر مدينة قديمة مشهورة فى بركة الشام بينها وبين حلب خمسة أيام

معجم البلدان لياقوت الحموى ١٧/٢

(٢) قصة الحضارة ١٢٣/١١ ، ١٢٤ ، دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٨٩

المبحث الثالث

عبادة الكواكب :

ورد ذكرها فى القرآن فى قصة قوم ابراهيم عليه السلام حيث كانوا يصنعون اصناما وتمائيل تمثل فى نظرهم الكواكب يتوجهون اليها توجهها كاملا على أنها آرباب تفر وتنفع وتخلق وتحى وتميت من دون الله .
وهم من العابثة أصحاب الاشخاص الذين قالوا لابد من التقرب اليها لتقربنا الى الهياكل التى بدورها تقربهم الى الروحانيات بزعمهم ، وبالروحانيات يتقربون الى الله سبحانه . وهو ما أشتهر من ديانات السومريين والبابليين فى بلاد العراق القديمة التى كانت موطن سيدنا ابراهيم عليه السلام الذين اشتهروا بعبادة الهة كثيرة منها الكواكب الخمسة - زحل - المشتري - المريخ - الزهرة - عطارد .

ولقد حاج ابراهيم قومه فى ذلك ، وورد ذكر ذلك فى مواضع كثيرة من القرآن قال تعالى حكاية عن ابراهيم وقومه ﴿ اذ قال لبيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون ﴾ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ﴿ (الانبياء : ٥٢ - ٥٤)
كما ان لهذه الالهة المزعومة اوصاف ذكرها صاحب الجواهر فى تفسيره (١) وهى :

المشتري معظم عند البابليين وهو عندهم الرب العظيم وملك الالهة والاله المجيد والقاضى القديم وقاضى الالهة وبكر السماء وملكها ورب الحروب ، ورب الكائنات ورئيس الالهة والالهها .

(١) الجواهر فى تفسير القرآن - طنطاوى جوهرى ٢١٥/١٠

زحل يعفونه بأنه الجبار المحارب الظافر قاهر العماء والرب القدير

قاهر الخارجين وهو معظم عند الآشوريين وأكثر البابليين وله صورة ثور ورأس أنسان وجناح طائر .

المريخ اله الحرب والعيد والرجل العظيم البطل القدير ملك الحرب المهلك جبار الآلهة وله صورة أسد ورأس أنسان وجناح طائر .

الزهرة ملكة الحب والجمال وكانوا يعبدونها عبادة خاصة فاحشة ، كما كانت تعبد عند الفينقيين واليونان والرومان ، ويجعلها هؤلاء أيضا آلهة الحرب ويقرنونها مع آشور ورئيسه السماء وملكة الآلهة والآلهات .

عطارد اله الحكمة والفهم والتعليم ورسول الآلهة وتارة يقولون رب الآرباب الذى لا مثيل له فى القدرة حارس السموات والأرض الذى يسلط الملوك صولجان الملك .

ثم أن هذه الآلهة كانت تمنع من الحجارة والمعادن فيكون البـدـن بدان حيوان والرأس رأس أنسان له جناح طائر .

وربما كان أبو الهول الذى يعتبر من آثار مصر من هذا القبيل . ويعبدون هذه الاصنام فى معابد خاصة وينشدون الأناشيد ويذبحون الذبائح ويتربون القرابيين .

" وقد كان العرب يقدمون القرابيين لآلهتهم ويسيرون فى مواكب حول معابدهم وكان المنذر بن ماء السماء فى الحيرة يقدم - يذبح - كثيرا من أسرى المسيحيين لكوكب الزهرة وهو ما يسمى بالاله فينوس . كما كان عرب شبه جزيرة العرب يقدمون القرابيين البشرية لنفس الكوكب " (١)

وأشتهر كوكب الزهرة عند اليمنيين قديما بالاله عثر كما ورد فى

(١) تاريخ الاسلام د. حسن ابراهيم حسن ٧٢/١

النقوش . وكما ورد فى تركيب بعض اسماء الافراد مثل - أوس عشت ،
لحي عشت - كما أضيف الى ذلك الكوكب اوصاف مختلفة مثل - ذو فيض ،
شرقن - وقد كان هذا الكوكب المسمى بعشتر المعبود المشترك لكل قبائل
اليمن . (١)

وقد كان لهذه العبادات بيوت خاصة . مثل بيت غمدان بمدينة
 صنعاء اليمن المبنى على اسم الزهرة والذى ضربه المسلمون بأمر الخليفة
عثمان بن عفان رضى الله عنه . (٢)

ويذكر الشهر ستانى أن هناك من زعم " ان بيت الله الحرام انما
هو بيت لكوكب زحل بناءه البانى الأول على طوالع واتصالات مقبولة وسماه
بيت زحل ، ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقائه
لأن زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب" (٣)
وهذا كذب منافى لما فى التاريخ الصحيح .

كما أن هناك ادعية خاصة كان يتوجه بها الى هذا الكوكب . ذكر
منها صاحب التذكرة عن ابن سينا فى كتابة الكنوز بعض الدعوات مثل . (٤)
دعوة الزهرة : " أيتها السيدة المباركة الرطبة المعتدلة اللطيفة
العطرة الحسنة الخلقة الفاحكة صاحبة الحلى والزينة والذهب والفضة
والطرب والسماع الذى به الجيدان صاحبة اللعب والمزاج القاهر الطالبية
الهائلة المتأكدة عاملة المحبة حرة النكاح صاحبة السرور ، أسالك
ان تفعل لى مقصودى بادن الله " .

دعوة عطارد : " أيها السيد العادق الغاضل العادل الناطق البهيج

(١) تاريخ اليمن القديم ص ٢١٢

(٢) الملل والنحل للشهر ستانى ٢/٢٣٤

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة

(٤) تذكرة داود الانطاكى ٣/٣ - ٤

النظر العالم الكاتب الحاسب صاحب الخبث والمكر والدهاء والمساءد
للفنون الصادق الفاضل اللطيف الخفيف فلا يعرف لك طبع ، ولطفت فلم يوجد
لوصفك حد وأنت مع السعود سعد ومع النحوس نحس ومع الذكور ذكر وممع
الاناث انثى ومع النهارية نهاري ومع الليلية ليلي ، تمازجهم في طبائعهم
وتشاكلهم كل لك ، أسألك أن تفعل لي مرادى بأذن الله " .

والملاحظ في هذه الدعوات هي نفس الاوصاف التي يستعملها المنجمون
في طبائع الاجرام ، وبالذات في السحر المعتمد على دعوات الكواكب .
ومنه يظهر لماذا اعتبر عمل السحر كفر الخاص بالشرك ، وذلك لأن فيه
توجه الى غير الله من طلب نفع أو رفع ضرر . كما يتمف العامل لذلك
بالخضوع للكوكب خضوع المخلوق للخالق .

ففي التوجه الى هذه الاجرام اقرار بالوحيثها ، مع أنه في آخر
الدعوات يقال بأذن الله ، وهذا اما يقعد به التمويه بأن الأمل في
فعلها هو الله . وان كان الدعاء لا يشعر بذلك أو أن المقصود هو
الاقترار بالشركة بينها وبين الله سبحانه في الفعل والتوجه اليهما ،
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فقد ورد في الحديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل انه قال (أنا خير الشركاء
فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري فانا بريء منه وهو للذي أشرك) . (١)

المبحث الرابع

عبادة القمر :

ربما كانت عبادة القمر من بين العبادات التي أشرك بها الناس حيث اعتبر القمر في القديم الها من الالهة .

فقد صورت الاساطير الأولى القمر رجلا شجاعا أغوى النساء وسبب لهن الحيض مرة كلما ظهر . ولقد كان القمر الها محببا للنساء فعبدته ، لأنه في زعمهم حاميهن بين الالهة فهو في ظنهم يهيمن على الجو وينزل من السماء المطر والثلج . ويرون ان الضفادع تفرغ للقمر بالدعاء لينزل لها المطر . (١)

عبادة القمر في الهند :

من الفرق التي عبدت القمر فرقة الجندريكييه - أي عباد القمر - زعموا ان القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبىر هذا العالم السفلى . وقد اتخذوا له صنما على شكل عجل يجره أربعة وببذ السمن جوهر . ومن دينهم أن يسجدوا له ويعبدوه وأن يعوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون اليه وينظرون الى القمر ويسألونه حوائجهم ، وإذا أستهل الشهر علوا السطوح وأوقدوا الدخن ودعوا عند رؤيته ورغبوا اليه ، ثم نزلوا من السطوح الى الطعام والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا على وجوه حسنه . (٢)

(١) قصة الحضارة ١٠٢/١

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ٢٥٩/٢ بتصريف

عبادة القمر فى اليمن :

كان القمر يمثل أحد ثالوث كوكبى هو القمر والشمس والزهرة
عند اليمنيين بحيث كان القمر هو الاله سين الذى كان له المكانة الاولى
فى هذه المجموعة الثلاثية بأعتبارة الأب للاله شمس وكان يرمز للاله سين
بالحلال .

كذلك كان للقمر أهميته فى الوثنية اليمنية فكان الاله الاكبر . فسمى
عند المعينيين والسبئيين بأسم - ود - وعند غيرهم باسم - ورخ ، وسين - .
كما سمي باسماء منها - شهر ، كهل - بأعتباره أكبر الاله سنا والمقدم
عليها . وكان يطلق على جميع اسماء القمر لفظ مشترك مثل ال - أو ،
آيل - اى الله أو الاله . وكانت للقمر منزله عظمى عند اليمنيين أسمى
من منزلة الشمس حيث كان دليل الحادى ورسول القافلة ، ولذلك لقب بالحكيم
والقدوس والصادق والعاقل والمبارك والمعين والحامى . كما رمز لـه
بالثور ولعل ذلك يرجع الى ان للثور قرنين كالهلال . (١)

ويظهر ان هناك علاقة بين رمز الثور للقمر عند اليمنيين ورمزه بالعجل
عند الهنود كما أن هناك رموز أخرى للقمر غير الثور مثل الوعل والبسر .
ومن ذلك أن معتقدات أهل اليمن قديما والتي تشير الى ارتباطهم
بالالهة والايمان بقواها الخارقة مايلقه سكان الريف اليمنى على رقاب
اطفالهم من شائم وهى عبارة عن سن الثعلب التى ربما ترمز الى الهلال
كما يلفت الانظار وجود عادة قديمة ، وهى عبارة عن تركيب قرنى الوعل
فى زوايا المنازل من الخارج أو وضعها على بعض القبور . وهى تشبه

(١) دراسات فى تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٤٠٩ - ٤١١ بتصرف

قرنى الثور يذكرا بالهلال وذلك لظنهم إنها ترد الارواح الشريرة المتمثلة
فى السحر والحسد والعين . (١)

عبادة القمر فى بلاد الرافدين :

اما عند السومريين فأن القمر كان يعرف بالاله نانا كما يعرف باسم
سين وكان ابنه الاله أوتو - الشمس - وابنته الالهة اينانا اى عشتار
- الزهرة - وربما كان هو أحد الآلهة السبعة التى كانت تقدر المعاشر .
وقد بنيت المعابد للآلهة بحيث كان معبد نانا يشمل منطقة كبيرة تضم
عددا كبيرا من المزارات والمخازن والمستودعات ومساكن موظفى المعبد .
الى جانب برج مستطيل يبلغ ارتفاعه سبعين قدما على قمته يقع المعبد .
وكان بناء أى معبد أو إعادة بنائه يرافقه العديد من الطقوس
والشعائر المتنوعة . ويعتبر السومريون تهديم المعبد أقس كارثة
مشوومة يمكن ان تحل بمدينة وسكانها . (٢)

والجدير بالذكر ما نقل عن صاحب كتاب الشرق الخالد فى زعمه بأن
أهتمام المسلمين بعلاة الخسوف تعود الى أساطير من بلاد الرافدين عن
خسوف القمر بأن سبعة شياطين أو أرواح شريرة تمكنت من القمر .
لذلك هم يقومون بتقديم القرابين ويعلون حتى يعود الى حالته
الطبيعية ويقول فى ذلك " كل ذلك رواسب عاشت من الماضى البعيد وأبقى
عليها الاسلام فليس لها أى ضرر على المجتمع وعلى العقيدة الاسلامية " . (٣)

(١) تاريخ اليمن القديم ص ٢١٤ - ٢١٦ بتصرف
(٢) السومريون تاريخهم وحضارتهم ص ١٦٣ - ١٩٠ بتصرف
(٣) تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام وايران وتركيا منذ أقدم
العصور د. جمال عبدالهادى ، د. وفاء محمد رفعت ص ٢٥٩ - ٢٦١ نقل
عن كتاب الشرق الخالد ، د. عبدالحميد زايد .

هذا القول زعم كاذب على المسلمين وأهله ، المراد به تشويه دعوة الاسلام وأنه عبارة عن معتقدات قديمة ترجع الى وثنيات سابقة .

لكن الصحيح ان هذه علامات وأشار تنتج عن حركة الاجرام ، وقت الله سبحانه اوقاتها خلال ايام العام حتى يرجع المسلم الى الله بقلب سليم يذكر فيها ربه منيبا راجيا ويغتنم نفحات ربه في هذا الزمن . فان الانسان معرض للشيطان ومكايده وتعتريه فترات النسيان التي جعلها الله طبيعة فيه . فعندما تحدث هذه الحوادث ، مثل خسوف القمر يتنبه

الباب الخامس

التوحيد والفلك ويشتمل على فـعـلـيـن:

- ١ - الفصل الاول : معرفة الله سبحانه وتعالى بدلائل الفلك
- ٢ - الفصل الثانى : معرفة الله تستلزم التوجه اليه وحده

الطعن الأول

معرفة الله سبحانه بدلائل الفلك

ويشتمل على المباحث :

أولاً : توافق نعوص الوحي الخاصة بالفلك مع مبادئ عقيدة التوحيد

ثانياً : من اسمائه وصفاته سبحانه الأول والآخر ودلالة ذلك بالفلك

ثالثاً : صفاته سبحانه الداله على علمه وحكمته ولطفه ودلالة ذلك بالفلك

رابعاً : صفاته سبحانه الداله على رحمته ودلالة ذلك بالفلك

خامساً : من اسمائه وصفاته الخالق الرازق ودلالة ذلك بالفلك

سادساً : من اسمائه المتعلقة بقدرته وعظمته ودلالة ذلك بالفلك

سابعاً : النافع والضار هو الله سبحانه وتوضيح ذلك بالفلك

المبحث الأول

توافق نصوص الوحي الخاصة بالفلك مع مبادئ عقيدة التوحيد :

إذا تدبر الانسان كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وجد أن الله عز وجل قد أنزل الوحي موافقا للواقع المحسوس لا يستطيع أن ينكر ذلك الا مكابر طغى عليه هواه واتبع اغواء الشيطان حتى يخرج من عهدة الالتزام التي أخذها الله سبحانه وتعالى على بنى آدم في الاقرار بوحدانية الله والاتجاه اليه في كل حين وعلى أى وضع من اوضاع حيياة الانسان قال تعالى : ﴿ واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الاعراف : ١٧٢) .

وقد علم الله سبحانه ما سيطرأ على الانسان من النسيان وأخبرنا عن آدم في ذلك فقال تعالى : ﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾ (طه : ١١٥) .

فاذا كان هذا حال آدم في نسيان عهد الله اليه فكيف بذريته فانهم لعهد الله أشد نسيانا . نظرا لوجود المؤثرات التي تؤدي الى فساد الفطرة السليمة المقررة بالوحدانية - وعهد الله هو الاقرار بالربوبية وما يستلزم ذلك من أمور - لذلك نجد أن رحمة الله سبحانه بهذا المخلوق لم تتركه لهذا النسيان ، بل وضع سبحانه الدلائل المساندة للقطرة والموضح له الطريق الصحيح في السلوك لما يريد خالقه منه ، وأعقب ذلك بأرسال الرسل عليهم السلام بالوحي لزيادة التوضيح والبيان لكيفية سلوك هذا الطريق فجاءت معانى النصوص ودلالاتها موافقة لما في الكون من الآيات والحقائق ومنها آيات الافاق والتي يعتبر الفلك جزءا منها .

قال تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ (الفاتحة : ١) .
والفلك وما به من اجرام سماوية هي جزء من العالمين . والرب فى
الاصطلاح اللغوى يدل على أصول هـى :
" أولا : اصطلاح الشئ والقيام عليه .
ثانيا : لزوم الشئ والاقامة عليه .
ثالثا : ضم الشئ للشئ " (١)
واذا تأمل الناظر فى هذه الأصول وجد أنها تعود الى أمل واحد ومنبع
واحد . وهو : صفات الله تعالى الدالة على ربوبيته التى يتجلى خلائعها
فى الآفاق ، لكون الآفاق من صنع الله وفعله ، والفعل دلالة على بعض صفات
الفاعل .
ولو استعرضنا بعض نعوص الوحي ليتضح لنا بعض هذه الأصول فنجد
قوله تعالى : ﴿ الم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم
من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ (البقرة : ١٠٢) .
" والملك هو المتصرف بالأمر وبالنهى فى الجمهور وذلك ما يختص
بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس ولا يقال ملك الاشياء " (٢)
والله سبحانه وتعالى هو المتصرف بالأمر والنهى فيما يخص الناس
والاشياء فهو لا يستغنى عنه شئ وهو مستغنى بذاته وصفاته عن كل ماسواه
لان الله تعالى له الملك المطلق فهو القائم على خلقه والمتصرف فى
شؤونهم بما يصلحهم قال تعالى : ﴿ والله ملك السموات والأرض والله
كل شئ قدير ﴾ (آل عمران : ١٨٩) .

(١) مقاييس اللغة ٣٨١/٢ - ٣٨٢

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٧٢

والسموات كما علمنا سابقا كل ما علاك فأظلك ، وحيث ان الاجرام السماوية تبدو لنا دائما عاليه حتى ان المسافرين الى الفضاء الخارجى يرى كوكب الأرض فى جهة العلو . فهى داخله تحت هذا الملك .

فآلية توضح لنا الملك العام المطلق لله سبحانه لهذه السموات والأرض وهذه الملكية متضمنه لكل جزئية فى كل منهما قال تعالى : ﴿ لله ما فى السموات وما فى الأرض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ (البقرة : ٢٨٤) .

فاذا علمنا ان الملك المطلق له سبحانه وانه وحده تعالى المالك لكل شيء فاننا لانجد شيئا من المخلوقات له تصرف فى شيء الا بإرادة الله الذى اعطى لكل مخلوق تأثيره فى غيره وتأثره بغير حسب سنن ثابتة بمشيئته سبحانه وقدرته .

لذلك نجد ان سيدنا ابراهيم عليه السلام لما كان يحاج ملك زمانه فى تفرد الله تعالى بالربوبية وان التعرف المطلق بيده سبحانه فقد احالة على أمر ليس لذلك الملك حق التعرف فيه فقال تعالى حكاية عن ابراهيم ﴿ الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ (البقرة : ٢٥٨) .

فالشمس وهى أحد اجرام السماء والتى تعتبر النجم المركزى فى المجموعة الشمسية لا يستطيع أى مخلوق مهما كانت عظمتة ان يغير فى نطاقها وحركتها لأنه سبحانه هو خالقها ومقدر حركتها وخط سيرها .

وحقيقة الملك كسفة لله تعالى أن يكون قادرا على اليجاد مع كمال قدرته على التصرف فيهِه .

وحيث أنه قادر على اليجاد فقد أوجد المخلوقات بعد ان لم تكن شيئا وهذا من أهم صلاح أمرها لأنها لم تكن شيئا يذكر ثم صارت شيئا . ذلك لأن خلق السموات والأرض كان بأمره الالهى .
" والتوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به كتبه نوعان توحيد فى الاثبات والمعرفة وتوحيد فى الطلب والقصد . وغالب سور القرآن متضمنه لنوعى التوحيد . بل كل سورة فى القرآن " (١) .

فالحلله سبحانه وتعالى عرفنا باسمائه وصفاته المشتمله على ربوبيته للعالمين وكل اسم له اوصفه تتضمن أصلا من الامول التى تدل عليها معنى كلمة الرب .

والقرآن الكريم المتضمن لنوعى التوحيد يدعونا دائما الى التفكير فى هذا الكون لنستدل بالمشاهدات على ذاته سبحانه ، هذه المشاهدات تتعلق فى أكبر جوانبها بالآفاق قال تعالى : ﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب ﴾ (آل عمران : ١٩٠) . والنصوص القرآنية الخاصة بالفلك تشيرا دائما الى النوع الاول من أنواع التوحيد المتعلق بأثبات الربوبية لله وحده . قال تعالى : ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شئ قدير ﴾ (المائدة : ١٢٠) فهذه الآية تشير الى الملك والقدرة ومن اسماء الله وصفاته الملك والقادر . ومن صفاته سبحانه أنه فاطر السموات والأرض قال تعالى :

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨ - تحقيق جماعة من العلماء - مكتبة الدعوة الاسلامية - شباب الازهر .

حكاية عن الرسل ﷺ قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذبونكم ويؤخركم الى أجل مسمى ﷻ الآية (ابراهيم : ١٠)
اي مبدئها على غير مثال وفى دعاء النبی صلی الله علیه وسلم اذا قام من الليل يتهجد يقول (اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق) (١)

ففى الدعاء يشير الى صفات لله تعالى متعلقة بالفلك مثل القيوم والملك والنور والحق . وصفاته سبحانه تنقسم الى قسمين صفات ذات وصفات فعل .

ونعوض الوحي المتعلقة بالفلك لم تخل من هذين القسمين وذلك لأن خالق الكون يعرفنا باسمائه وصفاته بالقرآن والسنة وعن طريق تجلى ذلك فى الكون . مما يدل على مدى التوافق بين نعوص الوحي المتعلقة بالفلك وبين التوحيد الذى من جوانبه التوحيد العلمى الخبرى الذى يدلنا دلالة واضحة على أن لهذا الكون ربا والها يتمتع بصفات الكمالات مستحقا للعبادة دون سواه . قال تعالى : ﷻ سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات والأرض يحي ويميت وهو على كل شىء قدير . هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم . هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣/٣ كتاب التهجد حديث رقم ١١٢٠ ،
صحيح البخارى ٦٠/٢ - باب التهجد بالليل .

معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير • له ملك السموات والأرض وإلى
الله ترجع الأمور • يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو
عليم بذات الصدور ﴿ الحديـد : ١ - ٥ ﴾ •

المبحث الثانى

من اسمائه وصفاته الاول والآخر ودلالة ذلك بالفلسك :

ورد فى الآيات السابقة من سورة الحديد فى اسماء الله وصفاته
الاول والآخر وفى مضمونها ردا لمن قال يقدم العالم وازليته وأنه ليس
له بداية او نهاية .

والكون شاهد على ذلك فان القوانين التى سنها الله سبحانه وتعالى
تدل على أنه الاول والآخر وان الكون منتهى الى زوال كما أنه مبتدء من
لاشئ .

"فقوانين الديناميكا الحرارية تدل أن مكوثات الكون تفقد حرارتها
تدريجيا وأنها سائرة حتما الى يوم تعير فيه جميع الأجسام تحت درجة
حرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل
الحياة ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل
درجة حرارة الاجسام الى الصفر المطلق بمضى الوقت " . (١)

كما أن المادة الدخانية التى تكونت منها السموات ما هى الا عبارة
عن ذرات اوليه من الكثرونات والبروتونات كانت تغمر الكون كله كما
أشارت الى ذلك بعض النظريات فى تفسير نشأة الكون .

هذا التركيب للمادة يدل دلالة واضحة على أنها حادشه وأن هناك
بداية لتكوينها حيث جمعت فيها الالكترونات والبروتونات لتكون ذرات المادة
الدخانية التى خلقت السموات . مما يدل على أن الكون حادث ومن
ثم له محدث سابق بوجوده لكل حادث وأول بداية قبل كل شئ ولاشئ قبله .

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ١٢

تفسير المقصود من اسمه الاول والآخر من السنه :

ورد فى الحديث الذى رواه عمران بن حصين رضى الله عنهما ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال (اقبلوا البشرى يا بنى تميم • قالوا : قد
بشرتنا فأعطنا ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : اقبلوا البشرى
يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم • قالوا : قد قبلنا يارسول
الله : قالوا جئنا نسألك عن هذا الأمر • قال كان الله ولم يكن شئ
غيره • وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ • وخلق السموات
والأرض ...) الحديث وورد بلفظ (ولم يكن شئ قبله ... ثم خلق السموات
والأرض) • (١)

قال الراغب فى المفردات " كان عبارة عما مضى من الزمان وفى كثير
من وصف الله تعالى تنبى عن معنى الأزليه ... وما استعمل منه فى جنس
الشئ متعلقا بوصفه له هو موجود فيه فتنبه على أن ذلك الوصف لازم لله
مثل قوله تعالى : * ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان
لربه كفورا * (الاسراء : ٢٧) • وإذا استعمل فى الزمان الماضى
فقد يجوز أن يكون المستعمل فيه بقى على حاله ويجوز أن يكون قد تغير
نحو كان فلان كذا ثم صار كذا ولا فرق بين أن يكون الزمان المستعمل فيه
كان قد تقدم تقدما كثيرا ... " (٢)

إذاً فالحديث يفيد ان وجود الله سبحانه كان أزليا وأن غيره من
المخلوقات هى حادثه من العدم بعد اذ لم تكن لان روايه الحديث بلفظ

(١) صحيح البخارى ١٢٨/٤ كتاب الخلق ، ١٥٢/٩ كتاب التوحيد •
صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٢٨٦/٦ حديث رقم ٣١٩١ ، ٤٠٣/١٣ حديث
رقم ٧٤١٨ •

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٤٤

" ولم يكن شيء غيره " صريحة في العدم كما ذكر ذلك ابن حجر وقال " وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما لأن كل ذلك غير الله تعالى ويكون قوله " وكان عرشه على الماء " معناه أنه خلق الماء سابقا ثم خلق العرش على الماء " . (١)

وذكر ابن حجر أن الحديث ورد بلفظ " ولم يكن شيء غيره ، وفـي رواية ٠٠٠٠ " كان الله قبل كل شيء " وهو بمعنى " كان الله ولا شيء معه وهو أمرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها " . (٢)

ويذكر ابن تيمية في الفتاوى (٣) أن الناس في المقعود بالحديث على قولين :

١ - أن مقعود الحديث أخباره صلى الله عليه وسلم بأن الله كان موجودا وحده ثم ابتداء أحداث جميع الحوادث وأخباره بأن الحوادث لها ابتداء بجنسها وأعيانها مسبقة بالعدم وأن جنس الزمان حادث لا في زمان وجنس الحركات والمتحركات حادث .

٢ - أن مقعود الحديث أخباره صلى الله عليه وسلم عن خلق هذا العالم المشهود الذي خلقه في ستة أيام ثم استوى على العرش .

وقد رجح القول الثاني بأربعة عشر وجها منها ما يتعلق باللفظ الوارد في الحديث حيث رجح رواية " ولم يكن شيء قبله " قائلا " والألفاظ الثلاثة في البخاري والمجلس كان واحدا وسؤالهم وجوابه كان في ذلك المجلس وعمران الذي روى الحديث لم يقم منه حين انقضى المجلس بل قـام

(١) فتح الباري ٢٨٩/٦

(٢) فتح الباري ٤١٠/١٣

(٣) مجموع الفتاوى ٢١١/١٨ - ٢٤٣

لما أخبر بذهاب راحلته قبل فراغ المجلس . وهو المخبر بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم فدل على أنه قال أحد الألفاظ والآخرون روي بالمعنى وجينئذ فالذى ثبت عنه لفظ القبل " .

وقد استدلل لذلك بما رواه الامام مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه (اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالحق الحاسب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقضى عنا الديـنـن واغننا من الفقر) . (١)

وقال ابن تيمية " واذا ثبت فى هذا الحديث لفظ القبل فقد ثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم قاله واللفظان الآخران لم يثبت واحدا منهما أبدا . وكان أهل الحديث انما يروونه بلفظ القبل " .

وقد ذكر ابن حجر أن الجمع بين الروايات يقتضى حمل الحديث على لفظ " ولم يكن شيء غيره " لا العكس . والجمع يقدم على الترجيح بالاتفاق . (٢)

إذا خلاصة القول ان وجود الله سبحانه وتعالى منذ الأزل لكونه الأول والأول اسم من أسماء الله الذى لا ابتداء لوجوده . والآخر الذى لانتها لوجوده وهما صفتان يستحقهما سبحانه بذاته قال تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الذى خلق السموات

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٣٦/١٧ ، صحيح مسلم ٢٠٨٤/٤ كتاب الذكر والدعاء حيث رقم ٦١

(٢) فتح البارى ٤١٠/١٣

والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴿ (الحديد : ٣ - ٤)

ثم ان السموات والأرض وجدت بعد اذ لم تكن مما يدل على حدوثها وليس كما يزعم الملاحدة . وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك قوله (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة . قال وعرشه على الماء) (١) وهو رد صريح على من قال ان الكون يجدد نفسه بنفسه وانه ازل ابدى . وانما هو من صنع صانع عليم خبير عالم باسرار الكون وما هو صالح له وان مرجعه الى ربه سبحانه الذي هو الاول والاخر بلا انتهاء .

النصوص المتعلقة بالفلك الدالة على كونه سبحانه الآخر :

قد دلتنا الكشوف الحديثة المتعلقة بالقوانين التي سنها الله في الكون الى انه أى الكون ليس أبديا . فهذه قوانين الديناميكا الحرارية تؤكد ان الكون لابد أن يصل الى لحظة يستحيل فيها البقاء . والنصوص القرآنية تخبرنا عن سور من نهاية هذا الكون عند الوقت المعلوم من هذه السور .

١ - ما يحدث للنجوم من طمس فوئها وذهابه وانكدارها من مواقعها وسقوطها في الفضاء الكوني المعبر عنه بالسماء .

٢ - ما يحدث للشمس من تكوير حيث تلف وتجمع ثم يرمى بها الى الفضاء الكونى .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٣/١٦ ، صحيح مسلم ٢٠٤٤/٤ ، كتاب القدر حديث رقم ١٦

٣ - ما يحدث للأرض فى نهايتها من الزلزلة والرج والدك .

٤ - ما يحدث للسماء من الضعف والفطر والشق ثم الكشط .

كل هذه الاحداث تعبير للاجرام والكون ثم بعد ذلك تطوى صفحة هذا الكون بفغائه السحيق قال تعالى : ﴿ يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعليين ﴾ (الانبياء : ١٠٤) .

هذه النهاية للكون لابد ان يحدثها الآخر الباقي الذى ليس بعـده شئ والذى له ملك كل شئ وهو الله سبحانه . قال تعالى : ﴿ ولله ملك السموات والأرض والى الله المعير ﴾ (النور : ٤٢) .

كما يخبر سبحانه ان قهره لكل شئ حتى للكافرين والمشركين ممن الناس الذين يظنون واهمين انهم خرجوا عن عبوديتهم لله لحبه اياهم وامطفائهم على الخلق كما حدث من اليهود والنصارى فتبين لهم أن كل ما سواه مخلوق له ، وأن خلقه عبيد مملوكين له يفعل بهم ما يشاء ، وأن الرجوع فى الآخره اليه لا الى غيره استقلالاً أو اشتراكاً قال تعالى مخبراً عن أهل الكتاب ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المعير ﴾ (المائدة : ١٨) .

وفى دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم " اللهم رب السموات ورب الأرض وأنت الآخر فليس بعدك شئ " وبعد أن وصف خالقه بالربوبية المطلقة التى من أمولها أتعافه سبحانه بكونه الآخر لكون الربوبية لزوم الشئ والاقامة عليه قال " وأنت الآخر فليس بعدك شئ "

ولفظ شيء لفظ عموم يدخل تحته كل ما يتمور وما لا يتمور .

فلو أن هناك شيء أصغر من البروتونات والكترونات التي تتكون منها
المادة، الموجوده، فى الكون والتي تكونت منها الاجرام السماوية فانهما
سائره الى نهاية ومرجع لان خالقها وعد بأعادة الخلق كما بدأه ، ووعد
الله سبحانه لاينقض . ولا يكون هذا الا ممن أتمف بكونه الاول بلا ابتداء
والآخر بلا أنتهاء .

المبحث الثالث

صفاته الدالة على علمه وحكمته ولطفه ودلالة ذلك بالفلك :

من صفاته العليم :

من اسماء الله وصفاته العليم وهي صفه ذات .

فالله سبحانه وتعالى عالم بجميع الموجودات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في العلويات أو السفليات . لذلك نجد أنه سبحانه يقرر ذلك في أكثر من موضع من كتابه قال تعالى : ﴿ ان الله عالم غيب السموات والأرض أنه عليم بذات الصدور ﴾ (فاطر : ٢٨) .

وقال تعالى توضيحا لنا بأن حركة الشمس ما هي الى من تقرير المحيط علما بكل جزئية في الكون ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (ياسين : ٢٨) .

والشمس ما هي الا نجم من نجوم السماء التي لا يحصها الا خالقها ولا يقدر حركتها الا العالم بها لذلك نجد اللفظ القرآني يؤكد على ان العلم المطلق هو لله سبحانه . قال تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما فـى الأرض جميعا ثم أـستوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ (البقرة : ٢٩) .

والعلم صفة لازمة لمن اتصف بالربوبية للعالمين ذلك ان اصلاح الشيء والقيام عليه يتطلب العلم الشامل المطلق . والله سبحانه متعف بالعلم قبل خلق هذا الكون لان علمه من صفات ذاته سبحانه .

والعلم في اللغة " يدل على أثر بالشئ يتميز به عن غيره " (١) الا ان

(١) مقاييس اللغة ١٠٩/٤

الفرق بين علم الله سبحانه وعلم العبد هو " أن علم الله تعالى غير مستفاد من الأشياء بل الأشياء مستفادة منه . وعلم العبد بالأشياء تابع للأشياء حاصل بها " . (١) والمعلومات الفلكية توضح جانباً بسيطاً من علمه سبحانه ، لأن الاحاطة بعلمه مستحيله الا بقدر مايسمح لنا خالقنا من علم . قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم ﴾ (البقرة : ٢٥٥) والنصوص المتعلقة بالفلك والمتضمنه لجانب من علمه سبحانه فيها رد على من ادعى ان الاله لايعلم الا ذاته وأن الفلك يتشبه به للومول الى الكمال .

لذلك نجد في تذييل بعض الآيات المتعلقة بالخبر عن السموات وعن الاجرام السماوية الإشارة الى العلم المطلق له سبحانه .

فالله سبحانه وتعالى بعد أن قضى بكون السموات سبعا وأوحى فى كل سماء قانونها وسننها التى قضاها فيها وبكل مايلج هذا الخلق ، كان من قضاائه تزيين السماء الدنيا بهذه الاجرام وحفظها . كل ذلك المنع والاعتقان والأمر لم يكن خبط عشواء أو هدفه وإنما يدل على علم شامل مطلق مقدر قال تعالى فى شأن السماء ﴿ فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (فصلت : ١٢) .

فكل جزئية فى الكون تخبر بلسان الحال عن احاطة علم خالقها فالهواء مثلا المحيط بالكرة الأرضية والذي يعتبر جزءا من السموات موضوع بنسب لو اختلفت هذه النسب بمعدل بسيط جدا. لاختل توازن الكون وحصل

(١) المقصد الأسنى فى شرح اسماء الله الحسنى لابی حامد الغزالي ص ٨١

فيه الاضطراب .

واكبر شاهد ماحصل فى طبقة الازن التى أقلقت علماء العالم فى جميع مجالات العلوم لتلافى الأسباب التى أدت الى ذلك والتى هى من صنع الانسان ، الذى قد يؤدى به علمه الى الاتلاف وليس الاصلاح .

وتوازن الكون الذى يؤثر فيه اختلاف نسب الهواء انما يدل على ان واقع هذا التقنيين والتقدير على أحاطة كاملة بما يعلح لعمار هذا الكون أو فسادة . وأحاطته الكاملة انما هى دلالة على كمال علمه .

كذلك نجد عظم المسافات الشاسعة بين الاجرام السماوية والتى تلحظ دائما ثابتة للمشاهد العادى ان هذه الاجرام تتحرك بسرعة رهيبية فى الفضاء الكونى .

هذه المسافات لو تأملها الانسان واستشعر فيها عظمه الخالق فى علمه لكانت دلالة كبيرة على أن خالق هذه الاجرام المتميزه بالحركة الدائمة والملاحظة ثابتة دائما على علم كامل شامل بغيظ نسب المسافات فيما بين هذه الاجرام رغم سرعاتها الرهيبه . لذلك نجد الآية التى تتحدث عن مواقع النجوم تنتهى بالاشارة الى العلم قال تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وأنه لقسم لوتعلمون عظيم ﴾ (الواقعه ٧٥-٧٦) وعلم الانسان لا يوضع فى ميزان علم الله ، لأن علم الله سبحانه متعف بالشمول والاحاطه بكل جزئية فى الكون أو خارج الكون فعلمه سبحانه وتعالى سابق للاحداث والاسباب والاصيات . كما أنه مسببها .

أما علم المخلوق فهو متعلق بالاشياء فهو جزئى حاصل بحصول الاشياء .

وأكبر مثل على ذلك علم الفلك الحديث . فالعلماء فى هذا المجال

لا يعطون تحديداً دقيقاً لحدود الكون المرئى .

لذلك فمن دلائل علم الله سبحانه ما يوضحه مجال مواقع النجوم
فمهما توصلت علوم الانسان فى هذا المجال فانها لاتزال عاجزة عن تحديد
هذه المواقع وذلك لقصور الانسان عن الاحاطة الكاملة التى تستلزم العلم
الشامل والذى لا يتصف به الا الخالق جل وعلا .

ولازال علم الفلك يكتشف اشياء جديدة فى هذا الكون تنبىء عن
احاطة علم خالقها ومانعها وموجدها .

وفى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (كتب الله
مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة) . (١)
فاذا كانت مقادير الخلائق كتبت وقيدت قبل حلول الكون بهذه المدة
التى لانعلم ضابطاً لقياسها أهى بمقياس زماننا على الأرض المحدد بدورة
الشمس والقمر والتى هى من زينة السماء الدنيا أم بمقياس آخر - فان
ذلك دلالة على أن علم الله سبحانه وتعالى ساقى لوجود السموات والأرض
وأنه صفه ملازمة له سبحانه وأن هذا العلم متعف بالشمول والاحاطة
المطلقة .

فمهما تقدمت العلوم من اكتشافات فى هذا الكون فما هى الا توضيح لقليل
من التقدير الذى كتبه سبحانه قبل خلق السموات والأرض .

من صفاته الحكيم :

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا
خير لكم وان تكفروا فان لله ما فى السموات والأرض وكان الله عليماً
حكيماً ﴾ (النساء : ١٧٠) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٣/١٦ ، صحيح مسلم ٢٠٤٤/٤ - حديث رقم ١٦

وتكون مضادة لها . بحيث لو أختل أحد طرفى المعادلة بزيادة أو نقص عن الآخر لتباعدت هذه الاجرام ولسارت على غير هدى وتناشرت فى الفضاء .

٤ - خص الله سبحانه الأرض بميل محورها على مستو فلك الأرض بزاوية معينة ينتج عنها تتابع الفصول الاربعة واختلاف فى طول الليل والنهار فى كل من نصفى الكرة الأرضية وذلك خلال رحلة حول الشمس فى عام كامل .

ومعلوم ان هذه النتائج لميل المحور ضرورية لاستمرار الحياة على الأرض .

٥ - عملية دورة الماء فوق الأرض بما يحصل من تبخير لمياه البحار والمحيطات بطاقة الشمس الحرارية ثم مايجعل له من التكثيف فى الطبقات العليا والنزول على شكل غيث رحمة بالخلق كل ذلك دلالة على الاحكام فى الخلق .

٦ - الغلاف الجوى ينقسم الى طبقات عدة. كل طبقة تقوم بعمل ومهمة معينة بحيث هذه المهمة يلحظ فيها الاتقان والابداع . فمن هذه الطبقات ما تقوم بامتصاص الاشعة الضارة الواصلة الى الأرض . ومنها ما يتكون فيه الماء على شكل سحب تنزل مطرا حينما يرد خالقها . ومنها ما تقوم بعمل المرايا تعكس الاشعة فى الفضاء لتعطى السماء الزينه المتصفه بالبرقه أو بالوان قوس قزح أو بلون الشروق أو الغروب كل هذا دلالة على الاحكام فى الخلق .

كل هذه الدلائل وغيرها مما يوفق الحصر تدل على ان خالق الكون حكيم علم بحاجه الكون فأحكم التوازن فيه . وخلق كل شئ لحكمة

وجعله محققا لهذه الحكمة واحكامه سبحانه للكون يلحظ فى كل جزئية فيه ذلك لانه الله الواحد فى السماء وفى الأرض . قال تعالى :
﴿ وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم ﴾

(الزخرف : ٨٤ - ٨٥) .

ودلائل حكمته هى دلائل علما أيضا لأن من اسمائه وصفاته المتعلقة بعلمه كونه حكيمًا فهو سبحانه أحكم عن علم شامل مطلق سابق على الأشياء .
ولقد ورد وصفه سبحانه بكونه عليم حكيم مترادفه فى ست وثلاثين موضعًا من كتاب الله بحيث تقدم وصفه بالعلم على وصفه بالحكمة فى احدى وثلاثين آية .
خص الآيات المتعلقة بالسموات والأرض فى التذييل بوصفه بالعلم والحكمة ثلاثة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانًا مع ايمانهم والله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيمًا ﴾ (الفتح : ٤) .
وفى هذا دلالة على أنه سبحانه علم فأحكم فى الخلق .

فكل جزئية فى الكون هى من جنود الله سواء لسموية أو الأرضية فأحكم نظامها لأنه سبحانه الحكيم العليم السابق علمه على الأشياء .

من صفاته اللطيفة :

قال تعالى حكاية عن لقمان فى نصحه ابنه ﴿ يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرضيات بها الله ان الله لطيف خبير ﴾ (لقمان : ١٦) .

واللطيف هو " البر بعبادة وهو من صفات فعله ، وقد يكون بمعنى

العالم بخفايا الامور ، فيكون من صفات ذاتة " . (١)

(١) الاعتقاد للإمام البيهقي ص ١٩

والآية تشير الى ان معنى اللطيف يقعد به صفه ذات . اى العالم
بخفايا الامور فقد ذكر ابن كثير فى معنى الآية فى المقصود باللطيف
" اى لطيف العلم فلا يخفى عليه الاشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت " (١)

ويؤيد ماذهب اليه ابن كثير فى المراد بمعنى اللطيف ماورد عن ابن عباس
فى تفسير قوله تعالى حكاية عن الهدد فى انكاره على قوم سباً حيث
كانوا يسجدون للشمس من دون الله ﷻ الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء
فى السموات والارض ويعلم ماتخفون وما تعلنون ﷻ (النمل : ٢٥) .

قال " اى يعلم كل خفيه فى السماء والارض " (٢) وهذا يوضح لنا
جانبا من معنى اخراج الخبء فى السموات والارض . فالمعلومات الحديثة
فى علوم عصرنا وبالذات علم الفلك تؤكد ماذهب اليه ابن كثير ومما
ورد فى تفسير ابن عباس حيث ان الاجرام السماوية تبعث بالطاقة اشكالا
وانواعا منها المرئى ومنها غير المرئى بحيث يمتلئ الفضاء الكونى
بالاشعة الكونية التى لاتحس ولا ترى الا بأجهزة دقيقة جدا . معممه لاكتشاف
ذلك . وهذا مما يدلنا على أن خالقها ومبدعها علم بها وبخفاياها
وذلك لكونه لطيف العلم لا يخفى عليه شئ من الاشياء فهو خالقها
وموجدوها .

وهى مع خفاؤها فان لها من الاثر الكبير على الشئ الذى تقـع
عليه والتى لو وصلت الى الارض لدمرت كل ما عليها من حياة .
لكنه سبحانه مع كونه عالم بكل خفايا الامور فانه بر عبادة لكونه
اللطيف فهو يجنب الانسان المعد للحياة على الارض وللخلافه فيها ، مخاطـر

(١) تفسير ابن كثير ٤٤٥/٣

(٢) الدر المنثور ٣٥٢/٦

هذه الاشعة المصادرة من الاجرام وذلك بما يسره وسخره لنظام الأرض ——— تجهيز لها بحصن منيع هو الغلاف الجوى لرد ضرر هذه الاشعة حيث يتحتوى هذا الغلاف على طبقات تقوم بتشتيت الاشعة بحيث لا يسقط منها الى جو الأرض الا مقادير بسيطة تحتاجها الأرض بقدر ما يعلح لحياة الانسان وما زاد فانه يكف ويطرده بخاصية التشتيت فى هذه الطبقات .

من هذه الاشعة التى تتأتى من أعماق الفضاء الخارجى الاشعة ——— فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس وهى أشعة محرقة لا يسمح الغلاف الجوى بأن يصل منها الى سطح الأرض الا جزء صغير جدا يفيد فى بعض العلاجات الطبيعية كالـ————— كساح .

كما أن من لطفه سبحانه بعبادة ما جعل أيضا للغلاف الجوى من خاصية لرد السيل المتدفق من الشهب التى لو وصلت الى الأرض لما بقيت حياة عليها نظرا لما تحدثه هذه الشهب من اضرار عند سقوطها على سطح الأرض . فسبحان اللطيف الخبير .

المبحث الرابع

صفاته الدالة على رحمته ودلالة ذلك بالفلك :

من صفاته الرحمن الرحيم :

وردت هاتان الصفتان كثيرا في القرآن الكريم غير ورودها بصيغة الفعل " رحم ، يرحم ، ترحم ، ارحم " أو بصيغة المصدر " رحمة " . فاسمه الرحمن ورد في سبع وخمسين موضعا من كتاب الله واسمه الرحيم ورد في مائة ورابعة عشر موضعا من الكتاب الكريم .

ترادف هذان الاسمان في ست مواضع من كتاب الله قال تعالى: ﴿ الحمد

لله رب العالمين . الرحمن الرحيم ﴾ (الفاتحة : ٣) .

الا ان الملاحظ في نعتيه سبحانه باسمه الرحمن لم يرد مرادفا لى اى اسم من اسمائه الا اسمه الرحيم . لكن اسمه الرحيم لم يرد مفردا الا في ثلاثة مواضع كقوله تعالى : ﴿ ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان ربكم رحيم ﴾ (الاسراء : ٦٦) .

كما ورد اسمه الرحيم أكثر ماورد مرادفا لاسمه الغفور . وقد نعت به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (التوبة : ١٢٨) .

مما يدل ان هناك فروق بينهما . ويذكر ابن حجر اختلاف العلماء

في اشتقاقهما الى اقوال هى :

١ - الرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة

٢ - هما اسمان من غير اشتقاق .

٣ - يرجعان الى معنى الارادة ، فرحمته ارادته تنعيم من يرحمه .

- ٤ - يرجعان الى تركه عقاب من يستحق العقوبة .
- ٥ - ان معنى الرحمن أنه مزيج العلل لأنه لما أمر بعبادته بين حدودها وشروطها فبشر وأنذر وكلف ما تحمله بنيتهم فصار العلل مزاحه والحجج منهم منقطعه .
- ومعنى الرحيم انه الميثيب على العمل فلا يغيث لعامل أحسن عملا بفضل رحمته أضعاف عمله .
- ٦ - أن الرحمن مأخوذ من الرحمة مبنى على المبالغة ومعناه ذو الرحمة لانظير له فيها ولذلك لا يثنى ولا يجمع - وهو رأى الجمهور - فالرحمن ذو الرحمة الشاملة للخلق . والرحيم فعيل بمعنى فاعل وهو خاص بالمؤمنين " (١)
- كما ذكر ابن حجر أيضا عن بعض العلماء بأن "الرحمن خاص فى التسمية عام فى الفعل ، والرحيم عام فى التسمية خاص فى الفعل " . (٢)
- وعلى كل فان شواهد رحمته بالخلق ظاهرة ومنها ما يتعلق بالآفاق الشئ الكثير وفى القرآن الإشارة اليها كثيرا فقد قال تعالى : ﴿ قل أرايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتكم بغياء أفلا تسمعون ﴾ . قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله لعلمكم تشكرون ﴾ (القصص : ٧١ - ٧٣) .
- فرحمته هنا شاملة لجميع الخلق على هذه الأرض . فقد خعمها سبحانه بالموضع المناسب من الشمس ومن الفضاء الكونى حسب تقدير واختيار

(١) فتح البارى ٣٥٨/١٣ - ٣٥٩

(٢) المرجع السابق ٤٣٥/١٣

لعلّاح هذا الكوكب لحياة الإنسان المعد للخلافه فى هذا الكوكب .

ومن صلاح حياة الإنسان على الأرض ما يحدث من تعاقب الليل والنهار
حيث يكون الليل للسكنى والراحة والنهار للسعى والحركة وابتغاء الفضل
منه سبحانه .

ونظام حركة الكواكب حول الشمس يوضح لنا جانباً من معنى الآية
فى كيفية جعل كل من الليل والنهار سرمداً ورحمة الله سبحانه بالناس
على الأرض فى تعاقب الليل والنهار للراحة والحركة .

فان من المعروف أن كوكب عطارد " يدور حول الشمس مرة كل ثمانين
وثمانين يوماً ويدور حول محوره مرة كل تسع وخمسين يوماً " (١) وهذا
ما يدل على نهاره طويل جداً بحيث يغلب عليه أكثر العام حيث عامة يقدر
بدورانه حول الشمس ونهاره يقدر بدورانه حول محوره .

والقمر وهو التابع الوحيد لكوكب الأرض يتميز بمواجهة للشمس
بوجهة واحد .

" فالشمس تشرق على جانب واحد منه ، فيكون نفعه دائماً نهاراً فى
حين يكون النصف الآخر ليلاً " . (٢)

إذا فالحياة البشرية لاتصلح عليه نظراً لعدم توفر ليل ونهار
متعاقبين على سطحه مما يجعله صالحاً للسكنى .

وهذا يوضح لنا رحمة الله سبحانه بالإنسان المعد لخلافة الأرض بتسيير
وتسخير تعاقب الليل والنهار على سطح الأرض للراحة والسكنى والحركة
والعمل .

(١) النظام الشمسى ص ١٢

(٢) اقرب الجيران الى الأرض ص ٥

كما أن رحمة الرحمن الرحيم بعباده. يتفح لنا فى أمساك الله تعالى
للسموات حسب قوانين الهية جعلها دلائل للخلق للتعرف عليه من خـلال
الكون وأنظمتـه . فالفعل دلالة على بعض صفات القاعـل وعظم قدرته قال
تعالى : ﴿ الم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلـك تجرى فى البحر
بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا بأذنه ان الله بالناس لرؤوف
رحيم ﴾ (الحج : ٦٥) .

فالسـموات ممسوكـة بالعمد غير المرئية دليل على كمال القدرة كما
أن فيها جانب الرأفة والرحمة بالعباد فى عدم سقوط هذه الاجرام على
أرضهم التى جعلت لهم فراشا ومهدا وقرارا .
فالسماـء فوق أرضهم بناء متكامل متماسكا فى أحسن صورة لايرى فيها
التفاوت مما يدعو الى الاطمئنان وأن هذا الرب المتكفل بامساك هـذه
السماـء رحيم رؤوف بالعباد .

وهذا مدعاه الى التوجه اليه باسمائه وصفاته وعدم صرف شيء
من التوجه الى غيره من جرم سماوى أو حجر ارضى أو غير ذلك .
ومن دلائل رحمته أيضا والمتعلقة بالاجرام السماوية وما جعل لها
من أثر فى حياة الانسان قوله تعالى : ﴿ وهو الذى يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقنه لبلد ميت فأنزلنا به
الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾
(الاعراف : ٥٧) .

فالرياح لها تأثر بحرارة الشمس فى الانتقال من مناطق الضغط المرتفع
الى مناطق الضغط المنخفض فينتج عن هذه العملية حركة الرياح التى
تقوم بعملية نقل السحاب وهو عبارة عن بخار الماء المكتشف فى الجو

الذى انتقل من البحار والمحيطات بالتبخير الناتج عن تأثير حرارة الشمس
فهذه رحمة الله تعالى الرحيم بخلقه فلو لم يسخر سبحانه الشمس
للقيام بهذه العملية لانعدمت الحياة على الأرض .

كما ان عملية نزول الغيث تؤدي الى تلطيف الجو . وكذلك يعتبر
العنصر الاساسى فى زراعة المحاصيل التى ينتج عنها ثمرات مختلفة ، بدونها
لايحيا الانسان .

فالله سبحانه رحمن رحيم لايعجل على خلقه بالعقوبة بل ييسر كل
مقومات الحياة على الأرض مع ما يفعله العباد من جود لنعمته وكفران
بها . بل قد يعمل الامر ببعضهم الى نسب ذلك الى غيره .

ذلك لانه كتب على نفسه الرحمة فهو فى غير حاجة لاحد من خلقه قال
تعالى : ﴿ قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة
ليجمعنكم الى يوم القيامة لاريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾
(الانعام : ١٢) .

فهذه الرحمة متمثلة فى كل جزئية من جزئيات الكون حيث طوعت لخدمة
الانسان رحمة ورأفه به .

فهو سبحانه مع كونه متعف بالرحمة ، فانه خلق مائة رحمة كـل
واحدة كطباق السماء والأرض جعل منها واحدة فى الأرض تتراحم بها الخلائق
وفى حديث سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (ان الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق
ما بين السماء والأرض فجعل منها فى الأرض رحمة فيها
تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم

القيامة أكملها بهذه الرحمة) . (١)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٦٩/١٧ - كتاب التوبة، صحيح مسلم ٢١٠٩/٤ حديث

فاذا تصورنا عظمة هذا الكون من اجرام سماوية وابعاد شاسعة بينها فى هذا الفضاء الكونى المرئى وغير المرئى الذى لم يحدد الى الآن اقصى مسافه للابعاد فيه التى تكون طباق مابين السماء والارض ، تبين لنا عظمة خالق هذه الرحمة الذى لم يكتفى سبحانه بواحدة بل اوجد مائة ، أنزل واحدة الى الأرض يتضح أثرها على خلقه بالتراحم بها . وابقى لـديه تسع وتسعين رحمة يكملها بالرحمة التى جعلت فى الأرض ليرحم بها ينوم القيامة .

ولولا أنه سبحانه حق لا يخلف الميعاد حيث قضى سبحانه بآتابة المطيع وعقاب العاصى ، لشملت رحمته جميع الخلق حتى العصاة . ذلك لأنه سبحانه كتب فى كتابه ان رحمته سبقت غضبه . فقد ورد فى الحديث الذى رواه ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتى تغلب غضبى) (١) وفى الحديث القدس عن النبى صلى الله عليه وسلم (قال الله عز وجل سبقت رحمتى غضبى) (٢) فسبحان الرحمن الذى خلق السموات والارض والنواميس والسنن التى يسير عليها كل شىء محققة لحاجات الناس وراحتهم واستمرار حياتهم الى الاجل الذى حدده الله تعالى للحياة الدنيـا . وسبحان الرحيم الذى فتح باب التوبة للعصاة للفوز بمغفرته وجنته فى الآخرة .

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٨/١٧ ، صحيح مسلم ٢١٠٢/٤ حديث رقم ١٤

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة - حديث رقم ١٥

المبحث الخامس

من اسمائه وصفاته الخالق الرزاق ودلالة ذلك بالفلـك :

أولا : من صفاته الرزاق :

يذكر ابن حجر عن بعض أهل العلم أن الرزاق صفه فعل من افعالــــه سبحانه وتعالى " فهو من صفات فعله لأن رازقا يقتضى مرزوقا ، والله سبحانه وتعالى كان ولا مرزوق وكل مالم يكن ثم كان فهو محدث والله سبحانه موصوف بأنه الرزاق ووصف نفسه بذلك قبل خلق الخلق بمعنى أنه سيـــــرزق اذا خلق المرزوقين " (١).

ويذكر ابن الاثير ان الرزاق من اسماء الله تعالى هو "الذى خلق الأرزاق واعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها اليهم • وان الارزاق نوعان : ظاهرة للأبدان كالأقوات ، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم " . (٢) ومعنى هذا ان الرزق الذى تكفل الله سبحانه به للخلائق نوعان ١ - الرزق الحسى كالأقوات وما يؤدى اليها من حركة فى الحياة وهو ماله علاقة بالبدن ومقوماته •

٢ - الرزق المعنوى وهو ماله علاقة بالقلب والنفوس من ايمان ومعارف وعلوم •

وما يخصنا فى الجانب الفلكى هو الرزق بمعناه الحسى ، فالأشـــــار التى جعلها الله سبحانه وتعالى من اسباب الرزق كثيرة منها ماله علاقة بالاجرام السماوية لانها جزء من السماء وما يقابلها من أسباب فى الرزق وله علاقة بالارض قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم

(١) فتح البارى ٣٦٠/١٣

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢١٩/٢

هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تفكون *

(فاطر : ٣) .

فمثلا دورة الماء فى الكون اكبر دليل على ان المتكفل بالرزق فى السماء والأرض هو خالق هذا الكون . حيث تنقل كتل كبيره من مياه البحار والمحيطات الى أعالي الجو عن طريق التبخير الناتج من أشعة الشمس وانتقال هذه المياه بواسطة الرياح بحيث تتكون السحب التى تنزل بشكل امطار تكون من اكبر عوامل المياه الجوفيه والسطحية التى يستفاد منها فى عمليه الزراعة والرى واستخراج الطاقة الكهربائية التى تدخل فى كل مجال من مجالات حياة الانسان كل ذلك تسهيلا من الله سبحانه لحياة الانسان . وهذه اهم عوامل الرزق .

كما أن تقلبات الاجواء خلال العام بما يعرف بالفصول له أثر كبير على تنوع المحاصيل الزراعية .

وتوفر الرزق يظهر ايضا فى مجال السياحة والتجارة التى ترتبط بأثر حركة الشمس وأشعتها . فالناس عندما ينتقلون من بلد الى آخر قامدين السياحة انما أغلب دافع لهم فى ذلك هو تغير درجات الحرارة على مدار الفصول الاربعة . فيحاولون الرحيل الى مناطق معتدلة الجو بقصد الاستجمام وفى ذلك تنشيط لعملية السياحة فى البلدان مما يتسع بهما دائرة الرزق على أهل البلاد الاكثر سياحة .

كما أن التجارة تتطلب التنقل من بلد الى بلد بقصد الرزق وأكثر الاعتماد فى ذلك على حركة المواصلات كحركة السفن فى البحار التى لازالت تعتمد على حركة الرياح . قال تعالى : ﴿ ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس

وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتعريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون * (البقرة : ١٦٤) .

كما أن حركة الرياح المتعلقة بتأثير أشعة الشمس يستفاد منها الآن في إنتاج الطاقة لخدمة الانسان في مجالات كثيرة .

ان ذلك كله تسهيل الله الخالق الرزاق اذا لولا تسخير لقوى الكون لحياة الانسان لمعب اكتساب الرزق على الانسان ، ذلك لأن من مفاته سبحانه الرزاق الرحيم الذى من رحمته بخلقه أنزل عليهم نعمة من خزائنه التى لاتنفذ والتى توجد فى السموات والأرض يقول تعالى رداً على المنافقين القائلين بعدم الانفاق * هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفقوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون * (المنافقون : ٧) .

ملكية تامه شامله يتصرف فيها سبحانه حسيما يريد .

فالرزق قد تكفل به ولم يحجبه عن أحد وإنما جعل معاش الناس مختلفة كل له قدره من الرزق والمعاش . وليس ذلك الخشيتة من الفقر فهو الغنى سبحانه انما قضى سبحانه بمشيئته تقدير نزول الأرزاق من هذه الخزائن بقدر معلوم . قال تعالى : * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأبنتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين . وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم * (الحجر : ١٩ - ٢٠) .

ثانيا : من صفاته الخالق :

وردت مادة خلق اثباتا لصنع الخالق فى كتابة العزيز فى مواطن كثيرة
الا أنها وردت بصيغة أسم الفاعل فى أحد عشر موقعا قال تعالى مفردا نفسه
بالخلق والرزق مما يوجب افراده بالالوهيه ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمت
الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو
فأنى توفكون ﴾ (فاطر : ٣) . وقال تعالى : ﴿ هو الله الخالق
البارىء المعور له الاسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو
العزيز الحكيم ﴾ (الحشر : ٢٤) .

ووردت بصيغة المبالغة فى معرض الاشارة الى خلق السموات والأرض فى
موضعين قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق
وان الساعة لأتية فأصفح الصفح الجميل . ان ربك هو الخالق العليم ﴾
(الحجر : ٨٥ - ٨٦) .

وقال تعالى فى الرد على من زعم عدم الاعادة والبعث ﴿ أو ليس
الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخالق العليم ﴾
(ياسين : ٨١) .

كما أن ورود مادة خلق فيما يخص السموات والأرض وما بينهما فى كتاب
الله لا يقل عن خمسة وستين مرة قال تعالى : ﴿ الحمد لله الذى خلق
السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾
(الانعام : ١) .

وقال تعالى مدلا على ربوبيته للخلق ﴿ ان ربكم الله الذى خلق
السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار
يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر

تبارك الله رب العالمين * (الاعراف : ٥٤) .
والكون كله يشهد شهادة حق بلسان واحد بأن له ربا خالقا ان لم يكن
بلسان ناطق فهو بلسان الحال . ونظامه يشهد بذلك . فهو سبحانه
أوجد المخلوقات من العدم بعد اذ لم تكن الا ان الاشارة الى
ايجاد هذا الخلق ورد بمترادفات مادة خلق مثل فطر وجعل . فما المقصود
بكل من هذه المترادفات ؟ وما علاقة كل منهما بمادة خلق ؟ وما وجه
الاختلاف بينهما .

مادة خلق ومترادفاتهما :

مادة خلق في اللغة تدل على التقدير (١) يقول ابن الاثير " ومن
اسماء الله الخالق وهو الذى أوجد الأشياء جميعها بعد اذ لم تكن موجودة .
وأصل الخلق التقدير ، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها ، وباعتبار
الايجاد على وفق التقدير خالق " . (٢) قال تعالى : * تبارك الذى
نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الذى له ملك السموات
والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء ففـقـدره
تقديرًا * (الفرقان : ١ - ٢) .

فهو سبحانه قادر على الايجاد ومتعرف فيه بحيث اوجد كل شيء مقـدرا
بقدره ولو تأملت الكون بكل ما فيه من جزئيات لوجدت الدقة فى كل شيء .
وقد انتهت العلوم الحديثة الى نفي نظرية المدفـه والاحتمال فى
الاشياء فمثلا كما يخبر علم الفلك لو أن المادة التى يتـركـب منها نجم
من النجوم اختلفت نسب التركيب فيها بقدر حوالى واحد الى عشرة امامها

(١) مقاييس اللغة ٢/٢١٣ ، بعائر ذوى التمييز ٢/٥٦٦

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٢/٧٠

ستون صفرا لما وجد نجم من النجوم على ما هو عليه الآن .
وهذا دلالة واضحة على أن العشوائية لا تصدر عنها كون بهذا النظام
المحكم الدقيق ذلك لأن الله تعالى هو خالقه ولأن من أسمائه وصفاته
الخالق الذى اوجد وابدع حسب تقدير مسبق محكم . ذلك لأن خلق تستعمل
فى ابداع الشئ من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى : ﴿ بديع السموات
والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ (البقرة : ١١٧)
ويقول صاحب البصائر " وليس الخلق بمعنى الابداع الا الله تعالى ،
ولهذا قال تعالى فى الفصل بينه وبين غيره ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾
(النحل : ١٧) " (١).

اما مادة فطر فان أسم الفاعل منها فاطر وقد ورد من صفات الله
سبحانه الفاطر بحيث وردت هذه الصفة فى الكتاب العزيز ست مرات كلها
متعلقة بخلق السموات والأرض قال تعالى : ﴿ قل اللهم فاطر السموات
والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فىه
يختلفون ﴾ (الزمر : ٤٦) .

وقال تعالى : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة
رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل
شئ قدير ﴾ (فاطر : ١) .

وقال تعالى حكاية عن الرسل فى جدال اقوامهم لاثبات احقية العبادة
له سبحانه ﴿ قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ما أنتم الا بشر
مثلنا تريدون أن تعبدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾
(ابراهيم : ١٠) .

(١) بعض ذوى التمييز فى الطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى ٥٦٦/٢

وفطر تعنى فى اللغة مادل على فتح شئ و ابرازه - والفطر اظهر
الحادث باخراجه من العدم الى الوجود كأنه شق عنه فظهر والفطرة : الشق
والفطرة بكسر الفاء : الابتداء والاختراع . (١)

إذا فالفاطر هو المبتدىء فى اليجاد بحيث أبرز الحادث بأخراجه
من العدم .

أما مادة جعل فهى " كلمات غير منقاسه لايشبه بعضها بعضا " (٢) فهى
ترد بمعنى وضع ، صنع ، صار ، عمل ، خلق ، قال "وفى الجملة تكون بمعنى
فعل فى أمل المعنى وعلى أى معنى ذكرته فلا يخلو من معنى الفعل . والجعل
اعم من الفعل والصنع وسائر اخواتهما " . (٣)

ويذكر صاحب نزهة الأعين " والجعل اذا اضيف الله تعالى فهو ينقسم
فى حقه الى قسمين هما :

- ١- بمعنى الخلق ومنه قوله تعالى : ﴿ وجعل الظلمات والنور ﴾ (الانعام : ١)
- ٢ - بمعنى التعبير ومنه قوله تعالى : ﴿ انى جاعلك للناس اماما ﴾
(البقرة : ١٢٤) . (٤)

ويذكر صاحب الفروق " ان الجعل يأتى بمعنى تغيير صورة الشئ
باجاد الأثر فيه وبغير ذلك . والجعل أيضا يكون بمعنى الاحداث " (٥)

إذا ترد جعل بمعنى احدث واوجد واظهر وميـر .

وفى الآيات القرآنية المتعلقة بالفلك التى وردت فيها مادة جعل
جاءت بهذه المعانى الا أنه فعل متضمن وجود أثر الشئ وصفته قال تعالى :

-
- (١) مقاييس اللغة ٥١٠/٤ ، الفروق اللغوية ص ١٠٩ ، لسان العرب ٥٥/٥ - ٥٦
 - (٢) مقاييس اللغة ٤٦٠/١
 - (٣) بعائر ذوى التمييز ٣٨٤/٢
 - (٤) نزهة الاعين النواظر لابن الجوزى ص ٢٢٩
 - (٥) الفروق اللغوية لابی هلال العسكري ص ١١٠ ، ١١١

* يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء
بناء وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله
اندادا وانتم تعلمون * (البقرة : ٢١ - ٢٢) .
فهو سبحانه اوجد الأرض متمعه بكونها فراشا للانسان واوجد السماء
كغطاه البناء .

وقال تعالى فى موضع آخر * فالى الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس
والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم * (الانعام : ٩٦) .
فهو سبحانه قدر وجود الليل واخترعه ليكون سكنا للانسان فى حالة الراحة
والنوم وهى نعمة منه سبحانه على عباده كما قد اوجد وابدع نظام الشمس
والقمر بحيث يمكن الانسان من معرفة عدد السنين والحساب والتوقيت وهذه
من الخصائص التى جعل الله حياة البشر على الأرض متأثرة ومرتبطة
بالاجرام فى هذه الناحية .

وقال تعالى : * وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات
البر والبحر قد فعلنا الآيات لقوم يعلمون * (الانعام : ٩٧) .
أى اوجد النجوم واحداثها متمعه ومتميزه بأثرها فى حياة الناس بحيث
يعتمد عليها فى تحديد الاتجاه خلال السير فى البر او فى البحر .

كما ذكر سبحانه فى بعض خصائص السماء وصفاتها حينما أوجدها وأظهرها
على غير مثال سبق قاثلا * تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل
فيها سراجا وقمر منيرا . وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن
اراد أن يذكر أو اراد شكورا * (الفرقان : ٦١ - ٦٢) .

هذه صفات للسماء وما فيها من شمس وقمر وما يطرأ من تعاقب الليل

والنهار على الأرض نتيجة لحركة الشمس والقمر في المسار الظاهري للبروج
وما ينتج من أثر حاصل من كون الشمس سراج والقمر نور على الحياة على
هذه الأرض لأصلاح شأن أهلها .

أوجدها خالق الكون بهذه المميزات لأنه رب هذا الكون والقائم
على إصلاحه بما يتلائم مع الإرادة والمشئنة والاختيار المطلق لله سبحانه .
إذاً فخلق ومترادفاتها كفطرو جعل تدل على الإيجاد والظهار والاختراع
إلا أن بينها فروقاً .

فخلق هو الإيجاد من العدم بحيث يتضمن معنى التقدير فلا مجال
للمدفعه والا أدى ذلك إلى فساد نظام الكون . يقول بعض علماء الفلك
" أن معادفة مرور نجمين متقاربين لدرجة تكفى لحدوث خفاق هدام هي في
نطاق الملايين وأن معادفة التعادم هي نادرة لدرجة وراء الحساب " (١)
فهو إيجاد مقدر ذلك لأن الخالق سبحانه حينما أوجده ———— قدره

تقديرًا من اسمه الخالق فهو الذي اخترع الكون على غير مثال سبق .
وأما فطر فهو الإيجاد من العدم بالظهار بحيث يتضمن معنى الابتداء
من غير شيء سابق وعلى غير مثال سابق فقد أوجد وأظهر من العدم .
والدليل على أن فطر يتضمن معنى الابتداء ما روى عن ابن عباس قال :
" ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى احتكم إلى عرابيان في بشر
فقال أحدهما : أنا فطرتها . أي ابتدأت حفرها " . (٢)

وأما مادة جعل فهو الإيجاد المتضمن لوجود أثر الشيء أو صفته وقد
أتفح لنا ذلك من الآيات السابقة التي تتحدث عن إيجاد السموات والأرض وما

(١) العلم يدعو للإيمان - كرسى موريسون ص ٥٢

(٢) غريب الحديث والأشهر ٤٥٧/٣

- فيهما وما بينهما باستخدام مادة جعل والأمثلة من ذلك كثيرة .
- فسبحان الخالق الذى تظهر دلائل خلقه فى هذه الأفاق وما أحدثه فيها
- من أثر أوصفه تعود على هذا الانسان بالخير الحس والمعنوى .

المبحث السادس

من اسمائه المتعلقة بقدرته وعظمته سبحانه ودلالة ذلك بالفلك :

القادر ، العظيم ، العزيز ، العلى ، الجبار ، القوى ، القهار ،
المهيمن .

ان دلائل الافاق لتوضح جانباً من هذه العظمة والقدرة . فالسموات
والأرض كما هو واضح من علوم اليوم مدى عظمتها وسعتها ، والمسافات
الشاسعة بينها الا انها بالنسبة لخالقها الذى ابدعها واوجدها من العدم
لاتساوى شيئاً . وهذه العظمة وهذه القدره تبينها لنا النصوص القرآنية
والأحاديث الشريفه .

من صفاته القادر :

قال تعالى : ﴿ او لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر
على أن يخلق مثلهم وجعل لهم اجلاً لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفوراً ﴾
(الاسراء : ٩٩) .

والقادر فى اسماء الله " هو الذى له القدرة الشاملة والقدرة له
صفه قائمة بذاته " (١) وفى الآيات القرآنية تأكيداً لقدرة سبحانه
الشامله على كل شيء لكون ملك السموات والأرض وما فيهن راجع اليه قال
تعالى : ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ﴾
(المائدة : ١٢٠) .

وتوضيحاً لجانب من قدرته سبحانه نستعرض مافى علم الفلك الذى يبين

لنا جانباً من علم الافاق فعلى سبيل المثال :

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ٢١

١ - أشباه النجوم التى تعتبر من انواع النجوم التى حاول العلماء وضع التنبؤات والتفسيرات التى تفسر حقيقة هذه الاجرام من حيث نظمها حركتها وطريقة تصرفها حيث يدعو ذلك الى التأمل والتعجب من صنع من له القدرة الشاملة على تعريف حالها وامرها فما يعذر عنها يدعو الى الوقوف والتدبر فهى - تبعث مقداراً من الطاقة يعادل مليون شمس مثل شمسنا .

- السرعة الكبيرة التى تتحرك بها مبتعدة عنا تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأييد وانا لموسعون ﴾ (الذاريات : ٤٧) .
- ما يعذر عنها من موجات راديوية يقرع هوائيات المراقب بشدة .

٢ - انواع من الاجرام السماوية تسمى الثقوب السوداء تدعو الانسان الى التفكير فى صنع من له القدرة سبحانه ، فهى تتغفر بحجمها لكون كتلتها تعمل الى حد كبير جداً ، فهو تتميز بانضباط المادة فيها الى حد ان يقال بإمكانية التحام نويات الذرات حتى يعمر حجمها .
لكن كتلتها على ما هى عليه قبل الالتحام .

فمثلاً لو أن الأرض تحولت الى ثقب أسود فان حجمها يصبح بحجم كرة صغيرة لايتعدى نصف قطرها تسعة وثمانين بالمائة من السنتيمتر ولكنها وهى فى هذا الحجم محتفظه بوزنها وجاذبيتها .

كما ان الثقوب السوداء تتغفر بأن جاذبيتها لاتسمح لشيء بالافلات منها حتى شعاع الضوء ، ولهذا لايمكن ان نرى من هذه الاجسام شيئاً مهما تحسنت أجهزة الرصد . (١)

وأشار قدرته سبحانه واضحه فى هذا الكون فالاجرام السماوية على قدر احجامها وكتلتها تسبح فى هذا الفضاء فوق رؤوسنا دون ان يسقط

(١) مجلة الفيصل العدد ٤٣ لعام ١٤٠١ ص ١٢٣ بتصرف .

منها شيء ذلك لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بامساك السموات بمـ
 وضع من قوانين وسنن تجعل من هذه الاجرام كتلا متماسكة مع ما هي
 فيها من نظام حركة قال تعالى : ﴿ ان الله يمسك السموات والأرض أن
 تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا ﴾

(فاطر : ٤١) .

ومن صفاته العظيمة :

كما أن الكون دليل من دلائل عظمة الله الخالق . فالكون مع عظمتـه
 الا انه بالنسبة لبعض مخلوقات الله لا يعد شيئا فكيف بعظمته سبحانه . قال
 تعالى في آية الكرسي موضحا كمال عظمتـه ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض
 ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ (البقرة : ٢٥٥)
 وأود في اللغة تدل على " العطف والانشاء . أدت الشئ عطفـه
 وإلى هذا يرجع أدنى الشئ يؤودنى ، كأنه ثقل عليك حتى ثنـاك
 وعطفك " . (١) فيكون معنى الآية لا يثقله حفظ السموات والأرض . وهذا
 كمال العظمة والقدرة والعلو .

وقد اورد الطبرى حديثا يوضح عظمة ملك الله ، وأن السموات والأرض
 لاتعد شيئا بالنسبة لعظمة ملك الله سبحانه وقدرته فعنه صلى الله عليه
 وسلم (ما السموات السبع فى الكرسي الا كدراهم سبعة القيت فى ترس) (٢)
 وعن ابى ذر رضى الله عنه قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول : ما الكرسي فى العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهري فـلاة

١ - مقاييس اللغة ١ / ١٥٤

٢ - جامع البيان للطبرى ١٠/٣

(١) . (من الأرض)

وقد اختلف المفسرون في المراد من الكرسي الا ان من الاقوال فيــــه انه موضع قدمي الرحمن سبحانه فقد أورد الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال " الكرسي موضع قدميه والعرش لا يقدر قدره " . (٢)

فاذا كان السموات بهذه العظمة وهذه المسافات الشاسعة وهذه الحركة الكبيرة التي تدل الارصاد الفلكية على أنها تبتعد عنا بعدا كبيرا ، علما بأن علم الفلك لا يخبرنا الا عن مجال ضيق جدا في حدود السماء الدنيا فما بالك بالسموات السبع والارضين السبع والغفاء الذي بين كل منهما الذي يقدر بحوالى خمسمائة عام كما اشارت الاحاديث والأثار . وهي لاتعد شيء بالنسبة لكرسي الرحمن الا كدراهم سبعة القيت في ترس ، وهذا الكرسي بالنسبة لعرش الرحمن كحلقة في فلاة من الأرض .

منتهى العظمة والعزة والملك سبحانه . قال تعالى : ﴿ وما قـدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (الزمر : ٦٧) .

كمال العظمة والقدرة له سبحانه كما ان ذلك دلالة على صفات القوة والجبروت لله سبحانه .

(١) جامع البيان ١٠/٣

هاذان الحديثان لم تخرجها الكتب الستة وليست عند أحمد أو في الموطأ وإنما ذكر السيوطي في الدر المنثور أن حديث أبي ذر أخرجه غير الطبري ، أبو الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والعفقات بلفظ (أن ابازر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال : يا أبازر ما السموات السبع والأرضين السبع عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وان فعل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة) . . . الدر المنثور ١٧/٣

(٢) مستدرک الحاكم ٢٨٢/٢

من صفاته القوى الجبار :

والقوى وهو " أن يكون تام القدرة لا يستولى عليه عجز فى حالة من الأحوال ، ويرجع معناه الى صفة القدرة " (١) قال تعالى : ﴿ ما قـدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز ﴾ (الحج : ٧٤) .

اي هو " القوى الذى بقدرته وقوته خلق كل شئ " (٢)

وان الاجرام السماوية لى اكبر دلالة على قوة خالقها وعدم عجزه فى اى حال . فالسرعات التى تتحرك بها هذه الاجرام فى افلاكها من يوم ان خلقها سبحانه الى هذه اللحظة والى حين ان يأذن الله فى انتشارها او انكدارها حينما تنتهى مهمتها التى خلقها من أجلها تنفيذا لأمره الكونى لتدل دلالة على كمال القوة له سبحانه .

فالشمس مثلا تتحرك فى مدارها بسرعة كبيرة جدا فهى " تدور ووراءها توابعها حول مركز مجرتنا - طريق التبانة - بسرعة مائتين مئيل فى الثانية " (٣)

كما أن هناك " جزئيات مشحونه كهربائيا من الشمس تنتقل بسرعة تتراوح بين ثمانمائة وثلاثة الالف كيلو متر فى الثانية " . (٤)

وحديثنا فى توضيح جانب من قوته سبحانه لا يتعدى السماء الدنيا وزينتها ، لان علم الفلك على قدر تقدمه لم يتوصل الى سبر كامل لزينة السماء الدنيا فما بالك بالسموات الاخرى وما بينها من فضاء وما فيها من مخلوقات التى لا يعلم عنها شيئا الا بقدر ما تخبرنا به نصوص الوحى

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ٢١

(٢) تفسير ابن كثير ٢٣٥/٣

(٣) الشمس فى حياة الانسان ص ٢٩

(٤) المعدر السابق ص ٢٦

التي افادت عظم هذه المخلوقات ومدى قوتها فما بالك بخالقها سبحانه

المتعف بكمال القوة والهيمنة والقهر لهذا الخلق سبحانه .

والجبار فى صفاته " هو الذى لاتناله الايدى ، ولايجرى فى ملكه غير

ما اراد ، وهو من الصفات التى يستحقها بذاته " . (١)

وكل ما فى الكون يشهد على جبروت خالقه لاتناله الايدى ولايجرى فى

ملكه غير ما اراد . فعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال (يقبض الله الأرض ويعطى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك

أين ملوك الأرض) . (٢) - منتهى الجبروت .

فالأرض التى تعتبر بالنسبة لنا كبيرة عظيمه لما فيها من جبال وبحار

وفضاء واسع فى جميع الانحاء ، التى يحار الانسان فى عظمة خالقها الذى

أوجدها بهذا النظام وهذا القرار مع كونها تسبح فى الفضاء ، فهى

بالنسبة للخالق سبحانه يوم القيامة كالخبرة فى يد الخباز حينما يعمل

العجينة فعن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفوها الجبار بيده

كما يكفأ احدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة) (٣) .

فى الحديث توضيحا لعمل الجبار المتعف بكمال العظمه والقدرة والجلال

بهذه الأرض كما يعمل الخباز بالعجينة عندما يميلها ويقلبها بيده حتى

تصبح كهيئة القرص . مع أن هناك فارق بين منع الخالق الجبار القادر

العظيم وبين منع المخلوق ، لأنه سبحانه ليس كمثله شئ وهو السميع

البصير .

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ١٨

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٧٢/١١ ، صحيح البخارى ١٢٥/٨

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة ، صحيح البخارى ١٣٥/٨ - باب يقبض الله للأرض .

وفى الحديث اثبات لبعض صفات الرب سبحانه ورد على من انكر ذلك .
عظمه وجبروت وكمال قدره لكونه سبحانه متعفاً بصفات الكمال .

ومن صفاته المنتقاة :

وهى صفة من صفات سبحانه تدل على عظمته وقدرته "وهو الذى ينتصر
من اعدائه ويجازيهم بالعذاب على معاصيهم ، وقد يكون بمعنى المهلك
لهم " . (١)

لذلك جعل الله سبحانه النار فى الآخرة للعصاة له سبحانه ولاعدائهم
التي يخبرنا عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم بأمر واقع محسوس لـ
علاقة بالفلك فى تعاقب الفصول الأربعة تذكير بالآخرة وبنار جهنم وبشدة
انتقامه سبحانه من اعدائه يقول صلى الله عليه وسلم (قالت النار : رب
اكل بعضى بعضاً فأذن لى أتنفس فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى
الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر
وحرور فمن نفس جهنم) . (٢)

فاذا كانت شدة الحرارة التي تعتبر لنا فى واقعنا المحسوس أثراً
من أثار الشمس نظراً لما تشعه الشمس من طاقة حرارية حيث تصل حرارتها
على السطح ست الالف درجة مطلقاً وفى جوفها الى عشرين مليون درجة مئوية
فما بالك بحرارة جهنم التي من انفاسها ما يحسه الانسان فى شدة الحر
فى الصيف .

واذا نظرنا الى النجوم فانها تعتبر افران شديدة الحرارة لاتعده
شمسنا بالنسبة اليها الاجزاء بسيط اذا ما قورنت بها حراريها .

(١) الاعتقاد للبيهقي ص ٢٢

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٩/٥ ، صحيح مسلم ٤٣٢/١ ، حديث رقم ١٨٧

فاذا كانت هذه الافران التى تعد من عالم الشهادة بهذه الحرارة
الشديدة فما بالك بنار جهنم التى تعد من عالم الغيب الذى نفس من
أنفاسها هو أشد أيام الحز فى العيف والذى لا يطيق الانسان تحمله ويسعى
جهده لتفاديه بكل الوسائل .

فكيف بجهنم التى اعداها سبحانه للانتقام من اعدائه . فسيحان
من له العظمه والكبرياء والجبروت والعزة المتعف بعفات الكمال والجلال .

المبحث السابع

النافع والضرار هو الله سبحانه وتوفيق ذلك بالفلك :

قال تعالى : ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضررا
أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾ (الفتح : ١١) .
فالنافع في صفات الله سبحانه " هو موصل النفع الى من يشاء " والضرار
في صفاته سبحانه " هو موصل الضرر الى من اراد " . (١)

وهذه من صفات ربوبيته للخلق سبحانه فهو سبحانه عندما ينفع أو يضر
الخلق انما يعود ذلك لقضية الابتلاء التي من أجلها خلق الانسان قــــال
تعالى : ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على
الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ﴾ (هــــود : ٧) .

ونفعه سبحانه لخلقه في تسخير هذا الكون لخدمة الانسان متمثلا في
كل جزئية ففي مجال الشمس والقمر جعل أحدهما ضياءً واحدهما نورا كما
جعلهما علامه لمعرفة السنين والحساب . وبالرجوع الى ما ذكرنا سابقا
في الحديث عن آثار الاجرام السماوية التي جعلت مسخره من الله يتفــــح
المنافع الجمة التي جعلها الله سبحانه لهذا الانسان في هذه الارض ، ويذكرنا
سبحانه وتعالى بنعمة علينا حيث ذكر في مواطن كثيرة من كتابه العزيز
مجالات تسخير الكون قال تعالى : ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجــــري
الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما في
السموات وما في الأرض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكــــرون ﴾
(الجاثية : ١٢ - ١٣) .

(١) الاعتقاد على مذهب السلف للبيهقي ص ٢٣

فالنفع والضر هو من الافعال الخاصة بالله سبحانه وتعالى كالأحياء والاماته والتدبير والخالقية ونسبة ذلك الى غيره يعتبر من الشرك والكفر وإن المتتبع لديانه الامم السابقة والتي من ضمنها ديانات فلكية يجد ان هذه الامم لم تعتمد الا عبادة هذه الاوثان والاعنام والاجرام السماوية الا معتقدة في نفعها وضرها . كما هي مزاعم قوم من المابئة تسمى الحرنانية حيثوا زعموا " أن الله تعالى أجل من أن يخلق الشرور والقبايح والأقذار والخنافس والحيات والعقارب . بل هي كلها واقعة ضرورة من اتصالات الكواكب سعادة ونحوسه . واجتماعات العناصر صفوة وكدره فما كان من سعد وخير وصفو فهو المقصود من الفطرة فينسب الى البارئ تعالى وما كان من نحوسه وشر وكدر فهو الواقع ضرورة فلا ينسب اليه . بل هي اما اتفاقيات وضروريات واما مستندة الى أمل الشرور والأتمثال المذموم " (١).

وهذه دلالة على ان الشرك والكفر لم يكن فقط في احقية العبادة لله تعالى وانما تعدى ذلك الى الشرك والكفر فيما يخص الله سبحانه وتعالى من أفعاله .

وهذا برهان واضح على ان الامم السابقة ومنها العرب في جاهليتها لم تقر بالتوحيد المتضمن الاثبات والمعرفة لله سبحانه وانما أثبتت جانباً من الفاعلية له سبحانه وهي الخالقية .

وهذا ليس توحيداً لله وانما هو اثبات لجانب من جوانب الفاعلية لله سبحانه متمثلاً في الخالقية ولكنهم ينسبون الضر والنفع لالهتهم وهذا

(١) الملل والنحل للشهرستانى ٥٦/٢

هو شرك الفاعلية كما يتضح من الحديث الذى رواه مسلم عن ابي هريـرة
رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الم تروا الى
ما قال ربكم قال ما أنعمت على عبادى نعمة الا أصبح فريق منهم بها كافرين
يقولون الكواكب وبالكواكب) . (١)

وهذا يعنى ان نسب النفع أو الضر الى غير الله سوا ١٦ كواكب او غيرها
يؤدى بالانسان الى الشرك . والله سبحانه غنى عن الشرك كما أشارت بذلك
النصوص القرآنية والاحاديث النبوية .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ٦٠ ، صحيح مسلم ٨٤ / ١ حديث رقم ١٢٦

الفصل الثاني

معرفة الله تعالى تستلزم التوجه اليه وحده

ويشتمل على المباحث :

أولا : التوحيد العلمى والطلبى وعلاقته بالفلك

ثانيا : عبادة الكون لله عز وجل ونقض عقيدة العائيه ونسب الفاعليه له .

ثالثا : واجب الانسان حينما يرى الكون مشاركا فى العبادة لله .

رابعا : التوجه بالشفاعة لله سبحانه ونقض عقيدة العائيه فى ذلك .

المبحث الأول

التوحيد العلمى والطلبى وعلاقته بالفلسك :

ان الله سبحانه وتعالى أستشهد على استحقاقه للعبادة باسمائه وصفاته وبكونه ربا والها قال تعالى : ﴿ بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم . ذالكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾ (الانعام : ١٠١ - ١٠٢) .

فالله سبحانه وتعالى بعد أن عرفنا باسمائه وصفاته المشتمله على ربوبيته للعالمين بما أنزله فى كتابه العزيز وبما وفحه رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته مساندا لما فى الفطرة من الاعتراف بربوبيته قال تعالى : ﴿ واذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ (الاعراف : ١٧٢) .

فقد جعل فى الآفاق والأنفس علامات ظاهرات على اتعافه سبحانه بالكمال المطلق والفاعلية المطلقة ووضح ذلك لنا بالدلائل . وما زالت هذه الدلائل تظهر لكل ذى لب تحقيقا لقوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾ (فصلت : ٥٣) .

وان المستقرىء لجزئيات الكون يتفح له ويعلم بذلك علم يقين ان خالق الكون يتعاف بصفات الكمال المطلق ويجد من النصوص الشرعية ما يؤكد لــــه ما علمه من استقراء . فالكون كله يشهد شهادة حق باتعاف خالقه بصفات

الكمال لأنه فعل الله الخالق فهو مرآة لبعض صفات خالقه .

والمؤمن صادق الايمان يكفه شهادة ربه ذلك لأن الله المحيط بكل شيء
علما أخبر ووضح وبين : . الا ان المعاند الغال مهما أتفتحت له السبيل
فى ذلك فهو أعمى عنها وعماه من عمى البصيره قال تعالى : ﴿ أفلا يسيروا
فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ (الحج : ٤٦)

لذلك نجد أن نصوص الوحي تدعوا دائما الى الوحدة فى الاعتقاد وهذا
الاعتقاد يتمثل فى التوجه اليه سبحانه والاستسلام له فى جميع الامور لأن ذلك
هو الاسلام المطلوب من جميع الخلق نحو ربهم والهم وخالقهم المتعسف
بصفات الكمال المطلق .

ولقد جعله الله الدين الحق قال تعالى : ﴿ ان الدين عند الله الاسلام
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب ﴾ (آل عمران : ١٩) .

والكون كله مقرا بهذا الدين حيث يتمثل فى خضوعه واستسلامه لما سن
به ربه من قوانين قال تعالى : ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من
فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون ﴾ (آل عمران : ٨٣) .

الا ان الاسلام المطلوب من الانسان يختلف عن اسلام جزئيات الكـ
والتى منها الاجرام السماوية فاسلام هذه الاجرام هو اسلام قسرى جبـرى
اما اسلام الانسان فلا بد ان يكون عن طاعة واختيار ذلك لان الله سبحانه
كرمه وجعل من دعائه تكريمه جانبا اختياريا فى بعض شئون حياته ومع أنه
تكريم الا أنه فى حد ذاته ابتلاء ليحقق العبودية لله التى هى حق الله
عليه وذلك بعد ما عرف من الكون أن ربه وخالقه متعسف بصفات الكمال .

هذا العلم المساند للفطره والمدعم بأرسال الرسل الذين جاءوا بالوحي من الله ليتعرف هذا المخلوق حق آله وخالقه عليه بتوحيده طلبا وقصدا بعد توحيد علما ومعرفه .

ذلك لأن التوحيد العلمى الخبرى يستلزم التوحيد الطلبى القصدى .

هذا التوحيد هو المعروف بتوحيد العبادة لله تعالى حيث كل أفعال العبادة ما هى الا ارادة الطلب ممن ثبت له الكمال المطلق والفاعلية المطلقة . حيث قد عرف العبد بدلالة الآفاق وبدلالة الانفس المؤيدة بنصوص الوحي من صاحب الشرع ان ربه وآلهه وخالقه هو المتمتع بعفات الكمال المطلق والفاعلية المختارة المطلقة وأثبتها له عن معرفة تامه فلمزم عليه اذاً التوجه اليه بالطلب والقصد بما يشمل انواع العبادة المتضمنه لذلك التوجه ونصوص الوحي كما أوضحت وبينت النوع الاول من التوحيد فانها الزمت بالنوع الثانى من التوحيد ذلك لأن للعبادة هى حق الله على عباده كما أوضح الحديث الذى رواه معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه (حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ...) (١) ذلك لأن الله سبحانه خلق الانسان للابتلاء الذى أول شئ فيه هو العبادة قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (الذاريات ٥٦ - ٥٨) والنصوص المتعلقة بآلله والمشتمله على الالزام بتوحيد العبادة لله كثيرة منها على سبيل المثال . قوله تعالى : ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (القصص: ٧٣)

(١) صحيح البخارى ٢١٨/٧ كتاب اللباس

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٣٩٨/١٠ حديث رقم ٥٩٦٧

والشكر لله سبحانه هو نوع من العبادة ذلك لأن فيه قصد وتوجه وطلب لله سبحانه . فالحمد لله سبحانه الزم بالشكر بعد أن بين أن الفاعلية منه المشتملة على رحمته هي التي جعلت من تعاقب الليل والنهار الذي هو أثر لحركة الشمس الظاهرية مجالا للسكنى وابتغاء الفغل . إذاً فيجب على المكلف التوجه بالشكر لواهب هذه النعمة . وفي قول إبراهيم عليه السلام لقومه حينما سفه أحلامهم واليهتهم قال تعالى حكاية عنه ﴿ انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ (الانعام : ٧٩) .

فالتوجه لله سبحانه هو جوهر العبادة لذلك نجد أن خليل الرحمن لما أتفحت له الرؤيا فى ملكوت الله وعرف الاله الخالق بأن من صفاته الدوام وعدم الزوال وعدم الفناء قصده وطلبه واراده وأنكر على قومه فى توجيههم الى أصنام على امثلة الاجرام السماوية التى تتعطف بالفضول والغياب فى حركتها الظاهرية فهى غير دائمة والاله صفاته تنافى هذه الصفه إذاً فالتوجه يكون لمن يتعطف بالكمال فى الدوام ذلك لأن من صفاته الدائم . وخليل الرحمن لما حابه قومه وادعوا بأن آلهتهم سوف تمسه بالسوء والخبل وخوفهم عليه من ذلك اجابهم بأن هذه الالهة غير مالكة للضر والنفع فلا يخاف منها بل الخوف يكون ممن خلقها . والخوف من الله سبحانه هو توجه اليه وهو نوع من العبادة قال تعالى حكاية عن إبراهيم وقومه ﴿ وحاجة قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا وسع كل شئ علما أقلا تتذكرون ﴾ (الانعام : ٨٠) وانواع العبادة التى يقوم عليها النوع الثانى من التوحيد لها جوانب كثيرة هذه الجوانب يمكن تقسيمها الى نوعين من الاعمال .

١ - اعمال العبادة الخاصة بالقلب .

٢ - اعمال العبادة الخاصة بالجوارح .

الا أن كلا الجانبين له علاقة بالقلب لأن الاعمال مرجعها الى النية كما أشار الحديث الذى رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ..) الحديث . (١) والنية محلها القلب فبصلاحها تملح الامور وبفسادها تفسد الامور كما أشار الى ذلك حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه فيما رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم (الا وان فى الجسد مضغ اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب) . (٢)

وكلا النوعين من الاعمال هو ما يحدد الايمان والاسلام ذلك لأن أصل الايمان التعديق المنعقد من القلب وأصل الاسلام الاستسلام والانقياد فى الظاهر . وكلاهما دعامة التوحيد فى جانبه الاول ومتلبس بهما فى جانبه الثانى .

والكون كله يشارك الانسان فى الاسلام كما إشارة بذلك الآية قال تعالى: ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرهاً واليه يرجعون ﴾ (آل عمران : ٨٣) .

وتوضح النصوص الشرعية أن للكون اعمالاً خاصة بالتوحيد تشارك فيها الانسان فى التوجه بها الى خالق الكون الا ان هذه الاعمال اقرب الى اعمال الجوارح كالتسبيح والسجود والانقياد والطاعة .

(١) صحيح البخارى ٣/١ باب كيف بدء الوحى .

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ٩/١ كتاب بدء الوحى حديث رقم (١)

(٢) نفس المصدر ٢٠/١ كتاب الايمان - باب فعل من استبرأ لدينه

فتح البارى ١٢٦/١ حديث رقم ٥٢ .

المبحث الثاني

عبادة الكون لله عز وجل ونقض عقيدته العائنه ونسب الفاعليه له :

الانقياد والطاعة :

فالانقياد والطاعة متمثله فى استجابتها لخالقها لما سخرها وكل الآيات الدالة على التسخير لجزئيات الكون لحياة الانسان على الأرض فيها دلالة على الطاعة والانقياد لخالق الكون . قال تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سنوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (فعلت: ١١-١٢) ويذكر أهل التفسير " أن الله جل ثناؤه قال للسماء والأرض جيئا بما خلقت فيكما أما أنت يا سماء فأطلى ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم وأما أنت يا أرض فأخرجى ما خلقت فيك من الأشجار والشمار والنباتات وتشقى عن الانهار " قالتا أتينا طائعين " أى جيئا بما أحدثت فينا من خلقك مستجيبين لأمرك لانعمى أمرك . وذكر عن ابن عباس فى قوله " أثتيا " : أعطيا وفى قوله " قالتا أتينا " قالتا أعطينا . ويذكر الطبرى ايضا أن قوله " طائعين " أجرى به الخبر عن الرجال لأن بعض أهل العربية يقولون : ذهب به الى السموات والأرض ومن فيهن وقال آخرون منهم قيل ذلك كذلك لأنهما لما تكلمتا أشبهتا الذكور من بنى آدم^(١) اذ أفلا أجرام السماوية حينما تتحرك وتؤثر فى حياة الناس بحكم ما علق بها من أثر انما هى طاعة لله سبحانه وتعالى وأن كان التسخير يفيد القسر والجبر على فعلها لكن الآية أفادة أن السموات والأرض قبلت من خالقها القسر

(١) تفسير الطبرى ٩٩/٢٤

والجبر على فعلها عن طاعة ورضا وهو نوع ما خص به الانسان من تكليف نحو خالقه لكن الفرق هو ان الانسان ترك له جانب الاختيار فى الفعل وعدمه نظرا للتكريم الذى اراده الله له وعلى هذا الاختيار يحاسب . وهذا الاختيار هو جانب الامانة التى عرضت على السموات والأرض والجبال كما أشار الى ذلك تفسير ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ﴾ (الاحزاب : ٧٢) .

فقد اورد الطبرى فى تفسيره عن ابن عباس قال " ان أدوها أشابههم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيمنا لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله " وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا " عز "بأمر بالله" (١) لذلك نجد ان الكائنات التى لاتدخل تحت دائرة الاختيار فى اداء افعالها تنكر على الانسان فى عدم التزام امر الله والانقياد له وصرف نوع من العبادة لغيره كما هو ملاحظ على انكار الهدد على قوم بلقيس قال تعالى حكاية عنه ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون وزين لهم الشيطان أعمالهم فعدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴾ (سورة النمل : ٢٤) .

التسبيح :

كما أن من اعمال العبادة التى أثبتتها النصوص للسموات والأرض وما بينهما عملية التسبيح فقد ورد فى الذكر الحكيم تنزيه الله سبحانه وتعالى لنفسه عن الشريك فى الكمال المطلق والفاعلية المطلقة بحيث لا يمكن كون الالهة معه سبحانه وتعالى كما أثبت سبحانه ان التسبيح لله

(١) تفسير الطبرى ٥٤/٢٢

تعالى صادر عن جميع مخلوقاته فقال تعالى : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لايتغوا الى ذى العرش سيلا . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ﴾ (الاسراء : ٤٢-٤٤) والآية تفيد ان التسبيح واقع من جميع جزئيات الكون سواء من اجرام أو غيرها لما يفيد العموم المذكور وهو تسبيح على الحقيقة لكنه غير مفهوم لنا وانما كل بلغته التى جعلها الله له حيث اشارة الآية الى عدم فقهنا لهذا التسبيح . وقد اختلف العلماء فى العموم هل هو مخصص أم لا ؟ فذهب منهم الى انه غير مخصص لكنهم انقسموا الى فرقتين :

" ١ - فمنهم من قال هو تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بأن الله عز وجل خالق قادر .

٢ - ومنهم من قال هذا التسبيح حقيقة وكل شيء على العموم يسبح تسبيحا لا يسمعه البشر ولا يفقهه " (١)

وهناك آخرون قالوا أنه مخصص فى كل حي ونام وليس ذلك فى الجمادات وقد أستدل القرطبى على ان التسبيح للعموم على الحقيقة اى بلسان المقال بأدلة منها تسبيح الجبال مع داود قال تعالى : ﴿ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعش والاشراق ﴾ (ص : ١٨) . كما رجح ابن كثير هذا الوجه (٢) لما ثبت من الاحاديث والآثار فى هذا الباب كتسبيح الطعام وتسبيح الحصى . وهذه التسبيح سماه النبى صلى الله عليه وسلم صلاة . فقد ورد فى مسند الامام احمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى صلى الله

(١) تفسير القرطبى ٢٦٦/١٠

(٢) تفسير ابن كثير ٤٢/٣

عليه وسلم قال (ان نوحا عليه السلام لما حضرتة الوفاة قال لابنه انى
قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وانهاك عن اثنتين آمرك بلا اله الا الله
فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعت فى كفه وضعت لا اله الا الله
فى كفه رجحت بهن لا اله الا الله ولو أن السموات السبع والارضين السبع
كن حلقة مبهمة قعمتهن الا اله الا الله وسبحانه وبحمده فانها ملاءة كل
شئ وبها يرزق الخلق وانهاك عن الشرك والكبر ...) الحديث (١)

إذاً فالكون كله يشارك فى افعال العبادة كالانقياد والتسبيح والملا
وقد عبر القرآن الكريم عن تسبيح السموات والارض وما فيهن ومن فيهن —
بزمن الماضى وزمن الحاضر الدال على الاستمرارية من هذه المخلوقات فى
التسبيح فقد قال تعالى فى سورة الحشر والعنكبوت سبّح الله ما فى السموات
وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم * (الحشر : ١) وبعبارة الاستمرار
قال تعالى : * يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس
العزيز الحكيم * (الجمعة : ١) .

فاذا كانت السموات بما فيها من اجرام والأرض بما فيها من كائنات تشترك
بأفعال العبادة لله تعالى مع المكلفين من الثقليين معترفة بعجزها —
وضعها امام خالقها ومقررة له بالوحدانية فى الاقرار والخضوع والانقياد
منزهة له سبحانه عن النقائص . فهى بالانسان احرى واليق ذلك لأن خالق
الكون قد خضع بالتكريم على هذه المخلوقات فوجب عليه ولزم ان يعترف
حق خالقه عليه وأن يخضع بالتوجه دون سواء . لأن ما سواه أثبت خضوعه
لهذا الخالق . فلا يتجه الى جرم سماوى او منم أو وثن وغير ذلك —
كائنات ارضيه ذلك لأن قدره عند خالقه اعظم من هذه المخلوقات اذا عرف

ما لخالقه من حق لا يشترك معه غيره فيه .

السجود :

والسجود لله تعالى هو من افعال العبادة الدال على الوجدانية لله سبحانه فيلزم على الانسان المكلف الحرص على فعله ذلك لأن الانسان فى حال السجود هو اقرب مايكون الى مولاه عز وجل سبحانه كما وردت بذلك الاحاديث فقد اورد الامام مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا من الدعَاء) (١)

ونعوض الوحي قد أثبتت أن للكون سجودا اقرارا لوحداية الله وان كنا نجهل حقيقته وكنهه فقد قال تعالى : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والشجر والـدواب وكثيرا من الناس وكثير حق عليه العذاب فمن يهن الله فما له من مكـرم ان الله يفعل مايشاء ﴾ (الحج : ١٨) . وهو سجود حقيقى له صفة معينة لانه وصف زاد على الخضوع المعبر عنه بالتسخير فى آيات كثيرة ولأن الآيات أوضحت خضوع السموات والأرض بما فيها لله وذلك فى قوله تعالى : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ (فصلت : ١١) .

وقد اختلف العلماء فى معنى سجود هذه المخلوقات التى منها الاجرام السماوية فذكر ابن حجر عن ابن العربى قوله " أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن وتأوله قوم على ماهى عليه من التسخير الدائم " .

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ٢٠٠/٤ ، صحيح مسلم ٢٥٠/١ حديث رقم ٢١٥ .

وقال ابن حجر فى سجود الاجرام السماوية والتي منها الشمس حيث الحديث عنها "يحتمل أن يكون المراد بالسجود سجود من هو موكل بها من الملائكة أو تسجد بهورة الحال فيكون عبارة عن الزيادة فى الانقياد والخضوع فى ذلك الحيث". (١)

والراجع والله أعلم هو سجودها هى بصفة فيه حركة غير معروفة لنا لما رواه الطبرى والقرطبى فى تفسيرهما عن ابى العالىة الرياحى قوله "ما فى السموات نجم ولا قمر ولا شمس الا يقع ساجدا لله حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيرجع من مطلقه". (٢) ويؤيد ذلك ما رواه الامام مسلم فى صحيحه عن سجود الشمس عن ابى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما (أتدرون أين تذهب الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال ان هذه تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى ارجعى من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهى الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ولا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى ارجعى من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى الى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارتفعى اصبحى طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون متى ذاك ذاك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ". (٣) ويذكر النووى فى الشرح قوله "وأما سجود الشمس فهو بتميز وادراك بخلق الله تعالى فيها " ويذكر ابن حجر عن الخطابى قوله "يحتمل أن يكون

(١) فتح البارى ٢٩٩ / ٦

(٢) تفسير الطبرى ١٣٠/١٧ ، تفسير القرطبى ٢٤/١٢

(٣) صحيح مسلم ١٢٨/١ حديث رقم ٢٥٠

صحيح مسلم بشرح النووى ١٩٥/٢ - ١٩٦ كتاب الايمان .

المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقرارا لانهيظ به
نحن ، ويحتمل أن يكون المعنى أو علم ما سألت عنه من مستقرها تحـت
العرش في كتاب من كتب فيه ابتداء أمور العالم ونهايتها فيقـطع
دوران الشمس وتستقر عند ذلك ويبطل فعلها وليس في سجودها كل ليلة تحت
العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها " قال ابن حجر " وظاهر الحديث
أن المراد بالاستقرار وقوعه كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار
المسير الدائم المعبر عنه بالجري " . (١)

وإذا عرفنا اختلاف اوقات الصلاة من بلد الى بلد بحيث يرتبط ارتباطا
كبيرا بحركة الشمس الظاهرية فان سلاحظ ان الشمس تشرق وتغرب على مدى
اربع وعشرين ساعة على انحاء العالم وهذا يعنى ان سجودها مستمر
خلال زمن مقداره اربع وعشرين ساعة حيث عند كل غروب يكون سجود لها
تحت العرش وهو مستقرها المكانى مما يلى الأرض في ذلك الجانب وهى
أينما كانت فهى تحت العرش وجميع المخلوقات لأنها سقفها كما أشار الى
ذلك ابن كثير في تفسيره . (٢) وكما أشارت بذلك الاحاديث أن العرش فوق
السماء السابعة . وسجودها تحت العرش عند الغروب لا يتنافى مع قوله
تعالى في قصة ذو القرنين ﴿ حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى
عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ
فيهم حسنا ﴾ (الكهف : ٨٦) .

لأن المراد بالآية نهاية مدرك البصر اليها حال الغروب وسجودها

تحت العرش انما هو بعد الغروب كما أشار الى ذلك ابن حجر . (٣)

(١) فتح البارى ٥٤٢/٨

(٢) تفسير ابن كثير ٥٧١/٣

(٣) فتح البارى ٥٤٢/٨

وذكر سجود الاجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم بالنص فى الآية
التي فى سورة الحج لأن هذه الاجرام قد قصت بالعبادة ومنها السجود فدللت
الآية على أنها تسجد لخالقها وأنها مسخرة مربوبة فلا يعص من أى شخص
كان التوجه اليها بالعبادة كما فاد النهى منه تعالى فى اكثر من نص
قرآنى عن ذلك قال تعالى : ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر
لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ﴾
(فصلت : ٣٧) وفى الآية تذكير منه تعالى بنعمة على خلقه
واحقيقته بالعبادة. التي منها السجود الذى لاينبغى لغيره . وليس هذا
منه الا رحمة بعبادة فانه غنى عنهم لأن جميع خلقه مقرر له بالوحدانية
والعبادة الا طوائف من عبادة المكلفين ممن جعل لهم الاختيار فى الطاعة
والخفوع له سبحانه وبذلك يكون الحساب والجزاء . أما الذين عنده
سبحانه من خلقه لايسئمون عن عبادته وهى من صفات الملائكة قال تعالى :
﴿ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم
لايسئمون ﴾ (فصلت : ٣٨) .

المبحث الثالث

واجب الانسان حينما يرى الكون مشاركا فى العبادة لله :

هذه جوانب من العبادات التى هى حق الله سبحانه على عباده والتى اشتركت فيها جميع الخلائق مقرة معترفه بأن لهذا الكون ربا والها يتعصف بعفوات الكمال المطلق المستحق للحمد والشكر والثناء من خلقه على ربوبيته لهم حيث أنه رحيم رؤوف لطيف بعباده لا يرضى لهم الظلم لأنفسه جعل الظلم محرم على نفسه وحرمه على خلقه . والمسلم عندما يتوجه الى الله فى صلاته التى من أركانها قراءة الفاتحة والتى قسمت بين الرب سبحانه وبين عبده . فالعبد عندما يقرأ " الحمد لله رب العالمين " فإنه يقر ويعترف ويمجد ويتوجه الى هذا الاله الخالق الذى اتعف بربوبيته لجميع العالمين ما علم منها وما لم يعلم والتى لم يوغح لنا علم الفلك منها الا القليل فى الاجرام السماوية وفى حسن نظامها وابداع خالقها فيها والتى تعد من أكبر مخلوقات الله سبحانه بالنسبة لخلق الانسان قال تعالى : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (غافر : ٥٧)

فاذا كانت هذه من أكبر مخلوقات خفعت واطاعة وسبحت وسجدت لله سبحانه وتعالى مقرة له بالوحدانية أفلا يستحق الله سبحانه وتعالى من هذا الانسان التوجه الكامل الذى خصه بخصائص على سائر المخلوقات والتى منها التكريم والله سبحانه غنى عنه لكن التوجه من الانسان اليه يعود عليه هو حيث يشاب بالجنه لأنه حافظ على الامانة التى استرعاه الله عليها .

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم والعلاقة بالآفاق :

لذلك نجد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما كان يتوجه إلى ربه بالدعاء يذكر في دعائه خصائص الربوبية والالهية والاسماء والصفات الدالة على توحيد الاثبات والمعرفة والتي لها علاقة بدلائل الآفاق لأنها من أعظم الدلائل على وحدانية سبحانه فقد ورد في ادعيته صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول : (لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم) (١) . ففي هذا الدعاء توجه الى الله سبحانه بصفات كما لله ومنها ربوبيته للسموات والأرض التي هي من أكبر المخلوقات لله سبحانه والتي لا يخفى على أحد عظمتها فكيف بذالقتها الذي هو الملتجى في الزاوية الكروب وتنفيسها .

وعن ابي هريرة رضى الله عنه قال (قال ابو بكر : يا رسول الله مرني بشيء أقوله اذا أصبحت واذا أمسيت ؟ قال : قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه ، قال : قلّه اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعتك) . (٢)

ففي الحديث أمر بالتوجه لله الخالق سبحانه بنعمته بنعوت الكمالات التي منها العلم والاحاطة بالغيب والشهادة بكونه الفاطر للسموات

(١) صحيح البخارى ٩٣/٨ كتاب الدعوات .

صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٤٥/١١ حديث رقم ٦٣٤٥

(٢) سنن الترمذى ٤٦٧/٥ حديث رقم ٣٣٩٢

والأرض وربا ومليكاً لكل شيء مع الاقرار بشهادة التوحيد في كشف النفس
والشيطان وشركه . والحديث فيه اثبات معرفة الغيب لله تعالى
وتوكيل الامر اليه لا اللجوء الى من يدعى معرفة الغيب كالمنجمين .

ومن الادعية التي يفتح به الصلاة بالليل ما رواه علي بن ابي طالب
رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى
الصلاة قال (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ختيها وما أنا ممن
المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له
وبذلك أمرت وأنا من المسلمين) الحديث (١)

تفويض كامل لله رب العالمين وتوجه اليه بومفه موجد السموات
والأرض على مثال لم يسبق .

وفي الحديث أيضاً حال رفعه من الركوع قوله (اللهم ربنا لك
الحمد ملء السموات والأرضين وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء)

توجه بالشكر والحمد الذي هو نوع من العبادة بما له تعلق بالقلب
هذا الحمد والشكر يملأ السموات والأرضين وما بينهما وغير ذلك
مما يعلمه سبحانه فاذا تصور الانسان سعة الفضاء الكوني الذي هو من
السماء الى الأرض ظهر له عظمة خالقه وأن الشكر والحمد له يملأ هذه الاجرام
وما بينهما لا يوازي شيئاً من نعمة على خلقه .

ورغم ذلك فهو المنعم دائماً لا يمنع رزقه عن خلقه سواء أقر العبد
بوحداية الله وعمل ما يلزمه من ذلك الاقرار من انواع العبادة او لم
يعمل . وانعامه الدائم لاتعافه بالجود والكرم لانه الكريم الذي لا ينتظر
على كرمه جزاء . وانما العامل بما يستوجب الاقرار بالخالق

(١) المصدر السابق ٤٨٥/٥ حديث رقم ٣٤٢١

مرد ذلك اليه بالشواب والجزاء او بالعقاب نظرا لأن الخالق أعبد دارا للجزاء لمن أقر بالتوحيد وعمل بمقتضاه او لم يقر ولم يعمل به—ذا المقتضى .

لذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحث أمته على التوجه دائما الى الخالق فى جميع الاحوال والمناسبات .

ففى احاديث الخسوف والكسوف يأمر صلى الله عليه وسلم بالاسراع الى الصلاة والتوجه الى الله سبحانه وأن الجرمين السماويين الذى ينتج عنهما أثر الخسوف والكسوف ما هى الا مأمورة بأمر خالقها تؤدى ما وجب عليها من فعل وليس لها تأثير فى حياة او موت وانما المحى والمميت هو خالقها سبحانه .

ففى الحديث الذى روته أم المؤمنين عائشه رضى الله عنها حينما كسفت الشمس فى عهد رسول الله ففرع الى الصلاة ولما أنعرف وقد تجلست الشمس خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ان الشمس والقمر من آيات الله وأنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فادأ رأيتموها فكبروا وادعوا الله وصلوا وتصدقوا ...) الحديث (١) بل الأمر اكبر من ذلك فهى غير أنها تؤدى ما أمرت به فهى فى حالة خشوع لله سبحانه لما يظهر من جلال الله سبحانه فقد ورد فى أحد طرق احاديث الخسوف والكسوف ما رواه النعمان بن بشير رضى الله عنه (قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يجر ثوبه فزعا حتى أتى المسجد فلم يزل يعلى بناحتى انجلت فلما انجلت قال : ان ناسا يزعمون ان

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٠٠/٦ - كتاب الكسوف - صحيح مسلم

الشمس والقمر لا ينكسفان الا لموت عظيم من العظماء وليس كذلك ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آتيان من آيات الله عز وجل ان الله عز وجل اذا بدا لشيء من خلقه خشع له فاذا رأيت ذلك فصلوا كأحدث ملاءة فليتموها من المكتوبه (١)

فاذا كانت هذه الاجرام تخشع لما يظهر لها من افعال خالقها فكيف بنا وأشار نعمته علينا تظهر في كل شيء لنا . ويدعى بعض الناس ان لها أثرا بحياة أو موت أو فعل من افعال خالقها .

ان كل شيء في الكون يدعو الى توحيد الله سبحانه التوحيد الخالص الداعي الى التوجه والقصد له وطلب النفع ودفع الضر منه سبحانه .

(١) سنن النسائي ١٤١/٣ كتاب صلاة الكسوف .

المبحث الرابع

التوجه بالشفاعة لله سبحانه ونقض عقيدة العائنه فى ذلك :

علمنا سابقا ان العائنه تقر بأن للعالم مانعا فاطرا حكيما مقدسا
عن سمات الحدشان . لكنهم يرون انهم عاجزون عن الوصول الى جلاله
فيتقربون اليه بالمتوسطات ، اما بالروحانيات أو بالاشخاص . فعمدوا
الى هياكل السيارات السبع أو الى أصنام تمثل اشخاص هذه الهياكل
يستشفعون بها ويتقربون بها الى الله تعالى . (١) لتقريبهم الى الله
زلفى .

والشفاعة اختص الله سبحانه بها دون غيره يمنحها من شاء لمن شاء
ذلك لان فيها توجه وطلب فالطلب والتوجه لا يكون الا لعاحب الملك المطلق
وهو الله سبحانه .

قال تعالى : ﴿ أم أتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم اليه
ترجعون ﴾ (الزمر : ٤٣ - ٤٤) .

فالله سبحانه وتعالى يخبرنا ان هؤلاء المشركين لا يفيدهم اتخاذه
الشفعاء من دونه لكونه المالك للسموات والأرض . فوجب ان تكون العبادة
له والتوجه له والطلب منه .

لان معنى الشفاعة يفيد " الانضمام الى آخر ناصر له ومساندا عنه
واكثر مايستعمل فى انضمام من هو أعلى مرتبه الى من هو أدنى مرتبه . " (١)
فالناصر هو الله والمطلوب هو الله ، والمخلوق يرجو من الله

(١) الملل والنحل للشهر ستانى ٤٩/٢ - ٥٠

(٢) بصائر ذو التمييز للفيروز آبادى ٣٢٨/٣

لكون الخالق اعلى مرتبه من المخلوق .
فاذا كان الله سبحانه وتعالى هو خالق السموات والأرض ومالكها
والمتصرف فى أمرها ايجادا وعدما . وفى ضبط قانونها وتدبير حالها
فكيف بهذا الانسان يتجه الا اجرام يستشفع بها لدى ربها مع كونها عاجزة
عن تدبير أمرها . بل هى عابده له طاعة وانقيادا وسجودا وتسبيحا .
والله سبحانه يشير فى مواضع كثيرة من كتابه الا ان الشفاعة لا تكون لأحد
من خلقه الا بأذنه قال تعالى : * ان ربكم الله خلق السموات والأرض فى
سنة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد اذنه
ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون * (يونس : ٣) .

والمشركون من العائثه وعبداء الاصنام ادى بهم استشفاعهم بهـ
الاصنام والاجرام السماوية الى عبادتها لظنهم أنها تفر وتنفع من دون الله
وهذا شرك فى الربوبية لكون النافع والضرار هو الله سبحانه . حيث ادى
ذلك بهم الى الشرك فى الالهية .

قال تعالى مخبرا عن حالتهم * ويعبدون من دون الله مالا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم
فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون * (يونس : ١٨)
والروحانيات عند العائثه منهم مدبرات الكواكب السبعة السيارة فى
أفلاكها وهى هياكلها . (١)

وهم شفعاؤهم على حد زعمهم عند الله . والله سبحانه وتعالى يقول
فى كتابه العزيز : * وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا
الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى * (النجم : ٢٦) .

وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه سبحانه ، بحيث لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد إلا بأذنه له في الشفاعة . ذلك لأن طلب الشفاعة فيها خضوع لمالك الشفاعة سبحانه فقد ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه في شفاعة صلى الله عليه وسلم قوله صلى الله عليه وسلم (فيأتوني فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك وأشفع تشفع وسل تعطه) . (١)

هذا حال الشافع أمام مالك الشفاعة ، في خضوع وذلة لكون ذلك طلب وتوجه ورجاء وخشية من مالكيها مالك السموات والأرض .
فالشفاعة تتطلب إذنًا من مالك الشفاعة كما تتطلب أيضًا رضا منه عن المطلوب له الشفاعة .

والمطلوب له الشفاعة لابد أن يتحقق فيه شرط العبودية لله وليس العبودية لغيره من أجرام سماوية أو أصنام أو روحانيات ، التي هي بزعمهم شفعاء عند الله .

لذلك لا تكون إلا لأهل التوحيد وليس لأهل الشرك . وفي الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنه هو ومعاذ بن جبل رضي الله عنه قالا (يا رسول الله ادع الله عز وجل أن يجعلنا في شفاعتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئا في شفاعتى) . (٢)

فالشفاعة التي يأذن الله سبحانه وتعالى للشافع فيها لابد أن يتحقق فيه الرضا منه سبحانه عن الشافع والمشفوع له . وكل ذلك يتحقق بكون العبودية لله سبحانه والالتزام بكلمة التوحيد . فعن أبي هريرة

(١) صحيح البخاري بفتح الباري - كتاب الانبياء ٢٧١/٦ حديث ٣٣٤٠

صحيح البخاري ١٦٤/٤ كتاب بدء الخلق .

(٢) مسند الامام احمد ٤٠٤/٤

رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (اسعد الناس بشفاعتي
يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه ، أو نفسه) (١)
ويستفاد من الحديث ان من عرف ربه وخالقه بدليل الفطرة أو دلائل الآفاق
وتعديق ماورد من نصوص الوحي عن معرفة هذا الخالق المتمتع بصفات الكمال
واتجه اليه وقصده وطلبه ، حقت له شفاعته الله الذي يأذن بها سبحانه
لمن شاء من خلقه المتحقق فيهم رضاه عنهم . وهذا تأكيد لنفي عقائد
المشركين من صائبه وغيرهم في الشفاعة عند الله من اصابوا واجرام سماوية
لكونها لاتعقل ، ولكون الشفيع لابد له من الاذن في الشفاعه من ماله
الشفاعة لتحقيق معنى العبودية والاستسلام لله سبحانه .

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ١٩٣/١ كتاب العلم ، باب الحرص على
الحديث ، حديث رقم ٩٩ ، صحيح البخارى ٣٥/١ - ٣٦ كتاب العلم .

المراجع

١٦ - الاعتقاد على مذهب السلف
للامام الحافظ ابى بكر احمد بن الحسين البيهقى
السلام العالمية للطبع والنشر - دار الثقافة للطباعة والنشر
القاهرة .

١٧ - آفاق جديدة فى علم الفلك
جون براندت ، وستيفن مارات
ترجمة احمد حسين سلامة ، د . معدوح اسحق ونس
مكتبة الوعي العربى

١٨ - الافتاح فى فقه اللغة
عبدالفتاح المعيدى وحسين يوسف موسى
الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

١٩ - اقرب الجيران الى الارض
برتا موريس باركر
ترجمة ادوار رياض

٢٠ - الاكتشافات العلمية الحديثه ودلالاتها فى القرآن
د . سليم بن عمار قشوش
الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - دار الحرمين للنشر - الدوحة - قطر

٢١ - كتاب الفباء
لابى الحجاج يوسف محمد الباقوى
عالم الكتب - بيروت

٢٢ - الله يتجلى فى عصر العلم
نخبة من العلماء الامريكيين
ترجمة د . الدمرداش عبدالحميد سرحان
دار القلم - بيروت - لبنان

٢٣ - اللـه والكـون

د. محمد جمال الدين الفنـدى

طبعة ١٩٧٦ م - الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٤ - الام

للامام الشافعى

الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - دار المعرفة - بيروت

٢٥ - الانسان فى الكون بين العلم والقـرآن

د. عبدالعليم خفـر

الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - عالم المعرفة للنشر والتوزيع

جـده - المملكة

٢٦ - انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى

ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوى

مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت

٢٧ - الاية الكبرى فى شرح قصـة الاسـرا

للمحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى

تحقيق - محى الدين مستو - الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ

دار ابن كثير - دمشق - بيروت - مكتبة دار التراث - المدينة

المنورة .

٢٨ - البـداية والنهاية

للمحافظ ابن كـثير

الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

٢٩ - بعائر ذو التميز فى لطائف الكتاب العزيز

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى

تحقيق محمد النجار - المكتبة العلمية - بيروت

- ٣٠ - تنج العروس من جواهر القاموس
للإمام السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي
دار الفكر - بيروت
- ٣١ - تاريخ الاسلام
د. حسن ابراهيم حسن
الطبعة السابعة ١٩٦٤ م - القاهرة
- ٣٢ - تاريخ بغداد
للحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي
دار الكتب العلمية - بيروت
- ٣٣ - تاريخ العلوم عند العرب
د. عمر فروخ
الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م - دار العلم للملايين - بيروت
- ٣٤ - تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب
محمد لطفى جمعة
المكتبة العلمية - بيروت
- ٣٥ - التاريخ الكبير
للحافظ الامام ابي عبدالله اسماعيل بن ابراهيم البخاري
طبع تحت مراقبة - د. محمد عبدالمعيد خان
توزيع دار الباز للنشر والتوزيع
- ٣٦ - تاريخ حضارة مصر والعراق وبلاد الشام وايران وتركيا
منذ أقدم العصور
د. جمال عبدالهادي - د. وفاء محمد رفعت
دار الشروق - جدة

- ٣٧ - تاريخ اليمن القديم
محمد عبدالقادر بافقيه
طبعه ١٩٧٣ م - المؤسسة العربية للدراسات والنشر
سوريا .
- ٣٨ - تذكرة أولى الالباب والجامع للعجب العجائب
للشيخ داود الفريزر الانطاكي
- ٣٩ - كتاب التعريفات
الشريف علي بن محمد الجرجاني
الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - دارالكتب العلمية - بيروت
- ٤٠ - تفسير ابن عيينه
جمع وتحقيق احمد محمد محايى
الطبعة الاولى ١٤٠٣ - المكتب الاسلامى - بيروت - دمشق
مكتبه اسامة - الرياض .
- ٤١ - التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن
حنفى أحمد
الطبعة الثالثة - دار المعارف - القاهرة
- ٤٢ - تفسير القرآن العظيم
للحافظ عماد الدين ابى الفداء - اسماعيل بن كثير
طبعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م - دار المعرفة للطباعة والنشر
بيروت .
- ٤٣ - التفسير الكبير
الامام الفخر الرازى
الطبعة الثالثة - دار احياء التراث العربى - بيروت

- ٤٤ - تفسير المنار
محمد رشيد رضا
الطبعة الثانية - دار المعرفة - بيروت
- ٤٥ - تقریب التهذيب
احمد بن على بن حجر العسقلانى
تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف
الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ - دار المعرفة - بيروت
- ٤٦ - تهذيب التهذيب
احمد بن على بن حجر العسقلانى
الطبعة الاولى - دار المعارف النظامية - حيدر آبار
الهند .
- ٤٧ - التوحيد
للشيخ عبدالمجيد الزندانى
الطبعة الاولى ١٤٠٥ - دار السلام الطباعة والنشر -
دار المجتمع للطباعة والنشر - جدة
- ٤٨ - توحيد الخالق
عبدالمجيد عزيز الزندانى
الطبعة الثالثة ١٤٠٨ - دار المجتمع للنشر والتوزيع - جدة
- ٤٩ - ثلاث كتب فى الافداد
للإمامى وللسجستانى ولابن السكيت
دار الكتب العلمية - بيروت
- ٥٠ - جامع الاصول فى احاديث الرسول
للإمام المبارك بن محمد بن الاثير الجوزى
تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط - الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - دار الفكر
بيروت .

٥١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لابي جعفر محمد بن جرير الطبري
طبعة عام ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م - دار الفكر - بيروت

٥٢ - الجامع لاحكام القرآن
لابي عبدالله محمد بن احمد الانباري القرطبي
تحقيق - احمد عبدالعليم البردوني ، ابو اسحاق ابراهيم اطفيش
الطبعة الثانية ١٩٦٦م - ١٩٦٧م - دار احياء التراث العربي
بيروت .

٥٣ - الجغرافيا الفلكية " دراسة في المقومات العامة "
شفيق عبدالرحمن علي
دار الفكر العربي - بيروت

٥٤ - الجواهر في تفسير القرآن
للشيخ طنطاوي جوهري
دار الفكر

٥٥ - الحباثك في اخبار الملائك
للامام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
تحقيق محمد السعيد زغلول - الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ
دار الكتب العلمية - بيروت .

٥٦ - طيبة الأولياء وطبقات الأمفياء
للحافظ ابي نعيم احمد بن عبدالله الاصبهاني
الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ - دار الكتاب العربي - بيروت

٥٧ - الحيوان
لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق عبدالسلام هارون - دار احياء التراث العربي - بيروت

- ٥٨ - خلق افعال العباد
للامام محمد بن اسماعيل البخاري
الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت
- ٥٩ - دائرة المعارف
للمعلم بطرس البستاني
دار المعرفة - بيروت
- ٦٠ - دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام
د. السيد عبدالعزيز سالم
مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية
- ٦١ - دراسات في تاريخ العلوم عند العرب
حكمت نجيب عبدالرحمن
الطبعة الرابعة ١٩٨٥ م - جامعة الموصل
- ٦٢ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة
مورس بوكساي
دار المعارف - القاهرة
- ٦٣ - الدر المنثور في التفسير المأثور
للامام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي
الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - دار الفكر - بيروت
- ٦٤ - الديناميكا الحرارية
جوردون - فان وايل
ترجمة د. عبدالرزاق عبيد الفتاح
مكتبة الخانجي - القاهرة

٦٥ - الديــــن فى مواجــــهة العــــلم
وحيد الدين خــــان
ترجمة ظفر الاسلام خــــان
الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - دار النفائس - بيروت

٦٦ - كــــتاب المعــــرفة -
الذرات والالكترونات
طبعة ١٩٨٧ م - شركة انماء النشر والتسويق - الناشــــر
تراد كسيم - جنيــــف

٦٧ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى
شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى
دار احياء التراث - بيــــروت

٦٨ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين
شمس الدين محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزية
طبعة ١٤٠٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنــــان

٦٩ - زاد المسير فى علم التفسير
لابى الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن على الجوزى القرشى
البغــــدادى
الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - المكتب الاسلامى - بيروت - دمشــــق

٧٠ - سنن ابى ماجه
للحافظ ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى
تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى - دار الفكــــر - بيــــروت

٧١ - سنن ابى داود
للإمام ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى
مراجعة وتعليق محمد محى الدين عبدالحميد
دار الفكــــر - بيــــروت

- ٧٢ - سنن الترمذی
لابی عیسی محمد بن عیسی بن سورة الترمذی
تحقیق احمد شاکر
دار احیاء التراث العربی - بیروت
- ٧٣ - سنن النسائی بشرح السيوطی وحاشية
السندی
الطبعة الاولى ١٣٤٨ هـ - دار الفكر - بيروت
- ٧٤ - السومريون تاريخهم وحضارتهم
سموئيل نوح كريم
ترجمة د. فيصل الوائلي
وكالة المطبوعات بالكويت
- ٧٥ - السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار
للشيخ محمد بن علي الشوكاني
تحقيق محمود ابراهيم زايد
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت
- ٧٦ - شرح السنه
للامام الحسين بن مسعود البغوي
تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط
الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - المكتب الاسلامي - بيروت
- ٧٧ - شرح العقيدة الطحاوية
تحقيق جماعة من العلماء
مكتبة الدعوة الاسلامية - شباب الازهر

- ٧٨ - الشمس في حياة الانسان
د. طه عثمان الفرا ، محمد محمود محمدين
طبعة عام ١٣٩٦ هـ - مكتبة دار العلوم - الرياض
- ٧٩ - صحيح البخاري
للامام الحافظ ابن عبد الله اسماعيل بن ابراهيم الجعفي
البخاري
طبعة مقتبسه من النسخة اليونانية - دار احياء التراث - بيروت
- ٨٠ - صحيح مسلم
للامام ابن الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
تحقيق محمد عبد الباقي
دار احياء التراث - بيروت
- ٨١ - صحيح مسلم بشرح النووي
دار الفکر - بيروت
- ٨٢ - مور الكواكب الثمانية والاربعين
لابي الحسين عبدالرحمن بن عمر الرازي المعروف بالعوفي
دار الافاق الجديدة - بيروت
- ٨٣ - الطبيعيات والاعجاز العلمى للقرآن
د. عبدالعليهم خضر
الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ - الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة
- ٨٤ - الطريق الى النجوم
فان دريت ويليام
ترجمة د. عمر فروج
الطبعة الثانية ١٩٧٤ م - دار العلم للملايين - بيروت

- ٩٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري
احمد بن علي بن حجر العسقلاني
تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقى
دار المعرفة - بيروت
- ٩٣ - فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية
من علم التفسير .
محمد بن علي الشوكانى
طبعة عام ١٤٠١ هـ - دار الفكر - بيروت
- ٩٤ - الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين
سليمان العجلى الشير بالجمل
دار احياء التراث العربى - بيروت
- ٩٥ - الفروق
شهاب الدين ابى العباس المناجى المشهور بالقرافى
وضعه أ. د. محمد رواس قلعة جى
دار المعرفة - بيروت
- ٩٦ - الفروق اللغوية
لأبى هلال العسكري
تحقيق : حسام الدين القدسى
طبعة ١٤٠١ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت
- ٩٧ - الفصل فى الملل والاهواء والنحل
لابى محمد على بن احمد المعروف بابن حزم
تحقيق : د. محمد ابراهيم نعمر
د. عبدالرحمن عميره
دار الجيل - بيروت

- ٩٨ - فقه اللغة وسر العربية
لابى منفور اسماعيل التعلبي
دار الكتب العلمية - بيروت
- ٩٩ - الفلك عند العرب
عبدالرحيم بـدر
الطبعة الاولى ١٩٨٦م - مؤسسة معرى للتوزيع - لبنان
- ١٠٠ - الفهرست لابن النديم
طبعة عام ١٣٩٨ هـ - دار المعرفه - بيروت
- ١٠١ - فى سبيل موسوعة عملية
د. احمد زكى
الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - دار الشروق
- ١٠٢ - فى ظلال القرآن
سيد قطب
الطبعة العاشرة ١٤٠٢ هـ - دار الشروق - بيروت - القاهرة
- ١٠٣ - القاموس المحيـط
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى
دار الجيل - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت
- ١٠٤ - قصة الحضارة
ول ديورانت
ترجمة د. زكى نجيب محمود
الادارة الثقافية فى الجامعة العربية
- ١٠٥ - القضاء والقدر فى الاسلام
د. فاروق احمد الدسوقي
الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - المكتب الاسلامى - بيروت - مكتبة
الخانى - الرياض

- ١٠٦ - قواعد الجغرافيا العامة
د. جوده حسين ، د. فتحى ابو عيانه
طبعة عام ١٤٠٦ هـ - دار النهضة العربية - بيروت
- ١٠٧ - الكشف
لابى جار الله محمود بن عمر الزمخشري
دار المعرفه - بيروت - توزيع دار الباز
- ١٠٨ - كشف الظنون عن اسامى الكتب والقنـون
المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطنى المعروف بحاجى خليفه
طبعة ١٤٠٢ هـ - دار الفكر - بيروت
- ١٠٩ - الموسوعة العلمية الحديثه " الكون "
كولين رونـان
طبعة عام ١٩٨٥ م - الاهلية للنشر والتوزيع - بيروت
- ١١٠ - الكون والاعجاز العلمى
د. منصور محمد حسب النبى
شركة دار العفا للطباعة - ١٩ شارع المنفلوطى - السيدة زينب
- ١١١ - لسان العرب
لابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور
الطبعة الاولى دار صادر - بيروت
- ١١٢ - لطائف المعارف فيمـا لمواسم العام من الوظائف
الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلى
دار الجيل - بيروت
- ١١٣ - المساء والحياة بين العلم والقرآن
د. عبدالعليم خـمر
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - الدار السعودية للنشر - جدة

- ١١٤ - مبادئ الكونيات
الأمين أحمد كـ
الطبعة الثالثة ١٩٧٩م - عالم الكتب - بيروت
- ١١٥ - مجمل اللغة
أحمد بن فارس
تحقيق : زهير عبدالمحسن
الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت
- ١١٦ - مجموع فتاوى ابن تيمية
جمع وترتيب عبدالرحمن النجدي
مكتبة ابن تيمية - مصر
- ١١٧ - المختار في تفسير القرآن العظيم
الشيخ محمد متولى الشعراوى
مكتبة التراث الاسلامى - مصر
- ١١٨ - مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة
لابن قيم الجوزية - دمشق
اختصار الشيخ محمد بن المولى
الطبعة الاولى ١٤٠٥ - دار الكتب العلمية - بيروت
- ١١٩ - مرويات ابن عباس في التفسير من كتب السنة
د. عبدالعزيز الحميدى
جامعة أم القرى - مركز البحث العلمى واهياء التراث
- ١٢٠ - مستدرك الحاكم وبذيله التلخيص للذهبي
للحافظ ابى عبد الله الحاكم
دار المعرفة - بيروت - توزيع دار الباز

- ١٢١ - مسند الامام احمد وبذيله كنز العمال
الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ .
فهرس الالباني
المكتب الاسلامي - دمشق - بيروت
- ١٢٢ - مسر الفرعونيّة
احمد فخرى
الطبعة الثالثة ١٩٧١ م - مكتبة الانجلو المصرية
- ١٢٣ - المطالب العاليه من العلم الالهى
للامام فخر الدين الرازى
تحقيق : د. احمد حجازى السقا
الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ - دار الكتاب العربى - بيروت
- ١٢٤ - معالم التنزيل فى التفسير والتأويل
لابى محمد الحسين بن مسعود البغوى
طبعة عام ١٤٠٥ هـ - دار الفكر - بيروت
- ١٢٥ - معانى القرآن
لابى زكريا يحيى بن زياد الفراء
الطبعة الثانية ١٩٨٠ م - عالم الكتب - بيروت
- ١٢٦ - المعجم الاوسط
للحافظ الطبرانى
تحقيق : د. محمود الطحان
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - مكتبة المعارف - الرياض
- ١٢٧ - معجم البلدان
ياقوت الحموى
طبعة ١٣٩٩ هـ - دار احياء التراث العربى - بيروت

- ١٢٨ - معجم الطبرانى العفصر
للمحافظ القاسم سليمان بن احمد اللخمي الطبراني
طبعة ١٤٠٣ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٢٩ - مفاهيم قرآنية حول حقيقة الانسان
د. فاروق احمد الدسوقي
الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - المكتب الاسلامي - بيروت
- ١٣٠ - مفتاح دار السعادة
للامام ابي عبدالله محمد بن ابي بكر الدمشقي
المشتهر بأبى نعيم الجوزية
دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت
- ١٣١ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة
طاش كبرى زاده
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٣٢ - المفردات في غريب القرآن
لابى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني
تحقيق : محمد سيد كيلاني
دار المعارف - بيروت
- ١٣٣ - المقامات الحسان
للامام محمد بن عبدالرحمن السخاوي
تمحيق وتعليق : عبدالله محمد العديق
الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٣٤ - مقاييس اللغة
احمد بن فارس
تحقيق : عبدالسلام هارون
طبعة عام ١٣٩٩ هـ - دار الفكر - بيروت

- ١٣٥ - مقتطفات من العلوم العامة
محمد رويين ادريس
الطبعة الاولى ١٩٨٤ م - دار المستقبل للنشر والتوزيع
عمان - الاردن
- ١٣٦ - مقدمه ابن خلدون
عبدالرحمن ابن خلدون
الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - دار الباز للنشر والتوزيع
- ١٣٧ - المقصد الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى
لابى حامد الغزالى
تحقيق : محمد عثمان الخشت
مكتبة القرآن للطبع والنشر - بولاق - القاهرة
- ١٣٨ - الملل والبخل
لابى الفتح محمد بن عبدالكريم بن احمد الشهر ستانى
تحقيق : محمد كيلانى
طبعة ١٤٠٤ هـ - دار المعرفة - بيروت
- ١٣٩ - المنهج الايمانى للدراسات الكونية فى القرآن
د. عبدالعليم خضر
الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - الدار السعودية للنشر والتوزيع
جدة .
- ١٤٠ - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول
لشيخ الاسلام احمد بن تيميه
الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت

فهرس الاحاديث

الصفحة	الحديث
٤٨٥	اتدرون آين تذهب الشمس
١٣٤	اتدرون ماهذا قلنا : السحاب
٢٨٧	اذا ذكر اصحابى فامسكوا
٤٠٧	اذا طلع النجم
٢٨٦	اذا قضى الله الامر فى السماء
٢٩٦	اسعد الناس بشفاعتى
٢٧٩	اشتكت النار الى ربها
٢٢٨	اصبح من عباده
٢٨٤ - ٢٨٣	اعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
٩٠	اعوذ بالله منك
٢٢٨	اعوذ بوجه الله الكريم
٤٣٢	اقبلوا البشرى يابنى تميم
٤٨٤	اقرب مايكون العبد من ربه
٦٨	اقمر هجانا
٢٢١	الا ان ربي امرنى أن اعلمكم
٤٧٩	الا وان فى الجسد
٤٩٦	الساعى على الارملة
٢٩٢	الصوم فى الشتاء
٣٠٦	الطهور شطر الايمان
٤٠١	الطيرة شرك
٨٧	اللهم انت صاحب فى السفر

فهرس الاحاديث

الصفحة	الحديث
٣٠٩	اللهم انى اسألك خيرها
٢٤	اللهم رب السموات السبع
٤٣٤	اللهم رب السموات ورب الأرض
٤٢٩	اللهم لك الحمد انت قيم السموات
١٢	اللهم لك ركعت
٤٧٣ - ٣٥٢	الم تر - الم تروا الى ما قال ربكم
٣٠٢	انا أمة امية
٤١٨	انا خير الشركاء
٢٢٣	ان الركن والمقام ياقوتتان
١٦٥	ان الزمان قد استدار
٤٩١، ٥٠٤	ان الشمس والقمر
٣٠١	ان الشهر يكمون
٢٢٧ - ٦١	ان الصلاة عرضت
٤٥١	ان الله خلق يوم خلق السموات
٧٠	ان الله عز وجل جعل هذه الالهة
١٣١	ان الله على عرشه
٢٨٤	ان النبى صلى الله عليه وسلم امر بلالا
٢٥٣	ان اول زمرة يدخلون الجنة
٤٩٥	انتم ومن مات لا يشرك بالله
٢٨٧	ان خيار عباد الله
٢٨٦	ان خيار عباد الله

فهرس الاحاديث

المفحمة	الحديث
٦١	انظر هل ترى في السماء
٠٠
٦٢	ان في امتي اثني عشر منافقا
٣١٧ - ٣١٦	انكسفت الشمس على عهد رسول فخرج
٢٦٢	انك مأمورة
٢٤٣	انكم سترون ربكم
٤٩	ان للصلاة اولا وآخرا
٢٠٥	ان الله تبارك وتعالى ملائكة
٤٧٩	انما الاعمال بالنيات
٨٧	ان مثل ما بعثني الله به من الهدى
٤٩٢ - ٤٩١	ان ناسا يزعمون
٤٨٣	ان نوحا عليه السلام
١٧	اني ارى مالا ترون
٢٥٧ - ٢٥٦	بينما رجل بفلاة
٤٦٨	تكون الارض يوم القيامة
٢٥٣	ثم الذين يلونهم على أشد
٢٧٥ - ٢٧٤	جوف الليل الآخر
٤٧٧	حق الله على عباده
١٥٦ - ١٥٥	خلق الله الارض
٠٠
١٥٤	خلق الله عز وجل التربة

فهرس الاحاديث

الصفحة	الحديث
١٩٣	سبحانه الله عدد خلقه
٠٠
٦٢	سجد رسول الله والمسلمون فى النجم
٢٩٦، ٣٢٨، ٦٢	صلاة الليل مثنى مثنى
٣٥١، ٩٧، ٧٨	صلى بنا رسول الله صلاة الصبح بالحديبيه
٣١٢	صوموا لرؤيته
٩٠	عراض الوجوه صفار العيون
٩٧	عليكم بالدلج
٩١	فربما ادرك الشهاب
٢٥٦	فنادنى فلك الجبال
٤٩٥	فياأتونى فأسجد تحت العرش
٤٤٠	فيما سقت السماء
٤٥٢	قال الله عز وجل
٤٦٩، ٢٩٢	قالت النار : رب اكل بعضى بعضا
١٨	قرصت غله نبيا
٤٨٩	قل اللهم عالم الغيب والشهادة
٢٧٥	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل
٤٣	كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا راى مخيلا فى السماء
٨٧	كان يكيفك هكذا
٤٤١، ٤٣٥، ٤٥	كتب الله مقادير الخلائق
١٣	كمل من الرجال كثير

فهرس الاحاديث

الصفحة	الحديث
٤٨٩	لا اله الا الله العظيم
٧٠	لاتصوموا حتى تروا الهلال
٠٠
٢٨٨	لاصلاة بعدها حتى يطلع الشاهد
٣٠٠	لايتقدمن احدكم رمضان
٤٨	لايغفرنكم من سحورككم
١٧٧	لما خلق الله عز وجل الارض
٤٥٢	لما خلق الله الخلق
٣٨٦	لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا
٣٨٧	لو أقسمت لبررت
٣٥٢	لو أمسك الله عز وجل المطر
٢٥٢، ٢١٧	لو أن رجلا من أهل الجنة
١٨	لولا أن الكلاب أمة من الامم
٤٨	ليس الفجر المستطيل في الأفق
٧٨	ليلة القدر في العشر البواقي
٣٩٠	ما اقتبس رجل علما من النجوم
٤٦٨	ماذا كنتم تقولون في الجاهلية
٤٠٧	ماطلع النجم
٦٦	مالى اراكم رافعى ايديكم
٢٤٦	مستقرها تحت العرش
٢٥٦	ملك من ملائكة الله عز وجل

فهرس الاحاديث

الصفحة	الحديث
٤٨٥ ، ٣٩٥ ، ٤٠٠	من اقتبس علما من النجوم
..
٨٥	من كانت له أرض
٤٩	نزل جبريل فأخبرني
٤٠٨	نهى رسول الله عن بيع الثمار حتى
٢٣٧	نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرق
١٨٥	هل تدرون ما فوق ذلك
٤٥	هل تدرون ما هذا
٢١٧	هل ترى في السماء من نجم
٤٠١	هم الذين لا يسترقون
٥٨ ، ٢٦٣	والذي نفس محمد بيده لا ينته
١٢ ، ٤٩٠	وجهت وجهي
٨٦	وضعت للنبي ماء للغسل فغسل يديه
٢١٧	ولاصلاة بعده
٥٤	ولاتنوحى ولاتبرجى
٤٢٢	ولكن الله تعالى يخوف عباده
٤٠١	ومنا رجال يتطهرون قال : ذاك شيء يجدونه
٢٣٨	ومن شر كل طارق
٢٤٩	يا أباذر اتدري اين تغرب الشمس
٣٩٧	يا عائشة استعيذ بالله
٤٠٠	يا على اسبغ الوضوء

فهرس الاحاديث

المفحمة	الحديث
٣٦٩	يا غلام انى اعلمك كلمات
..
٤٦٨ ، ٨٥	يقبض الله الارض
٣٥٢ ، ٣٥١	يكون الناس مجدبين
..

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوعات
٦	<u>الباب الاول</u> : علم الفلك موضوعاته ومراحل نموه
٧	<u>الفصل الاول</u> : مادة فلك ومترادفاتها
٨	مادة فلك فى اللغة العربية
٩	مادة فلك فى القرآن
١٠	مادة العالم فى اللغة العربية
١٢	مادة العالم فى نصوص الوحى
١٥	تصور العالم واقوال المفسرين فى ذلك ..
٢٦	<u>الفصل الثانى</u> : مراحل نمو علم الفلك
٣٠	علم الفلك عند الشعوب القديمة
٣٤	علم الفلك عند العرب والمسلمين
٣٩	الفلك فى العصر الحديث
٤٠	<u>الفصل الثالث</u> : موضوعات علم الفلك
٤١	السماء ومترادفاتها فى اللغة
٤٢	السماء فى نصوص الوحى
٤٦	السماء فى علم الفلك
٤٧	الآفاق فى اللغة
٤٧	الآفاق فى نصوص الوحى
٥٠	الآفاق فى علم الفلك
٥٣	البروج فى اللغة
٥٣	البروج فى نصوص الوحى
٥٤	البروج فى علم الفلك
٥٧	النجوم فى اللغة
٥٨	النجوم فى نصوص الوحى
٦٢	النجوم فى علم الفلك

الموضوعات	رقم الصفحة
١ - موقف العقل	٣٩٨
٢ - موقف الدين الاسلامى من التنجيم	٣٩٩
<u>الفصل الثالث : عبادة الاجرام السماوية</u>	٤٠٢
عبادة النجوم	٤٠٥
عبادة الشمس	٤٠٩
عبادة الكواكب	٤١٥
عبادة القمر	٤١٩
<u>الباب الخامس : التوحيد والفلك</u>	٤٢٣
<u>الفصل الاول : معرفة الله سبحانه بدلائل الفلك</u>	٤٢٤
توافق نصوص الوحي الخاصة بالفلك مع	
مبادئ عقيدة التوحيد	٤٢٥
الاول والآخر سبحانه ودلالة ذلك بالفلك ..	٤٣١
تفسير المقصود من اسمه الاول والآخر	
من السنه	٤٣٢
النصوص المتعلقة بالفلك الداله على	
كونه الاخر	٤٣٥
من صفاته سبحانه العليم	٤٣٨
من صفاته سبحانه الحكيم	٤٤١
من صفاته اللطيف	٤٤٤
من صفاته الرحمن الرحيم	٤٤٧
من صفاته الرزاق	٤٥٣
من صفاته الخالق	٤٥٦
مادة خلق ومتراقاتها	٤٥٧
من صفاته القادر	٤٦٣

الموضوعات	رقم الصفحة
من صفاته العظيم	٤٦٥
من صفاته القوى الجبار	٤٦٧
من صفاته المنتقم	٤٦٩
النافع والضرار هو الله وتوضيح ذلك بالفلك	٤٧١
<u>الفصل الثاني : معرفة الله تعالى تستلزم التوجه اليه</u>	
وحده	٤٧٤
التوحيد العلمى والطلبى وعلاقته بالفلك ..	٤٧٥
عبادة الكون لله عز وجل ونقض عقيدة	
المعائب	٤٨٠
واجب الانسان حينما يرى الكون مشاركا	
فى العبادة لله	٤٨٨
دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم	
والعلاقة بالآفاق	٤٨٩
التوجه بالشفاعة لله سبحانه ونقض	
عقيدة المعائب فى ذلك	٤٩٣